أهـــداف الندوة

١ـ بيان أهمية القرآن الكريم في حياة المسلمين ، وعنايتهم به على مر العصور.

٢ـ إبراز ماقامت به المملكة العربية السعودية في مجال العناية بالقرآن الكريم.

٣ـ التعرُّف على طرق جديدة للعناية بالقرآن الكريم.

٤ـ التعريف بأساليب تعليم القرآن الكريم، وإمكان الاستفادة من التقنية الحديثة في ذلك.

٥ـ التشجيع على إثراء الأبحاث والدراسات العلمية المتصلة بالقرآن الكريم وعلومه.

٦ـ المحافظة على استمرار تعليم القرآن الكريم والعناية به.

محاور الندوة وموضوعاتها

المحور الأول
أهمية القرآن الكريم وعناية المسلمين به
منذ نزوله إلى عصرنا الحاضر

وموضوعاته:

١ـ نزول القرآن الكريم والعناية به في عهد الرسول ﷺ.

٢ـ جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين.

٣ـ العناية بالقرآن الكريم وعلومه في القرون المفضلة.

٤ـ العناية بالقرآن الكريم وعلومه من بداية القرن الرابع الهجري، إلى عصرنا الحاضر.

٥ـ عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم.

٦ـ عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم.

٧ـ عناية المسلمين بالوقف خدمة للقرآن الكريم.

٨ـ التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلمين.

المحور الثاني

عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم

وموضوعاته:

١ـ اتخاذ القرآن الكريم أساساً لشؤون الحياة والحكم في المملكة.

٢ـ حفظ القرآن الكريم وتعليمه في جميع مراحل التعليم العام والتعليم الجامعي.

٣ـ المدارس الخاصة لتحفيظ القرآن الكريم، والكليات الجامعية للقرآن وعلومه.

٤ـ عناية الملوك والأمراء والعلماء والأعيان في المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم

٥ ـ الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم.

٦ـ المسابقات القرآنية المحلية، والدولية.

٧ـ طباعة القرآن الكريم وتسجيله وتوزيعه.

٨ـ تفسير القرآن الكريم وترجمة معانيه.

٩ـ الإعلام السعودي في خدمة القرآن.

١٠ـ تدريس القرآن الكريم في السجون، ودور الملاحظة الاجتماعية.

المحور الثالث
تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم

وموضوعاته:

١ـ تقويم طرق تعليم القرآن الكريم في مراحل التعليم العام، والتعليم الجامعي.

٢ـ تقويم تعليم حفظ القرآن الكريم، وتعليمه في حلقات جمعيات تحفيظ القرآن الكريم.

٣ـ تقويم طرق تعليم القرآن وعلومه في مدارس تحفيظ القرآن الكريم.

٤ـ تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم وعلومه في وسائل الإعلام.

٥ ـ الاهتمام بمعلِّم القرآن الكريم.

المحور الرابع
المعاجم في خدمة القرآن الكريم

وموضوعاته:

١ـ معاجم معاني ألفاظ القرآن الكريم.

٢ـ المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم.

٣ـ معاجم الأدوات والضمائر.

٤ـ معاجم الموضوعات المفردة.

٥ـ دراسة إمكان إضافة معاجم جديدة خادمة ، أو مكملة لنقص سابق.

المحور الخامس
دفع الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم

وموضوعاته:

١- شبهات المنصِّرين.

٢- شبهات المستشرقين.

٣- شبهات القرآنيين[١].

٤- الشبهات في الموسوعات العالمية المعاصرة.

المحور الأول
أهمية القرآن الكريم وعناية المسلمين به منذ نزوله إلى عصرنا الحاضر

الموضوع الأول :

نزول القرآن و العناية به في عهد الرسول ﷺ

نُزُولُ القُرآنِ الكَرِيمِ وَتَارِيخُهُ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ

إعداد
د. محمّد عمر حوِيّه
مُدير مركز الدّراسات القُرآنية
بمجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف
بالمدينة المنوّرة

خطة البحث

(أ) من مقتضيا ت النزول .

(ب) التعريف بالقرآن الكريم، وأنه المعجزة العظمى للنبي ﷺ وقد تحدى القرآن الكريم بأساليب متنوعة، وكونه معجزاً بألفاظه ومعانيه، وأن الناس لم يُصْرفوا عنه، ورد قول من قال بالصرفة .

(ج) التعريف بعلوم القرآن الكريم فناً مستقلاً، ومتى ظهر هذا الاصطلاح؟

(د) نزول القرآن الكريم .

١ – متى بدأ النزول، وكم كانت مدة النزول؟

٢ – ما المراد بالنزول، وكيف كان يتلقى جبريل الوحي من الله؟

٣ – وكم نزولا للقرآن؟

٤ – كيف كان يتلقى النبي ﷺ الوحي من جبريل عليه السلام؟

٥ – هل نزل شيء من القرآن على النبي ﷺ إلهاماً أو مناماً؟

٦ – نزول القرآن جملة إلى سماء الدنيا .

٧ – نزول القرآن مفرقاً .

٨ – حكم التدرج في النزول .

٩ – نزول القرآن على سبعة أحرف .

أ – أرجح الأقوال في معناها .

ب – الحكمة في كونه نزل على سبعة أحرف .

١٠ – أسباب النزول .

أ – تعريف السبب .

ب – العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

١١ – أول ما نزل من القرآن الكريم .

أ – أوائل مطلقة .

ب – أوائل مقيدة .

١٢ – آخر ما نزل من القرآن الكريم .

أ – أواخر مطلقة .

ب – أواخر مقيدة .

١٣ – ما يترتب على معرفة أول ما نزل، وآخر ما نزل من الأحكام والفوائد .

١٤ – الخاتمة وفيها بعض النتائج التي توصل إِليها الباحث، واقتراح يقترحه .

١٥ – فهرس المراجع .

١٦ – فهرس الموضوعات .

المقدمة:
من مقتضيات النزول

إن ما يسمى بعلوم القرآن الكريم مندرج تحت نزول القرآن الكريم ولازم له، وعليه فلابد من الإلمام في الأسطر التالية بالأمور التالية إجمالاً من غير تفصيل في الدقائق، فذلك شأن الموضوعات الخاصة بالنزول الذي هو موضوع البحث.

اعلم أن الأمة اعتنت بنص القرآن الكريم وحفظه، وعلى رأس الأمة نبينا محمد ﷺ فقد بلغ من عنايته بالقرآن الكريم وحرصه على حفظه أن كان يعاجل جبريل حين يقرئه القرآن حتى أنزل الله عليه: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ (القيامة: ١٦-١٩) وأنزل عليه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحجر: ٩) فعندئذ اطمأن الرسول ﷺ على القرآن وكان جبريل يعارض الرسول ﷺ القرآن في كلّ سنة، وعارضه القرآن في سنته التي توفي فيها مرتين. وكان صلى الله عليه وسلم يعتني بكتابة القرآن الكريم فكان له كتبة يكتبون القرآن الكريم، يقول لهم: ضعوا آية كذا في مكان كذا من السورة كذا، وكتب القرآن كله في حياته ﷺ في الرقاع واللخاف بإقراره ﷺ. ومما يدل على عناية المسلمين بالقرآن الكريم أنه حفظه منهم في عهد النبي ﷺ عدد لا بأس به، ثم تتابع

الحفظ بعد ذلك حتى قيل إنه قتل يوم بئر معونة سبعون من القراء.

ومن مظاهر العناية: به أنه لما استحرّ القتل في الحفظة عمد أبو بكر إلى جمعه في مكان واحد في الصحف، واحتاط لذلك الجمع، حيث ألف نخبة من الحفظة، على رأسهم زيد بن ثابت، الذي كان كاتب الوحي في حياة النبي ﷺ، وقد كان أمير المؤمنين أبو بكر الصديق موفقاً في هذا الجمع، ثم بعد هذا الجمع ظلت الصحف عند أمير المؤمنين أبي بكر في خلافته ثم بعد وفاته انتقلت إلى أمير المؤمنين عمر، ثم بعد وفاته كانت عند حفصة رضي الله عنها حتى كانت خلافة أمير المؤمنين عثمان فحصل في زمن عثمان اختلاف بين القراء في الأمصار، فكان من توفيق الله أن جمع أمير المؤمنين عثمان بن عفان الصحابة، وعرض عليهم اختلاف القراء في الأمصار وفي المدينة، وكان رأيه أن يجمع القرآن في مصحف واحد، فوافقه الصحابة بالإجماع على ذلك، فأرسل إلى حفصة وأخذ منها الصحف، وجمع القرآن في مصحف واحد ووزعه على الأمصار، فكان بذلك موفقاً حيث أدرك الناس قبل أن يختلفوا.

ومن مظاهر العناية بالقرآن الكريم عند المسلمين: أنهم حرروا القراءات وفرقوا بين المتواتر والشاذ، وجعلوا قواعد لا يثبت القرآن إلا بها وهي:

أولاً: الإسناد المتصل للقراءة في كل طبقة.

ثانياً: موافقة القراءة لوجه نحوي.

ثالثاً: أن يحتملها الرسم العثماني.

وكل قراءة لا تتوفر فيها هذه الشروط، عدَّها العلماء شاذة ولا تسمى قرآناً، ولا تجوز القراءة بها[1].

فكل ما وافق وجه نحـــو ... وكان للرسم احتمالا يحوي
وصح إسناداً هو القـــرآن ... فهذه الثلاثة الأركـــان
وحيث مايختلّ ركن أثبت ... شذوذه لو أنه في السبعة

ومن مظاهر العناية بالقرآن الكريم عند هذه الأمة: أنه لابد فيه من التلقي مشافهة، تلقاه النبي ﷺ من جبريل عليه السلام شفاهاً، وتلقاه الصحابة الأثبات العدول من النبي ﷺ، ثم تلقاه التابعون الأخيار من الصحابة كذلك، ثم تلقاه أتباع التابعين من التابعين كذلك، إلى أن وصل إلينا غضّاً طرياً كما أنزل، فالقراءة سنة متبعة لا مدخل للقياس فيها، والاعتماد فيها على التلقي والتواتر.

وقد اعتنى المسلمون بالقرآن عناية فائقة، حيث ألَّفوا في كل جزء منه، فرقوا بين مكيه ومدنيه، وعرَّفوا مَكيه بأنه ما نزل قبل الهجرة، كما عرفوا المَدَني بأنه ما نزل بعد الهجرة، هذا التعريف المختار، ومع تعريف المكي والمدني، فقد جمعوا المكي، وميزوه دون المدني، وكل ذلك عناية بالقرآن الكريم.

كما اعتنوا بسور القرآن الكريم وآياته، وذكروا أن ترتيب الآيات

---

(١) طيبة النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١/ ٧.

توقيفي من النبي ﷺ كما هو الآن، وأما ترتيب السور ففيه خلاف بينهم[1]، كما ألفوا في أسماء السور، وعدد الآيات.

ومن هذه العناية الدقيقة: اعتناؤهم برسمه الذي رسم به في زمن النبي ﷺ وبإقراره، وأجْمَعَ عليه الصحابة بعد ذلك في زمن عثمان، وذهب الكثير من العلماء إلى أن رسم القرآن توقيفي لا تجوز مخالفته، حتى إن بعضهم كان يرى أن تكتب الكتابات الأخرى كما كتب القرآن على رسمه وعلى نمطه.

وخلاصة القول أن العلماء لم يتركوا شيئاً يتعلق بالقرآن الكريم إلا وكتبوا فيه مثل نَاسخه ومنسوخه، وأقسامه، ومطلقه ومجمله، ولما كان هذا البحث الذي كلفنا بالكتابة فيه، تحت عنوان "نزول القرآن" اخترنا الكتابة فيما له صلة وثيقة بالنزول.

(١) تناسق الدرر في تناسب السور ١/ ٥٦.

التعريف بالقرآن الكريم وأنه المعجزة العظمى للنبي صلى الله عليه وسلم

التعريف بالقرآن الكريم وأنه المعجزة العظمى للنبي ﷺ، وقد تحدى القرآنُ بأساليب منوعة، وكونه معجزاً بألفاظه ومعانيه، وأن الناس لم يُصْرفوا عنه، والردّ على من قال بالصرفة.

اعلم أن تعريف القرآن الكريم: هو كلام الله المنزّل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته، وقد عرفه صاحب المراقي في ألفيته بقوله [1]:

لفظ منزّل على محمّد لأجل الاعجاز وللتعبد [2]

ويطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع القرآن، وعلى كل آية من آياته[3] فإذا سمعت من يتلو آية من القرآن صح أن تقول: إنه يقرأ القرآن ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ (الأعراف: ٢٠٤).

والقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لنبينا محمد ﷺ إلى يوم القيامة؛

---

(١) ١/ ٩٧، تحقيق د/ مختار محمد الأمين.

(٢) (القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر) شرح العقيدة الطحاوية (طبع مؤسسة الرسالة ١/ ١٧٢) اللجنة العلمية.

(٣) مباحث في علوم القرآن ص٢٠-٢١.

لأن المعجزات على ضربين: الأول ما اشتهر نقله وانقرض عصره بموت النبي ﷺ. والثاني: ما تواترت الأخبار بصحته وحصوله واستفاضت بثبوته ووجوده ووقع لسامعها العلم بذلك ضرورة، ومن شرطه أن يكون الناقلون له خلقاً كثيراً وجمّاً غفيراً، وأن يكونوا عالمين بما نقلوه علماً ضرورياً، وأن يستوي في النقل أولهم وآخرهم ووسطهم في كثرة العدد، حتى يستحيل عليهم التواطؤ على الكذب، وهذه صفة نقل القرآن، ونقل وجود النبي ﷺ، قال القرطبي [1]: "لأن الأمة رضي الله عنها لم تزل تنقل القرآن خلفاً عن سلف والسلف عن سلفه إلى أن يتصل ذلك بالنبي عليه الصلاة والسلام، المعلوم وجوده بالضرورة وصدقه بالأدلة المعجزات، والرسول أخذه عن جبريل عليه السلام عن ربه عز وجل، فنقل القرآن في الأصل رسولان معصومان من الزيادة والنقصان، ونقله إلينا بعدهم أهل التواتر الذين لا يجوز عليهم الكذب فيما ينقلونه ويسمعونه لكثرة العدد، ولذلك وقع لنا العلم الضروري بصدقهم فيما نقلوه من وجود محمد ﷺ، ومن ظهور القرآن على يديه وتحديه به، فالقرآن معجزة نبينا ﷺ الباقية بعده إلى يوم القيامة، مع أن معجزة كل نبي انقرضت بانقراضه أو دخلها التبديل كالتوراة والإنجيل، فلما عجزت قريش عن الإتيان بمثله وقالت: إن النبي ﷺ تقوَّله أنزل الله تحدياً لهم قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج١ ص ٧٢ .

مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (الطور : ٣٣-٣٤) ثم تحدّاهم وأنزل تعجيزاً أبلغ من ذلك فقال : ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ ﴾ (هود : ١٣) . فلما عجزوا حطهم عن هذا المقدار إلى مثل سورة من السور القصار فقال جل ذكره : ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾ (البقرة : ٢٣) . فأفحموا عن الجواب وتقطعت بهم الأسباب، وعدلوا إلى الحروب والعناد وآثروا سبي الحريم والأولاد، ولو قدروا على المعارضة لكان أهون كثيراً وأبلغ في الحجة وأشد تأثيراً مع كونهم أرباب البلاغة وعنهم تؤخذ الفصاحة" .

واعلم أن القرآن نفسه هو المعجز بألفاظه ومعانيه؛ لأن فصاحته وبلاغته أمر خارق للعادة إذ لم يوجد كلام قط على هذا الوجه، وما قاله النظام ومن على شاكلته من أن وجه الإعجاز في القرآن هو أنهم منعوا منه وصرفوا عنه قول فاسد؛ لأن إجماع الأمة قبل حدوث المخالف أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا إن المنع والصرفة هو المعجز لخرج القرآن عن أن يكون معجزاً، وذلك خلاف الإجماع .

هذا وقد ذكر العلماء أوجهاً كثيرة للإعجاز نلخص منها ما يأتي بإيجاز :

١- النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب؛ لأن نظمه ليس من نظم الشعر في شيء، وكذلك قال ربّ العزة الذي تولى نظمه : ﴿ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ ﴾ (يسٓ : ٦٩) . وفي صحيح مسلم :

أن أنيساً أخا أبي ذر قال لأبي ذر: لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله. قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون شاعر كاهن ساحرٌ وكان أنيس أحد الشعراء. قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر[1] فلم يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون[2].

٢- الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب.

٣- الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال[3]، قال القرطبي: وتأمل ذلك في سورة قٓ والقرآن المجيد إلى آخرها وقوله سبحانه: ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ (الزمر: ٦٧) إلى آخر السورة، وكذا قوله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (إبراهيم: ٤٢) إلى آخر السورة. قال ابن الحصار: فمن علم أن الله سبحانه وتعالى هو الحق علم أن مثل هذه الجزالة لا تصح في خطاب غيره، ولا يصح من أعظم ملوك الدنيا أن يقول: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ (غافر: ١٦) ولا أن يقول: ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ﴾ (الرعد: ١٣).

٤- التصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربي حتى يقع منهم الاتفاق من جميعهم على إصابته في وضع كل كلمة وحرف

---

(١) أقراء الشعر: أنواعه وطرقه وبحوره وأنحاؤه.

(٢) مسلم رقم ٢٤٧٣، البخاري رقم ٣٥٢٢، أحمد رقم ٢١٠١٥ .

(٣) انظر: البرهان ٢/٢١٨-٢٥١ الإتقان ٤/٣-٢٣، المحرر الوجيز ١/٣٨، النكت في إعجاز القرآن ١٠٣، ١٠٤.

مَوْضعه.

٥- الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا إلى وقت نزوله، من أمّي ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه، مع أنه أخذ بما كان من قصص الأنبياء مع أممها، وذكر ما سأله أهل الكتاب عنه، وتحدوه به من قصة أهل الكهف، وشأن موسى والخضر عليهما السلام، وحال ذي القرنين.

٦- الوفاء بالوعد المدرك بالحس في العيان في كل ما وعد الله سبحانه، وينقسم إلى أخباره المطلقة كوعده بنصر رسوله عليه السلام، وإخراج الذين أخرجوه من وطنه وإلى وعد مقيد بشرط كقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ (الطلاق: ٣) وقوله: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ (التغابن: ١١).

٧- الإخبار عن المغيبات في المستقبل التي لا يطلع عليها إلا بالوحي، فمن ذلك ما وعد الله نبيه عليه السلام أنه سيظهر دينه على الأديان بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ (التوبة: ٣٣) ففعل ذلك، وكان أبو بكر إذا أغزى جيوشه عرَّفهم ما وعدهم الله في إظهار دينه ليثقوا بالنصر، وليستيقنوا بالنجح، وكان عمر يفعل ذلك، فلم يزل الفتح يتوالى شرقاً وغرباً، براً وبحراً.

٨- ما تضمنه القرآن الكريم من العلم الذي هو قوام جميع الأنام في

الحلال والحرام وسائر الأحكام.

٩- التناسب في جميع ما تضمنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف. قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

١٠- الحكم الكثيرة التي لم تجر العادة بأن تصدر في كثرتها وشرفها من آدميّ.

التعريف بعلوم القرآن فناً مستقلاً ومتى ظهر هذا الاصطلاح

هو علم ذو مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من حيث نزوله وترتيبه وكتابته وجمعه وقراءاته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه إلى غير ذلك من المباحث التي تذكر في هذا العلم[1]، وقد يسمى هذا العلم بأصول التفسير لأنه يتناول العلوم التي لابد للمفسر منها[2].

وأول ظهور هذا المصطلح لعلوم القرآن فناً مستقلاً كان على يد الحوفي المتوفى ٤٣٠هـ في كتابه "البرهان في علوم القرآن"، ثم تبعه ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ في كتابه "فنون الأفنان في عيون علوم القرآن"، ثم جاء بدر الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ بكتاب واف سماه "البرهان في علوم القرآن" ثم جاء البلقيني المتوفى سنة ٨٢٤هـ فألف كتابه "مواقع العلوم من مواقع النجوم"، ثم جاء خاتمة الحفاظ وفارس الميدان جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ بكتابه "الإتقان في علوم القرآن"، وصار الناس بعده عيالاً عليه، كلٌّ يأخذ منه، والبعض يلخص والبعض يختصر.

---

(١) المدخل ١/ ٢٥ وما بعدها.

(٢) مباحث في علوم القرآن ١/ ١٦ .

وقد نشط التأليف في علوم القرآن في العصر الحديث مثل كتاب مصطفى صادق الرافعي في إعجاز القرآن، (والنبأ العظيم) للدكتور محمد عبدالله دراز، وكتاب الشيخ طاهر الجزائري (التبيان في علوم القرآن)، وكتاب (مناهل العرفان في علوم القرآن) للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني، وكتاب (المدخل في علوم القرآن) لشيخنا الشيخ الدكتور محمد محمد أبو شهبة رحمه الله، وكتاب (مباحث في علوم القرآن) للشيخ مناع القطان رحمه الله، إلى غير ذلك من التآليف الكثيرة في هذا العصر.

متى بدأ النزول وكم كانت مدة النزول؟

إن بحث نزول القرآن وتاريخ نزوله، لمن أهم المباحث؛ إذ به تعرف تنزلات القرآن الكريم، ومتى نزل، وكيف نزل، وعلى من نزل وكيف كان يتلقاه جبريل من الله تبارك وتعالى؟ ولا شك أن العلم بذلك يتوقف على كمال الإيمان، بأن القرآن من عند الله، وأنه المعجزة العظمى للنبي ﷺ، كما أن كثيراً من المباحث التي تذكر في هذا الفن يتوقف على العلم بنزوله، فهو كالأصل بالنسبة لغيره.

أنزل الله القرآن الكريم على رسولنا محمد ﷺ لهداية البشر وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فكان نزوله حدثاً جللاً مؤذناً بمكانة النبي ﷺ عند أهل السماء والأرض.

فإنزاله الأول في ليلة القدر نبه العالم العلوي على شرف هذه الأمة، وأنها القائدة التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس.

قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة: ١٨٥)، فقد مدح تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور بأنه اختاره من بينها لإنزال القرآن العظيم فيه، قال ابن كثير[١]: "وكما اختصه بذلك فقد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء".

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٣٠٩.

قال الإمام أحمد بن حنبل[1] -رحمه الله-: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا عمران أبو العوام عن قتادة عن أبي المليح عن واثلة -يعني ابن الأسقع- أن رسول الله ﷺ قال: "أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان".

وقد روى من حديث جابر بن عبدالله وفيه أن الزبور أنزل لثنتي عشرة خلت من رمضان والإنجيل لثماني عشرة والباقي كَمَا تقدم. رواه ابن مردويه[2].

أما الصحف والتوراة والزبور والإنجيل فنزل كل منها على النبي الذي أنزل عليه جملة واحدة، وأما القرآن فكان نزوله الأول جملة واحدة إلى بيت العزة من سماء الدنيا، كما تدل عليه الآيات: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ...﴾ (البقرة: ١٨٥) ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ (الدخان: ٣).

أما تاريخ نزول القرآن منجماً وهو النزول الثاني، فقد كان بعد الأربعين من عمره ﷺ حينما بعث في يوم الاثنين وكان أول ما نزل عليه صدر سورة اقرأ كما ذكر ذلك محققو أهل العلم من أهل التفسير والحديث والسير، قال العلامة الفاسي في نظمه "قرة الأبصار في سيرة

---

(١) المسند ٤/١٠٧، الطبراني في الكبير ٢٢/٧٥، والبيهقي في شعب الإيمان: ٢/٤١٤.

(٢) ابن كثير ١/٢١٧، قال: رواه ابن مردويه.

المشفّع المختار"[1]:

بيان مبعث النبي الهـــادي	صلى عليه خالق العبـــــاد
وجاءه جبريل في غار حـــرا	من بعد أربعين عاما غبـــــرا
في يوم الاثنين بسورة العلق	صلى عليه الله فالـق الفـلـق
فقام يدعو الإنس والجن إلى	توحيد ربِّ العالمين مرســـلا
مؤيّداً منه بما أعْيا البشـــر	إحصاءه من معجزات كالمطر
نفعاً وكثرة وكالســــــراج	نورا ورفعة مع ابتهـــــــــاجِ
ومع ذا حاصره الفجّــــــار	كما أتت بذلك الأخبـــــار
وكان قادرا على التدميــــــر	لو شاء لكن جاد بالتأخيــــر
حتى هدى الله به من شـاء	منهم ومن أصلابهم أبنـــــاء
ثم أعز دينه ونصــــــــــره	وأيّد الحق به وأظهـــــــــره

قال في الإتقان[2]:

"أما إنزاله الثاني مفرقاً على حسب الوقائع خلافاً لما كان معهوداً عندهم في الكتب السابقة فقد أثار الضجة عند القوم حتى حملهم على المحادّة والمساءلة حتى ظهر لهم الحق فيما بعد من أسرار الحكم الإلهية في إنزاله مُنَجَّماً على حسب الوقائع حتى أكمل الله الدين".

هذا وقد يظن البعض أن الآيات من قوله: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ

---

(١) مخطوطة، منظومة في السيرة ص ٣.

(٢) ١/١١٦.

﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾ (البقرة: ١٨٥) الآية، وقوله: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (الدخان: ١-٣) الآية، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ (القدر: ١). بينها تعارض، والواقع أنه لا تعارض بينها، فالليلة المباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان، وإنما يتعارض ظاهرها مع الواقع العملي في حياة الرسول ﷺ؛ لأن القرآن نزل عليه خلال ثلاث وعشرين سنة.

وقد روي من غير وجه عن ابن عباس كما قال إسرائيل عن السدي عن محمد بن أبي المجالد عن مقسم عن ابن عباس أنه سأله عطية بن الأسود فقال: وقع في قلبي الشك من قول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ وقد أنزل في شوال وذي القعدة وفي ذي الحجة والمحرم، وصفر وشهر ربيع.

المذهب الأول: فقال ابن عباس وجمهور العلماء: إن المراد بنزول القرآن في تلك الآيات الثلاث، نزوله جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا، تعظيماً لشأنه عند الملائكة، ثم أنزل بعد ذلك منجماً على مواقع النجوم ترتيلاً في الشهور والأيام في ثلاث وعشرين سنة، حسب الوقائع والأحداث منذ بعثه ﷺ إلى أن توفي حيث أقام بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة بعد الهجرة عشر سنين، وهذا المذهب هو الذي جاءت به الأخبار الصحيحة عن ابن عباس في عدة روايات، منها:

١- عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا[1] ليلة

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٢٤٢ رقم ٢٨٧٨، والبيهقي ٤/ ٣٠٦.

القدر ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة، ثم قرأ: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (الفرقان: ٣٣). وقوله: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ (الإسراء: ١٠٦).

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي ﷺ.

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزل الله القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا وكان بمواقع النجوم وكان الله ينزله على رسوله ﷺ بعضه إثر بعض[1].

٤- وعنه قال: أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثم أنزل نجوماً "رواه الطبراني".

المذهب الثاني: هو المروي عن الشعبي أن المراد بنزول القرآن في الآيات الثلاث ابتداء نزوله على رسول الله ﷺ، فقد ابتدأ نزوله في ليلة القدر من شهر رمضان وهي الليلة المباركة، ثم تتابع نزوله بعد ذلك متدرجاً مع الوقائع والأحداث في قرابة ثلاث وعشرين سنة.

قال: فليس للقرآن إلا نزول واحد هو نزوله منجماً على رسول الله ﷺ؛ لأن هذا هو الذي جاء به القرآن، قال تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢ / ٢٤١ وصححه ووافقه الذهبي وابن الملقن وصححه أيضاً الحافظ ابن حجر في الفتح ٨ / ٦٢٠ ورواه البيهقي في دلائل النبوة ٣ / ١٣١.

ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ ﴾ (الاسراء : ١٠٦)، ولهذا جادل فيه المشركون لكون الكتب السماوية نقل إليهم نزولها جملة، واحدة قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴾(الفرقان : ٣٢-٣٣) .

قال: ولا يظهر للبشرية مزية لشهر رمضان وليلة القدر التي هي الليلة المباركة إلا إذا كان المراد بالآيات الثلاث نزول القرآن على رسول الله ﷺ وهذا يوافق ما جاء في قوله تعالى في غزوة بدر: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١﴾ (الأنفال : ٤١) . وقد كانت غزوة بدر في رمضان، ويؤيد هذا ما عليه المحققون في حديث بدء الوحي .

عن عائشة قالت: "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح"[1] .

فالمحققون على أن رسول الله ﷺ نبئ أولاً بالرؤيا في الشهر الذي ولد فيه وهو شهر ربيع الأول، وكانت المدة بين الرؤيا والوحي إليه يقظة ستة أشهر ثم أوحي إليه يقظة بـ ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ .

قال الشيخ مناع القطان رحمه الله[2]: "وبهذا تتآزر النصوص على معنى واحدٍ" .

---

(١) رواه البخاري رقم ٢ كتاب بدء الوحي، ومسلم كتاب الإيمان ١٦٠ .

(٢) مباحث في علوم القرآن ص١٠٠ وما بعدها .

المذهب الثالث: يرى أن القرآن أنزل إلى السماء الدنيا في ثلاث وعشرين ليلة قدر، في كل ليلة منها ما يقدر الله إنزاله في كل السنة، وهذا القدر الذي ينزل في ليلة القدر إلى السماء الدنيا لسنة كاملة ينزل بعد ذلك منجماً على رسول ﷺ في جميع السنة.

ولا شك أن هذا المذهب اجتهاد من بعض المفسرين؛ فليس هناك ما يدل عليه، أما المذهب الثاني فإنه لا تعارض بينه وبين المذهب الأول الذي هو مذهب ابن عباس والجمهور.

فالراجح أن القرآن الكريم له تنزّلان، كما علمت:

الأول: نزوله إلى بيت العزة من سماء الدنيا جملة.

وقد نقل القرطبي[١] الإجماع على هذا النزول عن مقاتل بن حيان، وممن قال بقوله: الحليمي والماوردي[٢].

الثاني: نزوله من السماء الدنيا مفرقاً على مدى ثلاث وعشرين سنة.

---

(١) ٢٩٧/٢ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص١١٦ .

الحكمة في إنزال القرآن جملة إلى السماء

١- تفخيم أمره وأمر مَن نزل عليه، وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم. قال السيوطي نقلاً عن أبي شامة في المرشد الوجيز: "لولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجماً بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله باين بينه وبينها فجعل له الأمرين: إنزاله جملة ثم إنزاله مفرّقاً تشريفاً للمنزل عليه"[١].

٢ - وقال السخاوي في جمال القراء: "نزوله إلى السماء الدنيا جملة تكريم لبني آدم وتعظيم لشأنهم عند الملائكة، وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم".

والقرآن بالاستقراء كان ينزل حسب الحاجة خمس آيات وعشر آيات وأكثر وأقل، وصح نزول عشر آيات في قصة الإفك جملة، ونزول عشر آيات من أول سورة المؤمنون جملة، كما صح نزول: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ وحدها وهي بعض آية، وكذا قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ إلى آخر الآيات.

ويوضح ذلك ما أخرجه البخاري[٢] عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار،

(١) الإتقان في علوم القرآن ١/١١٦ وما بعدها، مباحث في علوم القرآن، ص١٠٠ فما بعدها، المدخل في علوم القرآن ص ٥٨، فما بعدها.

(٢) رقم ٤٩٩٣ في كتاب الفضائل.

حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: "لا تزنوا": لقالوا لا ندع الزنى أبداً.

اعلم أن القرآن الكريم له وجودات ثلاثة:

١ – وجوده في اللوح المحفوظ.

٢ – وجوده في السماء الدنيا.

٣ – وجوده في الأرض، بنزوله على النبي ﷺ، ولم يقترن النزول إلا بالوجود الثاني والثالث؛ وقد دل القرآن الكريم أنه كان قبل نزوله في اللوح المحفوظ؛ حيث يقول الله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (البروج: ٢١–٢٢).

وهذا اللوح المحفوظ هو الكتاب المكنون الذي قال الله عنه: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الواقعة: ٧٧–٨٠) والذي عليه جمهور المفسرين أن الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ، واللوح المحفوظ هو السجل العام الذي كتب الله فيه في الأزل كل ما كان وكل ما يكون، والواجب علينا أن نؤمن به وأنه موجود ثابت، أما البحث فيما وراء ذلك فلسنا مطالبين به.

أما كيف كان جبريل يتلقى الوحي؟ فلا يركن إلى شيء مما قيل في ذلك إلا ما أومأ له الدليل، وأولى قول في هذا المجال هو ما ذكره البيهقي في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ قال: يريد والله أعلم "إنا

أسمعنا الملك وأفهمناه إيّاه وأنزلناه بما سمع، وهذا القول يشهد له ما رواه الطبراني من حديث النواس بن سمعان مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: "إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله، فإذا سمع بذلك أهل السماء صعقوا وخروا سجداً، فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله بوحيه بما أراد فينتهي به حيث أمر". والحديث وإن لم يكن نصاً في القرآن إلا أن الوحي يشمل وحي القرآن وغيره[1].

أما قول من قال إن جبريل أخذ القرآن من الكتاب، لم يسمعه من الله، فهذا قول باطل كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية[2] وقد أخبر تعالى بأنه منزل منه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ (الأنعام: ١١٤) وقال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (فصلت: ١-٢) وقال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ (الأحقاف: ١-٢). فجبريل رسول الله من الملائكة جاء به إلى رسول الله ﷺ من البشر والله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس. وكلاهما مبلغ له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[3]: "وهو مع هذا كلام الله ليس لجبريل

---

(١) المدخل ١/٢٥٥، الإتقان ١/٤٥، مباحث في علوم القرآن ج١، ص١٠٥ وما بعدها.

(٢) الفتاوى ١٢/١٢٧ فما بعدها.

(٣) الفتاوى ١٢/٢٦٠ .

ولا لمحمد فيه إلا التبليغ والأداء، كما أن المعلمين له في هذا الزمان والتالين له في الصلاة أو خارج الصلاة ليس لهم فيه إلا ذلك لم يحدثوا شيئاً من حروفه ولا معانيه" .

قال الإمام السيوطي[1]: "قال الجويني : كلام الله المنزل قسمان :

أ - قسم قال الله لجبريل قل للنبي ﷺ -الذي أنت مرسل إليه إن الله يقول افعل كذا وكذا، ففهم جبريل ما قاله ربه، ثم نزل على النبي ﷺ وقال له ما قاله ربه ولم تكن العبارة تلك العبارة، كما يقول الملك لمن يثق به : قل لفلان يقول لك الملك اجتهد في الخدمة، واجمع جندك للقتال . فإن قال الرسول بقول الملك لا تتهاون في خدمته ولا تترك الجند تتفرق وحثهم على المقاتلة لا ينسب إلى كذب ولا تقصير في أداء الرسالة .

ب - قسم آخر قال الله لجبريل اقرأ على النبي هذا الكتاب فنزل جبريل بكلمة من الله من غير تغيير كما يكتب الملك كتاباً ويسلمه إلى أمين ويقول له اقرأه على فلان فهو لا يغير منه كلمة ولا حرفاً" .

قال السيوطي : "القرآن هو القسم الثاني، والقسم الأول هو السنة، وقد ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن قال : ولهذا جازت رواية السنة بالمعنى بخلاف القرآن الكريم فإنه نزل جبريل بألفاظه ومعانيه فلا تجوز روايته بالمعنى . والسر في ذلك أن القرآن

---

(١) الإتقان ١/ ١٢٨ .

يقصد التعبد بألفاظه وهو كذلك معجز فلا يمكن لأحد مَهْمَا أوتي من البلاغة والفصاحة أن يأتي بلفظ يقوم مقامه.

كما أن فيه تخفيفاً على الأمة حيث جعل المنزل إليهم على قسمين: قسم يروونه بلفظه الموحى به وقسم يروونه بالمعنى، ولو جعل كله مما يروى باللفظ لشق، أو بالمعنى لم يؤمن التبديل". قال صاحب المدخل[1]: "وكذلك ليس للنبي ﷺ في القرآن شيء إلّا مجرَّد التبليغ فقط وهذا هو الحق الذي يجب على كل مسلم أن يعتقده ويؤمن به".

قال: "ولا يلتفت إلى ما زعمه بعض من يهرف بما لايعرف، أو من يفتري ويختلق من أن جبريل أوحي إليه المعنى، وأنه عبّر بهذه الألفاظ الدالة على المعاني بلغة العرب، ثم نزل على النبي ﷺ كذلك أو أن جبريل أوحى إلى النبي ﷺ المعنى وأن النبي ﷺ عبر عن هذه المعاني بلفظ من عنده. فهذا القول زعم وَخَرْصٌ لم تقم عليه أثارة من علم.

وهو خلاف ما تواتر عليه القرآن والسنة، وانعقد عليه إجماع الأمة من أن القرآن لفظه ومعناه كلام الله ومن عند الله مِنهُ بدأ وإليه يعود".

إلى أن قال: "وهذا الزعم لا يقول به إلا جاهل استولى الجهل والغفلة عليه، أو زنديق قد يدس في الدين والعلم ما ليس منه".

ولا يغتر بوجوده في بعض الكتب الإسلامية، فأغلب الظن أنه مَدْسوسٌ على الإسلام والمسلمين. هذا وقد بلغ النبي ﷺ القرآن الكريم

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم ١ / ٦٢.

من غير تحريف ولا تبديل ولا تغيير لشيء منه ولا كتمان له، ولو كان كاتماً شيئاً [حاشاه من ذلك] لكتم تبليغ الآيات التي عوتب فيها ويكفي أن تقرأ قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ﴾ (المائدة: ٦٧)، وقوله: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ ﴾ (يونس: ١٥)، وقوله: ﴿ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴾ (الحاقة: ٤٤-٤٧).

كيف كان يتلقى النبي ﷺ الوحي من جبريل؟

١- أحياناً يأتي جبريل عليه السلام للنبي ﷺ في صفة رجل من البشر وكان كثيراً ما يأتي في صورة دحية الكلبي.

٢-وأحياناً يأتي ولا يراه الحاضرون، وقد يسمعون له دوياً وصلصلة كصلصلة الجرس.

ودل على هاتين الحالتين من الوحي ما رواه البخاري في صحيحه[1] بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله تعالى عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: "أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليَّ، فيفصم عَنّي وقد وعيت منه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول ..." الحديث.

هذا والقرآن الكريم لم ينزل منه شيء إلا عن طريق جبريل عليه السلام، ولم يأت منه شيء عن تكليم أو إلهام أو منام، بل كله أوحي به في اليقظة وحياً جلياً[2].

---

(١) البخاري رقم ٢ كتاب بدء الوحي، ومسلم رقم ٢٣٣٣.

(٢) المدخل ١/ ٥٨.

نزول القرآن مفرقاً (مُنَجَّماً)

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ (الشعراء: ١٩٢-١٩٥). وقال تعالى: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ (النحل: ١٠٢). ويقول تعالى: ﴿حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٣﴾ (الجاثية: ١-٣). وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ (البقرة: ٢٣). وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (البقرة: ٩٧). فهذه الآيات ناطقة بأن القرآن الكريم كلام الله بألفاظه العربية، وأن جبريل نزل به على قلب رسول الله ﷺ، وأن هذا النزول غير النزول الأول إلى السماء الدنيا فالمراد به نزوله منجماً، ويدل التعبير بلفظ التنزيل دون الإنزال على أن المقصود النزول على سبيل التدرج والتنجيم، فإن علماء اللغة يفرقون بين الإنزال والتنزيل فالتنزيل لما نزل مفرقاً، والإنزال أعم[1].

فقد نزل القرآن الكريم على مدى ثلاث وعشرين سنة، ثلاث عشرة بمكة على القول الراجح، وعشر بالمدينة المنورة.

ومن الأدلة على نزول القرآن مفرقاً قوله تعالى: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى

(١) المفردات للراغب ٧٩٩، مباحث في علوم القرآن ١ / ١٠٠.

﴿ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٖ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦﴾ (الإسـراء: ١٠٦). والمعنى: جعلنا نزوله مفرقاً كي تقرأه على الناس على مهل وتثبت، ونزلناه تنزيلاً بحسب الوقائع والأحداث[١].

قال الزرقاني في مناهل العرفان[٢]: "وفي تعدد النزول وأماكنه، مرة في اللوح وأخرى في بيت العزة، وثالثة على قلب النبي ﷺ، في ذلك التعدد مبالغة في نفي الشك عن القرآن الكريم، وزيادة للإيمان؛ لأن الكلام إذا سجل في سجلات متعددة، وصحت له وجودات كثيرة كان ذلك أنفى للريب عنه، وأدعى إلى تسليم ثبوته، وأدنى إلى وفرة الإيقان به مّما لو سجّل في سجل واحد، أو كان له وجود واحد".

(١) ابن جرير الطبري جامع البيان ٢ / ٨٤ ، فما بعدها، تفسير أبي السعود ١ / ٣١٥ .
(٢) ١ / ٤٧ .

نزول الكتب السماوية الأخرى

الصحيح المشهور بين العلماء أن الكتب السماوية غير القرآن نزلت جملة واحدة ولم تنزل متفرقة، ومن الأدلة على ذلك آية الفرقان، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ (الفرقان: ٣٢).

فهذه الآية دليل على أن الكتب السماوية غير القرآن نزلت جملة واحدة كما على ذلك جمهور العلماء.

ووجه الدلالة أن الله لم يكذبهم في دعواهم أن الكتب السماوية نزلت جملة واحدة – فلو كان نزول الكتب السماوية مفرقاً لما كان هناك ما يدعو الكفار إلى التعجب من نزول القرآن مفرقاً منجماً؛ لأن معنى قوله: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ هلاّ أنزل عليه القرآن دفعة واحدة كسائر الكتب، وما له أنزل على التنجيم ولم ينزل مجموعاً؟، بل بيَّن لهم الحكمة من نزول القرآن منجماً. ولو كانت الكتب السماوية نزلت مفرقة لكان يكفي في الرد عليهم أن يقول لهم: إن التنجيم سنة الله في الكتب التي أنزلت على الرسل كما أجاب بمثل ذلك في قولهم: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان: ٧) قال في الرد عليهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ

﴿وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان : ٢٠) . فبيّن لهم أن ذلك سنن المرسلين والأنبياء[1] .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١ / ١١٦ ، المدخل في علوم القرآن ١ / ٥٥ ، مباحث في علوم القرآن ، ١ / ١٠٠ فما بعدها ، ابن كثير ١ / ٣٠٩ .

الحكم التي تستفاد من نزول القرآن مفرقاً منجماً

لا شك أن في نزول القرآن منجماً –مفرقاً– على حسب الوقائع والأحداث حِكَماً وأسراراً عظيمة، كيف وذلك التنجيم ممّن أنزل القرآن وهو سبحانه أعلم بما يصلح عباده: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ (الملك: ١٤). يعلم سبحانه المنهج الصالح لتربية الأمّة، المنهج الذي يجعلها أمّةً منقادة لأوامر الله، منتهية عن مساخطه.

ونلخص هنا بعض الحكم التي ذكرها العلماء والباحثون في هذا المجال:

١– الحكمة الأولى: تثبيت فؤاد النبي ﷺ وتطمين خاطره وقلبه. وقد أشار الحق تبارك وتعالى إلى هذه الحكمة في قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ (الفرقان: ٣٢). ويندرج تحت هذه الحكمة كثير.

لقد وجه رسول الله ﷺ دعوته إلى الناس فوجد منهم نفوراً شديداً وقلوباً قاسية، قابله قومه بقلوب قاسية فطرت على الأذى، وقابلوه بصنوف الأذى والشتم مع رغبته الصادقة وسعيه المشكور في إيصال الخير الذي جاء به إليهم حتى قال الله تعالى في حقه: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ (الكهف: ٦) فكان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ فترة بعد فترة ليثبت فؤاده على الحق

ويقوي عزمه على المضي في الخير.

وقد بين الله أن سنته في أنبيائه السابقين أنهم كذبوا وأوذوا فصبروا حتى جاءهم نصر الله، وبيَّن كذلك أن قومه ما كذبوه إلا استكباراً وعلواً، ورداً للحق، فيجد الرسول ﷺ في ذلك تسلية له، قال تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الأنعام: ٣٣). وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ ﴾ (الأنعام: ٣٤). وقال جلّ وعلا: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ ﴾ (آل عمران: ١٨٤)، ونجد القرآن يأمره بالصبر في قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (الأحقاف: ٣٥).

فكلما اشتد ألم رسول الله ﷺ بسبب تكذيب قومه وداخله الحزن لأذاهم، نزل القرآن دعماً وتسلية له عما يعانيه من قومه، فهدد المشركين المكذبين بأنه يعلم أحوالهم وسيجازيهم بما يستحقون، قال تعالى: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (سورة يس: ٧٦)، وقال: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾ (المائدة: ٦٧). وقال: ﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ (الفتح: ٣)، وقال: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ ﴾ (المجادلة: ٢١).

وأحياناً تنزل الآيات بوعيد المكذبين للأنبياء كما قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن

﴿يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٩٨﴾ (الأعراف: ٩٧- ٩٨).

وآونة تنزل الآية بالبراهين والحجج الدامغة في الرد عليهم فيما يتمسكون به من شبه واهية، كالآيات الواردة في إثبات توحيده وصفاته، واستحقاقه للعبادة وإثبات البعث والحشر، وكان من ثمرة هذا التثبيت أن أبدى النبي ﷺ غاية الثبات والشجاعة والوثوق بالله في أحرج المواقف وأشدها هولاً. انظر إلى قوله للصديق في الغار: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ (التوبة: ٤٠).

وهكذا كانت آيات القرآن تنزل على رسول الله ﷺ تباعاً تسلية له بعد تسلية، وعزاء حتى لا يأخذ منه الحزن مَأخذه، ولا يجد اليأس إلى نفسه سبيلا.

٢ ـ من الحكم البارزة: تيسير حفظ القرآن الكريم وفهمه على النبي ﷺ، فقد كان النبي ﷺ حريصاً على ذلك غاية الحرص، حتى إنه كان يعاجل جبريل ولا ينتظره حتى يفرغ حتى أنزل الله: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ (طه: ١١٤). وقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ١٩﴾ (القيامة: ١٦- ١٩).

هذا وإن القرآن الكريم نزل على أمة أمية لا تعرف الكتابة ولا القراءة وكانت ذاكرتها وحفظها هما السجلُّ لها، لا دراية لها بالكتابة حتى تكتب وتدون ثم تحفظ، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ

عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الجمعة: ٢). وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

فلو نزل القرآن جملة واحدة على هذه الأمة الأمية التي لا تعرف الكتابة ولا التدوين لم يصح لها أن تحفظ القرآن كله بيسر، وكان نزوله مفرقاً أكبر عون لها على حفظه في صدورها وفهمها لآياته.

كلما نزلت الآية فهمها الصحابة، وتدبروا معانيها، وقد كان هذا منهجاً لحفظ القرآن في عهد التابعين.

عن أبي نضرة قال: "كان أبو سعيد الخدري يعلمنا القرآن خمس آيات بالغداة وخمس آيات بالعشي، ونجد أن جبريل نزل بالقرآن خمس آيات خمس آيات". أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس، وعن خالد بن دينار قال: "قال لنا أبو العالية: تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات؛ فإن النبي ﷺ كان يأخذه من جبريل خمساً" أخرجه البيهقي[(١)].

٣- من الحكم كذلك: التدرج في تربية الأمة دينياً وخلقياً واجتماعياً وعقيدة وعلماً وعملاً، وهذه الحكمة أشار إليها القرآن في قوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ (الإسراء: ١٠٦).

لقد تدرج القرآن الكريم في انتزاع العقائد الفاسدة والعادات الضارة

---

(١) الإتقان ١/١١٦ وما بعدها. مباحث في علوم القرآن ١/١٠٠ فما بعدها.

والمنكرات الماحقة، فقد بعث النبي ﷺ إلى قوم يعبدون الأصنام ويشركون بالله، ويسفكون الدماء، ويئدون البنات ويشربون الخمر ويقتلون النفس لأتفه الأسباب، ويفعلون القبائح، ومعلوم أن النفس يشق عليها ترك ما ألفته وتعودته مرة واحدة كما يصعب رجوعها وإقلاعها عما اعتقدته بمجرد النهي عنه. فللعقائد والعادات سلطان على النفوس، والناس أسراء ما ألفوا ونشأوا عليه، فلو أن القرآن نزل جملة واحدة، وطالب بالتخلي عما هم منغمسون فيه من الكفر والجهل والمنكرات مرة واحدة لما استجاب إليه أحد.

لذلك اقتضت حكمة الله أن يتدرج القرآن في انتزاع العقائد الفاسدة فينهى أولاً عن عبادة غير الله، فإذا ما أقلعوا عنها أخذ في النهي عن منكر آخر، وهكذا تدرج القرآن معهم في انتزاع المنكر الواحد كما حدث في تحريم الخمر فقد نزل فيه أول ما نزل: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ (البقرة: ٢١٩) فشربها قوم وتركها آخرون، ثم إن بعض المسلمين صنع طعاماً ودعا أصحابه فأكلوا وشربوا ثم قام أحدهم ليصلي بهم فقرأ: قل يا أيها الكافرون فخلط فيها ونقص وزاد، فأنزل الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾ (النساء: ٤٣).

فكانوا بعد ذلك يتركونها عند الصلوات وفي الأوقات القريبة منها حتى لا يقعوا في مثل هذا الخلط، وبذلك صار من السهل تحريمها تحريماً

باتاً، فقد صنع بعض المسلمين طعاماً فأكلوا وشربوا حتى لعبت الخمر برؤوسهم فتناشدوا الأشعار فتشاجروا حتى شج أحدهم رأس الآخر، فقال الفاروق عمر: اللهم بَيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فحرمها الله بعد ذلك تحريماً باتاً حيث أنزل فيها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (المائدة: ٩٠، ٩١) فقال عمر: انتهينا. فمن ثم اقتضت الحكمة نزول القرآن مفرقاً[١].

من الحكم كذلك: التدرج في تثبيت العقائد الصحيحة والأحكام التعبدية والعملية والآداب والأخلاق الفاضلة.

فقد أمر القرآن أولاً بالإيمان بالله وصفاته، وعبادته وحده، حتى إذا ما آمنوا بالله دعاهم إلى الإيمان باليوم الآخر، ثم بالإيمان بالرسل والملائكة حتى إذا ما اطمأنت قلوبهم بالإيمان، وأشربوا حبه، سهل عليهم بعد ذلك تقبل الأوامر، والتشريعات التفصيلية والأحكام العملية والفضائل والآداب العالية، فأمروا بالصلاة والصدق والعفاف، ثم بالزكاة ثم بالصوم، ثم بالحج، كما بينت أحكام النكاح، والطلاق والرجعة والمعاملات من بيع وشراء وتجارة إلى غير ذلك من المعاملات.

وقد أشارت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى هذه الحكمة كما

---

(١) المدخل في علوم القرآن ١/ ٦٩.

في صحيح البخاري[1] قالت عائشة: إنما نزل من القرآن أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنى أبداً.

وقد دل القرآن بهذه السياسة الحكيمة الرشيدة في إصلاح الشعوب وتهذيب أخلاقها على أنه معجز وأنه كلام الله، فما كان لبشر مهما كان ذكاؤه أن يتوصل إلى هذه الطرق الحكيمة، في الوقت الذي بعث فيه نبينا ﷺ ولكن هذا من صنع العليم الخبير.

٤ – من الحكم كذلك: تثبيت قلوب المؤمنين وتعويدهم الصبر والتحمل بذكر قصص الأنبياء، وما لاقوه وأن العاقبة للمتقين كقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ (النور: ٥٥) وكقوله: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (العنكبوت: ١–٣).

٥ – التحدي والإعجاز: فالمشركون تمادوا في غيهم وبالغوا في عتوهم، وكانوا يسألون أسئلة تعجيز وتحدّ يمتحنون بها رسول الله

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ١ / ٥٦، وما بعدها، صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن رقم الحديث ٤٩٩٣.

ﷺ في نبوته، ويسوقون له من ذلك كل عجيب كعلم الساعة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ (الأعراف: ١٨٧). وكقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ (سورة الحج: ٤٧). وحيث عجبوا من نزول القرآن منجماً بين الله لهم الحق في ذلك، فإن تحديهم به مفرقاً مع عجزهم عن الإتيان بمثله أدخل في الإعجاز، وأبلغ في الحجة من أن ينزل جملة ويقال لهم جيئوا بمثله، ولهذا جاءت الآية عقب اعتراضهم ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ (الفرقان: ٣٢).

ويشير لهذه الحكمة ما جاء في بعض الروايات من حديث ابن عباس عن نزول القرآن فكان المشركون إذا أحدثوا شيئاً أحدث الله لهم جواباً، أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس[1].

قال في المدخل[2]: "فنزوله منجماً مفرقاً من أقوى الأدلة على أنه معجز وأنه كلام الله، إذ لو أنزله الله جملة واحدة لكانت لهم حجة أن يقولوا: شيء نزل علينا مرة واحدة، فلو نزل علينا مفرقاً لعارضناه، فقطع الله عليهم تلك الحجة فكأنه يقول لهم: إن كنتم تقولون إنه ليس كلام الله، فأتوا بسورة مثله أو بعشر سور، أو آية، فسجل عليهم العجز الأبدي".

ومع نزوله مفرقاً على مدى بضع وعشرين سنة كان غاية في روعة

(١) الإتقان في علوم القرآن ١/ ١١٦ وما بعدها.

(٢) ١/ ٧٥، الإتقان في علوم القرآن ١/ ١١٦ وما بعدها، البرهان في علوم القرآن، مباحث في علوم القرآن، وغير هذه من الكتب التي تتعلق بعلوم القرآن: مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ٥٣ — ٦٠.

الأسلوب ورصانة الألفاظ، لاتفاوت فيه، فكان بذلك معجزاً.

٦- من الحكم كذلك: الدلالة القاطعة على أن القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد.

ومن المعلوم أن القرآن الكريم نزل مفرقاً على مدى عشرين سنة حسب الوقائع والأحداث، ومع طول هذه الفترة، كانت تنزل منه الآية والآيات الكثيرة، والآيات القليلة على اختلاف الموضوعات ومع ذلك كان أسلوبه أسلوباً واحداً لم يتغير في فصاحته وجزالته وقوته، فأسلوبه واحد، مترابط بعضه ببعض، لا انفكاك فيه متناسق الآيات والسور كأنه عقد واحد: ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (هود: ١) فلو كان من كلام البشر وقد قيل في مناسبات كثيرة، وموضوعات مختلفة متباينة، لوقع فيه التفكك والانفصام، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢).

هذا والحكم التي أخذت من نزول القرآن مفرقاً منجماً كثيرة لا تكاد تحصر، وقد نثرها علماء هذا الفن في كتبهم وقد لخصنا منها ما ذكرنا تلخيصاً، نرجو الله سبحانه وتعالى أن يفقهنا في الدين وأن يجنبنا الزيغ.

الكلام في نزول القرآن على سبعة أحرف

بما أن هذا الموضوع من أخصّ موضوعات نزول القرآن لابد من التطرق إليه على انفراد بإيجاز، مع العلم أن الموضوع تكلم فيه العلماء قديماً وحديثاً وأكثروا فيه الأقوال، ولاسيما المعنى المراد بكونه نزل على سبعة أحرف، وأنا أتناوله حسب المحاور التالية:

المحور الأول: النصوص الدالة على نزوله على سبعة أحرف:

اعلم أيها القارئ الكريم أن حديث: "أنزل القرآن على سبعة أحرف" جاء عن كثير من الصحابة حتى ذكر بعض العلماء عنه التواتر، وممن قال بذلك أبو عبيد القاسم بن سلام، وقد ذكر السيوطي في الإتقان أنه جاء عن واحد وعشرين من الصحابة[1].

منهم على سبيل المثال: أُبيّ بن كعب، وأنس بن مالك، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن أرقم، وسمرة بن جندب، وسليمان بن صرد، وابن عباس، وابن مسعود، وعبدالرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وعمر ابن الخطاب، وغير هؤلاء. وأخرج الحافظ أبو يعلى في مسنده أن عثمان قال على المنبر: "أذكر الله رجلاً سمع النبي ﷺ قال: "إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها كاف شاف"[2] لما قام فقاموا حتى لم يحصوا

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١/٤٥.

(٢) البخاري رقم ٢٤١٩، مسلم رقم ٨١٨.

فشهدوا بذلك فقال: وأنا أشهد معهم، قال في المدخل: "وهذا يدل على أن الحديث كان معروفاً مشهوراً غاية الشهرة في زمن الصحابة، ولكن هل نقله عنهم في كل طبقة جماعة كثيرون ممن يثبت بهم التواتر؟ قال: هذا ما يحتاج إلى إثبات وإلا فغاية أمره أنه مشهور من الأحاديث الدالة على نزول القرآن على سبعة أحرف".

١ - ما جاء في الصحيحين بسندهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"[١].

٢ - وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما بسنديهما عن ابن شهاب الزهري قال: أخبرني عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة وعبدالرحمن بن عبدالقاريَّ أخبراه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره[٢] في الصلاة، فصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت: مَن أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ قلت: كذبت فإن رسول الله ﷺ أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت

---

(١) فتح الباري ٩/١٩ ، وصحيح مسلم بشرح النووي ٦/١٠١ .

(٢) أمسك به.

هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﷺ : "أرسله، اقرأ ياهشام" فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ : "كذلك أنزلت"، ثم قال: "اقرأ ياعمر" فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ : "كذلك أنزلت. إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه"[١].

٣ - روى مسلم في صحيحه[٢] بسنده عن أبيّ بن كعب "أن النبي ﷺ كان عند أضاة[٣] بني غفار قال فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق، ذلك ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأي حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا".

٤ - روى مسلم[٤] بسنده عن أبيّ بن كعب قال: "كنت في

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ٩/ ١٩ -٢٠، مسلم بشرح النووي ٦/ ٩٩ .

(٢) (١/ ٥٦٢ - ٥٦٣) ح رقم ٨٢١ .

(٣) أضاة بفتح الهمزة وبضاد معجمة المستنقع كالغدير وجمعه أضاء كحصاة وحصاء وكانت بموضع من المدينة ينسب إلى بني غفار لكونهم نزلوا عنده، والحديث أخرجه مسلم رقم ٨٢١ .

(٤) مسلم بشرح النووي ٦/ ٩٩ .

المسجد، فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة، دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله ﷺ فقرآ فحسن النبي ﷺ شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب، ولا إذ كنت في الجاهلية. فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقاً، وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فقال لي: "يا أبيّ أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف فرددت عليه أن هَوِّن على أمتي، فرد إلي الثانية اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إلي الثالثة اقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها فقلت: اللهم اغفر لأمتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم ﷺ".

٥ - وروى أحمد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو أن رجلاً قرأ آية من القرآن فقال له عمرو: إنما هي كذا وكذا، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأي ذلك قرأتم أصبتم فلا تماروا فيه" إسناده حسن[١].

هذا: والأحاديث في إثبات نزول القرآن على سبعة أحرف كثيرة مستفيضة، ذكر معظمها ابن جرير الطبري في مقدمة تفسيره[٢].

---

(١) فتح الباري ٩ / ٢١ .

(٢) ١ / ٢٢ - ٦٧ .

المحور الثاني: ممايستخلص من الروايات الأمور التالية:

١ – لو نزل القرآن على حرف واحد لشق ذلك على الأمة العربية؛ فقد كانت متعددة اللغات واللهجات، وما يسهل النطق به على البعض لا يسهل على البعض الآخر، وكانت تغلب عليها الأمية فلا عجب أن حرص النبي ﷺ على الاستزادة من الحروف حيث بلغت سبعة أحرف.

فكان من رحمة الله بهذه الأمة أن أنزل القرآن على سبعة أحرف رفعاً للحرج، وتيسيراً لقراءته وحفظه.

٢ – إن هذه التوسعة إنما كانت في الألفاظ، ولم تكن في المعاني والأحكام، وأنها كانت في المعنى الواحد تقرأ بألفاظ مختلفة بدليل أن النبي ﷺ أقرّ كلاً من المختلفين على قراءته.

٣ – إن هذه التوسعة والإباحة في القراءة بأي حرف من الحروف السبعة إنما كانت في حدود ما نزل به جبريل وما سمعوه من النبي ﷺ وذلك بدليل أن كلاً من المختلفين كان يقول: أقرأنيها رسول الله ﷺ وأن النبي ﷺ كان يعقب على قراءة كل من المختلفين بقوله: هكذا أنزلت كما في حديث عمر وهشام.

ولا يتوهم أي إنسان أن التوسعة كانت باتباع الهوى، فذلك ما لا يليق أن يفهمه مسلم عاقل؛ إذ الروايات الواردة ترده وتبطله، ولو كان لكل أحدٍ أن يقرأ بما يسهل له من غير تلق وسماع من النبي ﷺ

وأن يبدل ذلك من تلقاء نفسه لذهب إعجاز القرآن، ولكان عرضة أن يبدله كل من أراد، ولما تحقق وعد الله سبحانه بحفظه في قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩ ﴾ وكيف يتفق هذا الوهم الباطل مع قول الله عز وجل: ﴿ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (يونس: ١٥-١٦).

٤ - أن الأمة كانت مخيرة في القراءة بأي حرف منها من غير إلزام بواحد منها، فمن قرأ بأي حرف منها فقد أصاب، بدليل قوله ﷺ في حديث عمر: "فاقرأوا ما تيسر منه"[١].

٥ - أن التوسعة على الأمة لم تكن في مبدأ الدعوة فحسب بل كانت بعد الهجرة وبعد أن دخل في الإسلام كثير من القبائل غير قريش فكانت الحاجة ماسة إلى هذا التسهيل وتلك التوسعة، يشهد لهذا حديث مسلم أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار وقد تقدم.

٦ - هذه التوسعة مظهر من مظاهر الرحمة والنعمة ولا ينبغي أن تكون مصدر اختلاف أو أن تكون مثيرة للشك، أو مضعفة لليقين، فقد حذرهم الرسول صلوات الله عليه من الاختلاف، كما في حديث ابن مسعود، ومن الشك في القرآن كما في حديث عمرو بن العاص:

(١) فتح الباري ٩/ ٢٣.

"فلا تماروا فيه" وفي رواية لابن جرير الطبري من حديث أبي جهم: "فلا تماروا في القرآن فإن المراء فيه كفر"[١].

٧ - حرص الصحابة رضوان الله عليهم البالغ على القرآن وغاية تحوطهم في المحافظة عليه، ونفي الريب والتغيير والتبديل عنه، ويدل على هذا ما كان من الفاروق عمر رضي الله عنه مع هشام بن حكيم حتى همّ أن يأخذ بتلابيبه وهو في الصلاة.

المحور الثالث: المراد بمعنى الأحرف السبعة:

اعلم أنه اختلف في ذلك اختلافاً كثيراً حتى أوصل السيوطي الأقوال في معناها إلى نحو أربعين قولاً[٢].

وأنا أذكر بعضها فقط، ملخصاً ذلك من كتب الفن:

١ - القول الأول: ذهب أكثر العلماء إلى أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد، على معنى أنه حيث تختلف لغات العرب في التعبير عن معنى من المعاني يأتي القرآن منزلاً بألفاظ على قدر هذه اللغات لهذا المعنى الواحد، وحيث لا يكون هناك اختلاف فإنه يأتي بلفظ واحد أو أكثر.

٢ - القول الثاني: أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره ١/ ٤٤ .

(٢) الإتقان ١/ ٤٥ .

العرب نزل عليها القرآن، على معنى أنه في جملته لا يخرج في كلماته عن سبع لغات هي أفصح لغاتهم.

٣- القول الثالث: أن المراد بالأحرف السبعة أوجه سبعة من الأمر والنهي والوعد والوعيد، والجدل والقصص، والمثل، أو من الأمر والنهي والحلال والحرام والمحكم والمتشابه والأمثال، عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: "كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد وعلى حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف، زجر، وأمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال"[١].

٤ - القول الرابع: أن المراد بالأحرف السبعة وجوه التغاير السبعة التي يقع فيها الاختلاف وهي:

(١) اختلاف الأسماء بالإفراد والتذكير وفروعهما، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ (المؤمنون: ٨) قرئ لأماناتهم بالجمع، وقرئ لأمانتهم بالإفراد، ورسمها في المصحف ﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ يحتمل القراءتين لخلوها من الألف الساكنة، ومآل الوجهين في المعنى واحد فيراد بالجمع الاستغراق الدال على الجنسية، ويراد بالإفراد الجنس الدال على معنى الكثرة، أي جنس الأمانة[٢].

(٢) اختلاف في وجوه الإعراب، كقوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾

---

(١) أخرجه الحاكم والبيهقي، وابن جرير ١/٦٩ بمعناه.

(٢) مباحث في علوم القرآن ١/١٤٠.

(يوسف : ٣١) . قرأ الجمهور بالنصب على أن "ما" عاملة عمل ليس وهي لغة أهل الحجاز، وبها نزل القرآن، وقرأ ابن مسعود (ما هذا بشر) بالرفع على لغة بني تميم، فإنهم لا يعملون "ما" عمل ليس.

(٣) الاختلاف في التصريف : كقوله تعالى : ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ (سبأ : ١٩) قرئ بنصب "ربنا" على أنه منادى مضاف "وباعد" بصيغة الأمر وقرئ ربنا بالرفع، "وباعد" بفتح العين على أنه فعل ماض.

(٤) الاختلاف بالتقديم والتأخير : إما في الحرف كقوله : ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾ (الرعد : ٣١) . وقرئ (أفلم يأيس) و إما في الكلمة كقوله تعالى : ﴿ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ (التوبة : ١١١) . بالبناء للفاعل في الأول وللمفعول في الثاني.

(٥) الاختلاف بالإبدال : سواء كان إبدال حرف بحرف كقوله تعالى : ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ (البقرة : ٢٥٩) . قرئ بالزاي المعجمة مع ضم النون، وقرئ بالراء المهملة مع فتح النون، أو إبدال لفظ بلفظ كقوله تعالى : ﴿ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ (القارعة : ٥) قرأ ابن مسعود وغيره (كالصوف المنفوش) .

(٦) الاختلاف بالزيادة والنقص : فالزيادة كقوله تعالى : ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ (التوبة : ١٠٠) قرئ (من تحتها الأنهار) بزيادة من، وهما قراءتان متواترتان، والنقصان كقوله تعالى : ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ (البقرة : ١١٦) . بدون واو وقراءة الجمهور ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ بالواو.

(٧) اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق، والفتح والإمالة، والإظهار والإدغام والهمز والتسهيل، والإتمام ونحو ذلك.

كالإمالة وعدمها في مثل قوله: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ (طه: ٩). قرئ بإمالة "أتى" "موسى" وترقيق الراء في قوله: ﴿خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ وتفخيم اللام في الطلاق، وتسهيل الهمزة في قوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ وإشمام الغين ضمة مع الكسر في قوله: ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾ (هود: ٤٤).

٥ – القول الخامس: ذهب بعضهم إلى أن العدد سبعة لا مفهوم له، وإنما هو رمز إلى ما ألفه العرب من معنى الكمال في هذا العدد، فلفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة والكمال في الآحاد، كما يطلق السبعون في العشرات والسبعمائة في المئات، ولا يراد العدد المعين[١].

٦– القول السادس: أن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع.

وهناك أقوال كثيرة وقد رجح كثير من العلماء القول الأول في أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد نحو أقبل، وتعال، وهلم، وعجل، وأسرع، فهي ألفاظ مختلفة لمعنى واحد، ممن رجح هذا القول كبير المفسرين ابن جرير الطبري[٢] وإليه ذهب سفيان بن عيينة، وابن وهب وخلائق، ونسبه ابن عبدالبر لأكثر العلماء[٣].

---

(١) الإتقان ١/ ٤٥.

(٢) ١/ ١٥.

(٣) مباحث في علوم القرآن ١/ ١٦٢.

واعلم أن أسباب النزول من مقتضيات نزول القرآن الكريم ولذلك لابد من الكلام عليها كلاماً غير مطول لأنها تحتاج إلى بحث مستقل فنتناولها من النواحي التالية:

تعريف سبب النزول، العبارات التي تعد نصاً في سبب النزول، اعتناء الصحابة بمعرفة أسباب النزول.

فوائد أسباب النزول، هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب؟ كذلك يلزم على معرفة نزول القرآن، الكلام على جمعه والاعتناء بحفظه والكلام على تواتره وشروط القراءة الصحيحة.

تعريف المكي والمدني والكلام عليه كلاماً موجزاً من مظاهر العناية بالقرآن الكريم ونزوله والعناية بكتابته ورسمه.

الكلام على أسباب النزول

إن القرآن الكريم نزل لهداية البشر، وإرشادهم إلى الطريق المستقيم في العقائد والأحكام ومكارم الأخلاق، وأكثر القرآن نزل إلى هذه الأغراض النبيلة من غير سبب، وبعضه نزل مرتبطاً بأسباب خاصة.

فالصحابة رضي الله عنهم الذين عاشروا رسول الله ﷺ وعاشوا معه حياتهم قد تقع منهم حادثة تحتاج إلى بيان حكم الله فيها، وقد يسألون عن أشياء فينزل القرآن لذلك.

فسبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات أيام وقوعه متحدثة عنه مبينة حكمه والمعنى أن حادثة وقعت أو سؤالاً وجه إلى النبي ﷺ فنزل الوحي ببيان ما يتصل بتلك الحادثة، مثل حادثة خولة التي ظاهر منها زوجها فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ (المجادلة: ١). واعلم أنه لا طريق لمعرفة سبب النزول إلا بالنقل الصحيح عن الصحابة رضي الله عنهم. قال الواحدي في أسباب النزول: "لا يحل القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب".

فالمعول عليه في أسباب النزول هم الصحابة، ومن أخذ عنهم من التابعين، ومعرفة سبب النزول أمر يحصل للصحابة بقرائن تختص بالقضايا، وكثيراً مايجزم بعضهم بالسبب وربما لم يجزم بعضهم

بالسبب، فيقول: أحسب هذه الآية نزلت في كذا، كما قال الزبير في قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ (سورة النساء: ٦٥)، روى الشيخان في صحيحيهما[١] عن عروة بن الزبير عن أبيه أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير في شراج الحرة التي يسقون منها النخل، فقال الأنصاري سرح الماء يمر، فأبى عليه فاختصما عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ للزبير: "اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك"، فغضب الأنصاري ثم قال: يا رسول الله ﷺ أن كان ابن عمتك، فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال للزبير: "يا زبير احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر" فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك. ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ فاستوعى رسول الله ﷺ للزبير حقه، وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك قد أشار على الزبير رأياً[٢].

وقول الصحابة في سبب النزول محمول على الرفع كما نص على ذلك أئمة المصطلح لأنه قول فيما لا مجال للرأي فيه، وبعيد كل البعد أن يقول الصحابي ذلك من تلقاء نفسه فعدالته تمنعه من ذلك، فذلك محمول على السماع أو المشاهدة.

أما قول التابعي في سبب النزول فله حكم الرفع إلا أنه مرسل، قد

---

(١) البخاري رقم ٢٣٦١ في كتاب المساقاة، مسلم برقم ٢٣٥٧. في كتاب الفضائل.

(٢) وانظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير سورة النساء رقم ٤٥٨٥، أسباب النزول للسيوطي ١/ ١٥.

يقبل إذا صح السند إليه وكان من أئمة التفسير كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير.

واعلم أيها القارئ الكريم أن الصحابة كانوا علماء مجتهدين في معرفة سبب النزول، ولذلك جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه كما في صحيح البخاري: "والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، ولو كنت أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه"(١).

---

(١) البخاري رقم ٥٠٠٢ في كتاب فضائل القرآن.

بعض فوائد أسباب النزول باختصار

(١) الاستعانة على فهم الآية وإزالة الإشكال عنها : قال الواحدي : "لا يمكن معرفة الآية دون الوقوف على قصتها" . وقال ابن دقيق العيد : "معرفة سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن" . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته أصول التفسير[١] : "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث معرفة المسبب" ولذلك أمثلة كثيرة منها :

أ – أن عروة بن الزبير رضي الله عنهما أشكل عليه فرضية السعي بين الصفا والمروة من قول الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ (البقرة : ١٥٨) فقال : إن الله نفى الجناح ونفي الجناح يدل على نفي الوجوب فسأل خالته عائشة رضي الله عنها، فقالت له : "إن سبب النزول أنه كان قبل الإسلام على الصفا صنم يقال له إساف وعلى المروة صنم يقال له نائلة، فلما جاء الإسلام تحرج المسلمون من السعي بينهما فأنزل الله الآية رفعاً للحرج"[٢] .

ب – قوله تعالى : ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ (الطلاق : ٤) فقد أشكل معنى هذا الشرط

---

(١) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ١ / ١٧ ، أصول التفسير ١ / ٥٩ .

(٢) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٣ / ٣٩٢ .

على بعض الأئمة حتى نقل عن الظاهرية أن الآيسة لا عدة عليها إذا لم ترتَب، وقد أزال هذا الإشكال سبب النزول، وذلك أنه لما نزلت الآية التي في البقرة في عدد النساء قال الناس: بقي عدد من النساء لم تذكر عدتها، فحينئذ أنزل الله الآية فعلم منها أن حكم عدة اليائسة والصغيرة ثلاثة أشهر، إن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم عدتهن[1].

ج – قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (البقرة: ١١٥) فلو تركت على ظاهرها لفهم منها أن المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة، فلما علم أنها نازلة في صلاة النافلة، أو فيمن عميت عليه القبلة فصلى باجتهاده وبان له الخطأ بعد ذلك زال الإشكال عنه.

د – ومن ذلك ما روي في الصحيح عن مروان بن الحكم أنه أشكل عليه قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (آل عمران: ١٨٨) قال مروان: لئن كان كل أحد فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبن أجمعون، حتى سأل ابن عباس عن ذلك، فقال له ابن عباس: إن هذه الآية نزلت في اليهود سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأروه أنهم أجابوه واستحمدوه لذلك[2].

---

(١) المدخل في علوم القرآن ١/ ١٣٨، الإتقان في علوم القرآن ١/ ٤٥ فما بعدها، مباحث في علوم القرآن ١/ ٧٩ فما بعدها.

(٢) صحيح البخاري ٨/ ٢٣٣ مع الفتح.

(٢) من الفوائد دفع توهم الحصر: قال الشافعي في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا . . . ﴾ الآية (المائدة: ١٤٥) قال: إن الكفار لما حرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله، وكانوا على المضادة والمحادة فجاءت الآية مناقضة لغرضهم فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرمتموه ولا حرام إلا ما أحللتموه، نازلا منزلة من يقول: لا تأكل اليوم حلوى فتقول له: لا آكل اليوم إلا حلوى، والغرض المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة، فكأنه قال لا حرام إلا ما أحللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ولم يقصد حل ما وراءه إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل[١].

واعلم أيها القارئ الكريم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب هذا إذا كان السبب خاصاً واللفظ عاماً، فالحكم الذي يؤخذ من اللفظ العام يتعدى صورة السبب الخاص إلى نظائرها كآيات اللعان التي نزلت في قذف هلال بن أمية زوجته ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ . . . إلى قوله: إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ . . . ﴾ (سورة النور: ٦-٩). فيتناول الحكم المأخوذ من هذا اللفظ العام ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ ﴾ غير حادثة هلال دون احتياج إلى دليل، هذا هو الرأي الراجح والأصح وهو الذي يتفق مع عموم أحكام الشريعة والذي سار عليه الصحابة والمجتهدون من

(١) الإتقان ١ / ٢٥ وما بعدها، المدخل ١ / ١٣٠، مباحث في علوم القرآن ١ / ٧٩، وما بعدها.

هذه الأمة[1].

أما صيغة سبب النزول: فتارة تكون نصاً في سبب النزول، وتارة تكون محتملة؛ فتكون نصاً في سبب النزول فيما إذا قال الراوي سبب نزول هذه الآية كذا، أو إذا أتى بفاء تعقيبية داخلة على مادة النزول بعد ذكر الحادثة أو السؤال، كما إذا قال: "حدث كذا" أو سئل رسول الله ﷺ عن كذا فنزلت الآية، فهاتان صيغتان صريحتان في السببية وتكون الصيغة محتملة للسببية ولما تضمنته الآية من الأحكام إذا قال الراوي: نزلت هذه الآية في كذا، فذلك يراد به تارة سبب النزول ويراد به تارة أنه داخل في معنى الآية[2].

هذا: وقد يتعدد السبب والمنزل واحد، وذكر العلماء لذلك أربع حالات:

١- إما أن تكون إحدى الروايتين صحيحة والأخرى غير صحيحة فالمعول عليه ماصحت روايته.

٢- أن تكون كلتا الروايتين صحيحة، ولأحدهما مرجح.

٣- وإما أن تكون كل منهما صحيحة ولا يمكن الترجيح، وقد يمكن نزول الآية عقبهما.

٤- وإما أن تكون كل منهما صحيحة ولا يمكن الترجيح ولا يمكن

---

(١) مباحث في علوم القرآن ١ / ٨٤، مذكرة الأصول ١ / ٣٧٢ ، الشيخ محمد الأمين.

(٢) أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ١ / ٥٩ - ٦١ .

نزول الآية عقبهما.

(١) مثال الحالة الأولى: أن تكون إحدى الروايتين صحيحة والأخرى غير صحيحة فالمعتمد في السبب الصحيحة: أنه ﷺ اشتكى فلم يقم ليلة أو ليلتين، فجاءت امرأة فقالت: ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾[1] مع ما أخرجه الطبراني وابن أبي شيبة والواحدي وغيرهم بسند فيه من لا يعرف عن حفص بن ميرة عن أمه عن أمها، وكانت خادمة رسول الله ﷺ أن جرواً دخل بيت النبي ﷺ فدخل تحت السرير ومات فمكث النبي ﷺ أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي، فقال: يا خولة ما حدث في بيت رسول الله ﷺ جبريل لا يأتيني؟ فقلت في نفسي: لو هيأت البيت وكنسته فأهويت بالمكنسة تحت السرير فأخرجت الجرو، فجاء النبي ﷺ ترعد لحيته، وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته الرعدة فأنزل الله ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ فالمعتمد الرواية الأولى لأنها صحيحة أما الثانية وإن كانت مشهورة لكنها غير صحيحة لوجود الجهالة في سندها.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح[2]: "قصة إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة، لكن كونها سبب نزول هذه الآية غريب، بل شاذ مردود بما في الصحيح".

---

(١) البخاري رقم ٤٩٥٠، مسلم برقم ١٧٩٧ الجهاد.

(٢) فتح الباري ٨/ ٥٨٠.

(٢) مثال الحالة الثانية: و هي أن تكون كلتا الروايتين صحيحة ولأحدهما مرجح: ما أخرجه البخاري عن ابن مسعود قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم: لو سألتموه، فقالوا: حدثنا عن الروح فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يوحى إليه ثم قال: ﴿ ... قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٨٥)[١].

مع ما أخرجه الترمذي وصححه عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل يريدون النبي ﷺ[٢].

فالأولى تدل على أن السائل اليهود، وأن نزولها بالمدينة، والثانية تدل على أن السائل الكفار وأنها نزلت بمكة، والرواية الأولى أرجح لأمرين:

أ - أنها من رواية البخاري.

ب - أن الراوي في الأولى وهو ابن مسعود حاضر للقصة ومشاهد لها، بينما ابن عباس الذي هو الراوي في الثانية لم يثبت أنه كان مشاهداً لها[٣].

(٣) مثال الحالة الثالثة: وهي أن تكون كل من الروايتين صحيحة، ولا يمكن الترجيح لكن يمكن نزول الآيتين عقب السببين

---

(١) البخاري برقم ١٢٥ في كتاب العلم، ومسلم برقم ٢٧٩٤ في صفة القيام.

(٢) الإتقان ١/٣٣ .

(٣) مسلم بشرح النووي ١٠/٢١٢٠ .

لعدم العلم بالتباعد: ما أخرجه البخاري[1] من طريق عكرمة عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ: "البينة أو حد في ظهرك". فقال: يا رسول الله إذا وجد أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول: "البينة وإلا حدّ في ظهرك" فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فأنزل الله ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ ...﴾ الآية. وأخرج البخاري[2] عن سهل بن سعد: أن عويمراً العجلاني هو الذي سأل النبي ﷺ عن ذلك، وأن الآية نزلت فيه.

فهاتان الروايتان صحيحتان: ويمكن الجمع بينهما بأن أول من سأل هلال ثم سأل عويمر قبل الإجابة ثم نزلت الآيات[3].

(٤) مثال الحالة الرابعة: التي هي استواء الروايتين أو الروايات في الصحة، ولا مرجح مع عدم إمكان نزول الآية عقبها لتباعد الزمان فالحكم أن يحمل الأمر على تكرر النزول. مثال ذلك: ما أخرجه البيهقي والبزار عن أبي هريرة أن النبي ﷺ وقف على حمزة حين استشهد، وقد مثل به فقال: "لأمثلن بسبعين منهم مكانك" فنزل جبريل

---

(١) صحيح البخاري رقم (٤٧٤٧).

(٢) صحيح البخاري رقم (٤٧٤٥).

(٣) انظر: فتح الباري (٨ / ٣٠٤ – ٣٠٥).

بقــولـه: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ... ﴾ (النحل: ١٢٦) مـــع مـــا أخــرج الترمذي والحـاكـم عن أبيّ بن كعب قـال: لما كـان يوم أحـد أصـيب من الأنصـار أربعـة وسـتـون ومــن المهـاجـرين سـتـة منهم حـمـزة فـمثلوا بهـم فقـالت الأنـصار: لئـن أصبنا منهم يوماً مثل هـذا لنربـين عليهـم. فلمـــا كـان يـوم فتـح مكـة أنــزل الله سبحانه: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟... ﴾ الآية. قـال في المدخل: "فـالأولى تـفيـد أن الآيات نزلت عقب أحد والثانية تفيد أنها نزلت يوم الفتح، وبين الفتح وأحد حوالي خمس سنين". إلى أن قال: "فلا مناص من القول بتعدد النـزول مرة يوم أحد ومرة يوم الفتح"[١].

(١) المدخل في علوم القرآن ١/١٣٨، مباحث في علوم القرآن ١/٨٧ – ٩٠، مناهل العرفان ١/١٠٦ فما بعدها.

أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل منه

اعلم أيها القارئ الكريم أن المتكلم في موضوع نزول القرآن لابد أن يتكلم على أول ما نزل وآخر ما نزل لتعلق هذا الموضوع بالنزول، وعليه فإن العلماء بحثوا هذا الموضوع بحثاً واسعاً لأهميته وأنا أتكلم فيه من النواحي التالية:

١ - أول ما نزل مطلقاً.
٢ - آخر ما نزل مطلقاً.
٣ - أوائل مقيدة.
٤ - أواخر مقيدة.
٥ - بعض فوائد هذا النوع.

أول ما نزل من القرآن مطلقاً

ذكر العلماء في ذلك أربعة أقوال:

(١) أول ما نزل قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق: ١-٥).

من الأدلة على هذا القول:

أ - ما رواه البخاري ومسلم[١] عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في

---

(١) البخاري ١/٣، ومسلم ١/٩٨، البرهان ٢٩٣-٣٠٠، والإتقان ١/٦٨ -٧٦، ٧٧، ٨١، وورد في مسند أحمد ٦/٢٣٢-٢٣٣، أسباب النزول للواحدي ١/٤٨ .

النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: "اقرأ" قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق" إلخ.

ب – روى الحاكم في مستدركه والبيهقي في دلائل النبوة وصححاه عن عائشة أنها قالت: أول سورة نزلت من القرآن ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ ومرادها بالسورة صدرها[1].

(٢) القول الثاني: أن أول ما نزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ... إلى قوله... وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴾ (المدثر: ١–٥) وهذا القول مروي عن جابر بن عبدالله وأبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف ومن الأدلة على هذا القول: ما رواه الشيخان –واللفظ للبخاري– عن يحيى بن أبي كثير: قال سألت أبا سلمة ابن عبدالرحمن أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ فقلت أنبئت أنه ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبدالله أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ فقلت نبئت أنه ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ فقال: "لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١ / ٦٨ .

ﷺ: جاورت في حراء فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي ثم نظرت إلى السماء فإذا هو -يعني جبريل- بين السماء والأرض فأخذتني رجفة، فأتيت خديجة فقلت "دثروني" فأنزل الله ياأيها المدثر"[1].

وأجاب أهل القول الأول عن هذا بأجوبة أحسنها: أن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ أول ما نزل بعد فترة الوحي، أما اقرأ فهي أول ما نزل على الإطلاق[2].

(٣) القول الثالث: أن أول ما نزل سورة الفاتحة، وقد عزا هذا القول الزمخشري في كشافه[3] إلى أكثر المفسرين، ورد عليه الحافظ ابن حجر[4] بأن هذا القول لم يقل به إلا عدد أقل من القليل. من أدلة هذا القول: ما رواه البيهقي في دلائل النبوة والواحدي بسنده عن أبي ميسرة عمر بن شرحبيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: "إني إذا خلوت[5] وحدي سمعت نداء فقد والله خشيت أن يكون هذا أمراً" فقالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل بك؛ فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم، وتصدق الحديث، فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة

---

(١) البخاري ١/٣ ومسلم ١٢/٩٩.

(٢) الإتقان ١/٦٨، المدخل ١/١٠٤.

(٣) مستدرك الحاكم ٢/٢٤٠ رقم ٢٨٧٣.

(٤) فتح الباري ٨/٥٥٠-٥٥١.

(٥) القرطبي ١/١١٥، وعزاه للبيهقي في الدلائل.

حديثه له وقالت: اذهب مع محمّد إلى ورقة بن نوفل فانطلقا فقصا عليه فقال: إذا خلوت وحدي سمعت نداء من خلفي يا محمد يا محمد فأنطلق هارباً في الأفق فقال: لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول، ثم ائتني فأخبرني فلما خلا ناداه: يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ إلى قوله: وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ قال العلماء[1]: والجواب عن هذا الحديث أنه مرسل لا يعارض القول الأول.

(٤) القول الرابع: إن أول ما نزل ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ دليل هذا القول ما أخرجه الواحدي بإسناده عن عكرمة والحسن قالا: أول ما نزل من القرآن ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ وأول سورة ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ قال السيوطي: وعندي أن هذا القول لا يعد قولاً برأسه فإن من ضرورة نزول السورة نزول البسملة.

واعلم أن هذه الآثار والأحاديث لا تنهض لمعارضة حديث عائشة الذي هو في الصحيح الدال على أن أول ما نزل ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾.

آخر ما نزل من القرآن مطلقاً

اعلم أيها القارئ الكريم أنه ليس في هذا الموضوع أحاديث مرفوعة إلى النبي ﷺ يمكن التحاكم إليها، وكل ما فيه آثار مروية عن بعض الصحابة والتابعين استنتجوها من مشاهداتهم للنزول، وملابسات الأحوال، فقد

(١) الإتقان ١/ ٦٩، المدخل ١/ ١٠٤.

يسمع أحدهم ما لا يسمع الآخر، ويرى ما لا يراه غيره، ومن هنا كثر الاختلاف في هذا الموضوع ولنكتفِ بالبعض فقط على النحو التالي:

(١) القول الأول: أن آخر ما نزل قوله تعالى في آخر سورة البقرة: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٨١).

من الأدلة على هذا القول:

ما رواه النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: آخر ما نزل من القرآن ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ الآية وروى ابن مردويه بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت من القرآن ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ الآية وعاش النبي ﷺ بعد نزولها تسع ليال، ثم مات ليلة الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول.

وذكر البغوي في تفسيره[1] عند هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هذه آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ فقال جبريل: ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة، وعاش بعدها رسول الله ﷺ أحداً وعشرين يوماً.

وروى الألوسي في تفسيره[2] عند هذه الآية أنه قال: -يعني رسول الله ﷺ-: "اجعلوها بين آية الربا وآية الدين".

---

(١) البغوي ١/٣٤٧، المدخل ١/١٠٧، الإتقان ١/٧٧، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٨/٢٠٥، البخاري رقم ٤٥٤٤ كتاب تفسير القرآن.

(٢) الألوسي ١/ المجلد الأول ج ٢/٥٥.

وفي رواية أخرى أنه ﷺ قال: "جاءني جبريل فقال اجعلوها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة".

قال في المدخل[1]: "وهذا الرأي هو أرجح الآراء والأقوال وهو الذي تركن إليه النفس للأسباب التالية:

١ - لم يحظ قول من الأقوال الآتية بما حظي به هذا القول من الآثار وأقوال الأئمة.

٢ - ما تشير به هذه الآية في ثناياها من التذكير باليوم الآخر والرجوع إلى الله ليوفي كلاً جزاء عمله، وهو أنسب بالختام.

٣ - ما ظفر به هذا القول من تحديد الوقت بين نزولها ووفاة النبي ﷺ ولم يظفر قول بهذا التحديد".

(٢) القول الثاني: أن آخر ما نزل هو قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٧٨).

ويدل لهذا القول ما أخرجه البخاري عن ابن عباس قال: وآخر آية نزلت آية الربا[2].

والحق الأول: ويجاب عن هذا القول إما بأنها آخر آية نزلت في شأن الربا، وإما أنها من آخر الآيات نزولاً.

(٣) القول الثالث: أن آخر آية نزلت آية الدين: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا

---

(١) ١/١١.

(٢) البخاري رقم ٤٥٤٤ كتاب تفسير القرآن.

﴿ تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ (البقرة: ٢٨٢) وهي أطول آية في القرآن. ومن أدلة هذا القول ما أخرجه ابن جرير[١] من طريق ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أنه بلغه أن آخر القرآن عهداً بالعرش آية الدين، مرسل صحيح الإسناد. ويجاب عنه بأنها آخرية مقيدة، فهي آخر ما نزل في باب المعاملات.

هذا: وقد جمع السيوطي في الإتقان بين هذه الأقوال الثلاثة فقال: "ولا منافاة عندي بين هذه الروايات في آية الربا، وآية واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله، وآية الدين؛ لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف لأن موضوعها واحد، فأخبر كل واحد عن بعض ما نزل بأنه آخر، وذلك صحيح".

وقد جمع الحافظ بين القولين بأن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في الربا إذ هي معطوفة عليهن، كما رجح أن آية "واتقوا يوما..." هي الأليق بالختام.

(٤) القول الرابع: آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ... ﴾ (النساء: ١٧٦) وآخر ما نزل من السور براءة، ويدل على هذا ما رواه البخاري ومسلم[٢] عن البراء بن عازب أنه قال: آخر سورة نزلت براءة، وآخر آية نزلت ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾ (النساء: ١٧٦).

---

(١) ابن جرير الطبري في تفسيره.

(٢) البخاري ٤٣٦٤ المغازي، مسلم ١٦١٨ الفرائض، أحمد ٨١٦٤.

يجاب عن هذا بأن سورة براءة آخر ما نزل في شأن القتال والجهاد.

(٥) القول الخامس: أن آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٩٣) ويدل لهذا القول ما رواه البخاري[1] عن سعيد بن جبير قال: آية اختلف فيها أهل الكوفة، فرحلت فيها إلى ابن عباس فسألته عنها، فقال: نزلت هذه الآية ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾، هي آخر ما نزل، وما نسخها شيء. والجواب أنها آخر ما نزل في حكم قتل المؤمن عمداً، فهي آخرية مقيدة.

(٦) القول السادس: أن آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (براءة: ١٢٨). إلى آخر سورة براءة. من الأدلة على هذا القول ما رواه الحاكم في المستدرك عن أبيّ بن كعب قال: آخر آية نزلت ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ إلى آخر السورة[2].

قال في الإتقان "وروى ابن مردويه عن أبيّ أيضاً قال: آخر القرآن عهداً بالله هاتان الآيتان ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾". ويجاب عنه أنهما آخر ما نزل من سورة براءة.

(٧) القول السابع: آخر ما نزل سورة المائدة من الأدلة على هذا

---

(١) البخاري رقم ٤٥٩٠ تفسير القرآن، مسلم رقم ٣٠٢٣ التفسير.

(٢) المستدرك ٢/ ٣٣٨، والدر المنثور ٣/ ٢٩٥.

القول ما رواه الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت: آخر سورة نزلت المائدة[1] فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم من حرام فحرموه.

ويجاب عن هذا القول بأنها آخر سورة نزلت في الحلال والحرام.

(٨) القول الثامن: آخر سورة نزلت ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ قال في الإتقان رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس، ورواه النسائي أيضاً عنه ويجاب عن هذا القول بأنها آخر سورة نزلت بتمامها.

قال في المدخل: "وقد عرفت أن القول الأول هو الصحيح الراجح وعرفت الإجابة عما ورد مخالفاً له وأن المراد أواخر مقيدة لا مطلقة"[2].

الأوائل المقيدة والأواخر المقيدة

هذا البحث كثير، ولهذا يكتفى فيه بذكر نماذج من الأوائل المقيدة والأواخر المقيدة، حسب ما ذكره العلماء فأقول: أول آية نزلت في الخمر: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ (البقرة: ٢١٩).

أول ما نزل في الجهاد قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (الحج: ٣٩-٤١).

أول ما نزل في شأن القتل آية الإسراء وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا

---

(١) الترمذي رقم ٣٠٦٣ كتاب التفسير.

(٢) المدخل ١/١٢٢، الإتقان ١/٧٧، وما بعدها.

ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا﴾ (الإسراء: ٣٣).

نماذج من الأواخر المقيدة

١ – آخر ما نزل في تحريم الخمر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ – إلى قوله – فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩٠–٩١).

٢ – آخر آية نزلت في شأن القتل: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾ (النساء: ٩٣).

فوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل

اعلم أن هذا المبحث لا مجال للعقل فيه، إلا بالترجيح بين الأدلة وجمع المتعارض إن وجد، والمدار فيه على النقل، ولمعرفته فوائد نلخّص بعضها فيما يلي:

(١) معرفة الناسخ والمنسوخ: فيما إذا وردت آيتان أو أكثر في موضع واحد وحكم إحداهما يغاير الآية الأخرى تغايراً لا يمكن معه الجمع فنلجأ حينئذ إلى معرفة المتقدم فيعلم أنه منسوخ بالمتأخر.

(٢) تاريخ التشريع الإسلامي: وذلك مثل ما إذا عرفنا أن الآيات التي فيها الأمر بالصلاة نزلت بمكة قبل الهجرة، وأن الآيات التي فيها الأمر بالزكاة وبالصوم كانت في السنة الثانية للهجرة بالمدينة المنورة، وأن

آيات الحج نزلت في السنة السادسة على الراجح كان بالإمكان ترتيبها ترتيبا شرعياً فنقول: أول ما فرض الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج.

وكذلك إذا علم أن آية: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (الحج: ٣٩) نزلت بالمدينة في السنة الثانية علم أن الجهاد فرض في المدينة في السنة الثالثة وهكذا.

(٣) من الفوائد كذلك: معرفة التدرج في التشريع ويتوصل به إلى معرفة حكمة الله في أخذ الشعوب بهذه السياسة الحكيمة في الإسلام، وذلك مثل ما إذا عرفنا ترتيب الآيات التي نزلت في شأن الخمر، ومثل ما إذا علمنا أن الآيات الداعية إلى أصول العقائد، نزلت أولاً بمكة، بخلاف الآيات النازلة في الأحكام التشريعية التفصيلية والعملية، فإنها نزلت بالمدينة، فإنه ما لم تعرف الأصول ويطمأن إليها، لا يسهل الأخذ بالفروع[1].

(تنبيه)

قال السيوطي: "قد يشكل على ما تقدم في آخر ما نزل مطلقاً قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ (المائدة: ٣) فإنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع، وظاهرها إكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها، وقد صرح بذلك جماعة منهم السدي فقال: لم ينزل بعدها حلال ولا حرام مع أنه وارد في آية الربا والدين والكلالة أنها نزلت بعد ذلك. وقد

(١) المدخل ١ /١٠١، الإتقان ١ /٢٧٧، مباحث في علوم القرآن ١ /١٠٠ فما بعدها.

استشكل ذلك ابن جرير وقال: الأَولى أن يتأول على أنه أكمل لهم دينهم بإفرادهم بالبلد الحرام، وإِجلاء المشركين عنه، حتى حَجَّه المسلمون لا يخالطهم المشركون"[1].

قال الشاعر:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قَرَّ عيناً بالإِياب المسافرُ

وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين.

(١) الإتقان ١/٧٧ فما بعدها، والمدخل ١/١٠١ فما بعدها.

الخاتمة

وهي عبارة عن بعض النتائج التي توصل إليها الباحث مع اقتراح يقترحه.

١ – النتيجة الأولى: أن نزول القرآن الكريم من أهم موضوعات علوم القرآن بل كل موضوعاته الأخرى مبنية على نزول القرآن الكريم.

٢ – النتيجة الثانية: أن علوم القرآن الكريم فناً مدوناً مستقلاً بنفسه بهذا اللقب ما كان معروفاً في العصور الأولى.

٣ – النتيجة الثالثة: أن أول ظهور لهذا الفن، مدوناً مستقلاً كان على يد الحوفي المتوفى سنة ٤٣٠هـ في كتابه البرهان في علوم القرآن.

٤– النتيجة الرابعة: أن العلماء اختلفوا في تعريف القرآن، وأحسن تعاريفه، كما عرفه في المراقي "أنه اللفظ المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته المعجز بألفاظه ومعانيه".

٥ – النتيجة الخامسة: أن القرآن معجز بلفظه ومعناه، وأن النظّام ومن شايعه القائلين بالصرفة قولهم ضعيف مردود.

٦ – النتيجة السادسة: أن القرآن الكريم أنزل مرتين، مرة جملة واحدة إلى بيت العزة من سماء الدنيا، ومرة أنزل مفرقاً منجماً على حسب الوقائع والأحداث على مدى ثلاث وعشرين سنة.

٧ – النتيجة السابعة: أن لنزول القرآن الكريم مفرقاً حِكَماً كثيرة

كما ذكر بعضها في ثنايا البحث.

٨ - النتيجة الثامنة: أن حديث نزول القرآن على سبعة أحرف ثابت حيث ورد بروايات صحيحة لا مطعن فيها، وأنه يدل على التيسير بهذه الأمة واللطف بها مع أن معنى الحديث من المشكل المختلف فيه بين العلماء.

٩ - النتيجة التاسعة: أن القرآن الكريم لم ينزل منه شيء إلا عن طريق جبريل عليه السلام، ولم يأت منه شيء عن تكليم أو إلهام أو منام بل كله أوحي به في اليقظة وحيا جلياً.

١٠ - النتيجة العاشرة: أن الكتب السماوية غير القرآن الكريم كالتوراة والإنجيل نزلت جملة واحدة، ولم تنزل مفرقة.

١١ - النتيجة الحادية عشرة: أن المعول عليه في أسباب النزول هم الصحابة ومن أخذ عنهم من التابعين، لا غير.

١٢ - النتيجة الثانية عشرة: أن معرفة سبب النزول طريق قوي ومعين على فهم الآية، وإزالة الإشكال عنها وله فوائد جمة.

١٣ - النتيجة الثالثة عشرة: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند جماهير العلماء من المحدثين والفقهاء والأصوليين.

١٤ - النتيجة الرابعة عشرة: أن أوّل ما نزل من القرآن على النبي ﷺ صدر سورة ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾.

١٥ - النتيجة الخامسة عشرة: أن آخر ما نزل من القرآن الكريم على

النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ﴾.

أما الاقتراح الذي أقترحه: فهو أن يؤلف المسلمون هيئة عليا من العلماء والقادة، للدفاع عن القرآن الكريم وحقوقه بحيث يكون للهيئة مقر ثابت في إحدى الدول الإسلامية، كالهيئات العالمية الأخرى.

فهرس المصادر والمراجع

١- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر:

للدكتور فهد بن سليمان الرومي، (بدون مكان طبع) (١) ١٤٠٧هـ.

٢- الإتقان في علوم القرآن:

لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث القاهرة ط (٣) ١٤٠٥هـ.

٣- أحكام القرآن:

لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت: ٥٤٣هـ) تحقيق محمد علي البجاوي، دار المعرفة - بيروت (بدون تاريخ).

٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم:

لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت: ٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت (بدون تاريخ).

٥- أسباب النزول:

لأبي حسن علي بن أحمد الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) تخريج عصام ابن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام ط (٢) ١٤١٢هـ.

٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:

لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) طبع

وتوزيع: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – الرياض ١٤٠٣هـ.

٧- إعجاز القرآن:

لأبي بكر بن الطيب الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ) تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف – القاهرة ط (٥)، ١٤٠١هـ.

٨- البرهان في علوم القرآن:

لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) تحقيق د/يوسف عبد الرحمن المرعشلي وزميليه، دار المعرفة –بيروت ط (١) ١٤١٠هـ – ومصوّرة دار المعرفة – بيروت بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بدون تاريخ).

٩- التبيان في آداب حملة القرآن:

لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، حققه وخرّج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، مطبوعات جمعية القرآن الكريم – جدة ط (٢)، ١٤٠٨هـ.

١٠- تفسير التحرير والتنوير:

لمحمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، دار التونسية – تونس ١٤٠٤هـ.

١١- تفسير القرآن العظيم:

لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، نشر:

مكتبة المعارف – الرياض ط (١) ١٤٠٦هـ.

١٢– التفسير والمفسرون :

للدكتور محمد حسين الذهبي (ت : ١٣٩٧هـ)، دار الكتب الحديثة – القاهرة، ط (٢) ١٣٩٦هـ.

١٣– تناسق الدرر في تناسب السور :

لأبي الفضل عبد الرحمن السيوطي (ت : ٩١١هـ) تحقيق : عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط (١) ١٤٠٦هـ.

١٤– تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :

لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت : ١٣٧٦هـ) مركز صالح بن صالح الثقافي – عنيزة ط (١) ١٤٠٧هـ.

١٥– جامع البيان عن تأويل آي القرآن :

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت : ٣١٠هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي – القاهرة ط (٣) ١٣٨٨هـ.

١٦– جامع الترمذي :

لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت : ٢٧٩هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة ط (٢) ١٣٩٨هـ.

١٧– الجامع لأحكام القرآن :

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت (بدون تاريخ).

١٨- حديث الأحرف السبعة: دراسة لإسناده ومتنه واختلاف العلماء في معناه وصلته بالقراءات القرآنية:
للدكتور عبد العزيز القارئ، دار النشر الدولي - الرياض ط (١)، ١٤١٢هـ.
١٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور:
لأبي الفضل عبد الرحمن بن الكمال السيوطي (ت: ٩١١هـ) دار الفكر - بيروت ط (١) ١٤٠٣هـ.
٢٠- دلائل النبوة:
لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت ط (١)، ١٤٠٥هـ.
٢١- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني:
لأبي الثناء محمود الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت (بدون تاريخ).
٢٢- روضة الناظر وجنة المناظر:
لأبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت ط (١) ١٤٠١هـ.
٢٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة:
لمحمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت.

٢٤- سنن أبي داود:
لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ط (١)، ١٣٨٨هـ.
٢٥- صحيح البخاري:
لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ) ضبط وترقيم وعناية: د. مصطفى البُغا، دار القلم -دمشق- بيروت ط (١) ١٤٠١هـ.
٢٦- صحيح مسلم:
لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي - بيروت (بدون تاريخ).
٢٧- صحيح مسلم شرح النووي:
لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) دار الكتب العلمية - بيروت (بدون تاريخ).
٢٨- طبقات المفسرين:
لأبي الفضل عبدالرحمن بن الكمال السيوطي (ت: ٩١١هـ) تحقيق: علي محمد عمر، نشر: مكتبة وهبة - القاهرة ط (١) ١٣٩٦هـ.

٢٩- طيبة النشر في القراءات العشر:
لأبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت: ٨٣٣هـ) مراجعة وتحقيق: علي محمد الضباع، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة، ط (١) ١٣٦٩هـ.
٣٠- علوم القرآن:
للدكتور عدنان زرزور، المكتب الإسلامي - بيروت، ط (٢) ١٤٠٤هـ.
٣١- علوم القرآن بين البرهان والإتقان دراسة مقارنة:
للدكتور حازم سعيد حيدر، مكتبة دار الزمان - المدينة ط (١) ١٤٢٠هـ.
٣٢- غاية المنتهى في طبقات القراء:
لأبي الخير محمد بن محمد الجزري (ت: ٨٣٣هـ) عني بنشره: ج. برجستراسر دار الكتب العلمية - بيروت ط (٣) ١٤٠٢هـ.
٣٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري:
لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) تحقيق: محب الدين الخطيب، دار الريان - القاهرة، ط (١) ١٤٠٧هـ.
٣٤- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير:
لمحمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) دار المعرفة - بيروت (بدون تاريخ).

٣٥- فنون الأفنان في عيون علوم القرآن:
لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: د/حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط (١) ١٤٠٨هـ.
٣٦- القاموس المحيط:
لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة - بيروت ط (٢) ١٤٠٧هـ.
٣٧- قرة الأبصار في سيرة المشفع المختار: (خ)
للّمطي عبد العزيز بن عبد العزيز الفاسي (ت: نحو ٨٨٠هـ).
٣٨- الكشاف عن حقائق التنزيل:
لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) مكتبة المعارف - الرياض (بدون تاريخ).
٣٩- لباب النقول في أسباب النزول:
لجلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي (ت: ٩١١هـ) دار إحياء العلوم - بيروت ط (٤) ١٤٠٦هـ.
٤٠- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير:
د/محمد الصباغ، المكتب الإسلامي - بيروت (بدون تاريخ).
٤١- مباحث في علوم القرآن:
للدكتور صبحي الصالح (ت: ١٤٠٧هـ)، دار العلم للملايين - بيروت، ط (١٦) ١٤٠٥هـ.

٤٢- مباحث في علوم القرآن:

لمناع خليل القطّان، مؤسسة الرسالة - بيروت ط (٢١) ١٤٠٧هـ.

٤٣- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية:

جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم النجدي وابنه محمد، توزيع رئاسة شؤون الحرمين - مكة المكرمة، مصورة عن الطبعة الأولى / ١٣٩٨هـ.

٤٤- محاسن التأويل:

لمحمد جمال الدين القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت ط (٢) ١٣٩٨هـ.

٤٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:

لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٦هـ)، تحقيق: المجلس العلمي بفاس عام ١٤١٣هـ.

٤٦- مختار الصحاح:

لأبي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت: بعد ٦٦٠هـ) مكتبة لبنان - بيروت، ١٤٠٩هـ.

٤٧- المدخل لدراسة القرآن الكريم:

د/محمد بن محمد أبو شهبة (ت: ١٤٠٣هـ) مكتبة السنة - القاهرة ط (١) ١٤١٢هـ.

٤٨- مذكرة أصول الفقه:

لمحمد الأمين بن المختار الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) دار القلم - بيروت (بدون تاريخ).

٤٩- مراقي السعود:

لسيدي عبد الرحمن بن حاج إبراهيم (ت: ١٢٣٣هـ) طبعة فضالة - المغرب.

٥٠- المستدرك على الصحيحين:

لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، توزيع مكتبة الباز - مكة المكرمة ط (١) ١٤١١هـ.

٥١- مسند الإمام أحمد:

لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) دار صادر - بيروت (بدون تاريخ).

٥٢- معالم التنزيل:

لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) تحقيق: محمد عبد الله النمر وزميليه، دار طيبة - الرياض ١٤٠٩هـ.

٥٣- مفردات ألفاظ القرآن:

لأبي القاسم الحسين بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: في حدود ٤٢٥هـ) تحقيق: صفوان عدنان داودي. دار القلم - دمشق ط (١) ١٤١٢هـ.

٥٤- مقدمة في أصول التفسير:

لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: د/عدنان زرزور، دار القرآن الكريم - بيروت ط (٣)، ١٣٩٩هـ.

٥٥- مناهل العرفان في علوم القرآن:

لمحمد عبدالعظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت (بدون تاريخ).

٥٦- النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع:

لإبراهيم المارغني (ت: ١٣٤٩هـ). (بدون تاريخ).

٥٧- النكت والعيون: تفسير الماوردي:

لأبي الحسن علي بن حبيب الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) تحقيق: خضر محمد خضر، منشورات وزارة الأوقاف الكويتية ط (١) ١٤٠٢هـ.

الفهرس

نزول القرآن الكريم والعناية به في عهد الرسول ﷺ

إعداد

أ.د. محمد بن عبد الرحمن الشايع

الأستاذ بكلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بالرياض



تقديم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً. والحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً. والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. وبعد:

فإن موضوعات علوم القرآن الكريم كثيرة انتدب العلماء والباحثون أنفسهم لدرسها والعناية بها فألفت فيها المؤلفات، وصنفت الموسوعات، وأفردت بعض الموضوعات بالدراسة والتأليف لأهميتها ومسيس حاجتها لمزيد بحث وعمق في الدرس. ومن هذه الموضوعات موضوع "نزول القرآن الكريم" وهو موضوع واسع الجنبات متنوع المسائل إذ يشمل:

١ – مسألة تنزلات القرآن الكريم.

٢ – ومسألة القول بتكرار بعض السور والآيات.

٣ – ومسألة نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف.

وإذا نظرنا إلى مكان النزول وزمانه دخل فيه المكي والمدني، وإذا نظرنا إلى مناسبات النزول دخل فيه أسباب النزول. فشمل ذلك صفة نزول القرآن الكريم وعدد مراته ومكانه وزمانه وأسبابه.

وكل ذلك يحتاج إلى عمق في الدرس وسعة في الوقت، وفسحة في المجال وهو ما لا يسمح به وقت وتنظيم هذه الندوة المباركة: ندوة عناية

المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، في طيبة الطيبة.

فرغبت في عرض المسألة الأولى رجاء أن أوفق وأسدد في ذكر شيء مفيد في هذه المسألة وحتى لا تكون الكتابة تكراراً لعموميات لا جديد فيها. فتناولت مدلول النزول لغة، وأنواعه في القرآن الكريم والفرق بين الإنزال والتنزيل ومذاهب العلماء في تنزلات القرآن الكريم ووقت النزول ويومه وشهره ومدته ومقداره كل ذلك بالأدلة والمناقشة والأمثلة. والله الموفق للحق والمعين على الخير.

د. محمد بن عبد الرحمن الشايع

النزول في اللغة

جاءت مادة "نزل" في اللغة بتصريفات كثيرة: نزل، وأنزل، وتنزل، ونزّل .. وغير ذلك. كما جاءت هذه المادة بكثرة في القرآن الكريم بتصريفاتها المختلفة حيث بلغت أربعة وأربعين تصريفاً في (٢٩٥) آية [١].

والنزول في الأصل: انحطاط من علو إلى سفل[٢]. فيقال نزل فلان من الجبل، ونزل عن الدابة، ويطلق على الحلول فيقال: نزل فلان في المدينة أي حل بها، والإنزال: الإحلال، قال تعالى: ﴿ ... رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ (سورة المؤمنون: ٢٩).

ويتعدى فعل "نَزَل" اللازم: بالحرف كقولك: نزلتُ به. وبالهمزة، كقولك: أنزل الله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم، وبالتضعيف كقولك: نزّل الله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم[٣].

والمنزل: موضع النزول، والمنزلة مثله، وهي أيضاً المكانة [٤].

والنُّزُل: ما يعد للنازل من الزاد [٥]. قال تعالى: ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ (الواقعة: ٩٣).

---

(١) انظر معجم ألفاظ القرآن الكريم، وضع مجمع اللغة العربية، مادة نزل (٢ / ٥٠٩). ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية، د. إسماعيل إبراهيم (٢٢٧).

(٢) مفردات الراغب الأصفهاني (٧٤٤).

(٣) انظر: المصباح المنير (٧٣٤)، وتاج العروس، مادة "نزل" (٨ / ١٣٢) -بتصرف-.

(٤) المرجع السابق.

(٥) مفردات الراغب (٧٤٥).

النزول في القرآن الكريم

ورد لفظ "النزول" في القرآن الكريم، على ثلاثة أنواع[1]:

النوع الأول: نزول مقيد بأنه من الله جل وعلا.

النوع الثاني: نزول مقيد بأنه من السماء.

النوع الثالث: نزول مطلق غير مقيد بهذا أو بذاك.

فالنوع الأول، وهو المقيد بأنه من عند الله تعالى اختص بالقرآن الكريم فلم يرد إلا معه في آيات كثيرة، كقوله تعالى:

١- ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ... ﴾ (النحل: ١٠٢).

٢- ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾[2].

٣- ﴿ حم (١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (سورة غافر: ١، ٢).

٤- ﴿ حم (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ (فصلت: ١، ٢).

٥- ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (السجدة: ٢).

٦- ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[3].

وهذا التنصيص بأنه من الله جل وعلا وتخصيص القرآن بذلك له دلائله: ففيه بيان أنه منزل من الله لا من مخلوق من مخلوقات الله.

---

(١) انظر: الفتاوى لابن تيمية (١٢/ ٢٤٦، ١١٨)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/ ١٩٦) والتبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن للشيخ طاهر الجزائري (٦٤).

(٢) في ثلاثة مواضع: سورة الزمر/ ١، وسورة الجاثية/ ٢، وسورة الأحقاف/ ٢.

(٣) في موضعين: سورة الواقعة/ ٨٠، وسورة الحاقة/ ٤٣.

كما تقول بذلك بعض الطوائف. وفيه بيان بطلان القول بخلق القرآن. وبطلان القول بأنه فاض على نفس النبي صلى الله عليه وسلم من العقل الفعال أو غير ذلك من أقاويل أهل الكلام والفلسفة [1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مستدلاً بصريح الآيات السابقة: "فعلم أن القرآن العربي منزل من الله لا من الهواء، ولا من اللوح، ولا من جسم آخر، ولا من جبريل، ولا من محمد ولا غيرهما.." [2].

واختيار مادة النزول وما تصرف منها للكلام عن مصدر القرآن الكريم فيه تشريف وتكريم لهذا الكتاب وبيان علو منزلته كما قال تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ (الزخرف: ١-٤) فالنزول لا يكون إلا من علو.

وأما النوع الثاني، وهو النزول المقيد بأنه من السماء. فيتناول نزول المطر من السحاب، ونزول العذاب، ونزول الملائكة من عند الله. وغير ذلك.

فقد ورد في آيات كثيرة ذكر إنزال الماء من السماء. كقوله تعالى:

١- ﴿ . . . وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ . . . ﴾ (البقرة: ٢٢).

٢- ﴿ . . . وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا . . . ﴾ (البقرة: ١٦٤).

---

(١) انظر: الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٢ / ١٢٠).

(٢) المصدر السابق (١٢ / ١٢٦).

٣- ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ .. ﴾ (الأنعام : ٩٩) .

٤- ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ... ﴾ (الرعد : ١٧) .

٥- ﴿ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ... ﴾ (النحل : ٦٥) وغيرها كثير.

والمراد بالسماء في هذه الآيات : السحاب أو مطلق العلو حيث فُسِّر في قوله تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾ (الواقعة : ٦٩) فالسماء اسم جنس لكل ما علا وارتفع.

وجاء في إنزال العذاب من السماء قوله تعالى :

١- ﴿ ... فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (البقرة : ٥٩) .

٢- ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ... ﴾ (العنكبوت : ٣٤) والرجز هو العذاب.

وقال تعالى : ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ (الشعراء : ٤) .

وفسرت "الآية" هنا بما عظم من الأمور القاهرة، أو ما ظهر من الدلائل الواضحة [١] .

وقال تعالى في إنزال الملائكة من السماء : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ

---

(١) انظر : تفسير الماوردي (٤ / ١٦٥) .

﴿ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ (الإسراء : ٩٥) .

وكـذا قـولـه تعـالى : ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾ (يسٓ : ٢٨) ففسر الجند هنا بالملائكة [١].

وأما النوع الثالث، وهو الإنزال المطلق فهو عام لا يختص بنوع خاص من الإنزال. من ذلك قوله سبحانه:

١- ﴿ ... وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ... ﴾ (الحديد : ٢٥)

فقد فسر قوله: ﴿ وَأَنزَلْنَا ﴾ بجعلنا، وأظهرنا وخلقنا [٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله " ... وجعل بعضهم نزول الحديد بمعنى الخلق لأنه أخرجه من المعادن وعلمهم صنعته؛ فإن الحديد إنما خلق من المعادن" ثم ربط هذا المعنى بأصل الإنزال لغة فقال: "والمعادن إنما تكون في الجبال فالحديد ينزله الله من معادنه التي في الجبال لينتفع به بنو آدم" [٣].

وقد تبين لابن تيمية رحمه الله تعالى من استقرائه للآيات أنه ليس في القرآن ولا في السنة لفظ نزول إلا وفيه معنى النزول المعروف وأن هذا هو اللائق بالقرآن الكريم لأنه نزل بلغة العرب [٤].

وقوله سبحانه: ﴿ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الفتح: ٢٦).

---

(١) انظر: تفسير الماوردي (٥ / ١٥).

(٢) انظر: تفسير الماوردي (٥ / ٤٨٣).

(٣) الفتاوى (١٢ / ٢٥٤)، وانظر: (١٢ / ١١٨).

(٤) انظر: المصدر السابق.

وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾ (الفتح: ٤).

وقوله: ﴿ ... وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ... ﴾ (التوبة: ٢٦).

وغيرها من الآيات، حيث لم يرد فيها تعيين المنزل منه. كما ورد في النوعين قبله، فهو إنزال مطلق يفسر بحسب السياق، أو بما ورد موضحاً له في مواضع أخرى.

الفرق بين الإنزال والتنزيل

ذهب إلى القول بالفرق بين اللفظتين جمع من اللغويين والمفسرين فهو قول الواحدي، والزمخشري، والراغب الأصفهاني، والسمين الحلبي، وابن الزبير الغرناطي، وغيرهم [1].

وذلك استدلالاً بالآيات التي فرقت بين اللفظتين حين ذكرت نزول الكتب السماوية وجمعت بينها، كقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ (آل عمران: ١-٤).

ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ (النساء: ١٣٦).

يقول الواحدي عند تفسيره لقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ ... نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ ... ﴾ إنما قال "نزّل" وقال: ﴿ ... وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴾ لأن التنزيل للتكثير، والقرآن نزل نجوماً، شيئاً بعد شيء، والتوراة والإنجيل نزلتا دفعة واحدة [2].

---

(١) كالقرطبي في تفسيره (٤/٥)، وابن الجوزي (١/٣٤٩)، وأبي السعود (٢/٤)، وبيان الحق النيسابوري في كتابه وضح البرهان في مشكلات القرآن (١/٢٣٣).

(٢) البسيط للواحدي، (١٥٢)، رسالة دكتوراه للباحث: أحمد محمد صالح الحمادي، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

وقال الجرجاني في كتابه التعريفات مفرقاً بين اللفظتين: "الفرق بين الإنزال والتنزيل: الإنزال يستعمل في الدفعة، والتنزيل يستعمل في التدريج"(١).

وقال الزمخشري عند تفسيره لقوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ : "فإن قلت: لم قيل: نزل الكتاب وأنزل التوراة والإنجيل؟ قلت: لأن القرآن نزل منجماً ونزل الكتابان جملة" (٢).

وقال الراغب الأصفهاني في مفرداته: "والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقاً ومرة بعد أخرى والإنزال عام" . فمما ذكر فيه التنزيل قوله تعالى...: ﴿ ...وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ (الإسراء:١٠٦) وقوله:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ... ﴾ (الحجر: ٩)...

وأما الإنزال فكقوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ (القدر:١) وإنما خص لفظ الإنزال دون التنزيل لما روي أن القرآن نزل دفعة واحدة إلى سماء الدنيا ثم نزل نجماً فنجماً" (٣).

وقال ابن الزبير الغرناطي في معرض حديثه عن آية سورة آل عمران السابقة: "إن لفظ نزّل يقتضي التكرار لأجل التضعيف.. فقوله

---

(١) التعريفات للجرجاني (٧٣).

(٢) الكشاف (١/ ٤١١).

(٣) مفردات الراغب، مادة نزل (٧٤٤) - بتصرف - وبصائر ذوي التمييز للفيروز ابادي (٥/ ٤٠).

تعالى: ﴿ ... نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ... ﴾ مشير إلى تفصيل المنزل وتنجيمه بحسب الدعاوى وأنه لم ينزل دفعة واحدة، أما لفظ أنزل فلا يعطي ذلك إعطاء نزّل وإن كان محتملاً.."[1].

ومن هنا قيل: إن بين اللفظتين فرقاً وإن التعبير القرآني عما نزل دفعة واحدة يأتي بلفظ "أنزل"، وما نزل مفرقاً منجماً يأتي بلفظ "نزّل" فاختلاف التعبير دال على اختلاف صفة التنزيل ولذلك لما جمع الله بين القرآن والتوراة والإنجيل في آية سورة آل عمران جاء مع القرآن لفظ نزَّل، ومع التوراة والإنجيل لفظ أنزل للدلالة على ذلك المعنى.

وقد رد أبو حيان القول بالتفريق بين نزّل وأنزل المبني على أن التضعيف في نزّل دليل على التكثير والتنجيم؛ من وجوه:

١ - أن التضعيف في نَزَّل مفيد لنقل الفعل من اللازم إلى المتعدي وليس للتكثير.

٢ - أنه لو كان التضعيف في "نزّل" لإفادة التكثير والتنجيم لما جاء قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ... ﴾ (الفرقان: ٣٢) جامعاً بين التضعيف وقوله: ﴿ ... جُمْلَةً وَاحِدَةً ... ﴾ وهما متنافيان في الدلالة[2].

---

(١) ملاك التأويل لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (١/٢٨٦) تحقيق: د. سعيد الفلاح.

(٢) انظر البحر المحيط (١/١٠٣) والتحرير والتنوير (٣/١٤٨) وفتح الرحمن بكشف ما يلبس من القرآن لزكريا الأنصاري (١٩٧).

٣ – إن من أدلة عدم الفرق بين اللفظتين وأنهما بمعنى واحد؛ القراءة بالوجهين في كثير مما جاء كذلك. يقول أبو حيان: "ويدل على أنهما بمعنى واحد قراءة من قرأ ما كان من "ينزِّل" مشدداً؛ بالتخفيف –إلا ما استثني– فلو كان أحدهما يدل على التنجيم والآخر على النزول دفعة واحدة لتناقض الإخبار وهو محال"[١].

ويؤيد هذا قراءة قوله تعالى: ﴿وقرآناً فرقناه﴾ بالتشديد ﴿فرَّقناه﴾ والتخفيف ﴿فَرَقْناه﴾[٢] كما أنه قد جاء مع القرآن أنزل، قال تعالى: ﴿...وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ ...﴾ (النحل: ٤٤) ـ يقول سيبويه: "فعّل وأفعل يتعاقبان".

٤ – مجيء "نزّل" المضعف في آيات كثيرة بحيث لا يراد منها إفادة التكثير والتنجيم إلا على تأويل متكلف وبعيد جداً كقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ...﴾ (الأنعام: ٣٧) وقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ (الإسراء: ٩٥) فالمراد هنا مطلق الإنزال لا تكثير المنزل[٣].

ومن أجل هذا ذهب بعضهم إلى جعل هذا التفريق غالباً في استعمال القرآن لا قاعدة مطردة محاولة للجمع بين القولين[٤].

---

(١) البحر المحيط (٢/٣٧٨)، والدر المصون (٣/٢١).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير (١٥/١٧٨).

(٣) انظر: البحر المحيط (٢/٣٧٨) والدر المصون (٣/٢١).

(٤) انظر: المدخل لدراسة القرآن للشيخ محمد محمد أبو شهبة (٤٩).

تنزلات القرآن الكريم

القول الأول:

أن للقرآن الكريم تنزلين نزول جملة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا في ليلة القدر المباركة من شهر رمضان الكريم، ونزول منجم على الرسول في نحو ثلاث وعشرين سنة حسب الوقائع والأحداث من بعثته إلى وفاته عليه الصلاة والسلام [١].

القائلون به:

قاله ابن عباس وجماعة وقال عنه الزركشي في البرهان[٢]: إنه أشهر وأصح وإليه ذهب الأكثرون ووصفه ابن حجر بأنه: الصحيح المعتمد[٣] وقال ذلك عنه -أيضاً- القسطلاني في "لطائف الإشارات"[٤]. وذكر السيوطي أن القرطبي حكى الإجماع على أنه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا [٥].

وحكاية الإجماع في ذلك لا تصح لوجود المخالف في ذلك وتعدد المذاهب فيه[٦].

---

(١) انظر: البرهان للزركشي (١/ ٢٢٨)، والإتقان للسيوطي (١/ ١٤٦).

(٢) البرهان (١/ ٢٢٨).

(٣) فتح الباري (٩/ ٤).

(٤) لطائف الإشارات للقسطلاني (٢٢).

(٥) الإتقان (١/ ١٤٨)، ومناهل العرفان (١/ ٣٩)، تفسير القرطبي (٢/ ٢٩٧).

(٦) وقد حكى ابن حجر عن شيخه البلقيني معنى غريباً في نزول القرآن جملة لم يتابع =

أدلته:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ (القدر: ١) وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ... ﴾ (الدخان: ٣) وقوله جل وعلا: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ... ﴾ (البقرة: ١٨٥).

فقد دل ظاهر هذه الآيات الثلاث أن القرآن الكريم أنزل جملة في ليلة واحدة توصف بأنها مباركة من شهر رمضان. وهذا وصف مغاير لصفة نزول القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم حيث إنه من المعلوم المقطوع به أن القرآن نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم منجماً مفرقاً في نحو ثلاث وعشرين سنة حسب الوقائع والأحداث.

فتعين أن يكون هذا النزول الذي دل عليه ظاهر الآيات نزولاً آخر غير النزول المباشر على النبي صلى الله عليه وسلم. جاءت الأخبار الصحيحة بتبيين مكانه وتوصيف نزوله، وأنه نزل جملة إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وهذه الأخبار هي:

١- قال أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي: حدثنا يزيد (يعني

= عليه وذلك عند بيان معنى قول جبريل عليه السلام - للنبي - صلى الله عليه وسلم في بدء الوحي: اقرأ. فقيل: "أي القدر الذي أقرأه إياه وهي الآيات الأولى من ﴿اقرأ باسم ربك﴾ ويحتمل أن يكون جملة القرآن، وعلى هذايكون القرآن نزل جملة واحدة باعتبار ونزل منجماً باعتبار آخر". قال: "وفي إحضاره له جملة واحدة إشارة إلى أن آخره يكمل باعتبار الجملة ثم تكمل باعتبار التفصيل" فتح الباري (١٢ /٣٥٧).

ابن هارون) عن داود بن أبي هند، عن عكرمة عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة.

وقرأ: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ (الإسراء: ١٠٦)[(١)].

قال أبو عبيد: ولا أدري كيف قرأ يزيد في حديثه "فرقناه" مشددة أم لا؟ إلا أنه لا ينبغي أن تكون على هذا التفسير إلا بالتشديد "فرَّقناه"[(٢)].

٢ - عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: أنزل القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر فكان الله إذا أراد أن يوحي منه شيئاً أوحاه أو أن يحدث منه شيئاً أحدثه[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٣٦٨) وانظر طبعة المغرب بتحقيق أحمد الخياطي (٢ / ٢٠٢) وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢ / ٢٢٢) و(٢ / ٣٦٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (١ / ٣٦٨) وشعب الإيمان (٢ / ٤١٥) برقم ٢٢٤٩، والنسائي في التفسير (٢ / ١٣١) برقم ٣٩٢ وقال المحقق صحيح. وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥ / ١٧٨) و(٣٠ / ٢٥٨). وانظر: فضائل القرآن للنسائي (٥٩)، وابن الضريس (٧٢). والمرشد الوجيز (١٤) وذكره ابن كثير في فضائل القرآن (٦) عن أبي عبيد ثم قال: هذا إسناد صحيح.

(٢) قراءة الجمهور بالتخفيف، وقرأ بالتشديد أبي، وعبد الله بن مسعود وعلي وابن عباس، وأبو رجاء وغيرهم. انظر تفسير ابن جرير (١٥ / ١٧٨)، والبحر المحيط (٦ / ٨٧). ومعجم القراءات القرآنية (٣ / ٣٤٢).

(٣) أخرجه النسائي في فضائل القرآن (٥٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١ / ٣٦٨). والحاكم في المستدرك (٢ / ٢٢٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي وأخرجه ابن الضريس بنحوه في فضائل القرآن (٧١).

٣ – عن منصور بن المعتمر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس –رضي الله عنهما– في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ قال: أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا وكان بمواقع النجوم وكان الله ينزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه في إثر بعض قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ (الفرقان: ٣٢)[١].

٤ – عن حسان بن حريث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا فجعل جبريل عليه السلام ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم ويرتله ترتيلاً[٢].

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (١/٣٦٧) وفي شعب الإيمان (٣/٣٢٠) برقم (٣٦٥٩)، والحاكم في المستدرك (٢/٢٢٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه. وابن الضريس في فضائل القرآن (٧٢). وذكره أبو شامة في المرشد الوجيز (١٧) وذكر السيوطي –نحوه– في الدر المنثور وزاد نسبته لابن جرير وابن مردويه ومحمد بن نصر والطبراني وأخرجه النسائي في تفسيره (٢/٥٣٩) برقم (٧٠٩) وقال المحقق: صحيح.

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (١/٣٦٨). والطبراني في الكبير (١٢/٢٦) برقم ١٢٣٨١، والحاكم في المستدرك (٢/٢٢٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وأخرجه النسائي في فضائل القرآن (٥٩–٦٠) وزاد في آخره: قال سفيان: خمس آيات، ونحوها. وانظر المرشد الوجيز لأبي شامة (٢٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور بنحوه (١/٤٥٧) وزاد نسبته للفريابي وابن جرير ومحمد بن نصر وابن مردويه والضياء المقدسي في المختارة. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٥٧) وقال: رواه الطبراني عن شيخه عبدالله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف.

٥ – وعن سعيد بن جبير قال: نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان فجعل في بيت العزة [١].

٦ – وعن سعيد بن جبير قال: نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر في رمضان فجعل في بيت العزة، ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة جواب كلام الناس[٢].

٧ – عن الربيع بن أنس في قوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ قال: أنزل الله القرآن جملة في ليلة القدر كله[٣].

٨ – وعن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة واحدة، في ليلة واحدة، في ليلة القدر إلى السماء الدنيا حتى رفع في بيت العزة [٤].

٩ – عن مقسم عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: سأله عطية بن الأسود فقال: إنه وقع في قلبي الشك في قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ... ﴾ (البقرة: ١٨٥) وقوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ (القدر: ١) وقوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ (الدخان: ٣) وقد أنزل في شوال، وذي القعدة، وذي الحجة،

---

(١) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (٧٢).

(٢) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (٧٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٥٧) ولم ينسبه لغير ابن الضريس.

(٣) أخرجه عبد بن حميد كما ذكر السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٦٧).

(٤) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (٧٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور ونسبه للطبراني والبزار.

والمحرم، وشهر ربيع الأول؟ فقال ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ: إنه أنزل في رمضان، وفي ليلة القدر، وفي ليلة مباركة؛ جملة واحدة، ثم أنزل بعد ذلك على مواقع النجوم رسلاً [1] في الشهور والأيام[2].

١٠ – وعن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: أنزل القرآن ليلة القدر في رمضان إلى السماء الدنيا جملة ثم أنزل نجوماً [3].

١١ – وعن ابن عباس في قوله ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ قال أنزل القرآن جملة واحدة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا ونزله جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم بجواب كلام العباد وأعمالهم[4].

---

(١) رسلاً: قطعة قطعة وفرقة فرقة. انظر: حاشية تفسير الطبري (٣/٤٤٦).

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (١/٣٦٩) وأخرجه الطبري في تفسيره بسنده (٣/٤٤٨) ولم يسم فيه السائل. وأخرجه الطبراني في الكبير (١١/٣٠٩) برقم (١٢٠٩٥) والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٣١٦) وقال عنه: وفيه سعد بن طريف وهو متروك.

وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/٤٥٦) وزاد نسبته لابن أبي حاتم، وابن مردويه، ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/٢٤٧) برقم (١١٨٣٩) والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٤٠) وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/٢٦) برقم (١٢٣٨٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٤٠) وقال عنه: رواه الطبراني والبزار باختصار ورجال البزار رجال الصحيح، وفي إسناد الطبراني عمرو بن عبد الغفار وهو ضعيف. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٦٧) وزاد نسبته لابن الضريس وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل.

١٢ - عن حكيم بن جبير الأسدي عن سعيد بن جبير قال: نزل القرآن جملة من السماء العليا إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم نزل مفصلاً [(١)].

١٣ - وعن إبراهيم النخعي في قوله عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ ... ﴾ قال: أنزل جملة على جبريل عليه السلام، وكان جبريل يجيء بعد إلى محمد صلى الله عليه وسلم[(٢)].

ووجه الاستدلال بهذه الأحاديث والآثار التي أخرجها الأئمة وصححوا بعضها، والتي يعضد بعضها بعضاً أنها وإن كانت موقوفة في جملتها على ابن عباس رضي الله عنهما فإن لها حكم الرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأن قول الصحابي الذي لا يأخذ عن الإسرائيليات، فيما لا مجال للرأي فيه له حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وابن عباس لن يقول ما قال من هذا التفصيل والتحديد بمحض رأيه ومن عند نفسه، فهو إذاً محمول على سماعه من النبي صلى الله عليه وسلم أو ممن سمعه منه من الصحابة والصحابة كلهم عدول.

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه بسنده (٢ / ٢٩٤) برقم (٧٩) وفيه حكيم بن جبير ضعيف. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧ / ٣٩٩) ولم ينسبه لغير سعيد بن منصور.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه بسنده (٢ / ٢٩٢) برقم (٧٨) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧ / ٣٩٩) ولم ينسبه لغير سعيد بن منصور.

القول الثاني :

أن للقرآن نزولاً واحداً هو النزول المنجم على النبي صلى الله عليه وسلم وأنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر وهي الليلة المباركة من شهر رمضان [1].

القائلون به :

قاله الشعبي[2] ومحمد بن إسحاق [3] والنسفي [4].

وقد عدّ السخاوي في جمال القراء [5] الشعبي من القائلين بالقول الأول مع ابن عباس وابن جبير. ويؤيد هذا ما أخرجه الطبري في تفسيره عن الشعبي في قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ قال : بلغنا أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا [6].

وهذا خلاف لما هو مشهور عن الشعبي في هذا، وما أخرجه الطبري

---

(١) انظر البرهان للزركشي (١ / ٢٢٨) والإتقان للسيوطي (١ / ١٣٨) والمرشد الوجيز (٢٠) وتفسير القرطبي (٢٠ / ١٣٠).

(٢) انظر البرهان للزركشي (١ / ٢٢٩) والإتقان للسيوطي (١ / ١٤٨) والمرشد الوجيز (٢٠) وتفسير الماوردي (٦ / ٣١٢) بتحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبدالرحيم والثعالبي (٤ / ٤٣٠).

(٣) نسبه له الفخر الرازي في تفسيره (٥ / ٨٥).

(٤) انظر تفسيره (١ / ٩٤) حيث قال : (﴿ الذي أنزل فيه القرآن ﴾ أي ابتدى فيه إنزاله وكان في ليلة القدر . .) وأشار إلى الإنزال جملة بصيغة التضعيف في تفسير سورة القدر (٤ / ٣٧٠) فقال : (روي أنه أنزل جملة . .).

(٥) ينظر جمال القراء للسخاوي (١ / ٢٠).

(٦) تفسير الطبري (٢ / ١٤٥) (٣ / ٤٤٧) (٣٠ / ٢٥٨).

عن الشعبي هنا معارض بما رواه عنه - أيضاً - في تفسيره من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي. أنه قال في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ قال: نزل أول القرآن في ليلة القدر[1].

وقد ذكر أبو شامة عن الشعبي رواية عدَّها قولاً رابعاً في معنى قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ... ﴾ فعن داود بن أبي هند قال: قلت للشعبي قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ... ﴾ أما نزل عليه القرآن في سائر السنة إلا في شهر رمضان؟! قال: بلى، ولكن جبريل كان يعارض محمداً عليهما السلام بما ينزل عليه في سائر السنة في شهر رمضان[2].

فالشعبي هنا نزّل عرضه وإحكامه في رمضان من كل سنة منزلة إنزاله فيه. وهو قول لا يعارض رأيه المشهور بأن المراد ابتداء نزول القرآن. ولذا قال أبو شامة: "وإن ضم إلى ذلك كونه ابتداء نزوله في شهر رمضان ظهرت قوته"[3] أي قوة القول ووجه ذكر شهر رمضان ظرفاً لإنزال القرآن - قال ابن حجر: (والمعتمد أن جبريل كان يعارض النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان بما ينزل به عليه في طوال السنة. كذا جزم به الشعبي فيما أخرجه عنه أبو عبيد وابن أبي شيبة بإسناد صحيح"[4].

---

(١) تفسير الطبري (٣٠/٢٥٨).

(٢) المرشد الوجيز (٢١).

(٣) المصدر السابق (٢٤).

(٤) فتح الباري (٩/٥).

أدلته[1]:

١ - الواقع الفعلي لنزول القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه نزل منجماً مفرقاً حسب الحوادث والوقائع على نحو من ثلاث وعشرين سنة.

٢ - قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ الإسراء: (١٠٦) فصريح القرآن، وواقع نزوله يدل على تنجيمه وتفريقه.

٣ - أن الآيات الثلاث الواردة في وصف نزول القرآن المراد بها ابتداء نزول القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه ابتدأ نزوله في ليلة القدر من شهر رمضان وهي الليلة المباركة وفي هذا جمع بين هذه الآيات وقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ...﴾.

٤ - أن ما جاء من الآثار الدالة على نزول القرآن جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا وإن كانت صحيحة الإسناد فهي موقوفة على ابن عباس وغير متواترة. وهذه مسألة غيبية عقدية ولا يؤخذ في الغيبيات إلا بما تواتر يقيناً في الكتاب والسنة، فصحة الإسناد لا تكفي وحدها لوجوب اعتقاده. فكيف وقد نطق القرآن بخلافه![2].

---

(١) راجع مناقشة هذه الأدلة في مبحث الترجيح.

(٢) انظر: مباحث في علوم القرآن. د. صبحي الصالح. (٥١) وتفسير جزء "عم" للشيخ محمد عبده ص (١٢٢) ط. بولاق. والمدخل لدراسة القرآن الكريم (٥٢). والقول بعدم الاستدلال على العقائد بأحاديث الآحاد غير صحيح.

القول الثالث:

أنه أنزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر في كل ليلة قدر ينزل ما يقدر الله إنزاله في كل السنة ثم نزل بعد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم منجماً مدة بعثته عليه الصلاة والسلام.

القائلون به:

قاله ابن جريج[1]، وأبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي[2]، ومقاتل بن حيان[3]، وقال بنحوه مقاتل بن سليمان[4].

ونسبه السيوطي للفخر الرازي[5] وهي نسبة غير محررة فقد ذكر الفخر الرازي في تفسيره هذا القول وجعله محتملاً، وتوقف في الترجيح بينه وبين القول بنزوله جملة واحدة من اللوح المحفوظ ثم نزوله منجماً بعد ذلك. لكنه في موضع آخر وبعد صفحة واحدة رجح القول

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/٤٤٧). وتفسير أبي الليث السمرقندي (١/٥٦٣) والدر المنثور للسيوطي (١/٤٥٧).

(٢) قاله في كتابه المنهاج (٢/٢٣٤)، وانظر: البرهان (١/٢٢٩)، ولطائف الإشارات للقسطلاني (١/٢٢)، والمرشد الوجيز (١٩).

(٣) انظر: الإتقان للسيوطي (١/١٤٨)، والزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي (١/٢١٥) بتحقيق د. محمد صفاء حقي. رسالة ماجستير غير منشورة. قسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين. الرياض.

(٤) انظر: حاشية المرشد الوجيز بتحقيق طيار آلتي قولاج (١٨). وتفسير مقاتل بن سليمان (١/٢٢خ)، وتفسير أبي الليث السمرقندي (١/٥٦٢).

(٥) انظر الإتقان (١/١٤٨).

الثاني. فقال: " .. التنزيل مختص بالنزول على سبيل التدريج والإنزال مختص بما يكون النزول فيه دفعة واحدة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ إذا ثبت هذا فنقول: لما كان المراد ههنا من قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ... ﴾. إنزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، لا جرم ذكره بلفظ الإنزال دون التنزيل وهذا يدل على أن هذا القول راجح على سائر الأقوال"[1].

كما ينسب هذا القول في كثير من كتب علوم القرآن للماوردي[2] وهي نسبة غير محررة من حيث تحديد القول، وتعيين القائل[3].

وهذا القول ضعيف قال عنه ابن حجر: "وهذا أورده ابن الأنباري من طريق ضعيفة ومنقطعة أيضاً"[4] وقال عنه القرطبي: "قلت: وقول مقاتل هذا خلاف ما نقل من الإجماع "أن القرآن أنزل جملة واحدة"[5] وحكاية القرطبي للإجماع هنا غير مسلمة لما علمته من الأقوال في ذلك.

---

(١) تفسير الفخر الرازي (٥/٨٥).

(٢) انظر: المرشد الوجيز لأبي شامة (١٨، ١٩)، والبرهان (١/٢٢٩)، والإتقان (١/١٤٨)، والزيادة والإحسان لابن عقيلة (١/٢١٥).

(٣) انظر الكلام على القول الرابع لاحقاً. ص (١١٩).

(٤) فتح الباري (٩/٤)، ونقله القسطلاني في لطائف الإشارات (١/٢٢).

(٥) تفسير القرطبي (٢/٢٩٨)، وانظر الإتقان (١/١٤٨).

القول الرابع:

أن القرآن نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة. وأن جبريل نجمه على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة.

وهذا القول هو ما ورد في تفسير الماوردي، وقد ذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما فهو رواية عن ابن عباس، وليس قولاً للماوردي، وعبارته في تفسيره: "قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ فيه وجهان: أحدهما: يعني جبريل، أنزله الله في ليلة القدر بما نزل به من الوحي. الثاني: يعني القرآن، وفيه قولان: أحدهما ما روي عن ابن عباس قال: نزل القرآن في رمضان وفي ليلة القدر في ليلة مباركة جملة واحدة من عند الله تعالى في اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا فنجمته السفرة على جبريل في عشرين ليلة ونجمه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة. وكان ينزل على مواقع النجوم إرسالاً في الشهور والأيام[1] -ثم قال- القول الثاني: أن الله تعالى ابتدأ بإنزاله في ليلة القدر. قاله الشعبي"[2] وبهذا النص يتبين أنه قول مغاير لما قبله، وأنه رواية عن ابن عباس وليس قولاً للماوردي

---

(١) أخرجه -بنحوه- ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس. وانظر الزيادة والإحسان (١/ ١٧٢، ٢١٨).

(٢) تفسير الماوردي: النكت والعيون (٦/ ٣١١) بتحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم.

إلا أن يكون نسب إليه لأنه ذكره ولم يتعقبه. ولا يكفي هذا في جعله قولاً له ولذا كانت عبارة ابن حجر أدق وأصوب حين قال: "وحكى الماوردي في تفسير ليلة القدر، ثم ذكره وأعقبه بقوله عنه "وهذا -أيضاً- غريب"[1] ومثل ذلك عبارة أبي شامة حيث قال: "وذكر أبو الحسن الماوردي في تفسيره"[2] ثم أورده. وهو قول مردود لأنه ليس بين الله وجبريل واسطة في تلقي القرآن الكريم.

يقول ابن العربي متعقباً هذا القول: "ومن جهلة المفسرين أنهم قالوا: إن السفرة ألقته إلى جبريل في عشرين ليلة وألقاه جبريل إلى محمد -عليهما السلام- في عشرين سنة وهذا باطل، ليس بين جبريل وبين الله واسطة، ولا بين جبريل ومحمد صلى الله عليهما واسطة" [3].

وقد نقل أبو شامة في "المرشد الوجيز" عن تفسير علي بن سهل النيسابوري عن جماعة من العلماء أن جبريل هو من أملاه على السفرة. قال: "قال جماعة من العلماء: تنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت يقال له بيت العزة، فحفظه جبريل عليه السلام، وغشي على أهل السموات من هيبة كلام الله

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر (٩ / ٤)، ونقل القسطلاني كلام ابن حجر في كتابه لطائف الإشارات (١ / ٢٢).

(٢) المرشد الوجيز لأبي شامة (١٩).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٤ / ١٩٦١) وانظر تفسير القرطبي (٢٠ / ١٣٠).

فمر بهم جبريل وقد أفاقوا فقالوا: ﴿ ... مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ ... ﴾ (سبأ: ٢٣) يعني القرآن وهو معنى قوله: ﴿ ... حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ... ﴾ (سبأ: ٢٣) فأتى به جبريل إلى بيت العزة فأملاه جبريل على السفرة الكتبة. يعني الملائكة وهو قوله تعالى: ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ (عبس: ١٥-١٦)"[1].

وذهب إلى هذا المعنى من إملاء جبريل القرآن على السفرة علم الدين السخاوي في «جمال القراء» في معرض حديثه عن حكمة إنزاله جملة فقال: " .. وزاد سبحانه في هذا المعنى بأن أمر جبريل عليه السلام بإملائه على السفرة الكرام البررة -عليهم السلام- وإنساخهم إياه، وتلاوتهم له"[2] فيكون قولاً خامساً.

وقد حاول ابن عقيلة المكي الإجابة عما تضمنه ذلك الخبر من عدم أخذ جبريل للقرآن من الله. فقال بعد أن ساق الخبر:

" .. فهذا يقضي أن جبريل ما أخذه إلا عن السفرة. قلت: لا تنافي، لاحتمال أن جبريل -عليه السلام- سمعه من الله سبحانه وتعالى كما تقدم بصفة التجلي فعلمه جميعه ثم أمره الله أن يأخذه من اللوح المحفوظ فيضعه في بيت العزة عند السفرة، ثم أمر الله سبحانه وتعالى السفرة أن تنجمه على جبريل عليه السلام في عشرين ليلة لكل سنة ليلة

(١) المرشد الوجيز (٢٣)، وانظر تفسير القرطبي (٢٠ / ١٣٠).

(٢) جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي (١ / ٢٠).

وإنما كان التنجيم من السفرة على جبريل لما ذكره الحكيم الترمذي: أن سر وضع القرآن في السماء الدنيا ليدخل في حدها لأنه رحمة لأهلها. فأخذ جبريل عن السفرة إشارة إلى أنه صار مخصوصاً بهم فلا يؤخذ إلا عنهم.."[1].

وفي كون جبريل عليه السلام يأخذ القرآن إلى السفرة ثم يأخذه منهم؛ نظر. أي نظر في الصفة لا في الصلة. فإن صلة السفرة بالقرآن ظاهرة من قوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ (عبس: ١٣-١٦).

الترجيح:

الاتفاق حاصل والإجماع قائم على صفة نزول القرآن الكريم المباشر على الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه نزل منجماً مفرقاً من بعثته صلى الله عليه وسلم إلى قرب وفاته ينزل أحياناً ابتداء بغير سبب وهو أكثر القرآن الكريم وأحياناً أخرى ينزل مرتبطاً بالأحداث والوقائع والأسباب.

وأما نزوله جملة فهو ظاهر القرآن في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ...﴾ وقوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ...﴾ وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ فهو أنزل في ليلة اسمها ليلة القدر، وصفتها أنها مباركة، وشهرها شهر رمضان. وهو صريح الأخبار الواردة عن ابن عباس، والتي لها حكم الرفع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الزيادة والإحسان لابن عقيلة (١/ ١٧٢) بتحقيق: د. محمد صفاء حقي.

وما دام أن النزول جملة لا يعارض صراحة النزول السابق، ولا يرتبط به من خلال تلك النصوص، بل هو نزول خاص، ووجود معين حيث القرآن الكريم كلام الله ومنزل من عند الله يتلقاه جبريل عليه السلام من الله بلا واسطة عند نزوله به على الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة.

وإن كان قد نزل به إلى بيت العزة فذلك نزول خاص، وأحد وجودات القرآن الكريم المتعددة. حيث يوجد القرآن الكريم في اللوح المحفوظ[1].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ (الواقعة: ٧٧-٧٩) وقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ (الزخرف: ٤).

ويوجد -أيضاً- في الصحف المطهرة الموجودة في أيدي الكرام البررة من الملائكة كما قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴾ (عبس: ١١-١٦).

ويوجد - كذلك - في بيت العزة من السماء الدنيا كما دلت على ذلك الأخبار عن ابن عباس. وجائز أن يكون الوجودان الأخيران مختلفين متغايرين وجائز أن يكونا وجوداً واحداً بأن يكون القرآن الكريم في تلك الصحف في بيت العزة وبأيدي أولئك الملائكة الكرام

---

(١) عدَّ الشيخ عبد العظيم الزرقاني هذا الوجود تنزلاً. وجعله التنزل الأول والصواب أنه وجود إذ لم يرد لفظ النزول مقترناً به فلا يصح أن يعد نزولاً أو تنزلاً. وانظر: المدخل لدراسة القرآن للشيخ محمد أبو شهبة (٤٧).

كما يوجد في الأرض بنزوله على الرسول صلى الله عليه وسلم والنزول مقترن بما عدا الأول من الوجودات المذكورة.

يقول البيهقي - رحمه الله -: "وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ يريد به والله أعلم إنا أسمعناه الملك، وأفهمناه إياه، وأنزلناه بما سمع فيكون الملك منتقلاً به من علو إلى سفل"[١].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بعد عرضٍ قرر فيه أن القرآن الكريم كلام الله منزل من عند الله كما هو صريح القرآن، قال: "فعلم أن القرآن العربي منزل من الله لا من الهواء، ولا من اللوح، ولا من جسم آخر، ولا من جبريل، ولا من محمد، ولا غيرهما، وإذا كان أهل الكتاب يعلمون ذلك[٢] فمن لم يقر بذلك من هذه الأمة كان أهل الكتاب المقرون بذلك خيراً منه من هذا الوجه".

ثم قال: "وهذا لا ينافي ما جاء عن ابن عباس وغيره من السلف في تفسير قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ أنه أنزله إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم أنزله بعد ذلك منجماً مفرقاً بحسب الحوادث. ولا يتنافى أنه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله، كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ (البروج: ٢١، ٢٢) وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ

(١) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٣٦٢).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿... وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ الأنعام، من الآية: ١١٤.

﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴾. وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾. فإن كونه مكتوباً في اللوح المحفوظ وفي صحف مطهرة بأيدي الملائكة لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله..."[1].

فعلى هذا الوجه لا إشكال في القول بأن للقرآن تنزلين: نزول جملة، ونزول مفرق، ولا يترتب عليه محذور. وإنما يقع المحذور ويحصل الإشكال في القول بأن جبريل يأخذ القرآن من الكتاب أو من بيت العزة عند نزوله به على الرسول صلى الله عليه وسلم من دون سماع من الله تعالى. كما نقل أبو شامة عن الحكيم الترمذي - في معرض حديثه عن حكمة نزول القرآن جملة - قوله: "ثم أجرى من السماء الدنيا الآية بعد الآية عند نزول النوائب.."[2]. أو كما قد يفهم من ظاهر بعض الآثار فمثل هذا القول، ومثل هذا الفهم للقول بأن للقرآن تنزلين؛ لا يصح. فهو أولاً لم يرد في تلك النصوص المفسرة والمفصلة لنزول القرآن جملة. وثانياً أنه يلزم منه أن جبريل

---

(١) الفتاوى لابن تيمية (١٢/١٢٦).

(٢) المرشد الوجيز (٢٦).

عليه السلام لم يسمع القرآن من الله عز وجل وأن القرآن نزل من مخلوق لا من الله وهذا باطل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –:

"والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل، وهو الذي نزل عليه به، وجبريل سمعه من الله تعالى، كما نص على ذلك أحمد وغيره من الأئمة. قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ...﴾ فأخبر سبحانه أنه نزله روح القدس وهو الروح الأمين، وهو جبريل من الله بالحق.."[1].

وذكر ابن تيمية عن أبي حامد الاسفرائيني قوله: مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال: مخلوق فهو كافر، والقرآن حمله جبريل مسموعاً من الله، والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل، والصحابة سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي نتلوه نحن بألسنتنا، وفيما بين الدفتين، وما في صدورنا: مسموعاً، ومكتوباً، ومحفوظاً.."[2].

"فالقرآن كلام الله لفظه ومعناه سمعه منه جبريل، وبلغه عن الله إلى محمد، ومحمد سمعه من جبريل وبلغه إلى أمته، فهو كلام الله حيث سمع، وكتب، وقرئ، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

---

(١) الفتاوى (١٢/٢٩٨) باختصار.

(٢) الفتاوى (١٢/٣٠٦).

﴿ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ... ﴾"[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أيضاً "ومن قال إن جبريل أخذ القرآن من الكتاب لم يسمعه من الله كان هذا باطلاً من وجوه: منها أن يقال إن الله سبحانه وتعالى قد كتب التوراة لموسى بيده فبنو إسرائيل أخذوا كلام الله من الكتاب الذي كتبه هو سبحانه وتعالى فيه فإن كان محمد أخذه عن جبريل، وجبريل عن الكتاب كان بنو إسرائيل أعلى من محمد بدرجة"[2].

وقد بسط شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – هذا المعنى في موضع آخر موضحاً نزول القرآن الكريم من عند الله لا من شيء من مخلوقاته مستدلاً له ومبيناً لمعناه فقال: ".. وكذلك قد أخبر في غير موضع من القرآن أن القرآن نزل منه، وأنه نزل به جبريل منه.. قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ... ﴾ (الأنعام: ١١٤) قال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ... ﴾ (النحل: ١٠٢) وروح القدس هو جبريل كما قال في الآية الأخرى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ ... ﴾ (الشعراء: ١٩٣، ١٩٤) وقال هنا: ﴿ ... نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ... ﴾ (النحل: ١٠٢) فبين أن جبريل نزله من الله لا

---

(١) المصدر السابق (١٢/٥٦٦). التوبة: ٦ .

(٢) الفتاوى (١٢/١٢٧).

من هواء ولا من لوح ولا غير ذلك، وكذلك سائر آيات القرآن كقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (الزمر: ١).

وقوله: ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ (غافر: ١، ٢) وقوله: ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (فصلت: ١، ٢) وقوله: ﴿الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (السجدة: ١، ٢) وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ...﴾ (المائدة: ٦٧).

فقد بين في غير موضع أنه منزل من الله. فمن قال إنه منزل من بعض المخلوقات كاللوح، والهواء فهو مفتر على الله، مكذب لكتاب الله، متبع لغير سبيل المؤمنين، ألا ترى أن الله فرق بين ما نزل منه وما نزله من بعض المخلوقات كالمطر بأن قال: ﴿... وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ...﴾ (البقرة: ٢٢) ـ فذكر المطرفي غير موضع وأخبر أنه نزله من السماء، والقرآن أخبر أنه منزل منه.. ثم قال: ولو كان جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ لكان اليهود أكرم على الله من أمة محمد لأنه قد ثبت بالنقل الصحيح أن الله كتب لموسى التوراة بيده وأنزلها مكتوبة. فيكون بنو إسرائيل قد قرأوا الألواح التي كتبها الله. وأما المسلمون فأخذوه عن محمد صلى الله عليه وسلم ومحمد أخذه عن جبريل، وجبريل عن اللوح. فيكون بنو إسرائيل بمنزلة جبريل، وتكون منزلة بني إسرائيل أرفع من منزلة محمد صلى الله عليه وسلم على قول هؤلاء الجهمية.

والله سبحانه جعل من فضائل أمة محمد صلى الله عليه وسلم أنه أنزل عليهم كتاباً لا يغسله الماء وأنه أنزله عليهم تلاوة لا كتابة وفرقه فيهم لأجل ذلك، فقال: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ (الإسراء: ١٠٦) ـ وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ (الفرقان: ٣٢) ـ ثم إن كان جبريل لم يسمعه من الله وإنما وجده مكتوباً كانت العبارة عبارة جبريل، وكان الكلام كلام جبريل ترجم به عن الله كما يترجم عن الأخرس الذي كتب كلاماً ولم يقدر أن يتكلم به، وهذا خلاف دين المسلمين" [1].

فقد جعل شيخ الإسلام ابن تيمية القول بأخذ جبريل للقرآن من اللوح المحفوظ أو غيره تفريعاً للقول بخلق القرآن[2] وصرح بذلك الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله – في رسالته: "الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم" وبسطه في معرض رده على قول السيوطي بأن جبريل عليه السلام أخذ القرآن من اللوح المحفوظ وجاء به إلى محمد صلى الله عليه وسلم[3] فقال: "هذه المقالة اغتر بها كثير من الجهلة وراجت عليهم، والسيوطي –رحمه الله– مع طول باعه، وسعة اطلاعه، وكثرة مؤلفاته؛ ليس من يعتمد

---

(١) الفتاوى (١٢/ ٥١٩–٥٢٠).

(٢) انظر الفتاوى (١٢/ ١٢٠).

(٣) انظر الإتقان للسيوطي (١/ ١٥٧).

عليه في مثل هذه الأصول العظيمة. وهذه المقالة مبنية على أصل فاسد وهو القول بخلق القرآن وهذه مقالة الجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم وهذه المقالة الخاطئة حقيقتها إنكار أن يكون الله متكلماً حقيقة.. ثم قال: "والقائلون بخلق القرآن منهم من يقول خلقه في اللوح المحفوظ وأخذ جبريل ذلك المخلوق من اللوح وجاء به إلى محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من يقول خلقه في جبريل، ومنهم من يقول خلقه في محمد صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك من أقوالهم"[١] فهذا ما ينتهي إليه هذا القول ويؤول إليه وإن لم يكن كثير من الناقلين له يقصدونه.

ثم أبان الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - مذهب أهل السنة فقال: "فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وأن جبريل عليه السلام، سمع القرآن الكريم من الله تعالى وبلغه محمداً صلى الله عليه وسلم"[٢].

ومن تمام الترجيح توجيه أدلة القول الآخر أو الرد عليها. فيجاب عن أدلة القول الثاني - على سبيل الإيجاز - بما يلي:

١ - أن صفة نزول القرآن المباشر على الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم للعلامة الشيخ محمد بن إبراهيم، ص (٢). مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، عام ١٣٦٩هـ.

(٢) المصدر السابق. ص (٣).

وكونه نزل عليه مفرقاً، وكونه صريحَ قولهِ تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ... ﴾ هو محل إجماع ولا خلاف حوله ولا يعارض النزول جملة.

٢ - القول بأن المراد بالآيات الثلاث من سور البقرة، والدخان، والقدر، هو ابتداء النزول؛ هو صرف لها عن ظاهرها بغير صارف ويجعلها تحتاج إلى تقدير محذوف. فقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ أي ابتدأنا إنزاله. وهو يقتضي حمل القرآن على أن المراد به بعض أجزائه وأقسامه[١] فقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ أي أنزلنا بعضه.

٣ - أن القول بأن المسألة عقدية لابد لها من أدلة متواترة قطعية الثبوت لإفادة العلم اليقيني ولا يكفي فيها الآثار الموقوفة؛ قول غير مسلم. واستبعاد الاستدلال بأحاديث الآحاد على العقائد غير صحيح فالعبرة بصحة الحديث فمتى صح الحديث احتج به سواء كان آحاداً أم متواتراً وسواء كان في الأحكام أم العقائد[٢].

وبهذا اتضح أن القول الأول أرجح وأن للقرآن نزول جملة ونزول تفريق يتلخص ذلك بما يلي:

١ - أنه ظاهر الآيات الثلاث في سور البقرة، والدخان، والقدر.

---

(١) انظر الفخر الرازي (٥ / ٨٥).

(٢) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم (٥٢).

٢ - أنه صريح الآثار الواردة عن ابن عباس، والتي لها حكم الرفع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

٣ - عدم معارضته للقول الثاني مع توجيه أدلة هذا القول والرد عليها.

٤ - ضعف الأقوال الأخرى.

٥ - انتفاء المحذور العقدي بالتصريح بسماع جبريل للقرآن من الله عز وجل دون واسطة.

٦ - شهرة القول وكثرة القائلين به، والمصححين له، حتى حكى القرطبي الإجماع عليه.

حكمة نزول القرآن الكريم جملة

التمست بعض الحكم لنزول القرآن جملة إلى السماء الدنيا فقيل: إن فيه تفخيم شأن المنزل وهو القرآن الكريم، وتعظيم قدر مَنْ سوف ينزل عليه وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، وتكريم من سوف ينزل إليهم وهم المسلمون. وذلك بإعلام سكان السموات بأن هذا القرآن آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم [١].

يقول السخاوي في جمال القراء: "فإن قيل: ما في إنزاله جملة إلى سماء الدنيا؟ قلت: في ذلك تكريم بني آدم، وتعظيم شأنهم عند الملائكة، وتعريفهم عناية الله عز وجل بهم، ورحمته لهم، ولهذا المعنى أمر سبعين ألفاً من الملائكة لما أنزل سورة الأنعام أن تزفها [٢].

وزاد سبحانه في هذا المعنى بأن أمر جبريل عليه السلام بإملائه على السفرة الكرام البررة - عليهم السلام - وإنساخهم إياه، وتلاوتهم له وفيه أيضاً إعلام عباده من الملائكة وغيرهم أنه علام الغيوب لا يعزب عنه شيء إذ كان في هذا الكتاب العزيز ذكر الأشياء قبل وقوعها" [٣].

---

(١) انظر: المرشد الوجيز (٢٤).

(٢) قال ابن الصلاح في الخبر الوارد بذلك: وفي إسناده ضعف ولم نر له إسناداً صحيحاً.. فتاوى ابن الصلاح (١ / ٢٤٨).

(٣) جمال القراء للسخاوي (١ / ٢٠) وانظر: المرشد الوجيز (٢٧) والإتقان للسيوطي (١٠ / ١٤٩).

وفيه من الحكم أيضاً تفضيل القرآن الكريم على غيره من الكتب السماوية الأخرى وذلك بأن جمع الله له النزولين جملة واحدة، والنزول مفرقاً وبذلك شارك الكتب السابقة في صفة وتميز عنها في الصفة الثانية. سواء قيل بنزول الكتب السابقة جملة أو مفرقة، ففي اجتماع الصفتين تميز للقرآن الكريم، ولمن نزل عليه، ولمن نزل إليهم.

يقول السخاوي: "وفيه أيضاً التسوية بينه وبين موسى عليه السلام في إنزال كتابه جملة، والتفضيل لمحمد صلى الله عليه وسلم في إنزاله عليه منجماً ليحفظه. قال الله عز وجل: ﴿ ... كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ... ﴾ (الفرقان: ٣٢) ـ وقال عز وجل: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ (الأعلى: ٦)"[١].

(١) جمال القراء للسخاوي (١ / ٢٠). وانظر ما استحسنه أبو شامة فنقله من كلام للحكيم الترمذي في تفسيره بهذا الشأن. المرشد الوجيز (٢٦).

وقت نزول القرآن الكريم

أكثر نزول القرآن الكريم نهاراً حضراً، وقد نزل يسير منه في السفر وقليل منه في الليل، وقد تتبع العلماء ذلك فذكروا ما وقفوا عليه منه، فمن ذلك:

ما نزل في الثلاثة الذين خلفوا في قوله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ... ﴾ (التوبة: ١١٧، ١١٨) ففي الصحيح من حديث كعب: فأنزل الله توبتنا حين بقي الثلث الأخير من الليل[١].

ومنه سورة "المنافقون" فقد أخرج الترمذي عن زيد بن أرقم أنها نزلت ليلاً في غزوة تبوك.[٢] وذكر ابن إسحاق أنها نزلت في غزوة بني المصطلق[٣].

ومنه سورتا المعوذتين فعن عقبة بن عامر الجهني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنزلت الليلة آيات لم يُرَ مثلهن: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس"[٤].

---

(١) من حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى لقد تاب الله على النبي.. ٦/ ٢٠٩، وفي المغازي باب حديث كعب بن مالك، ٥/ ١٣٠ وأخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب، ٤/ ٢١٢٠ برقم ٢٧٦٩ .

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب سورة المنافقين، (٥/ ٨٩) برقم ٣٣٦٩ وقال حديث حسن صحيح.

(٣) انظر السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٣٠٠).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٥٥٨) حديث برقم ٨١٤.

ومنه قوله تعالى في سورة المائدة (٦٧) : ﴿ ... وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ... ﴾ فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يُحْرَس حتى نزلت هذه الآية ﴿ ... وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ... ﴾ فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة، فقال لهم : يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله"[1] .

قال ابن عقيلة : وكان ذلك في غزوة ذات الرقاع [2]. وأخرج الطبراني عن عصمة بن مالك الخطمي قال : كنا نحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل حتى نزلت. فترك الحرس[3]. فدلت هاتان الروايتان أنها نزلت في السفر ليلاً .

وقد ذكر أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابوري (ت ٤٠٦هـ) في كتابه التنبيه على فضل علوم القرآن من وجوه شرف علوم القرآن؛ معرفة تفصيل نزول القرآن الكريم زماناً، ومكاناً، وأوصافاً. فقال : "من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة والمدينة، وما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، وما يشبه نزول

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب التفسير باب ومن سورة المائدة (٥ / ٢٥١) حديث برقم ٣٠٤٦ ، وقال عنه : حديث غريب . وأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه، ووافقه الذهبي (٢ / ٣١٣) وذكر نحوه الواحدي في أسباب النزول (١٩٥) .

(٢) انظر الزيادة والإحسان (١ /٣٢٦)، وقد أخرجه ابن أبي حاتم عن جابر كذلك (١ /٣١٨) .

(٣) ذكره السيوطي في الإتقان (١ / ٨٣) .

المكي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكي، وما نزل بالجحفة، وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، وما نزل ليلاً، وما نزل نهاراً، وما نزل مشيعاً، وما نزل مفرداً، والآيات المدنيات، وما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة، وما حمل من المدينة إلى الحبشة، وما نزل مجملاً، وما نزل مفسراً، وما اختلف فيه فقال بعضهم: مدني، وقال بعضهم: مكي، فهذه خمسة وعشرون وجهاً من لم يعرفها، ويميز بينها، لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى"[1].

وقد فسرت وفصلت هذه الأنواع مع التمثيل لها بما وردت به الروايات في البرهان للزركشي، والإتقان للسيوطي، والزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي مما لا حاجة معه لزيادة الكلام في بسطه ونقله[2].

وما ذكره النيسابوري هنا من وجوب معرفة هذه الأنواع والتمييز بينها وجعل ذلك شرطاً للتفسير لا يسلَّم له وفيه نظر. فليس كله مما له أثر في التفسير.

---

(١) التنبيه على فضل علوم القرآن. لأبي القاسم النيسابوري. منشور في مجلة المورد العراقية. بتحقيق محمد عبد الكريم كاظم. عدد (٤)، مجلد (١٧)، عام ١٤٠٩هـ. الصفحات (٣٠٥-٣٢٢).

(٢) انظر البرهان للزركشي (١/١٩٢)، والإتقان للسيوطي (١/٣٦) والزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي (١/٢٦٣).

مدة نزول القرآن الكريم

اختلف العلماء في تحديد مدة نزول القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم على أقوال:

١ - أنها ثماني عشرة سنة. روي هذا القول غير المشتهر عن الحسن. وأنه كان يقول ذكر لنا أنه كان بين أوله وآخره ثماني عشرة سنة. وأنه أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ثماني سنين في مكة قبل الهجرة وعشر سنين بعدها[١].

وهو قول ضعيف ينتج عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم توفي عن ثمان وخمسين سنة وهو ما لم يقل به أحد. ولذا قال ابن عطية عن هذا القول: "وهذا قول مختل لا يصح عن الحسن والله أعلم"[٢].

٢ - أنها عشرون سنة: روي عن ابن عباس، وعكرمة، والشعبي وقتادة، واختاره ابن جزي الكلبي[٣].

٣ - أنها ثلاث وعشرون سنة. وهو قول الجمهور[٤].

---

(١) انظر تفسير ابن جرير (١٥/ ١٧٩-١٨٠)، وابن عطية (١٠/ ٣٧٥)، وابن الجوزي (١/ ٥)، وأبي حيان (٦/ ٨٧)، وابن الضريس في فضائل القرآن (٧٤).

(٢) تفسير ابن عطية (١٠/ ٣٥٧).

(٣) تفسير ابن جزي الكلبي (١/ ٦، ٤/ ٢١٠) وانظر المصادر السابقة.

(٤) انظر البرهان (١/ ٢٢٨)، والإتقان ١/ ١٤٦، وانظر علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، رسالة دكتوراه، د. محمد صفاء حقي، ٢/ ٤١٢.

٤ – أنها خمس وعشرون سنة. وهو قول من يذهب إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم عاش خمساً وستين سنة خلافاً للمشهور[١].

ومنشأ هذا الاختلاف هو الخلاف في مدة إقامته –بمكة بعد البعثة فقيل: ثمان، وقيل عشر، وقيل ثلاث عشرة، وقيل خمس عشرة سنة. بناء على اختلاف الروايات في ذلك. فإذا أضيف إليها عشر سنين وهي مدة إقامته– بالمدينة بعد الهجرة المتفق عليها كما نص على ذلك ابن كثير حيث قال: "أما إقامته بالمدينة عشراً فهذا مما لا خلاف فيه.."[٢] فينتج عن ذلك الأقوال السابقة.

كما يعود هذا الاختلاف –أيضاً– إلى اختلاف الاعتبار الذي يبدأ منه حساب تلك المدة، هل هو من بداية الرؤيا الصادقة، أو من البعثة التي تلاها فتور في نزول الوحي، أو من الرسالة وتتابع الوحي بعد ذلك.

يضاف إلى ذلك التسامح والتساهل في تحديد الوقت، وجبر الكسور في حساب السنوات اختصاراً وعادة؛ يقول ابن كثير: "إن العرب كثيراً ما يحذفون الكسور من كلامهم"[٣] وكذلك الخلاف في عمره عليه الصلاة والسلام. حيث قيل إنه ستون سنة، وقيل ثلاث وستون، وقيل خمس وستون.

والمعتمد كما يقول ابن حجر أنه صلى الله عليه وسلم عاش ثلاثاً

---

(١) المرجع السابق.

(٢) فضائل القرآن لابن كثير. بتحقيق: أبي إسحاق الحويني الأثري (٣٦).

(٣) فضائل القرآن لابن كثير (٣٦).

وستين سنة وأن ما ورد مما يخالف ذلك فهو محمول إما على إلغاء الكسر في السنين أو جبر الكسر في الشهور[1]. وأضاف ابن كثير معنى جديداً في الجمع وهو: اعتبار قرن جبريل بالرسول صلى الله عليه وسلم في نزول الوحي حيث روي أنه قرن به عليه السلام ميكائيل في ابتداء الأمر. يلقي إليه الكلمة والشيء ثم قرن به جبريل[2].

كما أنه بعث صلى الله عليه وسلم على رأس أربعين سنة. كما قال النووي: "واتفقوا أنه صلى الله عليه وسلم أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين وبمكة قبل النبوة أربعين سنة وإنما الخلاف في قدر إقامته بمكة بعد النبوة وقبل الهجرة. والصحيح أنها ثلاث عشرة فيكون عمره ثلاثاً وستين وهذا الذي ذكرناه أنه بعث على رأس أربعين سنة هو الصواب المشهور الذي أطبق عليه العلماء"[3].

وقد حاول الشيخ محمد الخضري اختيار تحديد دقيق للمدة فذكر أن مدة مقامه صلى الله عليه وسلم بمكة هي اثنتا عشرة سنة، وخمسة أشهر، وثلاثة عشر يوماً من يوم ١٧ رمضان سنة ٤١ من ميلاده الشريف إلى أول ربيع الأول سنة ٥٤ منه.

ومدة إقامته بالمدينة بعد الهجرة هي تسع سنوات، وتسعة أشهر، وتسعة أيام من أول ربيع الأول سنة ٥٤ منه إلى تاسع ذي الحجة سنة

(١) انظر فتح الباري (٩ / ٤).

(٢) فضائل القرآن الكريم لابن كثير (٣٦).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (١٥ / ٩٩)، وانظر الزيادة والإحسان (١ / ٢٥٢).

٦٣ من ميلاده الشريف، وهي سنة عشر من هجرته صلى الله عليه وسلم[١]. فصارت المدة بين مبتدأ التنزيل ومختتمه اثنتين وعشرين سنة وشهرين واثنين وعشرين يوماً[٢].

وهذا التحديد هو ما أشار إليه الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه مناهل العرفان حيث ذكره وتعقبه فقال: "لكن هذا التحقيق لا يزال في حاجة إلى تحقيقات ثلاث: ذلك لأنه أهمل من حسابه باكورة الوحي إليه صلى الله عليه وسلم عن طريق الرؤيا الصادقة ستة أشهر على أنها ثابتة في الصحيح. ثم جرى فيه على أن ابتداء نزول القرآن كان ليلة السابع عشر من رمضان وهي ليلة القدر على بعض الآراء، غير أنه يخالف المشهور الذي يؤيده الصحيح.

ثم ذهب فيه مذهب القائلين بأن آخر ما نزل من القرآن هو آية: ﴿ ... ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ... ﴾ (المائدة: ٣) ـ وذلك في تاسع ذي الحجة سنة عشر من الهجرة، وسترى في مبحث آخر ما نزل من القرآن أن هذا المذهب غير صحيح"[٣][٤].

---

(١) انظر تاريخ التشريع الإسلامي للشيخ محمد الخضري بك. ص٨ وتاريخ القرآن لأبي عبدالله الزنجاني ص ٧١ فقد ذكر تحديد الفترة المكية كما هنا.

(٢) انظر تاريخ التشريع (٥).

(٣) الراجح في آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٨١).

(٤) مناهل العرفان (١/ ٤٥).

ومما يعترض به على هذا التحديد أن يوم الفرقان ١٧ رمضان هو يوم الجمعة يقول الخضري عن يوم الفرقان، ويوم ابتداء إنزال القرآن الكريم (... فهما متحدان في الوصف، وهو أنهما جميعاً يوافقان الجمعة ١٧ رمضان وإن لم يكونا في سنة واحدة)[١]. والقول بأن يوم ابتداء إنزال القرآن يوافق يوم الجمعة معارض لما ثبت في صحيح مسلم عن يوم الاثنين وقوله صلى الله عليه وسلم حين سئل عنه: "ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت - أو أنزل علي فيه"[٢].

كما حدد الشيخ محمد محمد أبو شهبة مدة نزول القرآن الكريم بأنها اثنتان وعشرون سنة وخمسة أشهر، ونصف الشهر. راعى في هذا التحديد ما ذهب إليه الجمهور من أنه صلى الله عليه وسلم ولد في الثاني عشر من ربيع الأول عام الفيل، وتوفي في الثاني عشر أيضاً من ربيع الأول عام أحد عشر من الهجرة.

وبين ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم نبئ على رأس الأربعين من ميلاده الشريف وذلك من الثاني عشر من ربيع الأول وقد بدئ الوحي إليه بالرؤيا الصادقة ومكث على ذلك إلى السابع عشر من رمضان وجملة ذلك ستة أشهر وخمسة أيام حين نزل عليه صدر سورة اقرأ. وآخر آية نزلت عليه من القرآن هي قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ... ﴾ الآية (البقرة: ٢٨١) وقد روي أن ذلك قبل وفاة

---

(١) تاريخ التشريع ص (٦، ٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث طويل (٢/ ٨١٩) برقم (١١٦٢). وراجع ص (١٤٤).

النبي صلى الله عليه وسلم بتسعة أيام، وقيل بأحد عشر يوماً، وقيل بواحد وعشرين يوماً فلو أخذنا بالمتوسط تكون جملة المدة التي لم ينزل فيها القرآن ستة أشهر وستة عشر يوماً. وجملة عمره صلى الله عليه وسلم ثلاثة وستون عاماً، ومدة نبوته ثلاث وعشرون سنة فإذا أنقصنا منها ستة أشهر وستة عشر يوماً يكون الباقي اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً.

ثم قال أبو شهبة بعد هذا معبراً عن فرحه به: والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. ثم انتقد حساب الخضري السابق بأنه بني على أن آخر آية نزلت هي قوله تعالى: ﴿ ...ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ... ﴾ الآية (المائدة: ٣)"[١].

وما ذكره أبو شهبة – رحمه الله – من تحديد فيه نظر كذلك؛ إذ جعل يوم السابع عشر من رمضان بداية إنزال القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم وقد تقدم أنه يوافق يوم الجمعة –على قول الخضري– وأنه بهذا يعارض ما ثبت في الصحيح.

وكذلك أنه بناه على الأخذ بأحد الأقوال في مدة بقاء الرسول صلى الله عليه وسلم بعد آخر آية نزلت عليه دون دراسة ترجيحية له. فيبقى ملخص القول بأن تكون المدة نحواً من ثلاث وعشرين سنة تقريباً لا تحديداً.

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم (٥٥، ٥٦).

يوم إنزال القرآن

الصحيح أن أول يوم أنزل فيه القرآن هو يوم الاثنين. لحديث أبي قتادة الأنصاري الصحيح، وفيه: وسئل عن صوم يوم الاثنين. قال: "ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت – أو أنزل عليّ فيه"[١] وفي رواية أخرى: .. فقال: "فيه ولدتُ، وفيه أنزل عليّ"[٢] وأخرج الواحدي عن أبي قتادة أن رجلاً قال لرسول الله: أرأيت صوم يوم الاثنين: "قال فيه أنزل عليّ القرآن"[٣] وقد ذكر ابن سعد في طبقاته عن ابن عباس قال: نبئ نبيكم صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين[٤]. وعن أنس قال: استنبأ النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين[٥].

قال الواحدي: وأول يوم أنزل القرآن فيه يوم الاثنين[٦]. وذكر البلقيني أنه يوم الاثنين نهاراً[٧].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث طويل. كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام، حديث ١١٦٢، (٢/ ٨١٩).

(٢) صحيح مسلم (٢/ ٨٢٠).

(٣) أسباب النزول للواحدي (١٣-١٤).

(٤) طبقات ابن سعد (١/ ١٩٣).

(٥) طبقات ابن سعد (١/ ١٩٤).

(٦) أسباب النزول للواحدي. تحقيق السيد أحمد صقر (١٣).

(٧) انظر فتح الباري (١٢/ ٣٥٦).

ولذا قال ابن القيم: ولا خلاف أن مبعثه كان يوم الاثنين[1]. وقال ابن كثير: "وهكذا قال عبيد بن عمير وأبو جعفر الباقر وغير واحد من العلماء أنه -عليه الصلاة والسلام- أوحي إليه يوم الاثنين. وهذا ما لا خلاف فيه بينهم"[2].

---

(١) زاد المعاد (١/ ١٨).

(٢) السيرة النبوية لابن كثير (١/ ٣٩٢).

شهر إنزال القرآن الكريم

اختلف في شهر إنزال القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم على أقوال:

الأول: أنه شهر رجب، في السابع عشر منه. وهو قول غير مشهور لكنه مذكور[1].

الثاني: أنه في شهر ربيع الأول. قيل في أوله، والمشهور في ثامنه سنة إحدى وأربعين من عام الفيل. وقد جعله ابن القيم قول الأكثرين[2].

وقيل في الثاني عشر من ربيع الأول يوم الاثنين كما روي عن جابر وابن عباس أنهما قالا: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وفيه بعث، وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات[3]. وعن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين في ربيع الأول، وأنزلت عليه النبوة يوم الاثنين في أول شهر ربيع الأول وأنزلت عليه البقرة في ربيع الأول[4].

---

(١) انظر: فتح الباري - كتاب التعبير (١٢/ ٣٥٧)، وزاد المعاد لابن القيم (١/ ١٨)، والزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي (١/ ٢٥٠).

(٢) انظر المصادر السابقة.

(٣) انظر السيرة النبوية لابن كثير (١/ ٩٩)، و(١/ ٣٩٢). وقال: رواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن عفان عن سعيد بن ميناء عنهما.

(٤) ذكره ابن كثير في السيرة النبوية (١/ ٢٠٠) بسنده وقال عنه: وهذا غريب جداً، رواه ابن عساكر.

الثالث: أنه في شهر رمضان، قال الواحدي: وأول شهر أنزل فيه القرآن شهر رمضان[1]، قال الله تعالى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ... ﴾ (البقرة: ١٨٥) ـ وجعله ابن كثير: المشهور. فقال: والمشهور أنه بعث عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان كما نص على ذلك عبيد بن عمير، ومحمد بن إسحاق وغيرهما[2].

قال ابن القيم: وإليه ذهب جماعة منهم يحيى الصرصري حيث يقول في نونيته:

وأتت عليه أربعون فأشرقت شمس النبوة منه في رمضان[3]

وقال ابن إسحاق: ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتنزيل في رمضان –ثم استدل له فقال– قال الله تعالى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ... ﴾ (البقرة: ١٨٥) وقال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ (القدر: ١) وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ... ﴾ (الدخان: ٣)[4].

واختلف في أي الأوقات من رمضان: فقيل في سابعه[5]، وقيل في الرابع عشر[6]. وقيل في السابع عشر منه. فقد أخرج ابن سعد عن الواقدي

---

(١) أسباب النزول للواحدي (١٤).

(٢) انظر السيرة النبوية (١/ ٣٩٢).

(٣) زاد المعاد (١/ ١٨).

(٤) انظر: مختصر السيرة لابن هشام (٣٩)، والسيرة النبوية للذهبي (٧٥).

(٥) انظر فتح الباري (١٢/ ٣٥٦).

(٦) المصدر السابق.

عن أبي جعفر الباقر، قال نزل الملك على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان. ورسول الله يومئذ ابن أربعين سنة. وجبريل الذي كان ينزل عليه بالوحي[(١)].

وقيل في الرابع والعشرين من رمضان، قال أبو عبد الله الحليمي: "يريد ليلة خمس وعشرين"[(٢)] وقال ابن كثير: "ولهذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين إلى أن ليلة القدر ليلة أربع وعشرين"[(٣)] واستدل لهذا بحديث واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان"[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات بسنده (١/١٩٤). وانظر: السيرة النبوية لابن كثير (١/٣٩٢)، والزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي (١/٢٥٠-٢٥١). وانظر: تاريخ التشريع للخضري (٦، ٧)، فقد ذكر هذا التاريخ لكن جعله يوم الجمعة. وراجع ص (١٤٢).

(٢) المرشد الوجيز لأبي شامة (١٣).

(٣) السيرة النبوية لابن كثير (١/٣٩٢).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٤/١٠٧) وأبو عبيد في فضائل القرآن (٣٦٨) وأخرجه ابن الضريس بسنده عن أبي الخلد (٧٤) بزيادة في آخره. وابن جرير في تفسيره (٢/١٤٥). والواحدي في أسباب النزول (١٤). والطبراني في المعجم الكبير(٢٢/٧٥) حديث (١٨٥). غير أنه وقع في النسخة: "وأنزل القرآن لأربع عشرة" بدلاً من أربع =

وجعله السخاوي في النزول المباشر على الرسول صلى الله عليه وسلم فقال بعد أن ساقه بنحوه: "فهذا الإنزال يريد به -صلى الله عليه وسلم أول نزول القرآن عليه- ثم قال: وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ يشمل الإنزالين"[1].

أما البيهقي فقد حمل حديث واثلة بن الأسقع على أن المراد به الإنزال جملة فقال: "قلت: وإنما أراد - والله أعلم - نزول الملك بالقرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا"[2].

ويشهد لهذا المعنى ما رواه ابن أبي شيبة عن أبي قلابة قال: "... أنزلت الكتب كاملة ليلة أربع وعشرين من رمضان.."[3].

وقد ذهب صفي الرحمن المباركفوري في كتابه الرحيق المختوم إلى

= وعشرين. فلعله خطأ. وذكره الألباني في الصحيحة برقم (١٥٧٥) وقال عنه: "هذا إسناد حسن، رجاله ثقات، وفي القطان كلام يسير، وله شاهد من حديث ابن عباس مرفوعاً نحوه، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٣٦٧)، وقال عنه: خالفه عبيدالله بن أبي حميد وليس بالقوي فرواه عن أبي المليح عن جابر بن عبد الله من قوله. ورواه إبراهيم ابن طهمان عن قتادة من قوله لم يجاوز به إلا أنه قال: لاثنتي عشرة "وكذلك وجده جرير ابن حازم في كتاب أبي قلابة دون ذكر صحف إبراهيم. وانظر السيرة النبوية لابن كثير (١/ ٣٩٣). وتفسير الماوردي بتحقيق الباحث (٢/ ٥٦٩) والمرشد الوجيز (١٢) والزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي (١/ ٢٥٢).

(١) جمال القراء (١/ ٢٢).

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٣٦٧)، والمرشد الوجيز (١٤).

(٣) المرشد الوجيز (١٣).

تحديد دقيق، ورأي جديد وهو أن يوم نزول القرآن وشهره كان يوم الاثنين لإحدى وعشرين مضت من رمضان ليلاً. الموافق عشرة أغسطس سنة ٦١٠م، وكان عمره صلى الله عليه وسلم إذ ذاك أربعين سنة قمرية وستة أشهر و١٢ يوماً، وذلك نحو ٣٩ سنة شمسية وثلاثة أشهر و٢٢ يوماً. وهو قول لم يقل به أحد قبله وقد بناه على ما يلي:

١ - كونه يوم الاثنين بناء على ما صح من حديث أبي قتادة الأنصاري وفيه ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت أو أنزل عليّ فيه، وهو ما اتفق عليه أهل السير.

٢ - وكونه شهر رمضان عملاً بالآيات الثلاث في سور: البقرة، والدخان، والقدر. وكونه شهر الجوار والتحنث بحراء.

٣ - وكونه لإحدى وعشرين مضت من رمضان. بناء على أن حساب التقويم العلمي لذلك الشهر في تلك السنة لا يوافق يوم الاثنين إلا يوم السابع، والرابع عشر، والحادي والعشرين، والثامن والعشرين. ولأن ليلة القدر إنما تقع في الوتر من ليالي العشر من شهر رمضان، تعين كون ذلك يوم واحد وعشرين[1].

وهذا جهد طيب ومنهج جيد في التحديد إلا أنه يرد عليه ما يلي:

١ - أن كون ذلك يوم الاثنين لإحدى وعشرين مضت من شهر رمضان ليلاً يجعل تلك الليلة هي ليلة الثلاثاء اثنتين وعشرين فلا

---

(١) انظر: الرحيق المختوم ص (٦٦) وحاشيته (٢).

تصير بذلك من ليالي الوتر التي تتحرى بها ليلة القدر[١].

٢ - أن الاستدلال بالآيات الثلاث في سور: البقرة، والدخان، والقدر. على ابتداء النزول ليس صريحاً، وقد فسرت بأن المراد بها النزول جملة إلى السماء الدنيا. وهو ما يتفق مع الروايات الأخرى الواردة عن ابن عباس وغيره في ذلك.

٣ - أن حمله تلك الآيات على ابتداء النزول يعني أن ليلة القدر صارت معروفة على وجه اليقين لأن معرفة ابتداء نزول القرآن ميسور للصحابة رضي الله عنهم لو تعلق به أمر تعيين ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر. ومعلوم أنها قد أخفيت عينها. فاختلف في تحديدها. وإذا سلم هذا الإيراد كان دليلاً على نزول القرآن في غير شهر رمضان. وكان ترجيحاً للقول بنزوله في شهر ربيع الأول إلا أن تكون ليلة تسع وعشرين على ما ذكر من الحساب.

وقد رجح ابن حجر كون ابتداء النزول في رمضان فقال: "قلت: ورمضان هو الراجح لما تقدم من أنه الشهر الذي جاء فيه الرسول صلى الله عليه وسلم حراء فجاءه الملك وعلى هذا يكون سنه حينئذٍ أربعين سنة وستة أشهر"[٢].

كما رجح في موضع آخر أنه في آخر شهر رمضان ولم يحدده بتاريخ

---

(١) يصدق تعليله على ما ذكره من موافقة يوم الاثنين لثمان وعشرين من رمضان حيث تكون ليلة تسع وعشرين. وهي من ليالي الوتر، ولكنه لم يذكره ولم يختره.

(٢) فتح الباري، كتاب التعبير (١٢ / ٣٥٦).

فقال: " .. فيستفاد من ذلك أن يكون آخر شهر رمضان، وهو قول آخر يضاف لما تقدم ولعله أرجحها"[1]. وجعل ابن حجر شهر رمضان زماناً لنزول القرآن جملة، ونزوله مفرقاً أيضاً، فقال عن حديث مدارسة جبريل عليه السلام للرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن " .. وفيه إشارة إلى أن ابتداء نزول القرآن كان في شهر رمضان لأن نزوله إلى السماء الدنيا جملة واحدة كان في رمضان كما ثبت من حديث ابن عباس.."[2].

وذكر ابن عرفة في تفسيره مثل هذا التوجيه بعد أن ساق بعض الأقوال في معنى قوله تعالى: ﴿ ... أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ... ﴾ قال: "قال الضحاك: أنزل القرآن في فرضه وتعظيمه، والحض عليه. وقيل: الذي أنزل القرآن فيه. قال ابن عرفة: ولا يبعد أن يراد الأمران فيكون أنزل القرآن فيه تعظيماً له وتشريفاً.. وقيل: أنزل فيه القرآن جملة إلى سماء الدنيا. قال ابن عرفة فالقرآن على هذا الاسم للكل، وعلى القول الثاني: بأنه أنزل فيه بعضه يكون القرآن اسم جنس يصدق على القليل والكثير"[3].

وإلى مثل ذلك ذهب أبو شامة في تعليقه على ما نسب للشعبي من أن الله عز وجل ابتدأ إنزال القرآن في ليلة القدر فقال: "هو إشارة إلى ابتداء إنزال القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم فإن ذلك كان وهو

(١) فتح الباري كتاب التعبير (١٢/ ٣٥٧).

(٢) فتح الباري، كتاب بدء الوحي (١/ ٣١).

(٣) تفسير ابن عرفة برواية تلميذه الأُبي (٢/ ٥٣٩).

متحنث بحراء في شهر رمضان -ثم قال- وقد بينت ذلك في شرح حديث المبعث وغيره"[1] .

وهذا وإن كان الأمر فيه كذلك إلا أن تفسير الآية به بعيد مع ما قد صح من الآثار عن ابن عباس: "أنه نزل جملة إلى السماء الدنيا"[2] ففرق أبو شامة بهذا بين جعل رمضان شهر نزول القرآن والاستدلال له بالآيات. وقال في موضع آخر مبيناً صلة شهر رمضان بالقرآن: "... ويجوز أن يكون قوله: ﴿...أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ...﴾ إشارة إلى كل ذلك، وهو كونه أنزل جملة إلى السماء الدنيا، وأول نزوله إلى الأرض، وعرضه وإحكامه في شهر رمضان. فقويت ملابسة شهر رمضان للقرآن: إنزالاً جملة وتفصيلاً وعرضاً وإحكاماً فلم يكن شيء من الأزمان تحقق له من الظرفية للقرآن ما تحقق لشهر رمضان فلمجموع هذه المعاني قيل: ﴿...أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ...﴾"[3].

---

(١) كتاب للمؤلف سماه في كتابه الذيل على الروضتين: شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى. انظر المرشد الوجيز (٢٠) حاشية (٢).

(٢) المرشد الوجيز لأبي شامة المقدسي (٢٠).

(٣) المصدر السابق (٢٤).

مقدار التنزيل

ثبت نزول القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم منجماً مفرقاً ابتداء أو حسب الحاجة والوقائع. وغالب القرآن الكريم نزل آيات مفرقات وبعضه نزل سوراً كاملة، ونزلت سورتان من قصار السور معاً هما المعوذتان.

فأول ما نزل من القرآن الكريم الآيات الخمس الأولى من سورة العلق. وهي قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ثم نزل باقيها بعد نزول سورة المدثر.

كما نزلت الخمس الآيات الأولى من سورة الضحى إلى قوله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ وصح نزول عشر آيات من قصة الإفك جملة واحدة من سورة النور. وصح كذلك نزول عشر آيات جملة من أول سورة المؤمنون. ونزلت آية ﴿ ... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ... ﴾ (المائدة: ٣) في عرفة في يوم جمعة.

وصح نزول قوله ﴿ ... غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ ... ﴾ وحدها، وهي بعض آية. فقد أخرج البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾ (النساء: ٩٥) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيداً

فكتبها فجاء ابن أم مكتوم فشكا ضرارته: فأنزل الله: ﴿... غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ...﴾[1].

وكذا قوله: ﴿... وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٢٨) نزلت بعد نزول أول الآية، فهي بعض آية[2].

وقد تنزل السورة كاملة ومن ذلك سورة الفاتحة، والإخلاص، والكوثر، والمسد، والنصر، والمرسلات، والصف.. وغيرها[3].

وأما ما ورد من نزول سورة الأنعام جملة يشيعها سبعون ألف ملك. فلم يخل من خلاف. فقد قال ابن الصلاح في فتاويه: "الحديث الوارد في أنها نزلت جملة رويناه من طريق أبيّ بن كعب وفي إسناده ضعف، ولم نرَ له إسناداً صحيحاً. وقد روي ما يخالفه فروي أنها لم تنزل جملة واحدة بل نزلت آيات منها بالمدينة اختلفوا في عددها، فقيل ثلاث، وقيل: ست، وقيل غير ذلك"[4].

وقد قال ابن عقيلة المكي في توجيه هذا الاعتراض، بأن نزول غالبها

---

(١) أخرجه البخاري. كتاب التفسير، باب ١٨ لا يستوي القاعدون من المؤمنين.. (٥ / ١٨٢) وانظر: سنن أبي داود (٣ / ١٧)، والمرشد الوجيز (٣٤)، وأسباب النزول للواحدي (١٦٨)، الإتقان (١ / ١٥٥).

(٢) انظر تفسير الطبري (١٤ / ١٩٤)، والتبيان للشيخ طاهر الجزائري (٥٩).

(٣) انظر: الإتقان (١ / ١٣٦)، والزيادة والإحسان (١ / ٣٩٩).

(٤) فتاوى ابن الصلاح (١ / ٢٤٨)، والبرهان (١ / ١٩٩)، والإتقان (١ / ١٣٧).

في حكم نزولها كلها. قال: "أقول: من قال: إن السورة نزلت كلها فإنما يعني -والله أعلم- الغالب، ولا يضر أن ينزل بعضها بعد ذلك وتمامها، فإن القرآن غالبه إنما ينزل مفرقاً آيات. ومثل هذه السورة العظيمة إذا نزل غالبها فيحكم لها بالكل، فإنه نادر الوقوع"[1].

وقد نزلت سورتا المعوذتين معاً بسبب سحر لبيد بن الأعصم اليهودي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله جل شأنه المعوذتين فقرأهما وتعوذ بهما فانحل السحر[2].

فتبين مما سبق أن القرآن نزل مفرقاً: الآية، والآيتين، والخمس، والعشر، وأقل وأكثر. كما نزل جزء الآية. ونزلت سورة كاملة، ونزلت سورتا المعوذتين معاً.

ولا شك أن هذه المتابعة الدقيقة من قبل العلماء لجزئيات نزول القرآن الكريم في وقته، وصفته، ومقداره، ويوم إنزاله، وشهره، وكون ذلك ليلاً ونهاراً، حضراً وسفراً؛ دليل عناية الأمة البالغة بالقرآن الكريم التي ميز الله بها كتابه فصارت من خصائصه التي تفرد بها، وجعلها الله وسيلة حفظ كتابه الذي تكفل به في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ (الحجر: ٩).

كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتلقى القرآن من جبريل

---

(١) الزيادة والإحسان (١/ ٤٠١).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (٥١٥)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٥٤)، والزيادة والإحسان (١/ ٤٠٥).

فيحفظه ولا ينساه ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ فيبلغه أصحابه، ويحفِّظهم إياه، ويأمرهم بكتابته. فتوافر للقرآن الكريم بالغ العناية به، وكامل وسائل حفظه، والمحافظة عليه. وتلك نعمة ومنّة من الله تعالى على الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ولا يشكرون.

فهرس المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

٢- إرشاد العقل السليم لأبي السعود دار إحياء التراث العربي بيروت.

٣- أسباب النزول للواحدي، تحقيق السيد أحمد صقر، ط٢، عام ١٤٠٤هـ، دار القبلة، جدة.

٤- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، عام ١٣٩١هـ.

٥- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض.

٦- بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي، تحقيق عبدالرحيم الزقة، ط١، بغداد مطبعة الإرشاد.

٧- البسيط للواحدي رسالة دكتوراه للباحث أحمد الحمادي، كلية أصول الدين بالرياض قسم القرآن وعلومه.

٨- بصائر ذوي التمييز للفيروزابادي، تحقيق محمد علي النجار.

٩- تاج العروس من جواهر القاموس محمد مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة بيروت لبنان.

١٠- التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن للشيخ طاهر الجزائري،

اعتنى به عبدالفتاح أبو غدة نشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

١١- التعريفات للجرجاني المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية.

١٢- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م.

١٣- تفسير النسائي تحقيق سيد الجليمي وصبري الشافعي، ط١ عام ١٤١٠هـ، مكتبة السنة.

١٤- تفسير ابن عرفة برواية تلميذه الأُبي، تحقيق حسن المناعي نشر مركز البحوث بالكلية الزيتونية، ط١ عام ١٤٠٧هـ.

١٥- تفسير جزء عم، محمد عبده، طبعة بولاق.

١٦- تفسير ابن أبي حاتم.

١٧- تفسير مقاتل، مخطوط.

١٨- تفسير النسفي، نشر عيسى البابي الحلبي.

١٩- تفسير الثعالبي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٢٠- تفسير ابن العربي -أحكام القرآن- تحقيق علي محمد البجاوي، طبع عيسى البابي الحلبي عام ١٣٩٤هـ.

٢١- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي تحقيق محمد عبدالمنعم اليونسي وإبراهيم عطوة عوض، مطبعة حسان.

٢٢- التنبيه على فضل علوم القرآن لأبي القاسم النيسابوري، منشور في مجلة المورد العراقية، تحقيق محمد عبدالكريم كاظم، عدد٤ مجلد ١٧ عام ١٤٠٩هـ.

٢٣- تاريخ التشريع الإسلامي محمد الخضري بك، ط٦ عام ١٩٦٤م، مطبعة السعادة بمصر.

٢٤- تاريخ القرآن لأبي عبدالله الزنجاني تحقيق محمد عبدالرحيم، ط١ عام ١٤١٠هـ، دار الحكمة للطباعة والنشر دمشق.

٢٥- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.

٢٦- جامع البيان للطبري، تحقيق أحمد شاكر ومحمود شاكر وطبعة الحلبي، ط٣ مصر، ١٣٨٨هـ.

٢٧- جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي تحقيق د. علي البواب، ط١ عام ١٤٠٨هـ، مكتبة التراث مكة المكرمة.

٢٨- الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة عام ١٣٦٩هـ.

٢٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، طبعة دار الفكر، بيروت ط١ عام ١٤٠٣هـ.

٣٠- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي تحقيق د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق ط١ عام ١٤٠٦هـ.

٣١- الرحيق المختوم للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، دار المؤيد الرياض عام ١٤١٥هـ.

٣٢- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، ط١ عام ١٣٨٤هـ،

المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.

٣٣- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم توزيع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض.

٣٤- الزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي تحقيق محمد صفاء حقي، رسالة ماجستير كلية أصول الدين بالرياض قسم القرآن وعلومه.

٣٥- سنن سعيد بن منصور تحقيق سعد بن عبدالله آل حميد، ط١ عام ١٤١٤هـ، دار الصميعي بالرياض.

٣٦- سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، نشر دار إحياء السنة النبوية.

٣٧- سنن الترمذي ت إبراهيم عطوة عوض، ط٢ عام ١٣٩٥هـ، شركة ومطبعة مصطفى الحلبي مصر.

٣٨- سيرة ابن هشام تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط٣ عام ١٣٧٥هـ، شركة مصطفى البابي الحلبي مصر.

٣٩- السيرة النبوية للذهبي تحقيق حسام الدين القدسي، ط٢ عام ١٤٠٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٤٠- السيرة النبوية لابن كثير تحقيق مصطفى عبدالواحد دار المعرفة بيروت عام ١٤٠٢هـ.

٤١- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ت عبدالله التركي وشعيب الأرناؤوط، ط١ عام ١٤٠٨هـ، مؤسسة الرسالة بيروت.

٤٢- شرح صحيح مسلم للنووي، ط٢ عام ١٣٩٢هـ ، دار الفكر بيروت لبنان.

٤٣- صحيح البخاري طبعة المكتب الإسلامي إستانبول تركيا ١٩٧٩م.

٤٤- صحيح مسلم عناية محمد فؤاد عبدالباقي نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض عام ١٤٠٠هـ.

٤٥- الطبقات الكبرى لابن سعد دار صادر بيروت.

٤٦- علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير د. محمد صفاء حقي رسالة دكتوراه كلية أصول الدين بالرياض قسم القرآن وعلومه.

٤٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني المطبعة السلفية ومكتبتها.

٤٨- الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط١ عام ١٣٩٨هـ.

٤٩- فتاوى ابن الصلاح.

٥٠- فتح الرحمن بكشف ما يلبس في القرآن لزكريا الأنصاري تحقيق عبدالسميع حسنين ط١ عام ١٤٠٤هـ مكتبة الرياض الحديثة.

٥١- فضائل القرآن لابن كثير ت أبي إسحاق الحويني، ط١ عام ١٤٠٦هـ، طبعة دار الأندلس.

٥٢- فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة لابن الضريس تحقيق غزوة بدير، ط١ عام ١٤٠٨هـ ، دار الفكر دمشق.

٥٣- فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي تحقيق مروان عطية وآخرين، ط١ عام ١٤١٥هـ، دار ابن كثير دمشق بيروت، وطبعة

فضالة بالمغرب ت أحمد الخياطي عام ١٤١٥هـ.

٥٤- الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان.

٥٥- لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني طبع لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة عام ١٣٩٢هـ.

٥٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير أحمد الفيومي المطبعة الأميرية الكبرى دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨هـ.

٥٧- معجم ألفاظ القرآن الكريم وضع مجمع اللغة العربية مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٥٨- معجم الألفاظ والأعلام القرآنية محمد إسماعيل إبراهيم، ط٢ دار الفكر العربي.

٥٩- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبدالباقي دار الكتب المصرية ١٣٦٤هـ.

٦٠- معجم القراءات القرآنية مطبوعات جامعة الكويت، ط١ عام ١٤٠٥هـ.

٦١- المعجم الكبير للطبراني تحقيق حمدي السلفي، ط٢ عام ١٤٠٦هـ، دار التراث العربي بيروت.

٦٢- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني نشر مكتبة الأنجلو المصرية المطبعة الفنية الحديثة.

٦٣- المدخل لدراسة القرآن الكريم محمد أبو شهبة، ط٢.

٦٤- المنهاج في شعب الإيمان لأبي عبدالله الحليمي تحقيق حلمي محمد فوده دار الفكر، ط١ عام ١٤٠٣هـ.

٦٥- ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي تحقيق سعيد الفلاح دار المغرب الإسلامي، ط١ عام ١٤٠٣هـ.

٦٦- مناهل العرفان في علوم القرآن محمد عبدالعظيم الزرقاني دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي.

٦٧- مباحث في علوم القرآن مناع القطان، ط١٤ عام ١٤٠٣هـ، مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.

٦٨- مباحث في علوم القرآن د. صبحي الصالح، ط٨ عام ١٩٧٤م دار العلم للملايين بيروت.

٦٩- المستدرك على الصحيحين للحاكم نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض.

٧٠- المرشد الوجيز لأبي شامة المقدسي تحقيق طيار آلتي قولاج دار صادر، بيروت عام ١٣٩٥هـ.

٧١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، ط٣ عام ١٤٠٢هـ، دار الكتاب العربي بيروت.

٧٢- مسند الإمام أحمد ت أحمد شاكر، دار المعارف عام ١٣٧٤هـ.

٧٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية تحقيق المجلس العلمي بفاس، المغرب عام ١٣٩٩هـ، مطبعة فضالة المحمدية.

٧٤- مفاتيح الغيب - التفسير الكبير - للفخر الرازي ط١.

٧٥- النكت والعيون للماوردي تحقيق د. محمد الشايع. وكذا تحقيق السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، ط١، عام ١٤١٢هـ دار الكتب العلمية ومؤسسة الكتاب والثقافة بيروت.

٧٦- وضح البرهان في مشكلات القرآن لبيان الحق النيسابوري تحقيق صفوان عدنان داودي، ط١ عام ١٤١٠هـ، دار القلم دمشق الدار الشامية بيروت.

الفهرس

نُزُول القُرآن الكريم وَالعِناية بهِ في عَهدِ النّبي ﷺ

إعداد

د. عبد الودود بن مقبول حنيف
الأستاذ المساعد بكلّية الدّعوة
جامعة أمّ القرى - بمكّة المكرّمة



المقدمة

الحمد لله المنان، الذي أكرمنا بالقرآن، فأنزله على عبده المصطفى ولم يجعل له عِوجاً نزله فرقاناً وتبياناً لكل شيء فقد قال في محكم التنزيل ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان : ١) وقال : ﴿ ... وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤) ، والصلاة والسلام على من أرسله الله تعالى بالقرآن رحمةً للعالمين، فأخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان واليقين، فعَلَّم القرآن، وبَلَّغَ الرسالة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، صلوات الله عليه وعلى أصحابه الكرام الذين لازموه واستفادوا من مدرسته فاعتنوا به كعناية النبي صلى الله عليه وسلم به، وعلى آله ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد : فإن الله امتن على نبيه صلى الله عليه وسلم بأن أنزل عليه هذا الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وفيه نبأ ما كان قبلَكم، وخبر ما بعدكم، وحُكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبارٍ قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخْلَق على كثرة

الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سَمِعَته حتى قالوا: ﴿ ... إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ ... ﴾ (الجن: ١-٢)، من قال به صدق، ومن عمِل به أُجِر، ومن حكم به عدَل، ومن دعا إليه هدى إلى صراطٍ مستقيم[1] ومنذ نزوله اعتنى النبي صلى الله عليه وسلم به تلاوةً وتدبراً، تعليماً وتربيةً، سلوكاً ومنهاجاً.

ويسرني ويشرفني في هذا المقام أن أشارك في الندوة التي تقوم بعقدها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ممثلةً في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بعنوان: (**عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه**)، وقد تضمن العنوان بحوثاً كثيرة، وكان نصيبي من تلك البحوث هو نزول القرآن الكريم والعناية به في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ويتكون البحث من مقدمة وفصلين وخاتمة.

المقدمة وأذكر فيها خُطة البحث.

الفصل الأول عن نزول القرآن على المصطفى عليه الصلاة والسلام وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: نزول القرآن الكريم ويشتمل على:

---

(١) أخرجه الترمذي من طريق الحارث الأعور، وقال هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال، انظر الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن ٥ / ١٧٢، والحديث ضعيف .

١- نزوله جملةً من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا والحكمة منه.

٢- نزوله مفرقاً على النبي صلى الله عليه وسلم.

- المبحث الثاني: حِكَم نزول القرآن مفرقاً.
- المبحث الثالث: نزول القرآن على سبعة أحرف، ويشتمل على:

١- طرف من الروايات الواردة في نزول القرآن على سبعة أحرف.

٢- حكم نزول القرآن على سبعة أحرف.

٣- المراد بالأحرف السبعة.

الفصل الثاني عن العناية بالقرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: العناية بالقرآن الكريم حفظاً.
- المبحث الثاني: العناية بالقرآن الكريم كتابةً.
- المبحث الثالث: العناية بالقرآن الكريم تطبيقاً.

خاتمة، وفيها أهم التوصيات والنتائج التي توصلت إليها، وملحق بالبحث الفهارس العامة وهي على النحو الآتي:

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

وأسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يوفقنا جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه وأن يرزقنا الإخلاص في القول والفعل، وأن ينفع بهذا البحث الكاتب والقارئ، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بين يدي الموضوع

أنزل الله تبارك وتعالى القرآن على المصطفى عليه الصلاة والسلام لهداية البشرية إلى ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم فقال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٩)، وقال: ﴿ ... كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم: ١)، وبين لهم في إنزاله أن من اتبع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يَضِل ولا يشقى ﴿ ... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ (طه: ١٢٣)، وأن من أعرض عنهما فقد حصل له الشقاء في الدنيا والآخرة فقال: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ (طه: ١٢٤-١٢٦).

وأول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم آيات من سورة (اقرأ)، فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عَنْ عَائشَةَ أُمِّ الْمُؤْمنينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدئَ به رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ منَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إلا جَاءَ تْ مثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْه الْخَلاءُ وَكَانَ يَخْلُو بغَارِ حرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فيه -وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِه وَيَتَزَوَّدُ لذَلكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جاءه الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَه الْمَلَكُ

فَقَالَ: اقْرَأْ قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ قُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ (العلق: ١-٣) فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ[١].

ولو تأملنا النصوص القرآنية الواردة في نزول القرآن لوجدناها على قسمين، فقسم منها فيه إشعار وبيان بأن القرآن نزل جملةً، وقسم منها فيه إشعار وبيان بأن القرآن نزل مفرقاً على النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك جعلنا الحديث في الفصل الأول عن نزول القرآن على المصطفى عليه الصلاة والسلام وفيه ثلاثة مباحث:

---

(١) انظر البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ١.

المبحث الأول : نزول القرآن الكريم

ويشتمل على :

أولاً : نزوله جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا والحكمة منه :

فقد أنزل الله تبارك وتعالى القرآن جملةً واحدة في شهر رمضان المبارك فقال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ... ﴾ (البقرة : ١٨٥)، وقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ (القدر : ١)، وقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ (الدخان : ٣)، ولا تعارض بين هذه الآيات الثلاث لأن الليلة المباركة هي ليلة القدر، وليلة القدر في شهر رمضان المبارك، إنما يتعارض ظاهرها مع الآيات الأخرى التي تفيد بأن القرآن نزل مفرقاً مثل قوله تعالى : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ (الإسراء : ١٠٦)، ويتعارض كذلك مع الواقع العملي لنزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم [١] فمن ذلك :

١) ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال : أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، فكان الله إذا أراد أن يوحي منه شيئاً أوحاه أو أن يحدث منه في الأرض شيئاً أحدثه [٢].

---

(١) انظر مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٨٦ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير ٢ / ٢٢٢، وقال عقبه : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وانظر الروايات في الدر المنثور ١ / ٤٥٦، ٤٥٧ .

٢) وما رواه ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ (القدر: ١)، قال: أنزل القرآن جملةً واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا وكان بمواقع النجوم وكان الله ينزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه في إثر بعض، قال: وقالوا: ﴿ ... لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ [1].

٣) وما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أنزل القرآن جملةً واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة، ﴿ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴾ (الفرقان: ٣٣)، ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾ [2].

٤) وأخرجه ابن أبي حاتم [3] من هذا الوجه وفي آخره: فكان المشركون إذا أحدثوا شيئاً أحدث الله لهم جواباً [4].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير ٢ / ٢٢٢، وقال عقبه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والآية: ٣٢ من سورة الفرقان.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير ٢ / ٢٢٢، وقال عقبه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وانظر الإتقان ١ / ١١٧، والآية ١٠٦ من سورة الإسراء.

(٣) ترجمت في هذه الرسالة للأعلام غير المشهورين والمعروفين ترجمة مختصرة، وابن أبي حاتم هو عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي، أبو محمد حافظ للحديث، من كبار المحدثين، له كتب كثيرة منها كتاب في الجرح والتعديل، وكتاب في التفسير يقع في عدة مجلدات وزع على طلاب جامعة أم القرى لتحقيقه في مرحلتي الماجستير والدكتوراه. الأعلام للزركلي ٣ / ٣٢٤.

(٤) انظر الإتقان ١ / ١١٧.

٥) وما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: فُصِل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا، فجعل جبريل عليه السلام ينزله على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويرتله ترتيلاً [١].

٦) وما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثم فرق في السنين ثم تلا هذه الآية: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ (الواقعة: ٧٥)، قال: نزل متفرقاً [٢].

٧) وما رواه ابن عباس أنه قال: أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى السماء جملةً واحدة ثم أنزل نجوماً [٣].

٨) وما رواه ابن عباس في قوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ (القدر: ١) أنه قال: أنزل القرآن جملةً واحدة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا، ونزله جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم بجواب كلام العباد وأعمالهم [٤].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير ٢ / ٢٢٢، وقال عقبه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وانظر الإتقان ١ / ١١٧، وقال السيوطي في الإتقان: أسانيدها كلها صحيحة.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الواقعة ٤ / ٤٧٧ وقال عقبه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات ٧ / ١٤٠، وقال السيوطي: إسناده لا بأس به. الإتقان ١ / ١١٧.

(٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني والبزار باختصار، ورجال البزار رجال الصحيح وفي إسناد الطبراني عمرو بن عبد الغفار وهو ضعيف.

٩) وما روي عن ابن عباس أنه سأله عطية بن الأسود فقال: أوقع في قلبي الشك قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ . . . ﴾ (البقرة: ١٨٥)، وقوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ (القدر: ١). وهذا أنزل في شوال، وفي ذي القعدة، وفي ذي الحجة، وفي محرم، وفي صفر، وشهر ربيع فقال ابن عباس: إنه أنزل في رمضان في ليلة القدر جملةً واحدة ثم أنزل على مواقع النجوم رسلاً [١] في الشهور والأيام [٢].

وبنظرة عامة للآثار السابقة يتضح لنا أن للقرآن الكريم نزولين، وهذا يدل على أن القرآن نزل في رمضان وفي غيره، وعلى أن القرآن الكريم نزل جملةً واحدة ونزل مفرقاً، وأن المراد بنزوله في ليلة واحدة في شهر رمضان هو نزوله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، كما جاءت بذلك الآثار السابقة التي ذكرناها، وأن المراد بنزوله مفرقاً هو نزوله من بيت العزة من السماء الدنيا على المصطفى صلى الله عليه وسلم حسب الوقائع والحوادث وغير ذلك. وإليكم مذاهب العلماء في كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة ثم نزوله من بيت العِزة على المصطفى عليه الصلاة والسلام [٣]:

---

(١) رَسَلاً: أي فرقاً وعلى مواقع النجوم أي على مثل مساقطها، يريد أنه أنزل مفرقاً يتلو بعضُه بعضاً على تُؤَدة ورفق. انظر الإتقان ١ /١١٧، ١١٨، النهاية في غريب الحديث ٢ / ٢٢٢.

(٢) انظر الإتقان ١ /١١٧.

(٣) انظر التذكار في أفضل الأذكار ٢٤، ٢٥.

المذهب الأول:

مذهب جمهور العلماء وهو قول ابن عباس أن القرآن الكريم نزل جملةً واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك منجماً على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، على حسب الخلاف في مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد البعثة، وهذا هو المذهب الذي دلت عليه الأخبار الصحيحة وعليه جمهور العلماء، ورجحه ابن حجر حيث قال في شرح البخاري: وهو الصحيح المعتمد[1]، وهو القول الذي ينبغي أن نصير إليه جمعاً بين الأدلة الموجودة في هذا الباب، وقد ورد عن ابن عباس بطرق متعددة، وحكمه حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنه لا مجال للرأي فيه.

المذهب الثاني:

أنه نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر من عشرين سنة، وقيل: في ثلاث وعشرين ليلة قدر من ثلاث وعشرين سنة، وقيل: في خمس وعشرين ليلة قدر من خمس وعشرين سنة، في كل ليلة منها ما يقدر الله سبحانه إنزاله في كل السنة، ثم ينزل بعد ذلك منجماً في جميع السنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الإتقان ١/١١٧، ١١٨، البرهان في علوم القرآن ١/٢٢٨، وانظر كلام ابن حجر في فتح الباري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل ٩/٤ .

المذهب الثالث:

أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجماً في أوقات مختلفة من سائر الأوقات وبه قال الشعبي [1].

الحكمة من نزول القرآن جملة:

أولاً: تفخيم شأن القرآن وشأن من سينزل إليه، وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم قد قربناه إليها لننزله عليها، وهي الأمة الإسلامية، وفي هذا تنويه بشأن المنزل والمنزل عليه، والمنزل إليهم وهم بنو آدم، ففيه تعظيم شأنهم عند الملائكة وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم [2]، ثم إن وضعه في مكان يسمى بيت العزة يدل على إعزازه وتكريمه.

ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجماً بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله باين بينه وبينها فجعل له الأمرين.

---

(١) الإتقان ١/ ١١٧، ١١٨، البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٢٨، والشعبي هو عامر بن شراحيل الشعبي الحميري، أبو عمرو، راوية من التابعين، يضرب المثل بحفظه، من رجال الحديث الثقات، الأعلام ٣/ ٢٥١ .

(٢) انظر البرهان ١/ ٢٣٠، ٢٣١، الإتقان ١/ ١١٩ نقلاً عن أبي شامة في المرشد العزيز، البيان في مباحث من علوم القرآن ص ٥٢، ٥٣، مناهل العرفان ١/ ٤٦، ٤٧، المدخل لدراسة القرآن الكريم ٥٢، ٥٣ .

ثانياً: تفضيل القرآن الكريم على غيره من الكتب السماوية السابقة وذلك بإنزاله مرتين، مرة جملة ومرة مفرقاً بخلاف الكتب السماوية السابقة فقد كانت تنزل جملةً مرة واحدة، وبذلك شارك القرآن الكتب السماوية في الأولى وانفرد في الفضل عليها بالثانية، وهذا يعود بالتفضيل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء السابقين [١].

ثالثاً: نزوله مفرقاً على النبي صلى الله عليه وسلم: دل القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة أن القرآن الكريم كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم مفرقاً إلى أجزاء كل جزء منها يسمى نجماً، فقد صح أن الآيات العشر المتضمنة لقصة الإفك نزلت جملة، وأن عشر آيات من أول سورة المؤمنين نزلت جملة، وورد أيضاً أنه نزل قوله تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ (الضحى: ١-٢) إلى قوله: ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ (الضحى: ٥) ثم نزل باقي السورة بعد ذلك، وبالجملة فكون القرآن لم ينزل جملة وإنما نزل مفرقاً حسب الوقائع والحوادث مما لم ينازع فيه أحد.

وقد اختص القرآن الكريم من بين الكتب السماوية بأنه نزل مفرقاً كما دل على ذلك القرآن والسنة: ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾ (الإسراء: ١٠٦)،

---

(١) انظر المراجع السابقة.

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ (سورة الفرقان : ٣٢) وكما ذكر العلماء في نزول القرآن الكريم أن أول ما نزل ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ (اقرأ : ١)، أما الكتب السماوية السابقة فإنها نزلت جملةً واحدة كما هو المشهور بين العلماء وعلى ألسنتهم حتى كاد يكون إجماعاً لما ذكرناه ولما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير [١] عن ابن عباس قال : قالت اليهود : يا أبا القاسم لولا أنزل هذا القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى فنزلت وأخرجه من وجه آخر بلفظ (قال المشركون)، قال السيوطي [٢] : فإن قلت : ليس في القرآن التصريح بذلك، وإنما هو على تقدير ثبوت قول الكفار، قلت : سكوته تعالى عن الرد عليهم في ذلك وعدوله إلى بيان حكمته دليل على صحته، ولو كانت الكتب كلها نزلت مفرقة لكان يكفي في الرد عليهم أن يقول : إن ذلك سنة الله في الكتب التي أنزلها على الرسل السابقين.

---

(١) سعيد بن جبير الأسدي بالولاء الكوفي أبو عبد الله، تابعي، كان أعلم زمانه على الإطلاق، قتله الحجاج بواسط. الأعلام ٣/ ٩٣ .

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري السيوطي، جلال الدين، إمام حافظ مؤرخ أديب، له نحو ستمائة مصنف. الأعلام ٣ / ٣٠١ .

ثم ذكر بعض الآثار والأحاديث التي تفيد بأن التوراة نزلت جملة ومنها ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ثابت بن الحجاج [١] قال : جاءتهم التوراة جملة واحدة، فكبر عليهم، فأبوا أن يأخذوها حتى ظلل الله عليهم الجبل فأخذوها عند ذلك [٢].

إضافة إلى ما سبق فإنه لو لاحظنا وتأملنا في الآيات القرآنية لوجدنا أن التعبير كان بلفظ التنزيل والإنزال، وعلماء اللغة يفرقون بين الإنزال والتنزيل فالتنزيل لما نزل مفرقاً والإنزال أعم، ولذلك قال الراغب [٣] في قوله : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ (القدر : ١)، وإنما خُص لفظ الإنزال دون التنزيل لما روي أن القرآن نزل دفعةً واحدة إلى سماء الدنيا ثم نزل نجماً فنجماً [٤].

---

(١) ثابت بن الحجاج الكلابي الجزري الرقي، من أتباع التابعين، روى عن الصحابة. تهذيب التهذيب ٢ / ٤ .

(٢) انظر الإتقان للسيوطي ١ / ١٢٢، ١٢٣ .

(٣) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم، أديب من العلماء الحكماء، له كتب كثيرة منها المفردات في غريب القرآن. الأعلام ٢ / ٢٥٥ .

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصبهاني ٤٨٨، ٤٨٩ .

المبحث الثاني: حِكَم نزول القرآن مفرقاً

لنزول القرآن مفرقاً على النبي صلى الله عليه وسلم حِكَمٌ كثيرة تُعرف من الآيتين السابقتين وتُدرك بالعقل والاجتهاد أذكرها فيما يلي:

أولاً: تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم وتطييب قلبه وخاطره، وإمداده بأسباب القوة والمجابهة أمام حملات المشركين ودسائس المنافقين، فتجديد الوحي يوماً بعد يوم وحالاً بعد حال يمثل لوناً من ألوان الرعاية الإلهية التي تمده بأسباب الثبات والْمُضِيِّ فيما اختاره الله تعالى له [1]، وقد تولى الله الإجابة عن المشركين الذين قالوا: ﴿ ... لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ... ﴾ (الفرقان: ٣٢) ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾، أي أنزلناه كذلك مفرقاً ﴿ ... لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ... ﴾، وكان للنزول المفرق أبلغ الأثر في مواساته وإزاحة معاني الغربة والضعف عن نفسه، وقد ثبت الله فؤاد المصطفى عليه الصلاة والسلام في أشد المواقف وأحرجها، فانظر إلى قوله لأبي بكر فيما حكاه عنه الله تعالى: ﴿ ... لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ... ﴾ (التوبة: ٤٠)، وما ذلك إلا من قوة يقينه ووثوقه بنصر الله تعالى مع ما يحيط به من الأعداء.

وهذه الحكمة من أجل الْحِكَم وأعظمها. ويندرج تحت تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم أشياء كثيرة منها:

---

(١) انظر علوم القرآن، مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه ص ٧٤، ٧٥ .

● تسليته صلى الله عليه وسلم بكثرة نزول الوحي عليه حتى لا يجد اليأس إلى نفسه سبيلاً، ومما لا شك فيه أن كثرة نزول الوحي أقوى بالقلب وأشد عناية بالمرسل إليه، فيحصل للنبي صلى الله عليه وسلم الأُنْس والارتباط بالله تعالى. يقول الإمام أبو شامة [1]: «فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى بالقلب، وأشد عناية بالمرسل إليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقائه جبريل» [2].

● ومنها تسليته صلى الله عليه وسلم ببيان ما يثبت قلبه على الحق ويشحذ عزمه للمضي قدماً في طريق دعوته لا يبالي بظلمات الجهالة التي يواجهها من قومه، فما حصل للنبي محمد صلى الله عليه وسلم قد حصل للأنبياء السابقين ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ (الكهف: ٦)، ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ... ﴾ (الأنعام: ٣٣-٣٤)، وكلما اشتد أذى المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم نزلت

---

(١) أبو شامة هو العلامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي أبو القاسم شهاب الدين، فقيه شافعي له كتاب (المرشد الوجيز فيما يتعلق بالقرآن العزيز)، وكتب أخرى، توفي سنة ٦٦٥هـ. انظر الأعلام ٣/ ٢٩٩.

(٢) انظر البرهان ١/ ٢٣١، الإتقان ١/ ١٢١.

الآيات لطمأنة الرسول صلى الله عليه وسلم وتسليته، وتهديد المشركين والمكذبين بأن الله يعلم أحوالهم وسيجازيهم على ذلك أشد الجزاء ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (يس: ٧٦)، ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ...﴾ (يونس: ٦٥)، ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (المزمل: ١٠)، ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ...﴾ (الأحقاف: ٣٥)، ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النحل: ١٢٧)، ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (هود: ١١٥)، فكان لاتصال الوحي بالرسول صلى الله عليه وسلم وتتابع نزول الآيات عليه تسليةً له بعد تسلية تشد من أزره وتحمله على الصبر والمصابرة، وكان لذلك أبلغ الأثر في مواساته والتخفيف عنه، ولو أن القرآن نزل جملةً واحدة لكان لانقطاع الوحي بعد ذلك أثر كبير في استشعار الوحشة والغربة.

- ومنها تسليته صلى الله عليه وسلم بذكر قصص الأنبياء السابقين ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ...﴾ (هود: ١٢٠)، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ...﴾ (يوسف: ١١١)، ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ...﴾ (الأحقاف: ٣٥).

ثانياً: تثبيت قلوب المؤمنين وتسليحهم بعزيمة الصبر واليقين بسبب ما كان يقصه القرآن عليهم من قصص الأنبياء السابقين ومعاناتهم من أقوامهم وكيف أن الغلبة والنصر والأجر والتأييد

والتمكين كانت لهم ولعباد الله الصالحين في نهاية الأمر، وكانت الهزيمة لأعداء الله المخالفين، والآيات في هذا المعنى كثيرة، واستمع إلى قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة: ٢١٤).

وقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (النور: ٥٥).

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٢).

وقوله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ (العنكبوت: ٢).

ثالثاً: تيسير حفظه وفهمه على الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنه كان يتعجل الأخذ من الوحي، ولقد بلغ من حرص النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان لا ينتظر حتى يفرغ جبريل من قراءته بل كان يتعجل بالقراءة فأنزل الله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ (القيامة: ١٦-١٩)، فتكفل الله لنبيه الحفظ والفهم.

رابعاً: تيسير حفظه وفهمه وتدبر معانيه، ومعرفة أحكامه وحِكَمه على الأمة، وكما هو معلوم أن القرآن الكريم نزل على أمة أمية لا تعرف القراءة والكتابة ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الجمعة: ٢)، ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ... ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، وكانت ظروف المسلمين في مكة المكرمة صعبة حيث كانوا مضطهدين من كفار قريش مستضعفين لقلة عددهم ليس لديهم من قوة السلطان ما يحميهم من عدوهم ولا من فراغ الوقت وهدوء البال ما يمكنهم من الانقطاع لحفظ ذلك الكتاب، وعندما اضطروا للهجرة قام اليهود والمنافقون في المدينة بمناوأتهم، ولو نزل جملةً واحدة لوجدت هذه الأمة الأمية –مع ما ينتابها من ظروف صعبة– صعوبةً في حفظ القرآن الكريم فكان من رحمة الله عز وجل أن نزل القرآن مفرقاً لكي يسهل حفظه وفهمه، فكانت الآيات تنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وكان النبي يعلمها أصحابه فكلما نزلت الآية أو الآيات حفظها الصحابة، وتدبروا معانيها، ووقفوا عند أحكامها [١]، بل صار الصحابة والتابعون يعلمون من بعدهم بنفس الطريقة فصارت سنة متبعة فعن أبي العالية الرِّياحي [٢] أنه قال: (تعلموا القرآن خمس آيات

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم ٧١، مباحث في علوم القرآن ٩٥.

(٢) اسمه رُفَيْع بن مهران، من رواة الحديث، ثقة كثير الإرسال. التقريب ٢١٠.

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأخذه خمساً خمساً)[1].

وقال عبد الله بن مسعود: (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن)[2].

وفي بعض الروايات أن أبا عبد الرحمن السلمي[3] قال: (حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً)[4].

ثم إن أدوات الكتابة لم تكن ميسورة للكُتَّاب على ندرتهم، فلو أنزل القرآن جملة واحدة لعجزوا عن حفظه وكتابته، فاقتضت حكمة الله العليا أن ينزله إليهم مفرقاً ليسهل عليهم حفظه ويتهيأ لهم استظهاره[5].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب فضائل القرآن، في تعليم القرآن كم آية ١٠ / ٤٦١، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٢ / ٢١٩، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٩٥٩).

(٢) المصنف ٣ / ٣٨٠.

(٣) هو عبدالله بن حبيب بن رُبَيِّعَة الكوفي المقرئ، مشهور بكنيته، ولأبيه صحبة. التقريب ٢٩٩.

(٤) انظر المصنف للصنعاني ٣ / ٣٨٠، والمصنف لابن أبي شيبة، كتاب فضائل القرآن، في تعليم القرآن كم آية ١٠ / ٤٦٠، وقال الهيثمي في المجمع، باب السؤال عن الفقه، رواه أحمد وفيه عطاء بن السائب اختلط في آخر عمره. مجمع الزوائد ١ / ١٦٥ وأخرجه الصنعاني في المصنف بنحوه، كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣ / ٣٨٠.

(٥) مناهل العرفان ١ / ٥٦.

خامساً: ترتيل القرآن الكريم كما ينبغي بالصورة الصحيحة التي نزل عليها ﴿ ... وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ (المزمل: ٤) فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يتلقى القرآن من الوحي عن رب العزة والجلال، فنحن بقراءتنا وترتيلنا إن أحكمناه إنما نتبع ما علم الله نبيه من ترتيل محكم جاء به التنزيل وأُمِر به النبي صلى الله عليه وسلم، وما كان تعليم هذا الترتيل الْمُنَزَّل من عند الله تعالى ليتوافر إذا لم ينزل القرآن منجماً، فلو نزل جملة واحدة ما تمكن النبي عليه الصلاة والسلام من تعلم الترتيل، ولو علمه الله تعالى بغير تنجيمه ما كان في الإمكان أن يعلمه قومه وهم حملته إلى الأجيال من بعده [1].

سادساً: من حِكَم هذا التنجيم بصورة عامة رسم صورة المجتمع الآخَر أو الفئات الثانية من المشركين والمنافقين، وفضح أساليبهم ونواياهم ومفاجأتهم بحقيقة ما يقولون ويُبَيِّتُون ويمكرون ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة : ٦٤) [2]، وقد كان المنافقون يتظاهرون بالإسلام ويختلطون بالمسلمين ويقفون على أسرارهم وأحوالهم، فكانوا كلما عزموا أمراً نقضه الله تعالى، أو بيتوا كيداً أظهره الله، فأظهر فضائحهم وجعل مكنون أسرارهم معلوماً لرسوله

---

(١) انظر القرآن المعجزة الكبرى، محمد أبو زهرة ص ٢٣.

(٢) انظر علوم القرآن ٧٦.

ولمن آمن معه واقرأ إن شئت ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة : ٨-٩)، وقوله : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (المنافقون : ١)، وغير ذلك من الآيات التي كانت تنزل على النبي صلى الله عليه وسلم مفرقةً تنبيهاً له وتحذيراً له وللمؤمنين.

سابعاً : التحدي والإعجاز وهو ظاهر وواضح في كل مرحلة من مراحل نزوله مفرقاً، فقد تحداهم الله تعالى أن يأتوا بالقرآن فلم يستطيعوا، وتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فلم يستطيعوا، وتحداهم أن يأتوا بحديث مثله فلم يستطيعوا، وأتاح لجميع المشركين والمعارضين الدخول في معركة التحدي فلم يفلحوا.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴾ (الطور : ٣٣، ٣٤)، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (هود : ١٣)، ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة : ٢٣).

بل إن المشركين تمادَوا في غيهم وأسئلتهم للرسول صلى الله عليه وسلم فكانوا يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم أسئلة تعجيز وتحد ومبالغة مثل متى الساعة ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ... ﴾ فينزل الجواب من

الله تعالى: ﴿ ... قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ... ﴾ (الأعراف: ١٨٧)، ومثل ما المراد بالروح ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ... ﴾، فيقول القرآن: ﴿ ... قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ... ﴾ (الإسراء: ٨٥)، وحيث عجبوا من نزول القرآن منجماً بين الله لهم الحق في ذلك، فإن تحديهم به مفرقاً مع عجزهم عن الإتيان بمثله أدخل في الإعجاز، وأبلغ في الحجة من أن ينزل جملة ويقال لهم: جيئوا بمثله، رد الله عليهم بقوله: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (الفرقان: ٣٣)، ولهذا جاءت الآية عقب اعتراضهم ﴿ ... لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ... ﴾ (الفرقان: ٣٢)، أي لا يأتونك بصفة عجيبة يطلبونها كنزول القرآن جملة إلا أعطيناك من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا وبما هو أبين معنى في إعجازهم وذلك بنزوله مفرقاً [١].

ثامناً: التدرج في التشريع ويدخل تحت هذا أمور منها:

التدرج في انتزاع العادات الضارة، وذلك بالتخلي عنها شيئاً فشيئاً والتدرج في نقل الناس من حياة الفوضى والتفلت إلى حياة النظام والتقييد بالمعايير الإسلامية الصحيحة، فقد بُعث النبي صلى الله عليه وسلم إليهم وهم يعبدون الأصنام، ويشركون بالله ومع الله، ويسفكون الدماء ويشربون الخمر ويزنون، ويقتلون الأولاد خشية الفقر، ويتعاملون بالربا الفاحش، ويلعبون الميسر، ويستقسمون بالأزلام، وينكحون

---

(١) انظر مباحث في علوم القرآن ٩٤ .

نساء الآباء ويجمعون بين الأختين ويكرهون الفتيات على البغاء، وذكر العلماء في كتب التاريخ أن الحروب كانت تقع بين القبائل العربية لأوهى الأسباب ومجرد حب الانتقام، حتى أدى هذا إلى قطع حبال المودة بينهم وجعلهم شيعاً متباغضة يتربص كل فريق منهم بغيره الدوائر، واعتادوا كثيراً من هذه الأخلاق المنحطة وتغلغلت فيهم حتى صارت جزءاً لا يتجزأ منهم. ومن المعلوم أنه يصعب على المرء والمجتمع ترك هذه الأمور مرة واحدة لأن للعقائد حتى ولو كانت باطلة وللعادات ولو كانت مستهجنة سلطاناً على النفوس، والناس أَسْرى ما أَلفوا ونشأوا عليه، فلو أن القرآن نزل جملة واحدة وطالبهم بالتخلي عما هم منغمسون فيه من كفر وجهل وشرك مرة واحدة لما استجاب إليه أحد، ولكن القرآن نجح معهم في هدم العادات الباطلة وانتزاعها بالتدريج بسبب نزول القرآن عليهم شيئاً فشيئاً [١].

وأبلغ دليل على ذلك هو انتزاع الخمر من ذلك المجتمع الذي كان يشربه كالماء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حرمت الخمر ثلاث مرات، قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر ويلعبون الميسر، فسألوا رسول الله عنهما فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ... ﴾ (البقرة: ٢١٩)، فقال الناس: ما حرم علينا إنما قال فيهما إثم كبير، وكانوا يشربون الخمر حتى إذا كان

(١) انظر مناهل العرفان ١/٥٦، المدخل لدراسة القرآن الكريم ٧٢.

يوم من الأيام صلى رجل من المهاجرين أمَّ أصحابه في المغرب خَلَط في قراءته فأنزل الله فيها آية أغلظ منها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ... ﴾ (النساء: ٤٣)، وكان الناس يشربون حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو مفيق، ثم أنزلت آية أغلظ من ذلك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (المائدة: ٩٠، ٩١)، فقالوا: انتهينا يا رب، فقال الناس: يا رسول الله ناس قتلوا في سبيل الله أو ماتوا على فرشهم كانوا يشربون الخمر ويلعبون الميسر وقد جعله الله رجساً ومن عمل الشيطان فأنزل الله ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ (المائدة: ٩٣) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو حرمت عليهم لتركوها كما تركتم[1].

ومن هذا الحديث نستنبط أن الخمر حرمت على مراحل فتاب الناس

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، انظر الفتح الرباني، كتاب التفسير، باب قول الله عز وجل: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ... ﴾ (١٨ / ٨٥، ٨٦) وإسناده ضعيف، وله شواهد تقويه منها حديث عمر بن الخطاب: (اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً) فنزلت الآيات الثلاث بالتدريج، حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٨ / ٨٦ ، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأشربة، باب في تحريم الخمر٣ / ٣٢٥، وأخرجه الترمذي في سننه كتاب التفسير، باب ومن سورة المائدة ٥ / ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥ وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ٢ / ٢٧٨ .

والصحابة منها وأريقت حتى جرت في سكك المدينة، ولو حرمت دفعة واحدة لاستمروا عليها، ولذلك تقول عائشة رضي الله عنها: (إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل[1] فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء "لا تشربوا الخمر" لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: "لا تزنوا" قالوا: "لا ندع الزنى أبداً" [2].

والتدرج في تربية هذه الأمة الناشئة علماً وعملاً، فبدأت الآيات تنزل على النبي صلى الله عليه وسلم سالكة التدرج في تربية الأمة، فأول ما نزلت الآيات المتعلقة بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره والتوحيد وما يتعلق بذلك من أمور العقيدة، بدأت الآيات أولاً بفطامهم عن الشرك والإباحية وإحياء قلوبهم بعقائد التوحيد والجزاء، فإذا اطمأنت قلوبهم بالإيمان وأشربوا حبه انتقل بهم بعد ذلك إلى العبادات فبدأهم بالصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج ثم الأمور الأخرى، ولذلك كان مدار الآيات في القسم المكي على إثبات العقائد والفضائل التي لا تختلف باختلاف الشرائع، بخلاف القسم المدني فكان مدار التشريعات فيه على الأحكام العملية وتفصيل ما أجمل قبل ذلك [3].

---

(١) سور القرآن على أربعة أقسام وأنواع فمنها السبع الطوال أولها البقرة، ومنها المئون، والمثاني، والمفصل: ما وَلِيَ المثاني من قصار السور، وسمي بذلك لكثرة الفصول التي بين السور بالبسملة. انظر الإتقان ١ / ١٧٩، ١٨٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن ص ١٠٨٧ (٤٩٩٣).

(٣) المدخل لدراسة القرآن ٧٤.

لذا أنزل القرآن مفرقاً فحصلت النتيجة المطلوبة وهي التغير في العادات من حسن إلى أحسن ومن شر إلى خير ومن تفرق في الكلمة إلى اتحاد واعتصام بحبل الله المتين فكانت خير الأمم.

تاسعاً: بيان بلاغة القرآن الكريم فقد نزل مفرقاً في ثلاثة وعشرين عاماً، وكلما نزلت آية أو آيات قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: (ضعوا هذه الآيات في موضع كذا من سورة كذا) [1] ومع ذلك فهو مترابط في الألفاظ والمعاني، حسن التنسيق، محكم النسج، دقيق السبك، متناسق الآيات والسور، متين الأسلوب، قوي الاتصال، لا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك، كأنه عِقْدٌ فريد نظمت حباته بما لم يعهد له مثيل في كلام البشر ﴿... كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: ١).

وكل ذلك فيه دلالة على أن القرآن مُنَزَّلٌ من الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وأنه كلام الله تعالى ولا يمكن أن يكون كلام محمد صلى الله عليه وسلم ولا كلام مخلوق سواه، وصدق الله إذ يقول: ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ...﴾ (الفرقان: ٦).

---

(١) سيأتي تخريجه في المبحث الثاني (العناية بالقرآن كتابة).

عاشراً: مسايرة الحوادث والطوارئ في تجددها وتفرقها فكانت تحدث حوادث لم يكن لها حكم معروف في الشريعة الإسلامية فيحتاج المسلمون إلى معرفة ذلك فتنزل الآية من الله تبارك وتعالى لحكم تلك الحوادث، ومن ذلك حادثة خولة بنت ثعلبة [1] حينما جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشتكي زوجها، وتصف لنا ذلك عائشة رضي الله عنها ذلك فتقول: تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ إِنِّي لأَسْمَعُ كَلامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ تَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكَلَ شَبَابِي وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي حَتَّى إِذَا كَبِرَتْ سِنِّي وَانْقَطَعَ وَلَدِي ظَاهَرَ مِنِّي اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ، فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى نَزَلَ جِبْرَائِيلُ بِهَؤُلاءِ الآيَاتِ ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ... ﴾ (المجادلة: ١) [2]، وكذلك حادثة الإفك فعندما حصل ما حصل من المنافقين والمشركين واتهموا السيدة عائشة رضي الله عنها أنزل الله تعالى براءتها من فوق سبع سموات وأدان الذين رموها بدون شهود ولا بينة فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ

---

(١) خولة بنت ثعلبة الأنصارية الخزرجية، صحابية، وهي التي ظاهر منها زوجها أوس ابن الصامت، فنزلت فيها سورة قد سمع. الإصابة ٤ / ٢٨٩، أسد الغابة ٥ / ٤٤٢ .

(٢) انظر ابن ماجه، كتاب الطلاق، باب الظهار ١ / ١٦٦ (٢٠٦٣)، والنسائي في كتاب الطلاق، باب الظهار ٦ / ١٨٦ (٣٤٦٠)، والحديث صحيح .

سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [(١)].

والقرآن مليء بتلك القصص والمواقف المشابهة، ومما هو طبيعي ومعروف أن هذه الحوادث لم تكن لتقع في وقت واحد فنزل القرآن في هذه الحوادث مفرقاً لذلك.

الحادي عشر: تنبيه المسلمين من وقت لآخر على أخطائهم التي وقعوا فيها وطرق تصحيحها، وتحذيرهم من عواقب المخالفة وبيان الامتنان عليهم بالنصر مع القلة، ولنقرأ ما قصه الله تعالى في سورة آل عمران بشأن غزوة بدر وأحد من الامتنان والتنبيه والتحذير، ففي غزوة أحد خالف الرُّماة نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم متأولين فكانت النتيجة أن أُتِيَ المسلمون من جهتهم وأن شاعت الهزيمة بينهم، وشُجَّ وجه النبي صلى الله عليه وسلم وكسرت رَبَاعيته فأنزل الله تعالى الآيات محذراً المخالفين ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥٢)[(٢)].

---

(١) الآيات من سورة النور (١١-٢٠)، وانظر الحديث في البخاري، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً ص ٥٣٠ (٢٦٦١)، وانظر مسلم في كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (٢٧٧).

(٢) وانظر القصة في البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد ص ٨٣٢ (٤٠٤٣).

وكذلك في غزوة حنين والأحزاب وغير ذلك كثير، ففي يوم حنين أعجب المسلمون بكثرتهم فكانت الهزيمة فقال تعالى لهم: ﴿ ... وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ (التوبة: ٢٥-٢٦)، وتعلم المسلمون من ذلك أن النصر ليس بالعدد والعدَّة فحسب، وإنما هو من عند الله ﴿ ... وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (آل عمران: ١٢٦)[١].

الثاني عشر: توثيق وقائع السيرة النبوية المباركة والتاريخ وذلك عن طريق معرفة الحادثة ووقتها وأين كانت ومتى، فنستطيع أن نرتب السيرة النبوية من خلال الحوادث وضمها إلى قصص الأنبياء وسير المرسلين وحياة الأمم السابقين[٢].

الثالث عشر: أن في القرآن الكريم ناسخاً ومنسوخاً ولا يمكن أن يكون ذلك إذا نزل القرآن جملةً على المصطفى عليه الصلاة والسلام إذ لا يُتصور النسخ إلا مع التفريق ولا يمكن أن يحدث ذلك إلا على تباعد الزمن فإن حكمة التربية الانتقالية قد تقتضي تشريعاً تجيء به آية إلى أجل مسمى ثم تجيء آية أخرى بتشريع آخر، ولا يكون هذا إلا مع تنجيم النزول[٣].

---

(١) وانظر منهج الفرقان ٢٦، ٢٧.

(٢) الواضح في أصول القرآن ٥٢.

(٣) القرآن الكريم إبراهيم أبو الخشب ٤٤.

المبحث الثالث: نزول القرآن على سبعة أحرف

ويشتمل على:

أولاً: طرف من الروايات الواردة في نزول القرآن على سبعة أحرف:

١) عن ابن عباس قال: قَال النبي صلى الله عليه وسلم: أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ [١]، قال ابن شهاب [٢] وهو راوي الحديث بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام.

٢) وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَقُولُ سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ [٣] يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ فَقُلْتُ مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ص ١٠٨٧، ٤٩٩١، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، انظر مسلم بشرح النووي ٦ / ١٠١.

(٢) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، أبو بكر أول من دون الحديث، وأحد أكابرة الحفاظ والفقهاء، تابعي من أهل المدينة توفي سنة ١٢٤هـ. الأعلام ٧ / ٩٧، تهذيب التهذيب ٩ / ٤٤٥، تذكرة الحفاظ ١ / ١٠٢.

(٣) هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد الأسدي، صحابي ابن صحابي، أسلم يوم فتح مكة. الأعلام ٨ / ٨٥.

رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقُلْتُ كَذَبْتَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ. فَانْطَلَقْتُ بِه أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ أَرْسِلْهُ اقْرَأْ يَا هِشَامُ فَقَرَأَ عَلَيْه الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ ثُمَّ قَالَ اقْرَأْ يَا عُمَرُ فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ [١].

٣) وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْه ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سوى قراءة صَاحِبِه فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلاةَ دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْه وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأ سوى قراءة صَاحِبِه فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَرَآ فَحَسَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ شَأْنَهُمَا فَسَقَطَ فِي نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ وَلا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ مَا قَدْ غَشِيَنِي ضَرَبَ فِي صَدْرِي فَفِضْتُ عَرَقًا وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ فَرَقًا فَقَالَ لِي يَا أُبَيُّ أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنِ اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَرَدَدْتُ إِلَيْه أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ فَرَدَدْتُ إِلَيْه أَنْ هَوِّنْ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ١٠٨٧، ٤٩٩٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، انظر مسلم بشرح النووي ٦ / ٩٩ .

عَلَى أُمَّتِي فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا فَقُلْتُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِي وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّى إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١].

٤) وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ قَالَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَقَالَ أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ فَقَالَ أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلاثَةِ أَحْرُفٍ فَقَالَ أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ جاءه الرَّابِعَةَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَأُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا [٢].

٥) وعن أبي بن كعب قَالَ لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيلَ فَقَالَ يَا جِبْرِيلُ إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ مِنْهُمُ الْعَجُوزُ وَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْغُلامُ وَالْجَارِيَةُ وَالرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا قَطُّ، قَالَ:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، انظر مسلم بشرح النووي ٦ / ١٠٣ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، انظر مسلم بشرح النووي ٦ / ١٠٣ .

يَا مُحَمَّدُ إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ[1].

٦) وعن النَّزَّالِ بْنِ سَبْرَةَ[2] قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَاللَّهِ يَقُولُ سَمِعْتُ رَجُلا قَرَأَ آيَةً سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِلافَهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَأَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ كِلاكُمَا مُحْسِنٌ، قَالَ شُعْبَةُ[3] أَظُنُّهُ قَالَ لا تَخْتَلِفُوا فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا[4].

ثانياً: حِكَم نزول القرآن على سبعة أحرف:

وأذكر أهمها فيما يلي:

١) التخفيف على الأمة الإسلامية وإرادة اليسر بها والتهوين عليها شرفاً لها وتوسعةً ورحمةً وخصوصيةً لفضلها، ولاسيما الأمة الإسلامية التي شوفهت بالقرآن فإنها كانت قبائل كثيرة، وكان بينها اختلاف في اللهجات ونبرات الصوت.

٢) الإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق وحبيب الحق حيث أتاه جبريل فقال له: (إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب القراءات، باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف ٥ / ١٩٣، وقال عقبه: هذا حديث حسن صحيح، وقد ذكر الترمذي هذا الحديث بعد أن ذكر قصة عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم، والحديث حسن .

(٢) النزال بن سَبْرَة الهلالي الكوفي، من الثقات قيل إن له صحبة. تقريب التهذيب ٥٦٠.

(٣) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي، مولاهم أبو بسطام، من أئمة رجال الحديث حفظاً ورواية وتثبتاً، وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين. الأعلام ٣ / ١٦٤ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي ص ٤٧٦، ٢٤١٠، وانظر (٣٤٧٦، ٥٠٦٢) .

صلى الله عليه وسلم أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف وكما ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه"، وكما قال عليه السلام لجبْريل: "إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ مِنْهُمُ الْعَجُوزُ وَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْغُلامُ وَالْجَارِيَةُ وَالرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا قَطُّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ" (١)، وذلك أن الأنبياء السابقين عليهم السلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين بهم، والنبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى جميع الخلق أحمرها وأسودها عربيها وعجميها، وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها أو من حرف إلى آخر، فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع (٢) لظروف الأمية واللغات واللهجات، وهذه التوسعة كانت في الألفاظ دون المعاني وفي حدود ما نزل به جبريل وما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم وذلك بدليل أن كلا من المختلفين كان يقول أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعقب على قراءة كل من المختلفين بقوله: "هكذا أنزلت"، ولا يتوهمن

(١) أخرجه الترمذي في كتاب القراءات، باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف ٥/ ١٩٥ (٢٩٤٤)، وقال عقبه: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) النشر في القراءات العشر ١/ ٢٢.

متوهم أن ذلك كان باتباع الهوى والتشهي فذلك ما لا يقوله عاقل لأن القراءة سنة متبعة [١].

٣) جمع الأمة الإسلامية الجديدة على لسان واحد يوحد بينها وهو لسان قريش الذي نزل به القرآن الكريم، والذي انتظم كثيراً من مختارات ألسنة القبائل العربية التي كانت تختلف إلى مكة في موسم الحج وأسواق العرب المشهورة، فكان القرشيون يستملحون ما شاءوا، ويصطفون ما راقهم من ألفاظ الوفود العربية القادمة إليهم من كل صوب وحدب ثم يصقلونه ويهذبونه ويدخلونه في دائرة لغتهم المرنة التي أذعن العرب لها بالزعامة، وعقدوا لها راية الإمامة [٢].

٤) تيسير القراءة والحفظ على قوم أميين لأن حفظ كلمة ذات وجوه في الأداء أيسر من حفظ جمل من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات.

٥) إعجاز القرآن الكريم للفطرة اللغوية عند العرب وفي المعاني والأحكام [٣].

٦) فيه آية بالغة وبرهان قاطع على صدق الرسول صلى الله عليه

---

(١) انظر: منهج الفرقان لمحمد علي سلامة ٥٨، ٥٩، والمدخل لدراسة القرآن الكريم ١٧١، ١٧٢، ومناهل العرفان ١٥١، ٢٥٢.

(٢) انظر: مناهل العرفان ١/١٤٦، ١٤٧.

(٣) انظر: مباحث في علوم القرآن مناع القطان ١٤٥، ١٤٦.

وسلم وعظمة الآية القرآنية؛ إذ إنه برغم تنوع الأداء لم يتطرق إليه تناقض ولا تخالف، بل يصدق بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد.

٧) في تعدد الحروف دلالة على عظمة هذه الأمة وشرفها التي تلقت القرآن بحروفه المختلفة ووعته هذا الوعي، وقامت بما ينبغي له من ضبط وإحكام ودقة في الأداء مما يجعل أعلام هذه الأمة محلاً لفضل الله ومثوبته وتكريمه [١].

ثالثاً: الأحرف السبعة ويشتمل على:

١- معنى الحرف.

٢- المراد بالأحرف السبعة.

١) معنى الحرف:

الحرفُ من كل شيء طرفه، وشفيره، وحَدُّه، ومن الجبل أعلاه المحدد، وواحد حروف التهجي، والناقة الضامرة أو المهزولة أو العظيمة، ومسيل الماء، وآرام سود ببلاد سليم. وعند النحاة ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل [٢]، والحرف الأداة التي تسمى الرابطة؛ لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل كعن وعلى ونحوهما.

---

(١) في علوم القراءات، السيد رزق الطويل ص ١٤٦، ١٤٧.

(٢) القاموس المحيط ٣/ ١٣٠، ١٣١.

قال الأزهري [1]: كل كلمة بُنيت أداةً عارية في الكلام لتفرقة المعاني اسمها حرف وإِن كان بناؤها بحرفين أو فوق ذلك مثل حتى وهل وبل ولعل، وكل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن تسمى حرفاً، تقول: هذا في حرف ابن مسعود أي في قراءة ابن مسعود.

وقال ابن سيده [2]: والحرف القراءة التي تقرأ على أوجه وما جاء في الحديث من قوله عليه السلام: نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف أراد بالحرف اللغة.

قال أبو عبيد [3] وأبو العباس [4]: نزل على سبع لغات من لغات العرب قال: وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه هذا

---

(١) تهذيب اللغة ٥ / ١٢، وهو محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور، أحد الأئمة في اللغة والأدب، عني بالفقه فاشتهر به أولاً، ثم غلب عليه التبحر في العربية، له تصانيف منها، تهذيب اللغة وغريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء، توفي سنة ٣٧٠هـ. الأعلام ٥ / ٣١١، الوفيات ١ / ٥٠١ .

(٢) علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده أبو الحسن، إمام في اللغة وآدابها، كان ضريراً، صنف المخصص وغيره، توفي سنة ٤٥٨هـ. الأعلام ٤ / ٢٦٣ .

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي بالولاء الخراساني البغدادي، من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه، له كتب ومصنفات كثيرة منها، الغريب المصنف في غريب الحديث. الأعلام ٥ / ١٧٦، تهذيب التهذيب ٧ / ٣١٥ .

(٤) أبو العباس أحمد بن علي بن يوسف، أبو العباس البوني، صاحب المصنفات في علم الحروف، له كتب منها شمس المعارف الكبرى في علم الحروف والخواص، توفي سنة ٦٢٢هـ. الأعلام ١ / ١٧٤ .

لم يسمع به، قال: ولكن يقول هذه اللغات متفرقة في القرآن فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة أهل اليمن، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة هذيل، وكذلك سائر اللغات ومعانيها في هذا كله واحد [1].

قال الحافظ أبو عمرو الداني [2]: معنى الأحرف التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم هاهنا يتوجه إلى وجهين:

الوجه الأول: أن يعني أن القرآن أنزل على سبعة أوجه من اللغات لأن الأحرف جمع حرف في القليل كفلس وأفلس، والحرف قد يراد به الوجه بدليل قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٍۖ ... ﴾ (الحج: ١١)، فالمراد بالحرف هنا الوجه أي على النعمة والخير وإجابة السؤال والعافية فإذا استقامت له هذه الأحوال اطمأن وعَبَدَ الله وإذا تغيرت عليه وامتحنه بالشدة والضر ترك العبادة وكفر، فهذا عَبَد الله على وجه واحد؛ فلهذا سمى النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأوجه المختلفة من القراءات والمتغايرة من اللغات أحرفاً على معنى أن كل شيء منها وجه.

والوجه الثاني: من معناها أن يكون سمى القراءات أحرفاً على طريق السعة كعادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه وما

(١) لسان العرب ٩/ ٤١، القاموس المحيط ٣/ ١٣٠، ١٣١ .

(٢) عثمان بن سعيد بن عثمان أبو عمرو الداني، ويقال له ابن الصيرفي، أحد حفاظ الحديث، ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره. له مصنفات كثيرة، منها التيسير في القراءات السبع. الأعلام ٤/ ٢٠٦ .

قاربه وجاوره وكان كسبب منه وتعلق به ضرباً من التعلق، كتسميتهم الجملة باسم البعض منها، فلذلك سمى صلى الله عليه وسلم القراءة حرفاً وإن كان كلاماً كثيراً من أجل أن منها حرفاً قد غُير نظمه أو كُسر أو قُلب إلى غيره أو أُميل أو زِيد أو نُقص منه على ما جاء في المختلف فيه من القراءة، فسمى القراءة إذ كان ذلك الحرف فيها حرفاً على عادة العرب في ذلك واعتماداً على استعمالها.

قال الإمام ابن الجزري [1]: وكلا الوجهين محتمل إلا أن الأول محتمل احتمالاً قوياً في قوله صلى الله عليه وسلم: "سبعة أحرف" أي سبعة أوجه وأنحاء، والثاني محتمل احتمالاً قوياً في قول عمر رضي الله عنه في الحديث سمعت هشاماً يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة وكذا قوله في الرواية الأخرى سمعته يقرأ فيها أحرفاً لم يكن نبي الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها فالأول غير الثاني كما سيأتي بيانه [2].

٢) المراد بالأحرف السبعة:

اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في تفسير هذه الأحرف اختلافاً

(١) محمد بن محمد بن علي بن يوسف أبو الخير شمس الدين العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي الشهير بابن الجزري، شيخ الإقراء في زمانه، من حفاظ الحديث، له مؤلفات كثيرة منها النشر في القراءات العشر، وغاية النهاية في طبقات القراء وغير ذلك توفي سنة ٨٣٣هـ. الأعلام ٧/ ٤٥ .

(٢) انظر النشر في القراءات العشر ١/ ٢٣، ٢٤ .

كبيراً حتى قال ابن حبان[1]: اختلف أهل العلم في معنى الأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً وأوصلها السيوطي في الإتقان إلى أربعين قولاً. وأكثر هذه الآراء متداخل وهي من المباحث الشائكة التي زلت فيها أقدام بعض العلماء، واستعصى الفهم فيه على بعض العلماء ولاذ البعض بالفرار منه، وكثر فيه القيل والقال، والحديث عنه ضروري لصلته الكبرى بنزول القرآن فاختصرته وذكرت القول الراجح عند جمهور العلماء وأتبعته بأقوال العلماء في هذا الباب[2]:

أنها وجوه التغاير السبعة التي يقع فيها الاختلاف وهو الذي قال به الإمام أبو الفضل الرازي[3] في اللوائح، كما يقرب منه مذهب الإمام ابن الجزري وبه قال ابن قتيبة والقاضي أبو الطيب، وأيده من المتأخرين

---

(١) هو أبو حاتم محمد بن حبان البستي، صاحب الصحيح، توفي ٣٥٤ هـ، انظر شذرات الذهب ٣ / ١٦ .

(٢) للتوسع في هذا المبحث يرجع إلى الكتب الآتية: البرهان في علوم القرآن ١ / ٢١١، ٢١٣، جامع البيان في تفسير القرآن، المقدمة، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١ / ٤١، ٤٩ ، التذكار في أفضل الأذكار ص٣٠، فضائل القرآن لابن كثير ٦٧-٧٢، النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١ / ٢١، ٥١ ، الإتقان ١ / ١٣١-١٤٢، مناهل العرفان ١ /١٣٧-١٩٢، منهج الفرقان في علوم القرآن ٥٣-٧٩ .

(٣) هو أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بُنْدار العجلي الرازي المقرئ، ثقة ورع متدين عارف بالقراءات، عالم بالأدب والنحو ، له كتب منها فضائل القرآن وتلاوته. التقييد ٢ / ٨٤، السير ١٨ / ١٣٧ .

الشيخ محمد بخيت المطيعي [1] والشيخ محمد عبد العظيم الزُّرْقَاني [2]، وهذه الوجوه هي:

الأول: اختلاف الأسماء بالإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴾ (المعارج: ٣٢) فقُرئ هكذا لأماناتهم جمعاً، وقُرئ لأمانتهم بالإفراد.

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر نحو قوله تعالى: ﴿ ... يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ ... ﴾ (الأعراف: ١٣٨) بكسر الكاف وضمها في الفعل، فقد وافقت كلتا القراءتين رسم المصحف العثماني أيضاً لأن هيكل الفعل واحد في الخط لا يتغير في كلتا القراءتين ومثل قوله تعالى: ﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا ... ﴾ (سبأ: ١٩)، قُرئ ﴿ ... رَبَّنَا بَٰعِدۡ ... ﴾ بنصب لفظ ربنا على أنه منادى مضاف وباعِد بصيغة الأمر، وقُرئ ﴿ ... ربُّنا بَاعَد ... ﴾ برفع ربُّنا وفتح باعَد على أنه فعل ماض، وقرئ ﴿ ... ربَنا بعّدْ ... ﴾ بنصب باء ربنا وبحذف الألف بعد باء باعد مع تشديد العين مكسورة وإسكان الدال، فعل أمر، وكلها صحيحة.

---

(١) محمد بخيت المطيعي الحنفي، مفتي الديار المصرية، ومن كبار فقهائها، له مصنفات منها، الكلمات الحسان في الأحرف السبعة وجمع القرآن، توفي ١٣٥٤هـ. الأعلام ٦ / ٥٠، مرآة العصر ٢ / ٤٦٧.

(٢) محمد بن عبد العظيم الزُّرقاني، من علماء الأزهر بمصر، من كتبه مناهل العرفان في علوم القرآن، توفي في القاهرة ١٣٦٧هـ. الأعلام ٦ / ٢١٠.

الثالث: اختلاف وجوه الإعراب كقراءة ﴿ ... وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ... ﴾ (البقرة: ٢٨٢) بفتح الراء وضمها فإن الرسم يحتملها كالوجه السابق، ومثل قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ... ﴾ (البقرة: ٣٧) قُرئ برفع آدم ونصب كلمات، كما قرئ بنصب آدم ورفع كلمات وكلاهما قراءة صحيحة، ومثل قوله سبحانه: ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾ (البروج: ١٥) فقد قرئ برفع لفظ المجيد وجَرِّه، فالرفع على أنه نعت لكلمة ذو، والجر على أنه نعت لكلمة العرش فلا فرق في هذا الوجه بين أن يكون اختلاف وجوه الإعراب في اسم أو فعل.

الرابع: الاختلاف بالنقص والزيادة كقوله تعالى: ﴿ ... وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ... ﴾ (التوبة: ١٠٠) فقرأ الجمهور بحذف لفظ من الجارَّة، وقرأ ابن كثير[1] بزيادة لفظ من، وكقوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ... ﴾ (آل عمران: ١٣٣) قرأ الجمهور بالواو، وقرأ نافع[2] وابن عامر[3] وأبو جعفر[4] من غير واو، والقراءتان

---

(١) عبد الله بن كثير الداري المكي، أبو سعيد أحد القراء السبعة، توفي ١٢٠هـ. معرفة القراء الكبار ١ / ٧٢، الأعلام ٤ / ١١٥.

(٢) نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء، المدني، أحد القراء السبعة. توفي سنة ١٦٩هـ. انظر: الأعلام ٨ / ٥ .

(٣) عبد الله بن عامر اليحصبي أبو عمران، تابعي وهو قاضي دمشق في أيام الوليد ابن عبد الملك أحد القراء السبعة، إمام ثقة متقن عالم في حفظه، توفي سنة ١١٨هـ. الأعلام ٤ / ٩٥، النشر ١ / ١٤٤ .

(٤) يزيد بن القعقاع المخزومي المدني القارئ، من التابعين، أحد القراء العشرة، صالح متعبد توفي سنة ١٣٠هـ. الأعلام ٨ / ١٨٦، النشر ١ / ١٧٨ .

صحيحتان، وكقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾ (الليل: ٣) قُرِئ بهذا اللفظ، وقُرِئ أيضاً (والذكر والأنثى) بنقص كلمة (ما خلق).

الخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير، إما في الحرف كقوله تعالى: ﴿ ... أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ... ﴾ (الرعد: ٣١) قُرئ ييأس، وقُرئ يايس بتقديم الهمزة على الياء مع إبدالها ألفاً، وإما في الكلمة في قوله تعالى: ﴿ ... فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ... ﴾ (التوبة: ١١١) قرئ الفعل بالبناء للفاعل في الأول، وللمفعول في الثاني وقرئ بالعكس.

السادس: الاختلاف بالإبدال سواء أكان إبدال حرف بحرف، أو كلمة بكلمة مثل قوله تعالى: ﴿ ... وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ... ﴾ (البقرة: ٢٥٩) قرئ بالزاي المعجمة مع ضم النون الأولى، وقرئ بالراء المهملة مع ضم النون الأولى، والقراءتان صحيحتان، وفي قراءة شاذة بالراء المهملة مع فتح النون الأولى وضم الشين (نَنْشُرُها)، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾ (الواقعة: ٢٩) بالحاء قُرِئ وطلع بالعين، ومثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ... ﴾ (الحجرات: ٦)، وقرئ فتثبتوا، وهما قراءتان صحيحتان.

السابع: اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق، والفتح والإمالة، والإظهار والإدغام والهمز والتسهيل، والإشمام ونحو ذلك مثل قوله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ (طه: ٩) تقرأ بالفتح والإمالة في

أتى، ولفظ موسى، ومثل قوله: ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ ... ﴾ (القيامة: ٤) تقرأ بالفتح والإمالة في بلى.

وهذا القول الذي صار إليه الرازي هو الذي أميل إليه للأسباب الآتية:

١) أن هذا هو الذي تؤيده الأحاديث السابقة التي ذكرناها.

٢) أنه لا يوجد محذور من المحذورات على هذا الرأي.

٣) أن هذا المذهب يعتمد على الاستقراء التام لاختلاف القراءات وما ترجع إليه من الوجوه السبعة بخلاف غيره فإن استقراءه ناقص أو في حكم الناقص [1].

وهناك قول آخر صار إليه بعض العلماء وقالوا [2]:

إن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد يعني سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة نحو: أقبل، وتعال، وهلم، وعجل، وأسرع، فهي ألفاظ مختلفة لمعنى واحد، فإن هذه ألفاظ مختلفة يعبر بها عن معنى واحد وهو طلب الإقبال وإلى هذا القول ذهب سفيان بن

---

(١) انظر مناهل العرفان للزرقاني ١/١٥٧، والقراءات للدكتور شعبان محمد إسماعيل ٤٥.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٤٢، الإتقان للسيوطي ١/١٣٤، جامع البيان للطبري، المقدمة ١٧، منهج الفرقان محمد علي سلامة ٦١، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ١٣٦.

عيينة [1] وابن جريرالطبري [2] والطحاوي [3] وغيرهم، وليس معنى هذا أن كل كلمة كانت تقرأ بسبعة ألفاظ من سبع لغات بل المراد: غاية ما ينتهي إليه الاختلاف في تأدية المعنى هو سبع، قال الإمام الطحاوي: وأبين ما ذكر في ذلك حديث أبي بكرة قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: اقرأ على حرف، فقال ميكائيل: استزده فقال: اقرأ على حرفين، فقال ميكائيل: استزده حتى بلغ إلى سبعة أحرف، فقال: اقرأ فكل شاف كاف إلا أن تخلط آية رحمة بعذاب، أو آية عذاب بآية رحمة على نحو هلم وتعال وأقبل واذهب وأسرع وعجل.

قال الإمام ابن عبد البر [4]: إنما أراد بهذا ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها. إنها معان متفق مفهومها، مختلف مسموعها، لا يكون في شيء منها معنى وضده، ولا وجه يخالف معنى وجه خلافاً ينفيه ويضاده كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده.

وهذا القول لا يسلم من بعض الاعتراضات ومن أهمها:

---

(١) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي أبو محمد، محدث الحرم المكي من الموالي، كان حافظاً ثقة واسع العلم، توفي سنة ١٩٨هـ. الأعلام ٣/١٠٥.

(٢) محمد بن جرير الطبري أبو جعفر المؤرخ المفسر الإمام، له تصانيف منها جامع البيان في تفسير القرآن، توفي سنة ٣١٠هـ. الأعلام ٦/٦٩.

(٣) أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي، أبو جعفر، فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر، له تصانيف منها شرح معاني الآثار ومشكل الآثار، توفي سنة ٣٢١هـ. الأعلام ١/٢٠٦.

(٤) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر، من كبار حفاظ الحديث له كتب كثيرة منها الاستيعاب في معرفة الأصحاب وغير ذلك. الأعلام ٨/٢٤٠.

١) أن ما ذكروه ليس من قبيل حصر الأحرف السبعة حتى يصح الاستدلال بذلك.

٢) أن أصحاب هذا المذهب قد وضعوا أنفسهم في مأزق ضيق لأن ترويجهم لمذهبهم اضطرهم إلى أن يتورطوا في أمور خطرها عظيم، إذ قالوا إن الباقي من الأحرف السبعة هو حرف واحد، وإن عثمان بن عفان جمع الناس على حرف واحد وهو كلام لا يستقيم ولا يتفق مع الأدلة التي ذكرناها والتي ترجح الرأي الأول.

وهناك أقوال أخرى مرجوحة أذكر لكم في هذا المقام ثلاثة منها:

القول الأول:

إنه من المشكل الذي لا يُدْرَى معناه لأن الحرف يصدق لغة على حرف الهجاء وعلى الكلمة وعلى المعنى وعلى الجهة، فيكون مشتركاً لفظياً لا يعرف ولا يُدرى أي معانيه هو المقصود؟ وهذا القول نسب إلى أبي جعفر محمد بن سعدان النحوي [١]، ونحا نحوه الحافظ السيوطي في شرحه على سنن النسائي، وهذا القول غير صحيح وهو بمعزل عن التحقيق فإن مجرد كون اللفظ مشتركاً لفظياً لا يلزمه الإشكال لأن ذلك يلزم لو لم تقم قرينة تعين بعض المعاني، وهنا قامت قرينة تعين بعض المعاني، بل قامت قرائن تمنع ما عدا ذلك البعض من المعاني الأخرى.

---

(١) أبو جعفر محمد بن سعدان النحوي الكوفي مقرئ ضرير، له كتب في النحو والقراءات منها الجامع والمجرد وغيرهما. الأعلام ٦ /١٣٧.

القول الثاني:

إن لفظ السبعة في الحديث لا يراد به حقيقة العدد، إنما المراد منه التيسير والتسهيل والسعة، ولفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد كما يطلقون السبعين في العشرات والسبعمائة في المئين، ولا يراد العدد المعين، وإلى هذا جنح القاضي عياض[1] ومن تبعه، ويرده ما في حديث ابن عباس في الصحيحين أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ" وغيرها من الأحاديث الواضحة التي تدل على إرادة حقيقة العدد وانحصاره.

القول الثالث:

أن المراد بالأحرف السبعة سبع قراءات، وهذا ليس بصحيح لأنكم إذا أردتم أن كل كلمة تقرأ بقراءات سبع فهذا نادر وقليل، وإن أردتم أن بعض الكلمات تقرأ بوجه وبعضها بوجهين وبعضها بثلاث وهكذا إلى سبع فذلك مردود أيضاً لأن هنالك كلمات تقرأ على أكثر من سبعة أوجه، وأخطأ كل الخطأ من زعم أن الأحرف السبعة هي القراءات السبع المشهورة وهو غاية الجهل، قال أبو شامة: ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل[2].

---

(١) القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي البستي، أبو الفضل عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بالعرب وأنسابهم وأيامهم، له تصانيف كثيرة، توفي سنة ٥٤٤. الأعلام ٥/ ٩٩.

(٢) انظر هذه الأقوال بتوسع في جامع البيان للطبري، المقدمة، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٤١ وما بعده، والنشر في القراءات العشر ١/ ٢٤، ٣١، ٣٦ ومناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ١٥٥-١٩٢، والمدخل إلى القرآن الكريم ١٧٤-٢٠٥.

الفصل الثاني:
العناية بالقرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العناية بالقرآن حفظاً.

المبحث الثاني: العناية بالقرآن كتابة.

المبحث الثالث: العناية بالقرآن تطبيقاً.

المبحث الأول : العناية بالقرآن الكريم حفظاً

تلقى النبي صلى الله عليه وسلم القرآن من أمين الوحي جبريل عليه السلام، وكانت أول آية نزلت عليه قوله: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ (اقرأ: ١) ثم تتابع نزول القرآن، وكانت همة النبي عليه الصلاة والسلام هو حفظ القرآن الكريم واستظهاره، وقد بلغ من حرص النبي صلى الله عليه وسلم على استظهار القرآن وحفظه أنه كان يحرك لسانه في أشد حالات حرجه وشدته ويقصد بذلك استعجال حفظه خشية أن تفلت منه كلمة أو يعزب عنه حرف حتى طمأنه ربه فقال له: ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴾ (القيامة: ١٦-١٩)، وفي هذا تعليم من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم في كيفية تلقيه الوحي من المَلَك فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابق المَلَك في قراءته فأمره الله عز وجل إذا جاءه المَلَك بالوحي أن يستمع له، وتكفَّل الله أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الوجه الأكمل الذي ألقاه إليه وأن يبينه له ويفسره ويوضحه، فالحالة الأولى جمعه في صدره والثانية تلاوته والثالثة تفسيره وإيضاح معناه[1].

وكان المصطفى عليه الصلاة والسلام يعرض القرآن في كل عام مرة واحدة مع جبريل عليه السلام وعارضه مرتين في العام الذي توفي فيه

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤ / ٤٤٩.

صلى الله عليه وسلم فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّه عَنْهمَا قَالَ: كَانَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لأنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ (١).

وكان القرآن الكريم شغل النبي صلى الله عليه وسلم في صلاته وتهجده وفي سره وعلانيته، وفي حضره وسفره، وفي وحدته وبين صحابته، وفي عُسره ويسره ومنشطه ومكرهه ولا يغيب عن قلبه، ولا يألو جهداً في تعهده وتكراره والائتمار بأوامره، والانتهاء عن نواهيه، والاعتبار بمواعظه وقصصه، والتأثر بأمثاله وحكمه، والتأدب بآدابه، وأخلاقه، وتبليغه إلى الناس كافة، كما كان المصطفى عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بأسباب نزوله ومكان تنزلاته، وكان المرجع الأول للمسلمين في حفظ القرآن وفهمه، والوقوف على معانيه وأسراره والتثبت من نصوصه وحروفه وقراءته (٢).

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يلازمون النبي صلى الله عليه وسلم فيحفظون القرآن عن ظهر قلب وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرغبهم في ذلك بالمنازل الكبيرة والمناصب الرفيعة فيقول لهم

---

(١) انظر: البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم ص ١٠٨٨ (٤٩٩٧).

(٢) المدخل إلى القرآن الكريم ٣٩٦.

"يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله"[١]، ولقد كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على قوم يقدم أكثرهم قراءة للقرآن فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْثًا وَهُمْ ذُو عَدَدٍ فَاسْتَقْرَأَهُمْ فَاسْتَقْرَأَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَا مَعَهُ مِنَ الْقُرْآنِ فَأَتَى عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا فَقَالَ مَا مَعَكَ يَا فُلانُ قَالَ مَعِي كَذَا وَكَذَا وَسُورَةُ الْبَقَرَةِ قَالَ أَمَعَكَ سُورَةُ الْبَقَرَةِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ قَالَ فَاذْهَبْ فَأَنْتَ أَمِيرُهُمْ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا مَنَعَنِي أَنْ أَتَعَلَّمَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ إِلا خَشْيَةَ أَلا أَقُومَ بِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَاقْرَءُوهُ فَإِنَّ مَثَلَ الْقُرْآنِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَرَأَهُ وَقَامَ بِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ مَحْشُوٍّ مِسْكًا يَفُوحُ رِيحُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَمَثَلُ مَنْ تَعَلَّمَهُ فَيَرْقُدُ وَهُوَ فِي جَوْفِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ وُكِئَ عَلَى مِسْكٍ[٢]. وإذا بعث عليه الصلاة والسلام بعثاً جعل إمامهم في صلاتهم أكثرهم أخذاً للقرآن، بل إذا جمع بين اثنين أو أكثر في قبر لضرورة قدم أكثرهم قرآناً، كما حدث في شهداء أحد فعن عبدالرحمن بن كعب بن مالك أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللَّهِ رَضِي اللَّه عَنْهمَا أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَقُولُ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٢٩٠) .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي، وقال عقبه: هذا حديث حسن ٥/١٥٦، وأخرجه ابن ماجه في سننه، في المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه ١/٧٨ (٢١٧)، والحديث ضعيف.

إِلَى أَحَدٍ قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ وَقَالَ "أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ بِدِمَائِهِمْ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُغَسَّلُوا [1].

وكان الذي يمر ببيوت الصحابة في غسق الدُّجى يسمع دوياً كدوي النحل بالقرآن، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل منا يعلمه القرآن، وكان يسمع لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ضجة بتلاوة القرآن حتى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا) [2].

ومن هنا نجد أن العناية الكبرى كانت من الرسول صلى الله عليه وسلم فقد حفظه واستظهره عليه الصلاة والسلام، ورغب أصحابه في استظهاره وحفظه فحفظه عدد كبير منهم واستظهره منهم الخلفاء الراشدون، وطلحة، وسعد، وابن مسعود، وحذيفة، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبو هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله، ومعاوية، وابن الزبير، وعبد الله بن السائب، وعائشة وحفصة، وأم سلمة وغيرهم كثير وهؤلاء كلهم من المهاجرين، ومن الأنصار أُبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو الدرداء وزيد بن ثابت وأبو زيد ومجمع بن حارثة وأنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين .

---

(١) انظر البخاري، كتاب المغازي، باب من قتل من المسلمين يوم أحد ص٨٤٠ (٤٠٧٩).

(٢) لم أجده، ولكن الزرقاني ذكره بهذا اللفظ في كتابه مناهل العرفان ١ / ٢٤١.

وهذا يدل على أن حفاظ القرآن كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كثرة كبيرة، ومما يؤيد هذا ما ثبت أن كثيراً من الصحابة اشتهروا في عهده صلى الله عليه وسلم بحفظ القرآن حتى كانوا يعرفون باسم القراء، فعن عَاصِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ عَنِ الْقُنُوتِ فَقَالَ قَدْ كَانَ الْقُنُوتُ قُلْتُ قَبْلَ الرُّكُوعِ أَوْ بَعْدَهُ قَالَ قَبْلَهُ قَالَ فَإِنَّ فُلانًا أَخْبَرَنِي عَنْكَ أَنَّكَ قُلْتَ بَعْدَ الرُّكُوعِ فَقَالَ كَذَبَ إِنَّمَا قَنَتَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الرُّكُوعِ شَهْرًا أُرَاهُ كَانَ بَعَثَ قَوْمًا يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَّاءُ زُهَاءَ سَبْعِينَ رَجُلا إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ دُونَ أُولَئِكَ وَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدٌ فَقَنَتَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهْرًا يَدْعُو عَلَيْهِمْ [١].

وهذا يدل على كثرة الصحابة الذين حفظوا القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهي في الحقيقة ميزة مباركة اختص الله تعالى بها الأمة المحمدية كما قال العلامة المحقق ابن الجزري: ثم إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن ربي قال لي قم في قريش فأنذرهم فقلت له رب إذاً يَثْلَغوا [٢] رأسي حتى يدعوه خُبْزَةً

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوتر، باب القنوت قبل الركوع وبعده ١٩٧ (١٠٠٢)، وفي كتاب الجهاد والسير باب من ينكب أو يطعن في سبيل الله ص ٥٦٩ (٢٨٠١)، وفي مواضع أخرى .

(٢) أي يشدخوه ويشجوه كما يشدخ الخبز أي يكسر، شرح النووي على مسلم ١٧/ ١٩٨، والنهاية في غريب الحديث ١/ ٢٢٠ .

فقال: مبتليك ومبتلٍ بك ومنزل عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان فابعث جنداً أبعث مثلهم وقاتل بمن أطاعك من عصاك وأنفق ينفق عليك" [١]، فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء بل يقرؤه في كل حال كما جاء في صفة أمته "أناجيلهم في صدورهم"، وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب ولا يقرأونه كله إلا نظراً لا عن ظهر قلب، ولما خص الله تعالى بحفظه من شاء من أهله أقام له أئمة ثقات تجردوا لتصحيحه وبذلوا أنفسهم في إتقانه وتلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم حرفاً حرفاً لم يهملوا منه حركةً ولا سكوناً ولا إثباتاً ولا حذفاً ولا دخل عليهم في شيء منه شك ولا وهم وكان منهم من حفظه كله، ومنهم من حفظ أكثره، ومنهم من حفظ بعضه [٢].

ولكن يشكل على ما ذكرناه ما ورد في بعض الروايات وفيه تعارض مع ما ذكرناه وهو قول أنس رضي الله عنه: "مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة، أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد ابن ثابت، وأبو زيد" [٣]، ولا إشكال في ذلك لأن الحصر المذكور في

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة والنار ٤ / ١٧٤١، (٢٨٦٥) .

(٢) النشر في القراءات العشر ص ٦ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ص ١٠٨٩ (٥٠٠٤) .

الحديث حصر إضافي وليس حصراً حقيقياً بدليل أن قتادة سأل أنساً عمن جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت وأبو زيد" [1]، فقد ذكر أنس رضي الله عنه في إحدى الروايتين أبي بن كعب دون أبي الدرداء، وذُكر في الرواية الثانية أبو الدرداء دون أبي بن كعب إضافة إلى ذلك فإن حصر الحفظة في أربعة لا يقول به أحد لوجود البواعث الكثيرة التي تحمل على حفظه وترغب فيه كل الترغيب، ومع توافر الصحابة وكثرتهم إلى حد أنهم بلغوا في آخر عهده عشرات الألوف، وقد جمع الحافظ ابن حجر رحمه الله بين الحديثين فقال يحتمل أن مراد أنس (لم يجمعه غيرهم) أي من الأوس بقرينة المفاخرة المذكورة ولم يرد نفي ذلك عن المهاجرين، ثم ذكر الحافظ أجوبة كثيرة نقلاً عن القاضي أبي بكر الباقلاني منها:

١) أنه لا مفهوم له فلا يلزم ألا يكون غيرهم جمعه.

٢) المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التي نزل بها إلا أولئك.

٣) لم يجمع ما نُسِخ منه بعد تلاوته وما لم يُنْسخ إلا أولئك.

٤) أن المراد بجمعه تلقيه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بواسطة بخلاف غيرهم فيحتمل أن يكون تلقى بعضه بالواسطة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ص١٠٨٩(٥٠٠٣) .

وقال عقب ذلك: وفي غالب هذه الاحتمالات تكلف، وقال أيضاً: الذي يظهر من كثير من الأحاديث أن أبا بكر رضي الله عنه كان يحفظ القرآن في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد بنى مسجداً بفناء داره وكان يقرأ فيه القرآن، وهو محمول على ما كان نزل منه إذ ذاك، وهذا مما لا يرتاب فيه مع شدة حرص أبي بكر على تلقي القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم وفراغ باله له وهما بمكة وكثرة ملازمة كل منهما للآخر وقد أخرج النسائي بسند صحيح عن عبد الله بن عمر قال: جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "اقرأه في شهر" [١].

وقال القرطبي: قد قُتِل يوم اليمامة سبعون من القراء، وقتل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ببئر معونة مثل هذا العدد، وإنما خص أنس الأربعة بالذكر لشدة تعلقه بهم دون غيرهم، أو لكونهم كانوا في ذهنه دون غيرهم[٢].

وخلاصة القول في هذا: أن الصحابة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم عنوا عناية كبيرة وفائقة بحفظ القرآن الكريم، فمنهم من حفظه واستظهره، ومنهم من حفظ بعضه، وما روي عن أنس في هذا مؤول بما ذكرناه .

---

(١) انظر الحديث في النسائي في السنن الكبرى، كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن ٥ / ٢٤، وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩ / ٥١، ٥٢، البرهان للزركشي ١ / ٢٤١، ٢٤٢، الإتقان للسيوطي ١ / ٢٠٠.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ في الجامع ولا في التذكار، إنما ذكره المتأخرون ومنهم الزرقاني، مناهل العرفان ١ / ٢٤٥ .

وأما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فقد حفظه عدد كبير وخلق كثير، واشتُهِروا بإقرائه بجميع قراءاته ومروياته، فمن الصحابة عثمان ابن عفان ثالث الخلفاء الراشدين وتتلمذ على يديه الكثيرون منهم المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، وعلي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين وتتلمذ عليه كثيرون منهم أبو عبد الرحمن السلمي، وكذلك أُبي بن كعب من كتاب الوحي تتلمذ عليه كثيرون منهم عبد الله بن عباس وأبو هريرة، وكذلك زيد بن ثابت الأنصاري وهو الذي جمع القرآن في عهد الخليفتين، فقد تتلمذ عليه كثيرون منهم عبد الله بن عمر وأنس بن مالك، وعبد الله بن مسعود الذي قال عنه المصطفى عليه الصلاة والسلام: "من أحب أن يقرأ القرآن غضاً[1] كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد" [2] فقد تتلمذ عليه كثيرون منهم علقمة بن قيس [3]، والأسود بن يزيد النخعي [4]، وأبو موسى الأشعري الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: "لقد أوتيت

---

(١) الغَضّ هو الطَّري الذي لم يتغير، أراد طريقه في القراءة وهيئته فيها. النهاية في غريب الحديث ٤ / ٣٧١.

(٢) أخرجه الامام أحمد في المسند ١ / ٤٤٥، وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير ٢ : ٣ / ٣٠٨.

(٣) علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي فقيه الكوفة وعالمها ومقرئها، جود القرآن على ابن مسعود. السير ٤ / ٥٣.

(٤) الأسود بن يزيد بن قيس النخعي الكوفي ابن أخي علقمة، من رؤوس العلم قرأ على عبد الله بن مسعود. السير ٤ / ٥٠.

مزماراً من مزامير آل داود" [1] فقد تتلمذ على يديه الكثيرون منهم سعيد بن المسيب وأبو رجاء العطاردي[2] وكل هذا يدل على الاهتمام الكبير والعناية الفائقة من الصحابة رضوان الله عليهم بكتاب الله تعالى قولاً وعملاً [3].

وهناك بعض العوامل التي أدت بالصحابة إلى العناية بالقرآن الكريم حفظاً في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أهم تلك العوامل[4]:

١) أن الصحابة كانوا أميين لا يعرفون القراءة والكتابة إلا نزر يسير منهم، ولذلك كانوا يعتمدون على حافظتهم لأن الحفظ هو السبيل الوحيد إلى إحاطتهم بالقرآن الكريم.

٢) المحبة الصادقة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وما يتصل به وما نزل عليه، ومن المعلوم أن الحب إذا صدق وتمكن حمل المحب حملاً على ترسم آثار محبوبه والتلذذ بحديثه والتنادر بأخباره، ولذلك كان

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن (٥٠٤٨) وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحسان تحسين الصوت بالقرآن ١ /٤٥٧ (٢٢٦).

(٢) أبو رجاء العطاردي، عمران بن مِلْحَان التميمي البصري، من كبار المخضرمين، أدرك الجاهلية وأسلم بعد فتح مكة. السير ٤ / ٢٥٤ .

(٣) الإتقان للسيوطي ٢٠٤، مناهل العرفان ١ / ٤١٤، فضائل القرآن العظيم لابن كثير ٨٥-٩٣، القراءات للدكتور شعبان إسماعيل ٦٢، ٦٣، ٦٤ .

(٤) انظر البيان في مباحث من علوم القرآن لعبد الوهاب غزلان ١٤٦-١٥٦ .

حب الصحابة للرسول صلى الله عليه وسلم من أقوى العوامل على حفظهم كتاب الله تعالى حيث كانوا يتسابقون إلى كتاب الله يأخذون عنه ويحفظون منه.

٣) أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا أمة يضرب بهم المثل في الذكاء وقوة الحافظة وصفاء الطبع وسيلان الذهن وحدة الخاطر.

٤) الترغيب في حفظ القرآن الكريم وتطبيق أحكامه مما جعل الصحابة يعتنون به اعتناءً خاصاً ، فقد وردت الآيات والأحاديث الكثيرة في فضل حفظ القرآن الكريم وقراءته، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴾ (فاطر: ٢٩، ٣٠).

ومن الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" [1]، وقوله عليه الصلاة والسلام: "إن لله أهلين من الناس، قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته" [2]، وقوله عليه الصلاة والسلام لأسيد بن حضير:

---

(١) انظر البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ص١٠٩٣ (٥٠٢٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه في المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه ١ / ٧٨، وقال ابن الجزري: رواه ابن ماجه وأحمد والدارمي وغيرهم من حديث أنس بإسناد رجاله ثقات. النشر ١ / ٥، والحديث صحيح.

تِلْكَ الْـمَلائِكَةُ دَنَـتْ لِـصَـوْتِكَ فعَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ قَالَ بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَـقَرَةِ وَفَرَسُـهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ إِذْ جَالَـتِ الْفَرَسُ فَـسَكَـتَ فَسَكَتَـتْ فَقَرَأَ فَجَالَـتِ الْفَرَسُ فَسَكَـتَ وَسَكَتَـتِ الْفَرَسُ ثُـمَّ قَرَأَ فَجَالَـتِ الْفَرَسُ فَانْصَرَفَ وَكَـانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيباً مِنْهَـا فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِـيبَهُ فَلَمَّا اجْـتَـرَّهُ رَفَعَ رَأْسَـهُ إِلَى السَّـمَـاءِ حَتَّى مَا يَرَاهَا فَلَمَّـا أَصْبَحَ حَـدَّثَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ فَـقَالَ اقْـرَأْ يَا ابْنَ حُضَـيْـرٍ اقْـرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْـرٍ قَـالَ فَأَشْـفَـقْتُ يَا رَسُولَ اللَّه أَنْ تَطَأَ يَحْيَى وَكَـانَ مِنْهَـا قَـرِيبًا فَـرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّـمَاءِ فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِـيـهَـا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ فَخَرَجَتْ حَتَّى لا أَرَاهَا قَالَ وَتَدْرِي مَا ذَاكَ قَالَ لا قَالَ تِلْكَ الْـمَـلائِكَةُ دَنَـتْ لِصَـوْتِكَ وَلَـوْ قَـرَأْتَ لأَصْـبَـحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْـهَـا لا تَتَوَارَى مِنْهُمْ [١].

وقـوله عليـه الصـلاة والسـلام: "مَـثَلُ الَّذي يَقْـرَأُ الْقُـرْآنَ كَـالأُتْرُجَّـةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ وَالَّذي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلا رِيحَ لَهَا وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلا رِيحَ لَهَا" [٢].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، بَاب نُزُولِ السَّكِينَةِ وَالْمَلائِكَةِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، ص ١٠٩١ (٥٠١٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام ص ١٠٩٢ (٥٠٢٠).

وقوله صلى الله عليه وسلم: "الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وهو يَتَتَعْتَعُ فيه وهو عليه شاق له أجران" (١).

وقوله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الٓمٓ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف" (٢).

إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في فضل قراءة القرآن وحفظه وفضل آيات معينة وفضل سور مخصوصة.

وكل هذا جعل الصحابة رضوان الله عليهم يعتنون بحفظ القرآن، ويتسابقون في قراءته ولا يتوانون لحظة واحدة عن قراءة القرآن واستظهاره وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، ومن ذا الذي يسمع كل هذا الترغيب والتشويق ولا يسارع في قراءة القرآن وحفظه؟.

بل بلغ من العناية بالقرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم أن امرأة من الصحابيات جمعت القرآن ففي سنن أبي داود عَنْ أُمِّ وَرَقَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَوْفَلٍ الأَنْصَارِيَّة أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا غَزَا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه ١ / ٤٦٠ (٢٤٤).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ماله من الأجر ٥ / ١٧٥، وقال عقبه: هذا حديث حسن صحيح غريب، والحديث صحيح.

بَدْرًا قَـالَتْ قُلْتُ لَهُ يَا رَسُـولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِي الْغَـزْوِ مَـعَكَ أُمَـرِّضُ مَرْضَاكُمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرزُقَنِي شَهَادَةً قَالَ قَرِّي فِي بَيْتِكِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْزُقُكِ الشَّهَادَةَ قَالَ فَكَانَتْ تُسَمَّى الشَّهِيدَةَ قَالَ وَكَانَتْ قَدْ قَرَأَتِ (١) الْقُرْآنَ فَاسْتَأْذَنَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَتَّخِذَ فِي دَارِهَا مُؤَذِّنًا فَأَذِنَ لَهَا قَالَ وَكَانَتْ قَدْ دَبَّرَتْ غُلامًا لَهَا وَجَارِيَةً فَقَامَا إِلَيْهَا بِاللَّيْلِ فَغَمَّاهَا بِقَطِيفَةٍ لَهَا حَتَّى مَاتَتْ وَذَهَبَا فَأَصْبَحَ عُمَرُ فَقَامَ فِي النَّاسِ فَقَالَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْ هَذَيْنِ عِلْمٌ أَوْ مَنْ رَآهُمَا فَلْيَجِئْ بِهِمَا فَأَمَرَ بِهِمَا فَصُلِبَا فَكَانَا أَوَّلَ مَصْلُوبٍ بِالْمَدِينَةِ (٢).

(١) أي جمعته كما في الطبقات لابن سعد ٨/٤٥٧، وانظر الإتقان ١/٢٠٣.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب إمامة النساء ١/١٦١ (٥٩١)، والحديث ضعيف.

المبحث الثاني: العناية بالقرآن الكريم كتابةً

اعتنى النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة القرآن كاعتنائه بحفظه، فلم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بحفظ القرآن واستظهاره بل جمع مع حفظه في الصدور حفظه في السطور زيادة في التوثق والضبط والاجتهاد فكان القرآن ينزل شيئاً فشيئاً، وكلما نزل شيءٌ قرأه النبي صلى الله عليه وسلم وعلمه أصحابه، وبلغ من عناية النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن مبلغاً عظيماً أنه كان يحثهم على كتابته فعن عُثْمَانَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ تَنْزِلُ عَلَيْهِ السُّوَرُ ذَوَاتُ الْعَدَدِ فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ فَيَقُولُ ضَعُوا هَؤُلاءِ الآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا وَإِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ الآيَةُ فَيَقُولُ ضَعُوا هَذِهِ الآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا [1].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة ٣ / ٢٧٢ (٣٠٨٦) وقال عقبه: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب من جهر بها ١ / ٢٠٨ (٧٨٦، ٧٨٧)، وأخرجه ابن أبي داود في المصاحف، خبر قران سورة الأنفال بالتوبة ٢٣٠، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١ / ٥٧، ٦٩، وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، بسم الله الرحمن الرحيم ٢ / ٢٢٠، وكتاب التفسير، باب تفسير سورة التوبة ٢ / ٣٣٠، وقال عقبه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى كتاب الصلاة ١ / ٤٢، والحديث حسن لغيره .

وكان نزول القرآن على غير الترتيب الذي نقرؤه الآن في السور الكريمة، بل كان ذلك الترتيب من بعد النزول بعمل النبي صلى الله عليه وسلم بوحي من الله تعالى، فكان عليه الصلاة والسلام يقول لهم كما نُقل: "ضعوا آية كذا في موضع كذا" فتكون بجوارها متسقة متلاحقة المعنى مترابطة متناسقة اللفظ تلتقي بها كأنها لقف معها، وكأنهما كلام واحد قيل في زمن واحد أحدهما لاحق والآخر سابق، وكأن المتكلم قالهما في نفس واحد من غير زمن بينهما يتراخى أو يتباعد، وذلك من سر الإعجاز ولا غرابة في ذلك لأن القائل واحد وهو الله سبحانه وتعالى العليم الخبير، ولذلك كان ترتيب القرآن الكريم في كل سورة بتنزيل من الله تعالى (١).

واتخذ النبي صلى الله عليه وسلم كُتَّاباً من خيرة الصحابة لهذا العمل الجليل فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية وأبان بن سعيد وخالد بن الوليد وأُبي بن كعب وزيد بن ثابت وثابت بن قيس وغيرهم.

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يكتبون القرآن في الْعُسُب(٢)

---

(١) القرآن الكريم، المعجزة الكبرى، محمد أبو زهرة ص ٢٧، وانظر البيان في مباحث من علوم القرآن ١٦٤ .

(٢) بضم المهملتين ثم موحدة جمع عسيب وهو جريد النخل الذي كانوا يكشطون الخوص عنه ويكتبون في الطرف العريض. النهاية في غريب الحديث ٣ / ٢٣٤، فتح الباري ٩ / ١٤ .

واللِّخَاف[1] والألواح[2] والأكتاف[3] والأضلاع[4] والأقتاب[5] والرقاع[6] والأديم [7]، يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه: "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرِّقاع" [8]، وكان

(١) بكسر اللام ثم خاء معجمة خفيفة وآخره فاء جمع لَخْفة بفتح اللام وسكون المعجمة وهي الحجارة الرقيقة، وقال بعضهم: صفائح الحجارة الرقاق، وخصها بعضهم بالبيضاء فقال: حجارة بيض رقاق. النهاية في غريب الحديث ٤ / ٢٤٤، فتح الباري ٩ / ١٤ .

(٢) اللوح: الكَتف وكل عريض يكتب فيه، وفي القاموس المحيط: كل صحيفة عريضة خشب أو عظم. الصحاح ١ / ٤٠٢، القاموس المحيط ١ / ٢٥٦ .

(٣) جمع كتف وهو العظم الذي للبعير أو الشاة كانوا إذا جف كتبوا فيه، وفي النهاية الكتِف: عظم عريض يكون في أصل كَتِف الحيوان من الناس والدواب كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس عندهم. النهاية في غريب الحديث ٤ / ١٥٠، فتح الباري ٩ / ١٤ .

(٤) جمع ضِلَع، والضِّلَع واحد الضلوع والأضلاع وهي معروفة. الصحاح ٣ / ١٢٥٠ .

(٥) بقاف ومثناة وآخره موحدة جمع قَتَب بفتحتين وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه. النهاية في غريب الحديث ٤ / ١١، فتح الباري ٩ / ١٤ .

(٦) جمع رُقعة بالضم وهي تكون من جلد أو ورق أو كاغد أو غيره، فتح الباري ٩ / ١٤ .

(٧) هو الجلد، انظر لسان العرب ٩ / ١٢ .

(٨) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب في فضل الشام واليمن ٥ / ٧٣٤ (٣٩٥٤)، وقال عقبه: هذا حديث حسن غريب، وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التاريخ ٢ / ٦١١، وقال عقبه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وفيه الدليل الواضح أن القرآن الكريم إنما جُمع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، والحديث صحيح .

الصحابة رضوان الله عليهم يعرضون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لديهم من القرآن حفظاً وكتابة كذلك، ولم ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن كله مكتوب مسطور بالأحرف السبعة غير مجموع في مصحف واحد ولذلك قال الزركشي: "وإنما لم يكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مصحف لئلا يفضي إلى تغييره كل وقت فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته صلى الله عليه وسلم" (1)، والأدلة على كتابة القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة منها:

قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن ومن كتب عني غير القرآن فليمحه" (2).

وقول الصديق لزيد بن ثابت: "إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم" (3).

وعندما نَزَلَ قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾ الآيَة (النساء: ٩٥) جَاءَ عَمْرُو بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَكَانَ ضَرِيرَ الْبَصَرِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَأْمُرُنِي إِنِّي ضَرِيرُ

---

(1) البرهان للزركشي ١/٢٦٢.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم ٤/١٨١٨ (٣٠٠٤).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ... ﴾ ص ٩٧٤ (٤٦٧٩).

الْبَصَرِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ ﴿ ... غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ... ﴾ الآيَةَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ايْتُونِي بِالْكَتِفِ وَالدَّوَاةِ أَوِ اللَّوْحِ وَالدَّوَاةِ "(١).

وممن اشتهر بكتابة القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وهو أول من كتب له بمكة، والزبير بن العوام ومعاوية، وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص بن أمية، وأبيّ بن كعب وهو أول من كتب له بالمدينة، وزيد بن ثابت، وشرحبيل بن حسنة وعبد الله بن رواحة وعمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، والأرقم بن أبي الأرقم، وثابت بن قيس، وعبد الله بن الأرقم الزهري، وحنظلة بن الربيع الأسدي وغيرهم (٢).

وكان هؤلاء الصحابة يكتبون ما يمليه عليهم الرسول ويرشدهم إلى كتابته من غير أن يزيدوا فيه حرفاً أو ينقصوا منه حرفاً (٣).

وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمة الإسلامية قد حفظت القرآن واستظهرته وكتبته بالطرق والوسائل الموجودة لديها، وكانت هذه الكتابة ملحوظاً فيها أن تشمل الأحرف السبعة غير أن بعض

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة النساء ٥ / ٢٤٠، وقال عقبه: هذا حديث حسن صحيح، والحديث صحيح.

(٢) الاستيعاب على هامش الإصابة ١ / ٥١، فتح الباري ٩ / ١٦-١٨، المدخل إلى القرآن الكريم ٣٣٨، ٣٣٩.

(٣) المدخل لدراسة القرآن الكريم ٣٣٩.

الصحابة كان قد كتب منسوخ التلاوة وبعض ما هو ثابت بخبر الواحد، وربما كتبه غير مرتب، ولم يكن القرآن على ذلك العهد مجموعاً في صحف ولا مصاحف عامة [1].

ولم يجمع القرآن يومئذ في مصحف واحد أو مصاحف للأسباب الآتية:

١) لم توجد الدواعي لجمعها كما وجدت في عصر أبي بكر وعثمان، فالمسلمون بخير والحفاظ بكثرة، وأكثر الناس يعولون على الحفظ أكثر من الكتابة، وأدوات الكتابة لم تكن متوفرة بالصورة الكبيرة.

٢) أن القرآن لم ينزل مرة واحدة بل نزل منجماً في خلال ثلاث وعشرين سنة ولو كتب لكان عرضة للنسخ والتغيير والتبديل، وهذا فيه من العناء والمشقة قال الزركشي في البرهان: « فثبت أن القرآن كان على هذا التأليف والجمع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وإنما تُرِك جمعه في مصحف واحد لأن النسخ كان يَرِدُ على بعضه، فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعضه لأدى إلى الاختلاف واختلاط الدين، فحفظه الله في القلوب إلى انقضاء زمن النسخ، ثم وَفَّق لجمعه الخلفاء الراشدين » [2].

٣) كانت الآيات الكثيرة تنزل من السور الكثيرة المختلفة على حسب الدواعي بلا ترتيب ثم يعلم الترتيب فيما بعد، فلو كتب أولاً لاحتيج إلى كتابته ثانياً وفي ذلك من المشقة ما فيه.

---

(١) مناهل العرفان ١ / ٢٤٨ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٣٥ .

المبحث الثالث: العناية بالقرآن الكريم تطبيقاً

طبق النبي صلى الله عليه وسلم أحكام القرآن الكريم جملة وتفصيلاً، وحض أصحابه على تطبيق أحكامه والعمل بما فيه، فبلغ رسالة ربه بتوجيهٍ وأمر من الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ... ﴾ (المائدة: ٦٧)، وهذا هو طريق الأنبياء والمرسلين حيث جاءوا جميعاً لأجل هدف واحد وغاية عظمى وهي عبادة الله وحده لا شريك له.

ومنذ خطاب الله وتوجيهه للرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ (المدثر: ١، ٢)، وقوله: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤)، وقوله: ﴿ ... وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ... ﴾ (الأنعام: ١٩)، أخذ النبي صلى الله عليه وسلم يدعو أهله وأقاربه وأمته حتى وفقه الله في تكوين أمة ودولة إسلامية عظيمة على مبادئ صحيحة.

فكانت بحق تلك الأمة خير القرون وأفضلها كما أخبر المصطفى عليه الصلاة والسلام حيث جرى القرآن في عروقها فتمثلوا أحكامه قولاً وفعلاً وطبقوا تعاليمه، وكل ذلك فيه دلالة على عناية النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام بالقرآن الكريم.

ومن الأمثلة الواضحة على عناية النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن وامتثاله لما جاء فيه أنه منذ أن خاطبه الله تعالى بقوله: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ۝٢١٤ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢١٥ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ (الشعراء: ٢١٤-٢١٦) جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة وصدع بها وأنذر عشيرته وتحمل في

سبيل ذلك الصعاب والمشاق والشدائد فعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضي اللَّه عَنْهمَا قَالَ لَمَّا نَزلَتْ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ صَعدَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا فَجعَلَ يُنَادي يَا بَني فهْرٍ يَا بَني عَديٍّ لبُطُون قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولا لينْظُرَ مَا هُوَ فَجاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيلاً بالْوَادي تُريدُ أَنْ تُغيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقيَّ قَالُوا نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلا صدْقًا قَالَ فَإِنِّي نَذيرٌ لَكُمْ بيْنَ يَدَيْ عَذَاب شَديد فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ تَبًّا لَكَ سَائرَ الْيَوْمِ أَلهَذَا جَمَعْتَنَا فَنزَلَتْ ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾ (المسد : ١-٢) [١].

وفي رواية أخرى أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ حينَ أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ قَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ كَلمَةً نَحْوَهَا اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لا أُغْني عَنْكُمْ منَ اللَّه شَيْئاً يَا بَني عَبْد مَنَافٍ لا أُغْني عَنْكُمْ منَ اللَّه شَيْئاً يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْد الْمُطَّلب لا أُغْني عَنْكَ منَ اللَّه شَيْئاً وَيَا صَفيَّةُ عَمَّةَ رَسُول اللَّه لا أُغْني عَنْك منَ اللَّه شَيْئاً وَيَا فَاطمَةُ بنْتَ مُحَمَّدٍ سَليني مَا شئْتِ منْ مَالي لا أُغْني عَنْك منَ اللَّه شَيْئاً [٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب وأنذر عشيرتك الأقربين ص١٠١٣ (٤٧٧٠)، وأخرجه مسلم بنحوه، كتاب الإيمان باب وأنذر عشيرتك الأقربين ١٦٣/١ (٣٤٨) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب وأنذر عشيرتك الأقربين ص ١٠١٣ (٤٧٧١)، وأخرجه مسلم بنحوه، كتاب الإيمان باب وأنذر عشيرتك الأقربين ١٦٤/١ (٣٥١) .

فأظهر المصطفى عليه الصلاة والسلام امتثاله الكبير وحبه الشديد لكتاب الله تعالى وقام وجهر ووقف مواقف حكيمة، فكان لا يطيب له نوم ولا يرتاح له بال حتى يرى الناس قد استجابوا لدعوة الله ودخلوا في دين الله أفواجاً.

وعناية الرسول صلى الله عليه وسلم العناية العملية لا تقتصر على الدعوة بل التطبيق العملي لما جاء في القرآن الكريم شامل لجميع الأمور. ففي مجال العبادة كان عليه الصلاة والسلام منفذاً للفرائض آخذاً بالنوافل مطبقاً لتعاليم القرآن وما جاء من الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴾ (المزمل: ١ – ٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ (الإسراء: ٧٩)، فامتثل الرسول صلى الله عليه وسلم لأمر ربه بل وصل إلى أعلى مراتب العبادة، وكان يصلي من الليل حتى تتفطر قدماه، ولما قيل له: أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً [1].

وفي مجال الأخلاق كان خلقه القرآن فقد سئلت أم المؤمنين عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها السائل: أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قُلْتُ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم بالليل ص ٢٢٢ (١١٣٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين، باب إكثار الأعمال ٤ / ١٧٢٢ (٢٨١٩).

بَلَى قَالَتْ فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ قَالَ فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ وَلا أَسْأَلَ أَحَدًا عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَمُوتَ ثُمَّ بَدَا لِي فَقُلْتُ أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ أَلَسْتَ تَقْرَأُ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُلْتُ بَلَى. قَالَتْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ حَوْلا وَأَمْسَكَ اللَّهُ خَاتِمَتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا فِي السَّمَاءِ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ التَّخْفِيفَ فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرِيضَةٍ. قَالَ: قُلْتُ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ وِتْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ كُنَّا نُعِدُّ لَهُ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ فَيَبْعَثُهُ اللَّهُ مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَيَتَسَوَّكُ وَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي تِسْعَ رَكَعَاتٍ لا يَجْلِسُ فِيهَا إِلا فِي الثَّامِنَةِ فَيَذْكُرُ اللَّهَ وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ ثُمَّ يَنْهَضُ وَلا يُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي التَّاسِعَةَ ثُمَّ يَقْعُدُ فَيَذْكُرُ اللَّهَ وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا يُسْمِعُنَا ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ مَا يُسَلِّمُ وَهُوَ قَاعِدٌ وَتِلْكَ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يَا بُنَيَّ فَلَمَّا أَسَنَّ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخَذَهُ اللَّحْمُ أَوْتَرَ بِسَبْعٍ وَصَنَعَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ مِثْلَ صَنِيعِهِ الأَوَّلِ فَتِلْكَ تِسْعٌ يَا بُنَيَّ وَكَانَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى صَلاةً أَحَبَّ أَنْ يُدَاوِمَ عَلَيْهَا وَكَانَ إِذَا غَلَبَهُ نَوْمٌ أَوْ وَجَعٌ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً وَلا أَعْلَمُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ وَلا صَلَّى لَيْلَةً إِلَى الصُّبْحِ وَلا صَامَ شَهْرًا كَامِلا غَيْرَ رَمَضَانَ (١).

(١) أخرجه مسلم في المسافرين، باب صلاة الليل.

وكل هذا لأنه شعر بلذة الخطاب الإلهي له في قوله: ﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ ... ﴾ فاعتنى بهذه الكلمة القرآنية وطبقها تطبيقاً عملياً وأطال القيام، وتوضح لنا بعض الروايات مبلغ قيامه صلى الله عليه وسلم فعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ فَقُلْتُ يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى فَقُلْتُ يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى فَقُلْتُ يَرْكَعُ بِهَا ،ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا يَقْرَأُ مُتَرَسِّلا إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ثُمَّ قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ثُمَّ قَامَ طَوِيلا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ قَالَ وَفِي حَدِيثِ جَرِيرٍ مِنَ الزِّيَادَةِ فَقَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ(١).

وفي مجال القوة والجهاد امتثل للآيات القرآنية التي تُعْنَى بالجهاد مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ... ﴾ (الأنفال: ٦٠)، فجاهد عليه الصلاة والسلام بنفسه وماله ولسانه، جاهد بنفسه لحماية العقيدة ولإعلاء كلمة الله وصد العدوان، فكان قائد المجاهدين وأولهم لنيل الشهادة في سبيل الله، وجاهد بماله فأنفق وتبرع حتى إنه كان لا يترك في بيته إلا ما

(١) أخرجه مسلم في المسافرين، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ١/ ٤٥٠ (٢٠٣).

يحتاج إليه، وجاهد بلسانه للترغيب في الإسلام وللدفاع عنه وعن مصالح المسلمين فكانت المعارك الكبيرة والانتصارات الحاسمة من المسلمين على الكفار في التاريخ الإسلامي، وما ذاك إلا لامتثاله لتعاليم القرآن الكريم.

وفي مجال الأخلاق اتصف وامتثل عليه الصلاة والسلام بالأخلاق الفاضلة التي جاء القرآن بها حتى قالت عائشة رضي الله عنها: "كان خلقه القرآن"، ودلالة هذه الكلمة على عظمة محمد صلى الله عليه وسلم تبرز من نواحٍ شتى ومن أهمها كونها من عند الله الكبير المتعال، وقد قال الإمام فخر الدين الرازي كلاماً نفيساً حول هذا الموضوع، قال: (وكان عليه الصلاة والسلام في كل واحدة من هذه الأخلاق الكريمة في الغاية القصوى من الكمال، وكان متمكناً فيها، مستجمعاً لها بأسرها، ولا يتفق ذلك لأحد من الخلق غير أهل العصمة من الله تعالى، فكان اجتماع ذلك في صفاته من أعظم المعجزات)[1]، ففي الرحمة مثلاً خاطبه ربه بقوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وبقوله: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٢٨)، وهذه الآية تبين ما كان عليه النبي

---

(١) الأربعين في أصول الدين ص ٣٠٩، ٣١٠.

عليه الصلاة والسلام من الأخلاق العظيمة تجاه أمة دعوته من كونه يعز عليه مشقتهم وهلاكهم وضررهم وأذاهم في سوء العاقبة من الوقوع في العذاب، ويحرص على هداهم ويرأف بهم ويرحمهم [1].

والرحمة من أخلاق الرسول صلوات الله عليه، وهو خلق ذو جذور عميقة في النفس ومحلُّها القلب، ومن آثارها في السلوك الظاهر لين الجانب للناس، ونقيضها غلظ القلب وقساوته، ومن مظاهر هذا النقيض الخشونة في معاملة الناس والسلوك الفظ.

ورحمة النبي صلى الله عليه وسلم جعلت القلوب تهفو إليه وتؤمن به وتتبعه وتحبه، وبعض من آمن به قد تخطى عقبات كبيرة في نفسه من أنانية وعصبية [2].

وفي باب التوكل على الله عز وجل تَمثل المصطفى عليه الصلاة والسلام بما جاء في القرآن الكريم، فكان يتوكل على الله تعالى في جميع الأمور وفي أشد الظروف فكان الله تعالى له نعم الوكيل والنصير.

والخطابات القرآنية التي خاطبت النبي صلى الله عليه وسلم بالتوكل كثيرة لم يكن مثلها عدداً ووضوحاً في أي خلق كريم، قال تعالى: ﴿ ... فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وقال: ﴿ ... فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (النساء: ٨١)،

(١) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٥/ ١١٧.

(٢) الأخلاق الإسلامية ١/ ٤٤٠، ٤٤١.

وقـــــال : ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (الأنفـال : ٦١)، وقـال : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (هـود : ١٢٣)، وقـال : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾ (الفرقان : ٥٨)، وغير ذلك من الآيات التي تحث النبي صلى الله عليه وسلم على التمسك بهذا الخلق العظيم، وكان صلى الله عليه وسلم أولى الناس تطبيقاً لهذا الخلق العظيم لأنه كان خلقه القرآن فهو يمثل القرآن بسلوكه وقوله، ويترجم القرآن بأقواله وأفعاله، فهو سيد المتوكلين عليه الصلاة والسلام، ويكفينا قوله عليه الصلاة والسلام لأبي بكر الصديق مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا[1] حينما قال أبو بكر رَضِي اللَّه عَنْه : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَارِ فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ لرآنا، فرد النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة تدل على ثقته بالله ونصره، وقد قص القرآن ذلك فقال : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة : ٤٠).

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة براءة، باب قوله تعالى : ﴿ ... ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ... ﴾ ص ٩٧٠ (٤٦٦٣)، وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ٤ / ١٤٧٨ (٢٣٨١).

وفي غزوة ذات الرقاع لم يعصمه من ضربة السيف إلا عظيم توكله على الله تعالى فعَنْ جَابِرٍ قَالَ أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِذَاتِ الرِّقَاعِ قَالَ كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَسَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَلَّقٌ بِشَجَرَةٍ فَأَخَذَ سَيْفَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاخْتَرَطَهُ [1] فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَخَافُنِي قَالَ: لا، قَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: اللَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْكَ [2].

فهذا هو التوكل على الله تعالى حق التوكل، رسول الله صلى الله عليه وسلم يستظل تحت شجرة، ورجل غادر يريد أن يفتك برأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع السيف فوق رأس المصطفى عليه الصلاة والسلام، فلم يخف النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك الموقف ولم يزده ذلك إلا توكلاً على الله عز وجل حتى قال عليه الصلاة والسلام ببرد اليقين والتوكل: (الله)، ومن وصل إلى هذا التوكل على الله وبالله لم يخش أحداً سواه.

---

(١) اخترط السيف: سله من غمده، النهاية في غريب الحديث ٢ / ٢٣.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الرقاع ص ٨٥١ (٤١٣٦)، وأخرجه مسلم في المسافرين باب صلاة الخوف ١ / ٤٨١ (٨٤٣).

وكما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالتوكل فعلاً فقد أمره بالتوكل قولاً وذلك كما في قوله: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (التوبة: ١٢٩)، وقوله: ﴿ ... قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (الزمر: ٣٨)، وقوله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الْمُلك: ٢٩)، وامتثل النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الخلق العظيم وغيره من الأخلاق والتوجيهات الربانية فكان عليه الصلاة والسلام يستجيب لأوامر الله، ويعتني بالقرآن تطبيقاً وتوجيهاً، تربية وتعليماً في جميع الأمور والأحوال.

واعتنى الصحابة رضوان الله عليهم اعتناءً كبيراً بالقرآن في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته، وبلغ الأمر بهم في الاعتناء به أنهم كانوا يقفون عند أوامره فيمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه، وشواهد ذلك كثيرة في كتب السنة والسيرة والتفسير، فهذه القصة تبين لنا كيفية رجوع أبي بكر الصديق إلى كتاب الله تعالى والوقوف عند أحكامه فعندما نزلت آيات الإفك ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ ... ﴾ الْعَشْرَ الآيَاتِ فِي بَرَاءَةِ عَائِشَةَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِي اللَّه عَنْه لِمِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ وكَانَ يُنْفِقُ عَلَيه لِقَرَابَتِه مِنْهُ وَفَقْرِه، قال وَاللَّهِ لا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ، -وكان معه الحق في ذلك لأنه تكلم في عائشة وقال فيها قولاً-،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور : ٢٢)، فامتثل أبو بكر رضي الله عنه لهذه الآيات وقال : بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ وَاللَّهِ لا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا [١].

وكذلك وقوف عمر بن الخطاب عند قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف : ١٩٩) فعن ابْن عَبَّاسٍ رَضِي اللَّه عَنْهمَا قَالَ قَدمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أَخِيهِ يَا ابْنَ أَخِي هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ قَالَ سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ هِيْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ وَلا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاهَا عَلَيْهِ وَكَانَ وَقَّافًا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ١٠٠٧ (٤٧٥٠) بتصرف .

عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ[1].

وكذلك ما فعله أبو طلحة رضي الله عنه عندما نزل قوله تعالى: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ... ﴾ (آل عمران: ٩٢) حتى إنه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم: إن الله تبارك وتعالى يقول ذلك، وما فعل ذلك إلا لمخالطة القرآن قلبه وحبه الكبير لكلام الله تعالى وللآيات التي نزلت على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ وكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ وكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ قَالَ أَنَسٌ فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ... ﴾ (آل عمران: ٩٢) قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ... ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءُ وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَخٍ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ[2].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ٩٦٤ (٤٦٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب ٢٩٠ (١٤٦١).

ولم يكتف الصحابي الجليل أبو طلحة رضي الله عنه وأرضاه بالنفقة في سبيل الله بل إنه تحرك بقلبه وعواطفه ونفسه عندما سمع قوله تعالى: ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا ... ﴾ (التوبة: ٤١) فنذر نفسه لخدمة الأمة الإسلامية من طريق الجهاد، ويروي لنا أنس رضي الله عنه ذلك فيقول إن أبا طلحة قرأ سورة براءة فأتى على هذه الآية ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا ... ﴾، فقال: ألا أرى ربي يستنفرني شاباً وشيخاً، جهزوني، فقال له بنوه: قد غزوتَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبض، وغزوتَ مع أبي بكر حتى مات، وغزوت مع عمر، فنحن نغزو معك، فقال: جهزوني فجهزوه، فركب البحر فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام، فلم يتغير [1].

وهذه الكلمة العظيمة لم يقلها إلا بعد أن عرف رضي الله عنه أهمية القرآن وأثره العظيم في التربية فقال: "ألا أرى ربي يستنفرني شاباً وشيخاً".

بل إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يستجيبون لله وللرسول والقرآن بمجرد الوصول إليهم ولو من خبر الواحد كما حدث عند تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة فعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ:

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٦ /١٣٨، والحاكم في المستدرك ٣ /٣٥٣، وقال عقبه: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ٣١٢، وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلاةِ الصُّبْحِ إِذْ جَاءهُمْ آتٍ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرآنٌ وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا وكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ [1].

فامتثلوا لقول القائل الذي أخبرهم بأن الله تعالى أنزل قرآناً على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعرفوا الآيات التي أنزلت، فاتجهوا فور سماعهم إلى الكعبة المشرفة دون انتظار أو تأخير ونماذج الاعتناء بالقرآن الكريم من الناحية التطبيقية أكثر من أن تُحصى، فكتب السنة النبوية مليئة بالآثار التي تدل على عناية النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالقرآن حفظاً وكتابةً وتطبيقاً.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة ص٨٧ (٤٠٣).

الخاتمة

وتتضمن أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها:

١) أنه لا تعارض بين نزول القرآن جملةً ونزوله مفرقاً، فقد نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفرقاً بعد ذلك، وهذا هو أصح الأقوال في الجمع بين الآيات التي ظاهرها التعارض في النزول.

٢) أن القرآن الكريم آخِرُ الكتب السماوية، وقد جمع الله له النزولين، فقد شارك الكتب السماوية السابقة في نزوله جملة، وانفرد عنها بنزوله مفرقاً، وفي ذلك تفضيل للقرآن ومن نزل عليه.

٣) أنه حصل الخير الكثير لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وللصحابة الكرام في نزول القرآن مفرقاً.

٤) أن التعويل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان على الحفظ أكثر من الكتابة.

٥) أن القرآن الكريم كُتب كاملاً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كانت كتابته مفرقةً، ولم يجمع في صحف أو مصاحف عامة .

٦) أن القرآن الكريم أنزل للقراءة والحفظ والتدبر والعمل، وهذا هو النهج الذي انتهجه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام،

والعمل بما في القرآن الكريم من أهم الأمور، وهو الغرض الرئيس من إنزاله، فمن عمل بما فيه وآمن به فقد حصل له الغاية القصوى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ ... ﴾ (البقرة: ١٢١).

٧) أن الأمة الإسلامية وصلت إلى عزها ومكانتها بسبب تمسكها وعنايتها بالقرآن حفظاً وكتابة وتطبيقاً، فكانوا يحفظون القرآن الكريم ويفهمونه، ثم يعملون بتعاليمه، ويهتدون بهديه.

أما التوصيات فأوصي المسلمين في جميع أقطار العالم الإسلامي حكاماً وشعوباً بأن يتمسكوا بالقرآن الكريم ويعتنوا به ويطبقوا تعاليمه في كل صغيرة وكبيرة كما طبقها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، فوصلوا إلى ما وصلوا إليه من تقدم ورقي وحضارة حتى استطاعوا السيطرة على العالم أجمع، وكتب الله لهم النصر والتأييد على أقوى الدول المعادية لدعوة الحق دولة الفرس في الشرق ودولة الرومان في الغرب ونجحوا نجاحاً مُبهراً ومُدهشاً كان وما زال وسيبقى موضع إعجاب التاريخ والمؤرخين مع أنهم كانوا قلة في العدد وفي خشونة من العيش، وتأخر المسلمون في هذا العصر في الوصول إلى ما وصل إليه السابقون بسبب بعدهم عن تطبيق ما جاء في كتاب الله تعالى ولذلك اكتفوا بقراءة القرآن وترديده في المنابر والمحاريب والمآتم والدور دون الوقوف على مضامين القرآن الحقيقية في

التدبر والتفهم ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (صٓ : ٢٩).

وفي ختام هذا البحث لا ننسى الجهود المبذولة من لدن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود وحكومته الرشيدة في خدمة كتاب الله تعالى والاعتناء به قولاً وفعلاً، فجهودهم كبيرة وعظيمة، وخير دليل على ذلك المجمع العظيم المبارك الذي أنشأه -حفظه الله- لطباعة المصحف الشريف، فأكثر بيوت المسلمين فيها إصدار من إصدارات هذا المجمع، فجزى الله خادم الحرمين الشريفين خير الجزاء على قيامه بهذه المهمة العظيمة، وأسأل الله تعالى أن يرفع مقامه وأن يبارك له فيما قدم ويُقدم، وأن يجمع له بين الأجر والعافية، وأن ييسر له ولإخوانه الكرام السبل التي توفقهم إلى الاعتناء بكتاب الله تعالى قولاً وفعلاً، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على أشرف خلقه نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين .

فهرس المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ القرآن الكريم، إبراهيم علي أبو الخشب، دار الفكر العربي.

٣ـ القرآن الكريم، محمد أبو زهرة، دار الحماس للطباعة.

٤ـ الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

٥ـ أحسن الحديث، د. محمد سعيد رمضان البوطي.

٦ـ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لعلاء الدين الفارسي، ط١ / ١٤١٢هـ، حققه شعيب الأرنؤوط.

٧ـ الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن حبنكة الميداني، ط٤ / ١٤١٧هـ، دار القلم، دمشق.

٨ـ أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة، د. أحمد عبد العزيز الحداد، ط١ / ١٩٩٦م، دار الغرب الإسلامي.

٩ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، وهو مطبوع على هامش الإصابة، دار الفكر، بيروت.

١٠ـ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت.

١١ـ الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين.

١٢- الأنوار الساطعات لآيات جامعات ، عبد العزيز المحمد السلمان، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ .

١٣- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت .

١٤- البيان في مباحث من علوم القرآن، عبد الوهاب عبد المجيد غزلان، مطبعة دار التأليف .

١٥- التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي، دار الكتب العلمية بيروت ط١ / ١٤٠٦هـ .

١٦- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار المعرفة، بيروت .

١٧- تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)، لابن جرير الطبري، دار المعرفة، بيروت .

١٨- تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، ط١ / ١٤٠٦هـ .

١٩- الجامع الصحيح للترمذي، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، توزيع دار الباز، عباس أحمد الباز، مكة المكرمة.

٢٠- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .

٢١- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ط١ / ١٤١٢هـ توزيع مؤسسة الجريسي .

٢٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني، دار الفكر، بيروت .

٢٣- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، جلال الدين السيوطي، ط ١ / ١٤٠٣هـ، دار الفكر .

٢٤- السنن الكبرى للبيهقي، دار الفكر .

٢٥- السنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب، دار الفكر بيروت .

٢٦- الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد بن عبدالغفور عطار ط٢ / ١٤٠٢ هـ.

٢٧- صحيح سنن أبي داود للألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١ / ١٤١٩ هـ .

٢٨- صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٢٩- الصحيح المسند من فضائل الصحابة، مصطفى العدوي، دار ابن عفان، ط١ / ١٤١٦هـ .

٣٠- الطبقات الكبرى لابن سعد، دار صادر بيروت .

٣١- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، أشرف على طبعه، محب الدين الخطيب .

٣٢- فضائل القرآن العظيم لابن كثير، ط١ / ١٤٠٦ هـ، توزيع، مكتبة المعارف، الرياض .

٣٣- فضائل القرآن وتلاوته للرازي، تحقيق وتخريج د. عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية .

٣٤- في ضوابط السلوك والمنجيات، هاشم محمد، مكتبة دار البيان، الكويت، ط٢ / ١٤١٠هـ .

٣٥- في علوم القراءات، مدخل ودراسة وتحقيق، د. سيد رزق الطويل ط ١ / ١٤٠٥ هـ .

٣٦- القاموس المحيط للفيروزآبادي، دار الجيل .

٣٧- قبسات من حياة الرسول، أحمد عساف، ط٦ / ١٤٠٥هـ، دار إحياء العلوم، بيروت .

٣٨- القراءات، أحكامها ومصدرها، تأليف الدكتور شعبان محمد إسماعيل، سلسلة دعوة الحق، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي .

٣٩- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة، الدار السلفية .

٤٠- الكواكب الدرية فيما ورد في إنزال القرآن على سبعة أحرف من الأحاديث النبوية والأخبار المأثورة لمحمد الحداد بن علي الحسيني المالكي، طبع بمطبعة البابي الحلبي .

٤١- كيف نحيا بالقرآن، نبيه زكريا عبد ربه ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ، دار الحرمين للنشر، الدوحة .

٤٢- لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، دار إحياء علوم الدين بيروت .

٤٣- مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين.

٤٤- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، الطبعة الخامسة، مكتبة وهبة.

٤٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٦- مختصر قيام الليل للمقريزي، المكتبة الأثرية.

٤٧- المدخل لدراسة القرآن الكريم، د. محمد محمد أبو شهبة.

٤٨- مذكرة في أصول القرآن، كلية أصول الدين، أ / محمود أبو دقيقة.

٤٩- المستدرك على الصحيحين للإمام النيسابوري، دار الكتاب العربي، بيروت.

٥٠- مسند أبي يعلى الموصلي، حققه وخرج أحاديثه حسين سليم أسد.

٥١- المصاحف لأبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني الحنبلي، دراسة وتحقيق ونقد الدكتور محب الدين عبد السبحان واعظ، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية، دولة قطر.

٥٢- المصنف لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، توزيع المكتب الإسلامي.

٥٣- مع القرآن الكريم في تاريخه وخصائصه، د. شعبان محمد إسماعيل، دار الاتحاد العربي للطباعة .

٥٤- المعجزة الكبرى، القرآن، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي .

٥٥- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، طبع على نفقة دار إحياء التراث الإسلامي، قطر.

٥٦- المنار في علوم القرآن تأليف الدكتور محمد علي الحسن، ط١ / ١٩٨٣، دار الأرقم عمان.

٥٧- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر.

٥٨- منهج الفرقان في علوم القرآن للشيخ محمد علي سلامة، الجامعة الأزهرية، كلية أصول الدين، السنة الأولى، تخصص دعوة وإرشاد.

٥٩- النشر في القراءات العشر لابن الجزري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٦٠- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع تحقيق محمود محمد الطناحي.

٦١- الواضح في علوم القرآن، د. مصطفى ديب البغا، ومحي الدين مستو، دار العلوم الإنسانية، دار الكلم الطيب، ط١ / ١٤١٧هـ .

الفهرس

العِنَايةُ بالقُرآنِ الكريمِ في العَهْدِ النَّبَوِيِّ الشَّريفِ

إعداد

الشيخ يوسف بن عبد الله الحاطي

الباحث بمركز البحوث والدراسات الإسلاميّة

بالرّياض

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد :

فالقرآن كلام الله سبحانه وتعالى الذي تكلم به وأوحاه إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة الملك جبريل عليه السلام، فهو الهدى والنور وهو الشفاء، وهو الذكر الذي به تطمئن القلوب، مَنْ حكم به عدل، ومن استهدى به هدي، ومن استشفى به شفي بإذن الله، عزَّ به أول هذه الأمة، ولا يعز آخرها إلا به، قال صلى الله عليه وسلم : "تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض"[1] . وعن علي رضي الله عنه قال : "أما إني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "ألا إنها ستكون فتنة" فقلت : فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال : "كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو

---

(١) أورده الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير برقم ٢٩٣٧ وقال : صحيح .

الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: "إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد" . من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هَدَى إلى صراط مستقيم"[1].

ولقد اهتم السلف والخلف من هذه الأمة بكتاب ربها، فتلقاه النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي، وتلقفه الصحابة رضي الله عنهم فحفظوه وفهموه وعملوا به، ثم جاءت من بعدهم الأجيال المتعاقبة، جيل من بعد جيل، فألفت فيه التآليف الكثيرة، فكتبٌ في أول ما نزل وآخر ما نزل، وأخرى في ناسخه ومنسوخه، وأخرى في محكمه ومتشابهه، وكتبٌ في التفسير بأنواعه، بالإضافة إلى كتب في فضائله. ولو رجعنا إلى محتوى أي كتاب من هذه الكتب لوجدنا الأبواب والفصول الكثيرة التي لا تكاد تحصى، حتى إنه لم يترك شيء يتعلق بالقرآن الكريم إلا دُرس وأُلِّف فيه، وما ذلك إلا لحفظ الله له الذي ذكره بقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩).

وإني في هذا البحث الموجز -الذي أقدمه لهذه الندوة المباركة: "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" التي يعقدها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة- حاولت

---

(١) أخرجه الترمذي برقم ٢٩٠٦ وقال: (هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال). وقال ابن كثير في كتابه (فضائل القرآن ص ١٦) وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روي له شاهد عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم.

جمع ما تيسر لي من الآيات والأحاديث التي تبين العناية بالقرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، سواءً كانت تلك العناية منه صلى الله عليه وسلم أو من صحابته رضوان الله عليهم أجمعين، ولم يكن هدفي استقصاء جميع طرق الحديث ورواياته، بل الاستدلال للمسألة التي أنا بصدد الحديث عنها، فإذا وجدت حديثاً في صحيح البخاري مثلاً اكتفيت به ولم أبحث عن بقية طرقه. ولقد بذلت وسعي لئلا أستدل في أصل هذا البحث إلا بحديث صحيح قدر المستطاع، وقد تم لي ذلك ولله الحمد والمنة، غير أحاديث في آخر مبحث منه رأيت أنها في مجموع طرقها لا تنزل عن درجة الحسن أي أنها ليست ضعيفة.

وقد يلحظ القارئ الكريم تكرار الأدلة في مباحث هذا البحث وما ذلك إلا لأن بعض الأدلة فيه دلالة على عدة مسائل، وهذا ما يجعلني أكرر الدليل أو بعضه عند كل مسألة، وقد يكون ذلك أدى إلى بعض الطول في البحث، ولكن هذا الطول غير ممل، إذ القارئ لن يجد في هذا البحث -غالباً- إلا كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد حاولت أن لا أكثر من الشرح خشية الإطالة والملل. وما أدليت بدلوي إلا بتقديم بين يدي الدليل أو إشارة إلى بعض ما يحتويه من المعاني.

أما من ترجمت لهم من الصحابة فقد نقلت تراجمهم من سير أعلام النبلاء للذهبي والإصابة لابن حجر كما هي، مع الإشارة إلى ذلك في الحاشية. وقد اعتمدت في هذا البحث على عدد من المراجع أثبتها في آخره.

وإني أقدم إليك أخي الكريم عذري عن كل سهو أو تقصير وقع في هذا البحث، فالنقص والنسيان صفتان ملازمتان للإنسان، ولو أعدت النظر في هذا البحث مرات ومرات لعدَّلت وبدَّلت وقدَّمت وأخَّرت في كل مرة.

فسبحان الله المنزَّه عن النقص والعيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الفصل الأول: حول القرآن

وفيه مباحث:

١– تعريف القرآن الكريم.

٢– الفرق بينه وبين الحديث القدسي والحديث النبوي.

٣– فضل القرآن الكريم وفضل تلاوته وأثر ذلك في حياة الناس.

٤– ذكر فضائل بعض السور والآيات.

٥– فضل تعلم القرآن وتعليمه.

٦– فضل حفظ القرآن غيباً.

٧– إثم من راءى بالقرآن أو تأكَّل به.

٨– كُتَّاب القرآن الكريم.

٩– وسائل الكتابة.

١٠– القرَّاء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

تعريف القرآن الكريم

لقد بذل العلماء قديماً وحديثاً كل وسعهم لإيجاد تعريف للفظة القرآن فتناولوها من الجانبين اللغوي والاصطلاحي كما هو معهود عند كل تعريف، وأوردوا في ذلك أقوالاً وآراء يكاد يكون كل واحد منها تكراراً للآخر، غير أن كل واحد من أولئك العلماء الأجلاء رجح رأياً استحسنه ومال إليه، ومن هنا رأيت في بحثي هذا المتواضع أن أضرب عن التعريف اللغوي صفحاً، إذ لا حاجة ولا فائدة من ذكره هنا، أما التعريف الاصطلاحي فسأذكره لأنني فيما بعد سأتعرض للجانب الآخر من الوحي ألا وهو الحديث بقسميه: القدسي والنبوي وذلك عند ذكر الفرق بينهما وبين القرآن الكريم.

وسبب تناولي لهذه التعريفات أن الرسول صلى الله عليه وسلم –كما سيأتي– نَهى عن كتابة شيء عنه غير القرآن وذلك زيادة اهتمام منه صلى الله عليه وسلم بالقرآن حتى لا يختلط به غيره من الحديث بنوعيه، ويعلم من ذلك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يفرقون بين ما هو قرآن يجب عليهم كتابته وتدوينه، وما هو غير قرآن نهوا عن كتابته.

التعريف الاصطلاحي للقرآن الكريم

وردت عن العلماء تعريفات كثيرة للقرآن الكريم وهذه التعريفات تتفاوت من ناحية الشمول، فبعضها أشمل من بعض، وتتفاوت كذلك من ناحية الألفاظ. وإني –وإن قل الاعتداد بكثرة ألفاظ

التعريف أو قلتها- أقر بأن التعريف ينبغي أن يكون دالاً على جميع أجزاء المعرف بأقل لفظ ممكن، مهما كثرت ألفاظه.

وعند الرجوع إلى كتب علوم القرآن لمعرفة التعريف الاصطلاحي وجدت كما أشرت سابقاً عدة تعريفات فالشيخ مناع القطان رحمه الله قال نقلاً عن العلماء -كما يقول-: "كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته"(١).

وقال الشيخ صبحي الصالح رحمه الله: "هو الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته"(٢).

ثم قال بعد ذلك: "وتعريف القرآن على هذا الوجه متفق عليه بين الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية".

وأما الشيخ محمد سالم محيسن فعرفه نقلاً عن إرشاد الفحول قائلاً: "هو كلام الله تعالى المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول إلينا نقلاً متواتراً المتعبد بتلاوته المتحدى بأقصر سورة منه"(٣).

أما الشيخ الصابوني فقد عرفه بأنه: "كلام الله المعجز المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه السلام المكتوب في

---

(١) مباحث في علوم القرآن، الشيخ مناع خليل القطان، مكتبة وهبة ص ١٦.

(٢) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين ط١٦ ص ٢١.

(٣) تاريخ القرآن الكريم، رابطة العالم الإسلامي، سلسلة دعوة الحق، السنة الثانية، ١٤٠٢هـ.

المصاحف المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة المختتم بسورة الناس"[1].

وقد خرجت من مجموع هذه التعريفات بتعريف أرى أنه أجمع من غيره وهو: "القرآن كلام الله الذي أوحاه إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقظة بلفظه ومعناه، المعجز والمتعبد بتلاوته والمنقول إلينا تواتراً والمحفوظ بين دفتي المصحف"[2].

وهذه العبارات التي يحتوي عليها التعريف منتقاة من مجموع التعريفات.

الفرق بين القرآن والحديث القدسي والحديث النبوي:

قد نطق الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم كما نطق بالحديث القدسي والحديث النبوي، وكان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على تسجيل كل ذلك وتدوينه، إذ إن كل ذلك دين ينبغي الحرص عليه، ولكن لما كان من الممكن أن يختلط القرآن بغيره نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة أي شيء عنه غير القرآن وقد أوردت مبحثاً خاصاً حول هذا النهي.

---

(١) التبيان في علوم القرآن، الشيخ محمد علي الصابوني مكتبة الغزالي ص ٦.

(٢) ترى اللجنة العلمية للندوة أن الراجح في تعريف القرآن هو ما ذكره الطحاوي بقوله: (إن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر...) شرح العقيدة الطحاوية (طبع مؤسسة الرسالة) ١ / ١٧٢.

وعلى هذا رأيت أن أذكر –باختصار– الفرق بين القرآن وغيره مما كان ينطق به الرسول صلى الله عليه وسلم.

قلت: والمقصود هنا ذكر فروق القرآن عن نوعي الحديث دون حاجة إلى ذكر الفروق بين هذين النوعين، ومن تعريف القرآن الكريم وتعريف نوعي الحديث تتضح لنا فروق القرآن عنها، وهي:

١– القرآن الكريم نزل بلفظه ومعناه، أما الحديث فنزل بمعناه دون لفظه على الصحيح.

٢– القرآن الكريم معجز بلفظه ومعناه، بخلاف الحديث فليس فيه صفة الإعجاز والتحدي.

٣– القرآن الكريم جميعه منقول بالتواتر وهو قطعي الدلالة ، أما الحديث ففيه المتواتر والآحاد.

٤– القرآن الكريم تصح به الصلاة ولا تصح بغيره.

٥– القرآن الكريم متعبد بلفظه ومعناه فمجرد تلاوته عليها أجر عظيم منصوص عليه في الحديث الصحيح، ولا يجري هذا الأجر على الحديث بنوعيه، وإن كانت قراءته عليها أجر عام غير محدد.

فضل القرآن الكريم وفضل تلاوته وأثر ذلك في حياة الناس:

القرآن هو كلام الله الذي يخاطب به كل واحد منا صباح مساء، وقد سبقت في المقدمة الإشارة إلى أوصافه التي تعرف بها مكانته، فالفضل كل الفضل في قراءة حروفه وفهم معانيه والوقوف عند

حدوده، لعلَّنا نكون من أهله فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن لله أهلين" قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: "أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته"[1].

والحديث عن فضل القرآن وفضل تلاوته وأثر تلاوته في حياة الناس حديث قد يطول، لما للقرآن من فضل، ولما ورد فيه من الأدلة الكثيرة، ولما كان من الصعب حصر كل ذلك في هذا البحث الموجز رأيت أن أقدم إشارات لطيفة إلى بعض ذلك، فما لا يدرك كله لا يترك جله. وإليك أيها القارئ الكريم شيئاً من تلك الأدلة التي جمعتها، وحاولت الربط بينها ربطاً خفيفاً إما بتقديم للآية أو بذكر تفسير مختصر لها.

قلت: وبمعرفة صفات القرآن الكريم الواردة في آياته الكريمة والأحاديث والآثار، وبتدقيق النظر فيها يتجلى لنا فضل القرآن الكريم، ذلك الفضل الذي لم يقتصر على الأمة الإسلامية فقط بل تعداها إلى البشرية بعامة، فالقرآن مصدر الهداية المنزه عن الشك والريب، كيف لا وهو كلام الله الذي قاله بنفسه وأنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لهداية الثقلين الجن والإنس، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ (البقرة: ١، ٢). وقال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ ...﴾ (البقرة ١٨٥).

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/ ١٢٧، ١٢٨ وأورده الألباني في صحيح الجامع تحت رقم ٢١٦٥ وقال: صحيح.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ (الإسراء: ٩).

فأصحُّ طريق وأقومه هو ما هدى وأرشد إليه القرآن الكريم لأنه النور المبين الذي ينير الطريق للبشرية في ظلمة هذه الحياة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ... ﴾ (البقرة: ٩٩). وقال تعالى: ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾ (الحجر: ١).

ولما له من الأثر العظيم والتأثير البالغ في النفوس ما لبثت الجن حين سمعته أن آمنت به، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ ... ﴾ (الأحقاف: ٢٩-٣١). وقال تعالى مخبراً عنهم مرة أخرى: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ... ﴾ (الجن: ١-٢). وانظر إلى أحد فصحاء العرب حين استمع القرآن ماذا قال: "والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه يعلو ولا يعلى عليه"[١].

لكنه تحت تأثير قومه نكص على عقبيه وافترى على الله الكذب، قال الله تعالى في خبره: ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ (المدثر: ١٨-٢٥).

---

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ٤٦٦.

بل لا أبالغ إذا ما قلت إن عدداً كبيراً من المسلمين الأوائل كان سبب إسلامهم وهدايتهم سماعهم لآيات القرآن التي انبهروا بها وعرفوا بتوفيق الله لهم أن هذا الكلام، وهذه البلاغة والفصاحة لا يمكن أن تصدر عن بشر.

والآيات في وصف القرآن بأنه مصدر الهداية والإرشاد، والقيادة إلى طريق السعادة والسداد كثيرة جداً، ولكني اقتصرت منها على ما ذكرت. والله ولي التوفيق.

والقرآن كذلك سبب لتنزل رحمة الله على عباده المؤمنين وسبب لمغفرة الذنوب وحصول الأجر والثواب. قال تعالى: ﴿ ... قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠٣). وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ٥٢). وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ (الأعراف: ١٧٠).

وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾ (الإسراء: ٨٢). فالرحمة من أوصاف القرآن فهو سبب للرحمة المتنزلة من الله على عباده المؤمنين، فمن حفظه استحق الرحمة، ومن قرأه استحق الرحمة، ومن تدارس معانيه فكذلك، قال صلى الله عليه وسلم: "وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله

فيمن عنده ومن بطَّأ به عملُه لم يسرع به نسبُه"[1]. بل والرحمة بالقرآن تتجاوز حفظه وتدارسه بكثير فمن استمع له وأنصت استحق الرحمة قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٤). أسأل الله أن يرحمني وإياكم برحمته.

والقرآن كذلك دلالة وعلامة على الإيمان، فلا يقرؤه إلا مؤمن، ولا يهجره إلا فاسق، ولا يبغضه إلا كافر صريح الكفر أو منافق، قال تعالى في وصف عباده المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ...﴾ (البقرة: ١٢١).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾ (فاطر: ٣٢). فهؤلاء التالون لكتاب الله هم المؤمنون حقاً الذين يعبدون الله حق عبادته ويرجون رحمته، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ (فاطر: ٢٩). وقال تعالى: ﴿... فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧). والله سبحانه وتعالى زكَّى هؤلاء بالقرآن وجعله مصدراً لتزكية نفوسهم حتى تطهر وتسمو، وأرسل إليهم نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ليزكيهم، قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٥١). ويؤكد الله

(١) أخرجه مسلم برقم ٢٦٩٩.

هذا المعنى في آية أخرى فيقول: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (آل عمران: ١٦٤). ويؤكد هذا المعنى مرة ثالثة إذ يقول: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الجمعة: ٢).

والقرآن كذلك نور يضيء الطريق للمؤمنين وقد سمَّاه الله تعالى نوراً في كثير من الآيات، وهو نور بذاته وسبب لكل نور يحصل لعباد الله المؤمنين قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ (النساء: ١٧٤).

وقال تعالى: ﴿ ... قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ... ﴾ (المائدة: ١٥، ١٦). وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ ... ﴾ (الشورى: ٥٢). وقال تعالى آمراً عباده المؤمنين بالإيمان بهذا النور بعد أمره إياهم بالإيمان بذاته وبرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (التغابن: ٨).

ومن رحمة الله تعالى بعباده أن جعل القرآن الكريم شفاءً من كثير من الأدواء الحسية والمعنوية قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾ (الإسراء: ٨٢). وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ

جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (يونس : ٥٧). وقال تعالى : ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ ... ﴾ (فصلت : ٤٤).

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة الاستشفاء بالقرآن الكريم فعن عائشة رضي الله عنها قالت : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات، فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه لأنها كانت أعظم بركة من يديّ"(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كنا في مسير لنا فنزلنا، فجاءت جارية فقالت : إن سيد الحي سليم، وإن نَفَرَنا غيب فهل منكم راق؟ فقام معها رجل ما كنا نأبنه برقية، فرقاه فبرأ، فأمر لنا بثلاثين شاة وسقانا لبناً. فلما رجع قلنا له أكنت تحسن الرقية أو كنت ترقي؟ قال : لا، ما رقيت إلا بأم الكتاب، قلت : لا تحدثوا شيئاً حتى نأتي أو نسأل النبي صلى الله عليه وسلم فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : "وما كان يدريه أنها رقية اقسموا واضربوا لي بسهم"(٢).

وكما أنه سبب في شفاء الأمراض الحسية، هو سبب للوقاية من

---

(١) أخرجه مسلم برقم ٢١٩٢ .

(٢) أخرجه البخاري برقم ٥٠٠٧ .

الأمراض المعنوية وغيرها، وسبب في طرد الشيطان الذي هو سبب لكثير من الأمراض، فعن عائشة رضي الله عنها: "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات"(١).

وقد ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكَّلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إني محتاج وعليَّ عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟" قال: قلت يا رسول الله شكا إليَّ حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله قال: "أما إنه قد كذبك وسيعود" فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه سيعود" فرصدته فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال، لا أعود، فرحمته فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟" قلت: يا رسول الله. شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٥٠١٧.

فخليت سبيله. قال: "أما إنه قد كذبك وسيعود" فرصدته الثالثة فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هن؟ قال إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ...﴾ حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله فأصبحت، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما فعل أسيرك البارحة؟" قلت يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: "ما هي؟" قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ...﴾ وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح. -وكانوا أحرص شيء على الخير-. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم مَن تخاطب مِن ثلاث ليال يا أبا هريرة؟" قال: لا، قال: "ذاك شيطان"(١).

والقرآن تذكرة وموعظة بما جاء فيه من قصص الأمم الغابرة، وبيان ما جوزي به مؤمنها وما عوقب به كافرها، فقد احتوى القرآن على قصص الأنبياء والصالحين وعلى قصص الكافرين والمعاندين فكأنه يذكرنا ويعظنا، يذكرنا بما حصل لهم وبقوة الله وجبروته وقدرته على خلقه، ويعظنا بأن نتبع سبيل الرشد ونبتعد عن سبل الغي والضلال.

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٢٣١١.

قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ (يوسف: ٣) وقال: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ (الإسراء: ٨٩). وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ (الكهف: ٥٤، ٥٥). وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ... ﴾ (يونس: ٥٧).

وقال: ﴿ ... وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ... ﴾ (البقرة: ٢٣١).

فالقرآن موعظة بما ضرب الله لنا فيه من الأمثال وقصص وأخبار السابقين وخاصة الكافرين منهم. والمتدبر للآيات السابقة يلمس أن الله سبحانه وتعالى ما ساق لنا هذه الأمثلة والقصص إلا لنتعظ ونعتبر، وهذا ما قد صرح به القرآن أحياناً كثيرة حيث قال تعالى معللاً ذلك: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأنعام: ٥٥) ومن تفصيل الآيات ذكرُ تلك الأمثال والقصص وقد حذرنا الله تعالى من الوقوع في مثل ما وقعوا فيه، قال تعالى: ﴿ ... فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور: ٦٣). وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء: ١١٥). في السياق نفسه جعل الله في القرآن بيان الوعد والوعيد ترغيباً في اتباع طريق الحق وتحذيراً من سلوك

طرق الغي والضلال قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ (طه: ١١٣).

من فضل القرآن أن يبين الله فيه خبر كل شيء قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (الأنعام: ٣٨). وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ٥٢). وقال تعالى: ﴿ ...مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف: ١١١): ﴿ ... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل: ٨٩).

ومن عظيم نعمة الله علينا ورحمته أن لم يترك شيئاً مما يهمنا إلا ذكَرَه في الكتاب فله الحمد وله الشكر.

وبعد أن ذكرت فضل القرآن الكريم وأثره في حياة المؤمنين استحسنت أن أذكر أثره في المعاندين الذين صدوا عنه وأعرضوا، وما نالهم وينالهم من الخسران المبين في الدنيا والآخرة، قال تعالى واصفاً حالهم عند تلاوة القرآن عليهم: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (الأنفال: ٣١). وقال: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (لقمان: ٧). وقال: ﴿ ... وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ (الإسراء: ٤٦). وقال: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الأحقاف: ٧). قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾

﴿ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ (الجاثية: ٧ – ٨). فلما تلي عليهم القرآن وأدركوا قوته ولَّوْا وأعرضوا عنه، وصمُّوا آذانهم، وأعموا أبصارهم، واتهموه بالسحر لمَّا رأوا ما له من التأثير البالغ.

وقال بعد بيان حال المؤمنين وما أعد الله لهم من النعيم المقيم والفوز المبين: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴾ (الجاثية: ٣١). وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۚ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (الحج: ٧٢). ولكن ليس لهم إلا الحسرة والندامة يوم القيامة قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (الزمر: ٧١). وبعد أن ذكر الله إقرارهم على أنفسهم بالكفر ذكر ندمهم واعترافهم بذنوبهم فقال: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (الملك: ١٠–١١). وقال: ﴿ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٠٥ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ۝١٠٦ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ۝١٠٧ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ (المؤمنون: ١٠٥–١٠٨).

والآيات في ذكر حسرتهم وندمهم يوم لا ينفع الندم كثيرة أكثر من أن أحصيها في هذا البحث، نعوذ بالله من الخزي والخسران.

وبعد أن ذكرت طرفاً من الآيات في فضل القرآن الكريم وفضل قراءته وأثره في حياة الناس رأيت أن أذكر طرفاً من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم التي تدل على ذلك، وإليك أخي الكريم فضل القرآن الكريم كما جاءتنا به السنة المطهرة:

- القرآن يشفع يوم القيامة لصاحبه، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه"(١). وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران، وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال: " كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شَرْق أو كأنهما حِزْقان من طير صوافَّ تُحاجان عن صاحبهما"(٢).

- تلاوة القرآن سبب في رفعة الدرجات في جنات النعيم؛ فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها"(٣)، وعن عائشة رضي الله عنها عن

(١) صحيح مسلم حديث رقم ١٨٧٤.

(٢) صحيح مسلم حديث رقم ٨٠٥ وسنن الترمذي ٢٨٨٦. شرق: ضياء، الحزق: الجماعة من كل شيء.

(٣) أخرجه الترمذي برقم ٢٩١٤ وقال: حسن صحيح.

النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران"[1].

- قراءة القرآن سبب في زيادة الحسنات ورضا الرب سبحانه وتعالى: فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول آلمّ حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف"[2]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يجيء القرآن يوم القيامة فيقول: "يارب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول: يارب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يارب ارض عنه فيرضى عنه فيقال له: اقرأ وارق وتزاد بكل آية حسنة"[3].

- القرآن يرفع مكانة صاحبه ويكون سبباً في تقديمه على غيره، فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله..."[4]. وعن عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٤٩٣٧ ومسلم برقم ٧٩٨.

(٢) أخرجه الترمذي برقم ٢٩١٠.

(٣) أخرجه الترمذي برقم ٢٩١٥ وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه مسلم برقم ١٥٣٢.

مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع به آخرين "[1]. ومعلوم في قصة غزوة أحد أن الرسول صلى الله عليه وسلم عند دفن الشهداء رضي الله عنهم كان يقدم أقرأهم لكتاب الله إلى القبلة ثم الذي يليه في القراءة وهكذا.

- ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل طيب الطعم والرائحة لقارئ القرآن فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح فيها،ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها"[2]. انظر أخي رعاك الله إلى الأثر العظيم لقراءة القرآن كيف أن المنافق والفاجر أصبحت لهما رائحة زكية كرائحة الريحانة بسبب قراءة القرآن، مع أنهما بعيدان عن الإيمان والقرآن كل البعد؟

- وقراءة القرآن سبب في تنزل السكينة والرحمة على قارئه قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الطويل الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: "... وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة

---

(١) أخرجه مسلم برقم ١٨٩٧.

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري برقم ٥٠٢٠ ومسلم برقم ٧٩٧.

وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه"[1]. وعن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكنت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس، فانصرف وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: "اقرأ يابن حضير، اقرأ يابن حضير"، قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً، فرفعت رأسي فانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة، فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها. قال: "وتدري ما ذاك؟" قال: لا، قال: "تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم"[2].

- وأخرج البخاري من طريقه عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء بن عازب رضي الله عنهما يقول: قرأ رجل الكهف وفي الدار الدابة فجعلت تنفر فسلم الرجل فإذا ضبابة أو سحابة غشيته فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: "اقرأ فلان فإنها السكينة نزلت للقرآن أو تنزلت للقرآن"[3].

---

(١) أخرجه مسلم برقم ٢٦٩٩.

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري برقم ٥٠١٨ ومسلم برقم ٧٩٦.

(٣) أخرجه البخاري برقم ٣٦١٤.

ذكر فضائل بعض السور والآيات

وقد رأيت بعد أن ذكرت فضل القرآن وقراءته وقارئه أن أذكر شيئاً من فضائل بعض السور والآيات -كأمثلة - ولم أقصد الحصر، ومن أراد أن يعرف المزيد من ذلك فعليه الرجوع إليه في محله في كتب الحديث وفضائل القرآن.

ولم أجعل عنواناً لكل سورة أو آية أذكر فضلها، وإنما اكتفيت بذكر الآية والحديث فقط ومنها:

قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سعيد بن المعلى: " ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟" فأخذ بيدي فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله، إنك قلت: ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن؟ قال: "﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته"(١).

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة"(٢)، ففي أول هذا الحديث نص صلى الله عليه وسلم على فضل القرآن كله وأنه يشفع

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٥٠٠٦.

(٢) أخرجه مسلم برقم ٨٠٤.

لصاحبه يوم القيامة ثم خص من بين سور القرآن سورتي البقرة وآل عمران وضرب لهما مثلاً وهو أنهما تظلان صاحبهما يوم القيامة وتحاجان عنه، ثم خص من بين السورتين سورة البقرة وما يترتب على أخذها، وما يترتب كذلك على تركها، فأخذها بركة تحصل لصاحبها ولمنزله وأهله. وتركها حسرة تنتاب من تركها يوم القيامة -عياذاً بالله- ولا تستطيعها البطلة وهم السحرة وقيل مردة الجن، وقد ورد في حديث أخرجه الإمام الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، وإن البيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان"(١).

وقد خصت آيات من سورة البقرة بالفضل مثل آية الكرسي التي ورد في فضلها أحاديث كثيرة، فقد أخرج الإمام مسلم عن أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟" قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟" قال: قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ...﴾ قال: فضرب في صدري وقال: "ليهنك العلم أبا المنذر"(٢).

وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه"(٣). وأخرج

(١) أخرجه الترمذي برقم ٥٨٧٧ وقال حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه مسلم برقم ٨١٠.

(٣) أخرجه البخاري برقم ٥٠٠٩.

البخاري من طريقه عن أبي إسحاق: سمعت البراء بن عازب رضي الله عنهما يقول: قرأ رجل الكهف وفي الدار الدابة فجعلت تنفر فسلم الرجل فإذا ضبابة أو سحابة غشيته فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: "اقرأ فلان فإنها السكينة نزلت للقرآن أو تنزلت للقرآن"(١). وعن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال"(٢)، وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي سورة: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ...﴾"(٣)، وعن أبي سعيد الخدري أن رجلا سمع رجلاً يقرأ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ يرددها، فلما أصبح جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، وكأن الرجل تقالها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن"(٤). وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾(٥).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم برقم ٨٠٩.

(٣) أخرجه الترمذي برقم ٢٨٩١.

(٤) أخرجه البخاري برقم ٥٠١٣.

(٥) أخرجه مسلم برقم ٨١٤.

فضل تعلم القرآن وتعليمه

القرآن صفة من صفات الله تبارك وتعالى، وهو كلامه الذي خاطب به نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم، ولا يزال خطابه مستمراً لنا ومن هنا تنبع أهميته فقد ثبت في الحديث القدسي الذي أخرجه الترمذي قول الله عز وجل. "وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه"[1]، ورتب الله الأجر العظيم والجزاء الجزيل على تلاوة القرآن وعلى تدبره وعلى تعلمه وتعليمه، وقد سبق أن بينت ما يخص التلاوة، وهنا أريد أن أشير إلى فضل تعلم القرآن وتعليمه:

فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[2] وفي لفظ: "إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه".

قال ابن كثير رحمه الله بعد إيراده حديث عثمان رضي الله عنه: والغرض أنه عليه الصلاة والسلام قال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" وهذه صفات المؤمنين المتبعين للرسل وهم الكُمَّل في أنفسهم المكمِّلون لغيرهم، وذلك جمع بين النفع القاصر والمتعدي، وهذا بخلاف صفة الكفار الجبارين الذين لا ينفعون ولا يتركون أحداً ممن أمكنهم أن ينتفع، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ . . . ﴾ (النحل: ٨٨).

---

(١) أخرجه الترمذي برقم ٢٩٢٦.

(٢) انظر صحيح البخاري الحديثين رقم ٥٠٢٧، ٥٠٢٨.

كما أن شأن الأخيار الأبرار أن يكتمل في نفسه وأن يسعى في تكميل غيره. وقد كان أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي الكوفي أحد أئمة الإسلام ومشايخهم ممن رغب في هذا المقام فقعد يعلم الناس من إمارة عثمان إلى أيام الحجاج قالوا: "وكان مقدار ذلك الذي مكث يعلم فيه القرآن سبعين سنة، رحمه الله وأثابه وآتاه ما طلبه ورامه آمين"[1].

وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده"[2].

فضل حفظ القرآن عن ظهر قلب

وإذا ثبتت الفضيلة لقارئ القرآن فلا شك أن حفظ القرآن عن ظهر قلب أعلى مرتبة وأشرف منزلة، لأن القرآن قد استقر في قلب حافظه، يقرؤه في كل مكان وزمان لا يشعر من حوله بقراءته، فيسلم بإذن الله من الوقوع في الرياء، أسأل الله أن يعيذني وإياكم من الشرك صغيره وكبيره، عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة"[3].

---

(١) انظر فضائل القرآن لابن كثير ص ١٢٦، ١٢٧.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب"(١).

وانظر -حفظك الله- إلى هذا التمثيل البالغ في الدقة، فالبيت الخرب الذي لا يسكنه أحد يكون مأوىً لكل شر، فهو محل آمن لارتكاب الجريمة أياً كان نوعها، وهو كذلك مأوىً للكلاب والحيوانات الهاملة تأوي إليه وتقذره، ومأوىً للجن والشياطين. فليحذر كل مؤمن عاقل أن يجعل قلبه كالبيت الخرب، وعليه أن يبذل جهده لحفظ كتاب الله أو شيء منه، فحفظ القرآن يرفع مكانة صاحبه في الدنيا والآخرة، ومن الأدلة على ذلك بالإضافة إلى ما سبق ما أخرجه الشيخان: عن سهل بن سعد: أن امرأة جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله جئت لأهب لك نفسي، فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر إليها وصوبه ثم طأطأ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست، فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله، إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها، فقال له: "هل عندك من شيء؟" فقال: لا والله يا رسول الله، قال: "اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً": فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ما وجدت شيئاً: قال: "انظر ولو خاتماً من حديد"، فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله، ولا خاتماً من حديد،

(١) أخرجه الترمذي برقم ٢٩١٣ وقال: حديث حسن صحيح.

ولكن هذا إزاري -قال سهل: ماله رداء- فلها نصفه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما تصنع بإزارك؟ إن لبستَه لم يكن عليها منه شيء، وإن لبسته لم يكن عليك شيء" فجلس الرجل حتى طال مجلسه، ثم قام فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مولياً فأمر به فدعي، فلما جاء قال: "ماذا معك من القرآن" قال: معي سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا عدها، قال: "أتقرؤهن عن ظهر قلب؟" قال: نعم، قال: "اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن"[1].

وابن كثير رحمه الله عند إيراده لحديث: "خذوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ بن جبل وأبيّ بن كعب". قال: "وقد كان سالم هذا من سادات المسلمين وكان يؤم الناس قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وسالم هذا هو مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما".

إثم من راءى بالقرآن أو تأكَّل به

التأكُّل بالقرآن من جنس الرياء؛ لأن قارئ القرآن حينئذ لم يكن يقصد الإخلاص لله تعالى في قراءته إنما يقصد هدفاً آخر، وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى... ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"[2].

ويدخل في هذا المعنى من يقرأ القرآن ليقال قارئ، ويدخل فيه

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري برقم ٥٠٣٠ ومسلم برقم ١٤٢٥.

(٢) أخرجه البخاري برقم (١) ومسلم برقم ١٩٠٧ وغيرهما.

كذلك الذي يقرؤه للمسألة والتأكل بل يدخل فيه كل من لم يقرأه إخلاصاً لله تعالى، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اقرؤوا القرآن ولا تأكّلوا به ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه"(١).

قال ابن حجر رحمه الله: "وأخرج أبو عبيد عن عبد الله بن مسعود: سيجيء زمان يُسأل فيه بالقرآن فإن سألوكم فلا تعطوهم"(٢).

وعن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة"(٣).

قال ابن حجر: وقد أخرج أبو عبيد عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "تعلموا القرآن واسألوا الله به قبل أن يتعلمه قوم يسألون به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة نفر: رجل يباهي به ورجل يستأكل به ورجل يقرؤه لله"(٤).

وأخرج أبو داود عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "اقرؤوا القرآن من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه"(٥).

---

(١) أخرجه أحمد ٣/٤٢٨ و٤٤٤ وذكره الألباني رحمه الله بلفظ آخر وقال: صحيح، وعزاه إلى مسند أحمد والمعجم الكبير للطبراني وغيرهما. انظر صحيح الجامع.

(٢) فتح الباري ٨/٧١٩.

(٣) أخرجه الترمذي برقم ٢٩١٩ وقال: حديث حسن غريب وقد انتقاه الذهبي رحمه الله في الأحاديث العوالي من جزء ابن عرفة العبدي رواية شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله برقم (٢) وقال المحقق د. عبدالرحمن الفريوائي: الحديث في جزء ابن عرفة برقم (٨٤).

(٤) فتح الباري ٨/٧١٩.

(٥) سنن أبي داود حديث رقم ٨٣٠ وأخرجه أحمد ٣/٣٩٧.

وأخرج الإمام مسلم عن سليمان بن يسار قال: تفرق الناس عن أبي هريرة فقال له ناتل أهل الشام[1]: أيها الشيخ حدثني حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال: نعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلَّم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها. قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.."[2].

كتَّـاب القرآن الكريم

كانت الكتابة قليلة بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولكن ثبت أن عدداً منهم تعلموا القراءة والكتابة، وكتبوا القرآن، فمنهم من كتب صحيفة لنفسه ومنهم من كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، ومن أشهر هؤلاء بل هو إمام الكتاب وسيدهم: زيد بن ثابت رضي الله عنه وأرضاه، فقد ثبت في الحديث الصحيح عن البراء لما نزلت: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ادع لي زيداً وليجئ باللوح والدواة

(١) اسم رجل ويقال له: ناتل الشامي.

(٢) صحيح مسلم برقم ١٩٠٥ وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٢٢.

والكتف أو الكتف والدواة" ثم قال: "اكتب (لا يستوي القاعدون)"[1].

وفي الصحيح كذلك أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما اختاراه لجمع القرآن وكتابته قال زيد رضي الله عنه: قال أبو بكر: "إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه"[2].

قال ابن حجر رحمه الله: "نعم قد كتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة غير زيد بن ثابت أما بمكة فلجميع ما نزل بها لأن زيد بن ثابت إنما أسلم بعد الهجرة" . أي أن جميع ما نزل قبل الهجرة كتبه كتّاب آخرون غير زيد الأنصاري المدني الذي أسلم بالمدينة وقال ابن حجر: "وأما بالمدينة فأكثر ما كان يكتب زيد ولكثرة تعاطيه ذلك أطلق عليه: الكاتب بلام العهد . . . وقد كتب له قبل زيد بن ثابت أبيّ ابن كعب وهو أول من كتب له بالمدينة، وأول من كتب له من قريش بمكة عبد الله بن سعد بن أبي سرح . . . وممن كتب له في الجملة الخلفاء الأربعة، والزبير بن العوام، وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص بن أمية، وحنظلة بن الربيع الأسدي، ومعيقيب بن أبي فاطمة، وعبد الله بن الأرقم الزهري، وشرحبيل بن حسنة، وعبد الله بن رواحة"[3].

ومن كلام ابن حجر هذا يتبين لنا كثرة عدد من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) صحيح البخاري ٤٩٩٠.

(٢) صحيح البخاري ٤٩٨٦.

(٣) فتح الباري ٨/ ٦٣٩.

وسائل الكتابة

تنقسم وسائل الكتابة إلى قسمين:

١- ما يكتب عليه.

٢- ما يكتب به.

لقد ورد في عدد من الأحاديث في الصحيحين وغيرهما ذكر أسماء بعض الأشياء التي كان يكتب عليها القرآن الكريم، وذكر هذه الأحاديث بألفاظها قد يطيل بنا المقام في هذا الموضع، ولكني سأكتفي بذكر هذه الأشياء مع تعريف كل واحد منها، وأشير قبل ذكرها إلى أنها تشترك كلها في شيء واحد ألا وهو العرض والانبساط، فكانوا يستعملون لكتابة القرآن كل شيء طاهر فيه عرض وانبساط ويسهل حمله نسبياً، فمثلاً الحجارة الكبيرة كالصخور وما أشبهها أو الجدران لم يكن ليكتب عليها القرآن في ذلك العهد لأنها يصعب حملها وجمعها مع بعضها لتكون بمجموعها مجموع نص القرآن الكريم.

وهذه الأشياء في مجملها لم تكن خارجة عما يوجد في بيئتهم فهم يستخدمون أجزاء من النخلة أو قطعاً من الخشب والحجارة وما شابهها وإليك أخي الكريم ذكر مفصل لما نحن بصدد الحديث عنه:

- الكَرانيف: جمع كرناف بكسر الكاف أو ضمها، الواحدة منه بالتأنيث يقال لها: كِرنافة وكُرنافة وكرنوفة قال ابن منظور: "أصول الكرب التي تبقى في جذع السعف وما قطع من السعف فهو الكرب"

ونَقل عن ابن سيده قوله في تعريفها: "أصل السعف الغليظ الملتزق بجذع النخلة"[١]. وقريباً من قول ابن سيده قول الفيروزابادي[٢].

– العُسب: جمع عسيب، قال الفيروزابادي: "جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها، والذي لم ينبت عليه الخوص من السعف"[٣].

– السعف: قال الفيروزابادي: "جريد النخل أو ورقه وأكثر ما يقال إذا يبست، وإذا كانت رطبة فشطبة"[٤].

قلت: ويتبين من كلام العرب أن الجريدة اسم يشمل السعف والكرب والعسيب والكرناف والخوص، وأحياناً قد يطلق على الجريدة: السعفة ولكن لو دققنا النظر في كلام أهل اللغة لما وجدنا تعريفاً دقيقاً لبعض هذه الأجزاء، فاسم العسيب قد يطلق على السعفة وقد يطلق على الجريدة بكاملها، وكذلك الكرب والكرناف لتقاربهما قد يشتبه تعريف أحدهما بالآخر، ولكن المفهوم من مجموع كلامهم أن الجريدة تنقسم إلى أقسام، ترتيبها بحسب بُعدها عن الجذع على النحو الآتي:

١– السعف: وهو الجزء البعيد عن النخلة الأم الذي ينبت عليه الخوص.

٢– العسيب: وهو الجزء الذي يليه أي هو أقرب إلى النخلة منه ولا ينبت عليه خوص بل ينبت عليه السُّلَّاء وهو شوك النخلة.

---

(١) انظر: لسان العرب مادة كرنف ٩/ ٢٩٧.

(٢) انظر: القاموس المحيط مادة كرناف ٢/ ١١٢٩.

(٣) القاموس المحيط مادة عسب ١/ ٢٠٠.

(٤) المرجع السابق مادة سعف ٢/ ١٠٩٢.

٣- الكرب: وهو الجزء العريض الذي يكون أقرب من العسيب إلى النخلة ولا ينبت عليه خوص ولا سُلّاء.

٤- الكرناف: وهو الجزء الأعرض الملاصق للنخلة وهذا الجزء هو الذي يبقى في النخلة بعد قطع الجريدة.

- قلت: المقصود من ذلك كله ما كان يصلح للكتابة عليه بغض النظر عن كونه كرنافاً أو عسيباً أو سعفاً فما كان فيه عرض وانبساط كتبوا عليه، وقد يصلح كرناف نخلة للكتابة لما فيه من العرض ولا يصلح كرناف نخلة أخرى لأنه غير عريض والناظر إلى جرائد النخل يجد الفرق واضحاً في العرض تبعاً لأنواع النخل.

٥- الرقاع: قال ابن حجر: "جمع رقعة وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد"[١] قلت: وهذا يفيدنا أن الرقاع اسم عام يشمل ما يكتب عليه وهو ليس اسماً لمادة معينة كانت تستعمل في الكتابة بل يشمل الورق والقماش والجلد، ولكن يبدو واضحاً أن الرقاع تطلق على ما كان فيه ليونة ويمكن طيه. قال ابن منظور: "والرقعة واحدة الرقاع التي تكتب، وفي الحديث: "يجيء أحدكم يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق" أراد بالرقاع ما عليه من الحقوق المكتوبة في الرقاع"[٢].

٦- قطع الأديم: هي جلود الحيوانات الطاهرة وربما كانت تمثل أفضل

---

(١) فتح الباري ٨/ ٦٣١.

(٢) اللسان مادة رقع ٨/ ١٣١.

ما يمكن الكتابة عليه لتوافرها وسهولة حملها، وقيل: هي باطن الجلدة التي تلي اللحم أو ظاهرها الذي عليه الشعر. قلت: المهم من ذلك معرفة أنه الجلد الذي يكتب عليه وعلى هذا تدخل هذه في عموم لفظة الرقاع.

٧-الأكتاف: قال ابن حجر: "وهو العظم الذي للبعير أو الشاة كان إذا جف كتبوا عليه"[١]. قلت: والكتف في أصله عضو في الإنسان وغيره من الدواب وللكتف عظمة عريضة تقع تحته من الخلف يسميها الناس لوح الكتف وقد يطلق عليها الكتف من باب إطلاق الكل على الجزء وهي التي يكتب عليها إذا جفت.

٨-الأقتاب: قال ابن حجر: "بقاف ومثناة وآخرة موحدة جمع قَتَب بفتحتين وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه"[٢].

قال الفيروزابادي القَتَب والقِتْب: "إكاف البعير... وقيل هو الإكاف الصغير الذي على قدر السنام"[٣].

فالقتب إذاً يكون لوحاً صغيراً من الخشب يصلح للكتابة عليه، عُمل أصلاً ليكون إكافاً للبعير، ولكنه صرف عما صنع له واستعمل للكتابة لتوفر صفتي العرض والانبساط فيه.

---

(١) فتح الباري ٨ / ٦٣١.

(٢) المرجع السابق ٨ / ٦٣١.

(٣) القاموس المحيط ١ / ٦٦١.

٩- الأضلاع: قال ابن منظور: "والأصل في الضلع ضلع الجنب، وقيل للعود الذي فيه انحناء وعرض: ضلع، تشبيها بالضلع الذي هو واحد الأضلاع"[١].

قلت ويظهر من هذا أن الأضلاع تشمل كل عظم أو عود فيه عرض بحيث يصلح للكتابة عليه.

١٠- اللِّخاف: قال ابن كثير: "واللِّخاف جمع لَخْفَة وهي القطعة من الحجارة مستدقة"[٢]. وقال ابن حجر: "قال أبو داود الطيالسي في روايته: هي الحجارة الرقاق. وقال الخطابي: صفائح الحجارة الرقاق. قال الأصمعي: فيها عرض ودقة[٣]. قال الفيروزا بادي: حجارة بيض رقاق"[٤]. زاد عليهم بأن حدد لونها ويبدو أن تحديد لونها ليس له فائدة.

وروى البخاري عن محمد بن عبيد الله أنه قال: "اللِّخاف: يعني الخزف"[٥].

وهذا كله فيما يكتب عليه، أما ما يكتب به فمعلوم أن لكل وسيلة مما سبق ما يناسبها للكتابة عليها، فقد يكتب بالمداد وقد يكتب بالنقش وغير ذلك والله أعلم.

---

(١) لسان العرب مادة ضلع ٨/ ٢٢٦.

(٢) فضائل القرآن ص ٢٩.

(٣) الفتح ٩/ ١٤.

(٤) القاموس المحيط، مادة لخف ١١٣٥.

(٥) صحيح البخاري حديث رقم ٧١٩١.

القـرّاء من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم

لقـد اهتـم صـحـابة رسـول الله صلى الله عليـه وسلم بالقـرآن كـتـابة وقـراءة وضـبطاً وحـفظاً، واشـتـهـر عـدد منهـم بالإقـراء وذلك لتـمـيـزهم بضبطهم للقرآن، وقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بأخذ القرآن عن بعض هؤلاء الضابطين، فقد أخرج البخاري رحمه الله بسنده عن مسروق: ذكـر عبدُ الله بن عمرو عبدَ الله بن مسـعـود فقـال: لا أزال أحبـه، سمعت النبي صلى الله عليـه وسلم يقـول: "خـذوا القـرآن من أربعة من عبدالله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبيٍّ بن كعب"[1].

والذين اشتـهـروا بإقراء القرآن من الصحابة كثيرون قال السيوطي: "المشتهرون بإقراء القرآن من الصحابة سبعة: عثمان وعليٌّ وأبيٌّ وزيد ابن ثابت وابن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري كذا ذكرهم الذهبي في طبقات القراء"[2].

وقال ابن حجر: "وقد ذكر أبو عبيد القرّاء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فعد من المهاجرين الخلفاء الأربعة وطلحة وسعداً وابن مسعود وحذيفة وسالماً وأبا هريرة وعبد الله بن السائب والعبادلة، ومن النساء عائشة وحفصة وأم سلمة... وعد ابن أبي داود في كتاب "الشريعة" من المهاجرين أيضاً تميم بن أوس الداري وعقبة بن عامر، ومن الأنصار عبادة بن الصامت ومعاذاً الذي يكنى أبا حليمة ومُجَمِّع

---

(١) المرجع السابق حديث رقم ٤٩٩٩.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ١ / ٢٠٤.

ابن جارية وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد... وعد بعض المتأخرين من القراء عمرو بن العاص وسعد بن عبادة وأم ورقة"[1].

قلت: ولا شك أن عدد الصحابة القراء يفوق ما ذكر أضعافاً مضاعفة؛ فقد ذكر أن سبعين من القراء قتلوا في معركة واحدة وهي اليمامة. وذِكْرُ هذه الأعداد الكبيرة من الصحابة القراء يدل على شدة اهتمامهم بكتاب ربهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يتعارض هذا العدد الكبير مع حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي سبق ذكره ألا وهو: "خذوا القرآن من أربعة" فقد يكون هؤلاء أشد حذقاً وإتقاناً للقراءة من غيرهم وقد يكونون حفاظاً عن ظهر قلب بالإضافة إلى إتقانهم القراءة ولهذا حق لهم أن يكونوا من أشهر الصحابة في الإقراء وشرفوا بنص الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم. وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أن قرأ سورة ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...﴾ على أُبيّ بن كعب رضي الله عنه. ففي الحديث المتفق عليه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبيٍّ: إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...﴾ قال: وسمَّاني؟ قال: "نعم"، قال فبكى[2]. وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لعبدالله ابن مسعود رضي الله عنه: "اقرأ عليَّ القرآن"[3]. وكذلك ثبت عنه

---

(١) انظر فتح الباري ٨/ ٦٦٩.

(٢) أخرجه البخاري برقم ٤٦٥٩ ومسلم برقم ٧٩٩.

(٣) يأتي تخريجه ص ٣٠٨ .

صلى الله عليه وسلم أنه استمع إلى قراءة أبي موسى الأشعري فأعجب بها ومدحها. وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال في مرضه الذي مات فيه: " مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس"(١) وعن مسروق قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "والله الذي لا إله غيره ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أُنزلت ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو كنت أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه"(٢).

وقد استحسنت بعد ذكر القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن أترجم لعدد منهم من الرجال والنساء وهم:

عائشة أمُّ المؤمنين رضي الله عنها

هي أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق، أفقه نساء الأمة على الإطلاق، التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"(٣). وهي التي قال لها رسول الله صلى عليه وسلم: "يا عائشُ هذا جبريل يقرئك السلام"(٤). أبوها أبو بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة رضي الله عنه أفضل رجال الأمة على الإطلاق، وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر. تزوج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة بعد موت الصديقة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وذلك قبل الهجرة

---

(١) الترمذي برقم ٣٦٧٢ وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري برقم ٥٠٠٢.

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري برقم ٣٧٦٩.

(٤) أخرجه البخاري برقم ٣٧٦٨.

ببضعة عشر شهراً، ولم يدخل بها إلا بعد غزوة بدر سنة اثنتين للهجرة في شوال.

لم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم بِكْراً غيرها ولا أحب امرأة حبها، وفي الحديث الصحيح عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أريتك في المنام يجيء بك الملك في سَرَقة من حرير، فقال لي: هذه امرأتك فكشفت عن وجهك الثوب فإذا أنت هي فقلت: إن يك هذا من عند الله يمضه"(١).

وفي الروايات الأخرى أنه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك ثلاث مرات في ثلاث ليال. وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لنسائه: "والله ما نزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها"(٢).

وقد ثبت عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: "عائشة" قال فمن الرجال؟ قال: "أبوها" قلت ثم من؟ قال: "ثم عمر بن الخطاب" فعدَّ رجالاً(٣).

وقد أطبقت الأمة على حبها وحب أبيها حتى إن حبهما أصبح علامة من علامات الإيمان. فلا يحبهما إلا مؤمن ولا يبغضهما إلا منافق أو كافر نسأل الله أن يرزقنا حبه وحب نبيه صلى الله عليه وسلم وحب آله وأصحابه وأن يجمعنا بهم في جنات النعيم، آمين.

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٥١٢٥.

(٢) أخرجه البخاري برقم ٣٧٧٥.

(٣) البخاري رقم ٣٦٦٢.

أبيُّ بنُ كعب رضي الله عنه

"هو أبيّ بن كعب بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك ابن النجار سيد القراء... المقرئ البدري"[1]. "كان عمر رضي الله عنه يسميه سيد المسلمين"[2].

وكان أقرأ الصحابة على الإطلاق بل أقرأ الأمة، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبيّ بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أميناً وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح"[3].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي: "إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ...﴾" قال: وسمَّاني؟ قال: "نعم"، قال: فبكى[4]. وحق له رضي الله عنه أن يبكي فرحاً بهذا المقام الرفيع، فالله يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقرأ عليه القرآن، فمن ذا الذي يستحق أن يذكر الله اسمه فوق سبع سموات؟ ومن ذا الذي يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقرأ عليه؟ وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "خذوا القرآن من أربعة..." وفي رواية: "استقرئوا القرآن من أربعة" ذكر منهم أبيّ بن كعب رضي الله عنه[5].

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٣٨٩.

(٢) انظر الإصابة ١/ ٣٢.

(٣) أخرجه الترمذي برقم ٣٧٩٣ وقال: حسن صحيح.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه البخاري برقم ٣٧٥٨.

وثبت عنه رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟" قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟" قال: قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ...﴾ قال: فضرب في صدري وقال: "ليهنك العلم أبا المنذر"[1].

زيد بن ثابت رضي الله عنه

قال ابن حجر في الإصابة: "هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد الأنصاري الخزرجي.. وكانت معه راية بني النجار يوم تبوك، وكانت أولاً مع عمارة بن حزم فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم منه فدفعها لزيد بن ثابت، فقال: يا رسول الله بلغك عني شيء؟ قال: "لا ولكن القرآن مقدم"[2].

وهو واحد من الأربعة الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأخذ القرآن عنهم. وهو أشهر كُتَّاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم: فعن البراء قال: لما نزلت (لايستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ادع لي زيداً وليجئ باللوح والدواة والكتف أو الكتف والدواة" ثم قال: "اكتب (لايستوي القاعدون...)"[3].

(١) أخرجه مسلم برقم ٨١٠.

(٢) الإصابة ١/٥٤٣.

(٣) سبق تخريجه.

وهو الذي كلَّفه أبو بكر رضي الله عنه بجمع القرآن وقال له: "إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه"[1].

قال ابن حجر: "وروى البخاري تعليقاً والبغوي وأبو يعلى موصولاً عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد عن أبيه قال: "أُتيَ بي النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم مقدمه المدينة، فقيل هذا من بني النجار وقد قرأ سبع عشرة سورة فقرأت عليه، فأعجبه ذلك فقال: "تعلم كتاب يهود فإني ما آمنهم على كتابي" ففعلت، فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته فكنت أكتب له إليهم وإذا كتبوا إليه قرأت له"[2]. وقال ابن حجر: وروى يعقوب بن سفيان بإسناد صحيح عن الشعبي قال: ذهب زيد بن ثابت ليركب، فأمسك ابن عباس بالركاب فقال: تنحَّ يابن عم رسول الله، قال: لا، هكذا نفعل بالعلماء والكبراء"[3].

عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار... بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.

كنيته أبو عبد الرحمن ويكنى كذلك بأمه فيقال له: ابن أم عبد، وكنَّاه النبي صلى الله عليه وسلم بكلتا الكنيتين، فقد روي عنه أنه قال: كنَّاني النبي صلى الله عليه وسلم: أبا عبد الرحمن قبل أن يولد لي[3]. وقال

(١) سبق تخريجه.

(٢) الإصابة ١/٥٤٣.

(٣) نقله الذهبي من المستدرك.

صلى الله عليه وسلم: "من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد"(١).

وقد كان شديد الضبط لكتاب الله فقد أخرج البخاري بسنده عن شقيق بن سلمة قال: خطبنا عبد الله بن مسعود فقال: "والله لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعاً وسبعين سورة والله لقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أني من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم..."(٢)، وما كان هذا الأخذ إلا لشدة ملازمته النبي صلى الله عليه وسلم، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي موسى الأشعري قال: "قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حيناً ما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي صلى الله عليه وسلم"(٣).

وقد ثبت في الصحيح عنه أنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقرأ عليَّ القرآن" قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: "فإني أحب أن أسمعه من غيري"(٤).

وقد كان أذن له النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخل عليه كل وقت، وهذه فضيلة قلَّما حصلت لغيره، فقد قال له صلى الله عليه وسلم: "يا عبد الله إذنك عليَّ أن ترفع الحجاب وتسمع سِوادي حتى

---

(١) مسند الإمام أحمد ١/٤٤٥-٤٥٤.

(٢) صحيح البخاري حديث برقم ٥٠٠٠.

(٣) أخرجه البخاري برقم ٣٧٦٣ وأخرجه مسلم برقم ٢٤٦٠.

(٤) أخرجه البخاري برقم ٤٥٨٢ وقد أوردت الحديث بكامله في الفصل الثاني.

أنهاك"[1]. والسواد بكسر السين: السر.

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: "سألنا حذيفة عن رجل قريب السمت والهدي من النبي صلى الله عليه وسلم حتى نأخذ عنه فقال: ما أعرف أحداً أقرب سمتاً وهدياً ودلاً بالنبي صلى الله عليه وسلم من ابن أم عبد"[2].

سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه

هو سالم بن معقل مولى أبي حذيفة، وكانت قد أعتقته زوجة أبي حذيفة رضي الله عنهم أجمعين.

وكان من أشهر قراء القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين الأولين وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد قباء فيهم أبو بكر وعمر وأبو سلمة وزيد وعامر بن ربيعة"[3] وفي رواية وكان أكثرهم قرآناً.

وهو أحد الأربعة الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم: "خذوا القرآن من أربعة"[4]. وأخرج الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: استبطأني رسول الله ذات ليلة، فقال: "ما حبسك؟" قلت: إن في المسجد لأحسن مَنْ سمعت صوتاً بالقرآن، فأخذ رداءه، وخرج يسمعه فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة، فقال:

(١) أخرجه مسلم برقم ٢١٦٩.

(٢) البخاري رقم ٣٧٦٢.

(٣) أخرجه البخاري برقم ٧١٧٥.

(٤) سبق تخريجه.

"الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك"[1].

قال ابن حجر: "وروى ابن المبارك أيضاً فيه: أن لواء المهاجرين كان مع سالم فقيل له في ذلك، فقال: بئس حامل القرآن أنا -يعني إن فررت- فقطعت يمينه فأخذه بيساره فقطعت فاعتنقه إلى أن صرع، فقال لأصحابه: "ما فعل أبو حذيفة؟" يعني مولاه، قيل: قتل، قال: "فأضجعوني بجنبه"[2]. وكان ذلك يوم اليمامة رضي الله عنه وأرضاه".

أم ورقة الشهيدة رضي الله عنها

هي أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث بن عويمر بن نوفل الأنصارية، روي عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما غزا بدراً قالت له: ائذن لي فأخرج معك فأمرض مرضاكم، ثم لعل الله أن يرزقني الشهادة قال: "قرِّي في بيتك فإن الله يرزقك الشهادة" فكانت تسمى الشهيدة. وكان لها غلام وجارية قد دبرتهما فقاما إليها بالليل فغمياها بقطيفة لها حتى ماتت، فلما أصبح عمر رضي الله عنه قال: والله ما سمعت قراءة خالتي أم ورقة البارحة فدخل الدار فلم ير شيئاً فدخل البيت فإذا هي ملفوفة في قطيفة في جانب البيت فقال: صدق الله ورسوله "أي صدقت نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم إذ كان يسميها: الشهيدة"، وكان صلى الله عليه وسلم يقول: "انطلقوا بنا نزور

---

(١) أخرجه أحمد ٦/١٦٥.

(٢) الإصابة ٢/٨.

الشهيدة" فصعد عمر المنبر فذكر خبر موتها للناس، وقال: عليَّ بهما، فأتي بهما فسألهما فأقرَّا أنهما قتلاها فأمر بهما فصلبا، وكانا أول من صلب بالمدينة المنورة شرفها الله تعالى.

وكانت أم ورقة رضي الله عنها قد قرأت القرآن واستأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في أن تتخذ في دارها مؤذناً لها وكانت تؤم أهل دارها، وكانت ممن اشتهر بقراءة القرآن من النساء رضي الله عنها وأرضاها.

أبو زيد رضي الله عنه

هو ثابت بن زيد بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك الأنصاري الخزرجي: وقيل اسمه أوس وقيل معاذ وهو ممن جمع القرآن حفظاً فحفظه كله في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وهو من كبار الصحابة رضي الله عنهم قال الذهبي: "قال النحوي –سعيد بن أوس ابن ثابت–: هو جدي شهد أحداً، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن، نزل البصرة واختط بها ثم قدم المدينة فمات بها فوقف عمر على قبره فقال: يرحمك الله أبا زيد، لقد دفن اليوم أعظم أهل الأرض أمانة"[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١ / ٣٣٦.

الفصل الثاني: عناية النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم

وفيه مباحث:

١- حرصه صلى الله عليه وسلم على تلقي القرآن وحفظه.

٢- نهيه صلى الله عليه وسلم عن كتابة شيء عنه غير القرآن.

٣- توجيهه الكتَّاب بكتابة كل آية في موضعها.

٤- تشجيعه صلى الله عليه وسلم على تلاوة القرآن وحفظه.

٥- أمره صلى الله عليه وسلم بتعاهد القرآن حتى لا يتفلت.

٦- أمره صلى الله عليه وسلم بتحسين الصوت في القراءة.

٧- حرصه صلى الله عليه وسلم على سماع القرآن من غيره.

٨- نهيه صلى الله عليه وسلم عن الاستعجال بالقراءة.

٩- تحريم القول في القرآن بغير علم.

تمهيد

النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس عناية بالقرآن الكريم من جميع جوانبه، ومن شدة عنايته صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بأمور تزيد من عنايتهم بالقرآن، كأمره إياهم بالحفظ والتعاهد والتدبر وغير ذلك، ولقد وردت لنا الأخبار بشيء من ذلك، وأنا أرى أن هذه الأخبار التي وردت ليست إلا إشارات إلى عنايته صلى الله عليه وسلم بالقرآن، ولكن واقع حاله وشدة اهتمامه لا يتصور أن تنقله النصوص على حقيقته، كيف لا يكون كل ذلك الاهتمام منه صلى الله عليه وسلم وهو المكلف الوحيد من قبل ربه بتبليغ هذا القرآن؟ وما أود أن أشير إليه هنا هو أن تسمية هذا الفصل بـ (عناية النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم) ما هي إلا من باب تركيز الحديث على مسائل معينة خاصة، وإلا فكثير من النصوص التي أوردتها في الفصل الأول تدل على عنايته صلى الله عليه وسلم وعناية صحبه الكرام بالقرآن الكريم.

وسأسوق في هذا الفصل بعض الأمثلة الدالة على هذه المسألة:

حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تلقي القرآن وحفظه

أمر النبي صلى الله عليه وسلم صحابته بحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل الأول، وكان هو صلى الله عليه وسلم شديد التلهف على حفظ القرآن، ولهذا كان إذا نزل عليه الوحي بشيء من القرآن يحرك به لسانه استعجالاً في حفظه فنهاه الله عن ذلك في قوله: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ (القيامة: ١٦-١٩).

ولعل ذلك والله أعلم لئلا ينشغل بالحفظ عن الفهم قال ابن حجر رحمه الله: "وكان من أصل الدين أن المبادرة إلى أفعال الخير مطلوبة، فنبه أنه قد يعترض على هذا المطلوب ما هو أجل منه وهو الإصغاء إلى الوحي وتفهم ما يرد منه، والتشاغل بالحفظ قد يصد عن ذلك فأمر أن لا يبادر إلى التحفظ لأن تحفيظه مضمون على ربه وليصغ إلى ما يرد عليه إلى أن ينقضي فيتبع ما اشتمل عليه"(١).

أخرج البخاري بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل جبريل عليه بالوحي وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه، فأنزل الله الآية التي في ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾. ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ قال: علينا أن نجمعه في صدرك وقرآنه ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ فإذا أنزلناه فاستمع ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ علينا أن نبينه بلسانك، قال: فكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله(٢).

نهيه صلى الله عليه وسلم عن كتابة شيء عنه غير القرآن الكريم

عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه وحدثوا عني ولا حرج"(٣).

---

(١) الفتح ٨/٥٤٨.

(٢) صحيح البخاري حديث رقم ٤٩٢٩.

(٣) أخرجه مسلم برقم ٣٠٠٤.

قال ابن كثير رحمه الله في معنى هذا الحديث: "أي لئلا يختلط بالقرآن، وليس معناه أن لا يحفظوا السنة ويرووها، والله أعلم"[1].

قلت: ويؤيد قول ابن كثير هذا قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث: "وحدثوا عني ولا حرج" فرواية الحديث وتناقله مشافهة لا حرج فيها بل هي ضرورة لابد منها لنشر الدين حيث كان الصحابة يتناقلون أقوال النبي صلى الله عليه وسلم بينهم ويبلغ الشاهد الغائب كما ثبت ذلك في أحاديث كثيرة، إنما كان النهي عن كتابة الحديث وكل ما سوى القرآن، ولما مات النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ثمة شيء مكتوب متداول غير القرآن الذي باكتمال نزوله اكتملت كتابته وتدوينه.

توجيهه صلى الله عليه وسلم الكتّاب بكتابة كل آية في موضعها

البحث في هذه المسألة قد يطول، وقد بسط العلماء الحديث عنها عند ذكر ترتيب القرآن هل هو توقيفي أو اجتهادي ممن جمع القرآن؟ قال ابن حجر رحمه الله: وروى أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وصححه ابن حبان والحاكم من حديث عبدالله بن عباس عن عثمان بن عفان قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: "ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا"[2].

---

(١) فضائل القرآن ٣٠.

(٢) فتح الباري ٨/ ٦٣٩.

تشجيعه صلى الله عليه وسلم على تلاوة القرآن وحفظه

لمَّا كان صلى الله عليه وسلم مهتماً بتلاوة القرآن وحفظه –وكان ذلك شغله الشاغل– وجَّه أتباعه إلى ذلك، وقد ورد عدد كبير من الأحاديث الدالة على ذلك منها قوله صلى الله عليه وسلم: "اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه"(١). وقوله صلى الله عليه وسلم: "يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرأ بها"(٢).

وقوله صلى الله عليه وسلم: "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران"(٣). وقوله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول آلٓمٓ حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف"(٤).

أمره صلى الله عليه وسلم الصحابة بتعاهد القرآن حتى لا يتفلت

وكما أمر ورغب صلى الله عليه وسلم في حفظ القرآن –كما سبق– أمر صلى الله عليه وسلم بتعهد القرآن ومراجعة حفظه باستمرار، حتى لا يتفلت وينسى، ومما ورد في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم برقم ٧٩٨.

(٤) سبق تخريجه.

الذي رواه عنه ابن عمر رضي الله عنهما: "إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت"(١).

وفي رواية لمسلم من حديث موسى بن عقبة: "وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره وإذا لم يقم به نسيه"(٢). وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بئس ما لأحدهم يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نُسِّي، استذكروا القرآن فإنه أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم بعقلها"(٣). وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصياً من الإبل في عقلها"(٤).

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: "مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ القرآن ويتعاهده وهو عليه شديد له أجران"(٥).

ويلحظ في الأحاديث السابقة كلها أن النبي صلى الله عليه وسلم شبه تفلت القرآن من صاحبه إن لم يتعاهده -بالمراجعة والحفظ- بالإبل

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري برقم ٥٠٣١ ومسلم برقم ٧٨٩.

(٢) مسلم ٧٨٩.

(٣) متفق عليه البخاري ٥٠٣٣ ومسلم٧٩١، قال في الفتح ٩ / ٨١: أي: (تفلُّتاً وتخليصاً). وقال في القاموس: (فَصَى الشيء من الشيء: فصله، وفصيته: خلصته) القاموس: فصي.

(٤) الفتح ٨ / ٥٤٨.

(٥) سبق تخريجه.

المعقلة فما دام فيها عقالها فهي موجودة محفوظة بإذن الله وإن انفلت عقالها ذهبت ولربما ضاعت قال ابن حجر رحمه الله: "شبه درس القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يخشى منه الشِّراد، فما زال التعاهد موجوداً فالحفظ موجود كما أن البعير ما دام مشدوداً بالعقال فهو محفوظ، وخصّ الإبل بالذكر لأنها أشدُّ الحيوان الإنسي نفوراً وفي تحصيلها بعد استمكان نفورها صعوبة"(١).

أمره صلى الله عليه وسلم بتحسين الصوت بالقراءة

حسن الصوت بالقراءة مطلوب وتزيين الصوت بالقراءة سنة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ينبغي ألا يتجاوز هذا التحسين الحد المطلوب، وقد نص العلماء على تحريم المبالغة والتنطع في بعض الأحكام التي تخرج القراءة عن حدها، وتسلب القرآن حلاوته وطلاوته، ومما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الحث على تحسين الصوت بالقراءة والتغني بالقرآن ما يلي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن" هذا لفظ البخاري وزاد غيره: "يجهر به"(٢).

وعنه رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) فتح الباري ٨/٦٩٨.

(٢) أخرجه البخاري برقم ٧٥٢٧ وغيره.

يقول: "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به"(١).

قال النووي عند شرح هذه الأحاديث: وقال الشافعي وموافقوه معناه: تحزين القراءة وترقيقها، واستدلوا بالحديث الآخر: "زينوا القرآن بأصواتكم"(٢).

وعن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود"(٣).

ولفظ الإمام مسلم فيه حرص النبي صلى الله عليه وسلم على استماع القراءة بالصوت الحسن فعن أبي بردة عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي موسى: "لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود"(٤).

ولقد كان صوته صلى الله عليه وسلم حسناً بل أحسن الأصوات بقراءة القرآن الكريم وذلك كما جاء في رواية البراء رضي الله عنه قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في العشاء بـ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ﴾ فما سمعت أحداً أحسن منه صوتاً"(٥).

---

(١) متفق عليه البخاري ٧٥٤٤ ومسلم ٧٩٢.

(٢) شرح صحيح مسلم ٦/ ٧٩.

(٣) متفق عليه البخاري برقم ٥٠٤٨ وهذا لفظ البخاري.

(٤) صحيح مسلم ٧٩٢.

(٥) أخرجه البخاري برقم ٧٥٤٦ ومسلم برقم ٤٦٤.

هذه الأدلة كما هو واضح من مدلولها فيها الحث الصريح على التغني بالقرآن ولكن فهم بعض من لم يؤت سعة من العلم هذا الأمر على غير مراده حتى دخلت في القرآن ألحان الغناء فأصبحت قراءة بعض القراء ليست مقصودة لذاتها بقدر ما هي مقصودة لصوت القارئ. والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولعل هذا التخبط في طرق الأداء المبتدعة قَوّى لدى بعض العلماء حمل معنى أحاديث التغني بالقرآن على معنى الاستغناء الذي هو من الغنى نقيض الفقر، قال النووي: "وأنكر أبو جعفر الطبري تفسير من قال: يستغني به وخطّأه من حيث اللغة والمعنى. والخلاف جار في الحديث الآخر: "ليس منا من لم يتغن بالقرآن" والصحيح أنه من تحسين الصوت"(١).

حرصه صلى الله عليه وسلم على استماع القرآن من غيره

ومن تمام عنايته صلى الله عليه وسلم بالقرآن أنه كان يحب أن يسمعه من غيره من صحابته، فقد أخرج الإمامان البخاري ومسلم عن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه قال: "قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اقرأ عليَّ القرآن" قال فقلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: "إني أشتهي أن أسمعه من غيري" فقرأت النساء حتى إذا بلغت: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ (النساء: ٤١) رفعت رأسي أو غمزني رجل إلى جنبي فرفعت رأسي

(١) شرح صحيح مسلم ٦/ ٧٩.

فرأيت دموعه تسيل"[1]. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: قال النبي صلى الله عليه وسلم لأُبَيٍّ: "إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...﴾ قال: وسمَّاني؟ قال: "نعم" قال: فبكى[2]. وفي لفظ قال: آلله سماني لك؟ قال: "الله سماك" فجعل أبيٌّ يبكي[3].

انظر حفظك الله إلى هذه الأحاديث العظيمة وما يستفاد منها وهو تشهي النبي صلى الله عليه وسلم أن يستمع القرآن من غيره وإنها لمرتبة عظيمة لأبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما.

نهيه صلى الله عليه وسلم عن الاستعجال في القراءة

الناس في قراءة القرآن صنفان: صنف يقرأ القرآن بتعقل وتدبر لمعانيه، فهذا لا يهمه أن يختم القرآن في أسبوع أو شهر، وصنف آخر يقرأ القرآن ليزداد عدد الحروف التي يقرؤها، ويكون له بكل حرف عشر حسنات، كما ثبت في الحديث الصحيح، وهذا الصنف هو الذي يكون همه أن يختم القرآن في أقصر مدة ممكنة.

قال ابن حجر: "قال النووي: والاختيار أن ذلك يختلف بالأشخاص فمن كان من أهل الفهم وتدقيق الفكر استحب له أن يقتصر على القدر الذي لا يختل به المقصود من التدبر واستخراج المعاني، وكذا من كان له شغل بالعلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة يستحب

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري برقم ٤٥٨٢ ومسلم برقم ٨٠٠.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر الحديث ذا الرقم ٤٩٦٠ في البخاري ومسلم برقم ٧٩٩.

له أن يقتصر منه على القدر الذي لا يخل بما هو فيه، ومن لم يكن كذلك فالأولى له الاستكثار ما أمكنه من غير خروج إلى الملل ولا يقرؤه هذرمة. والله أعلم"[1].

وقد يجتمع الأمران في شخص واحد فمرة يقرأ القرآن قراءة فهم وتمعُّن في معانيه ومبانيه، ومرة يقرؤه قراءة يريد بها الإكثار من الحسنات، وقد ورد كل ذلك عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكن مدار الكلام في هذا المبحث على الأحاديث الواردة في نهيه صلى الله عليه وسلم عن الاستعجال، والحقيقة أن أكثر هذه الأحاديث مروية عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فقد كان شاباً قوياً فتياً يريد أن يستمتع بقوته وشبابه -ورد نص ذلك في بعض الروايات- في طاعة الله فكان يصوم الأيام المتواصلة، ويقرأ القرآن في ليلة واحدة.

أخرج البخاري رحمه الله بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: "أنكحني أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته فيسألها عن بعلها فتقول: نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشاً ولم يفتش لنا كنفاً منذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: "القني به"، فلقيته بعد، فقال: "كيف تصوم؟" قال: قلت: أصوم كل يوم قال: "وكيف تختم؟" قال: كل ليلة، قال: "صم في كل شهر ثلاثة واقرأ القرآن في كل شهر". قال: قلت أطيق أكثر من ذلك، قال: "صم ثلاثة أيام في الجمعة" قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال:

---

(١) فتح الباري ٨/ ٧١٥.

"أفطر يومين وصم يوماً" ، قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: "صم أفضل الصوم، صوم داود، صيام يوم وإفطار يوم، واقرأ في كل سبع ليال مرة" . فليتني قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذاك أني كبرت وضعفت، فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياماً وأحصى، وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئاً فارق النبي صلى الله عليه وسلم عليه"[1].

وقد أخرج الشيخان وغيرهما الحديث بألفاظ متقاربة، ولكنها تختلف في ذكر الأيام التي حددها له الرسول صلى الله عليه وسلم ليختم فيها، ففي بعض الروايات ثلاثة أيام وفي بعضها سبعاً.

وأخرج أبو داود أحد هذه الأحاديث وفي آخره قال -أي رسول الله صلى الله عليه وسلم-: "لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث"[2].

ولعل نهي الرسول صلى الله عليه وسلم هذا بسبب أنه يخشى على أمته من الملل، فإذا طال العمر يدبُّ الوهن إلى جسم الإنسان وقد يصيبه الفتور. ولكن القليل الدائم خير من الكثير المنقطع.

وقد أخرج الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشهر من السنة أكثر صياماً منه في شعبان

---

(١) البخاري ٥٠٥٢.

(٢) سنن أبي داود رقم ١٣٩٠.

وكان يقول: "خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لن يملَّ حتى تملوا" وكان يقول: " أحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قل"[1].

ومما يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما نهى عن الإسراع في القراءة خوفاً على أتباعه من الملل ما ثبت عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عبدالله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل"[2].

وثمة سبب آخر لنهيه عليه الصلاة والسلام عن الإسراع ألا وهو الحث على التدبر فالإسراع في التلاوة وتدبر المعاني نقيضان قد لا يلتقيان. وقد سبق ذكر الحديث الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث". وأخرج مسلم بسنده عن شقيق قال: "جاء رجل من بني بجيلة يقال له نهيك بن سنان إلى عبد الله، فقال إني أقرأ المفصل في ركعة فقال عبدالله: هذّاً كهذ الشعر؟"[3].

قال النووي رحمه الله: "وهو شدة الإسراع والإفراط في العجلة ففيه النهي عن الهذ، والحث على الترتيل والتدبر وبه قال جمهور العلماء"[4].

وقال النووي في معنى قول ابن مسعود في إحدى روايات الحديث

---

(١) صحيح مسلم رقم ٧٨٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١١٥٩.

(٣) صحيح مسلم حديث رقم ٨٢٢.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ٦/ ١٠٥.

المذكور: "إن أقواماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع". معناه أن قوماً ليس حظهم من القرآن إلا مروره على اللسان فلا يجاوز تراقيهم فيصل إلى قلوبهم، وليس ذلك هو المطلوب، بل المطلوب تعقله وتدبره بوقوعه في القلب[1].

تحريم القول في القرآن بغير علم

ومما يدل على شدة عناية النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن أنه حرم القول فيه بغير علم،حتى ولو أصاب القائل في قوله، أي أن تفسير القرآن بدون علم حرام وإن كان صواباً فعن جندب بن عبدالله قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ"[2].

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار"[4].

قال محققا شرح السنة للبغوي -بعد أن ذكرا تخريج الأحاديث السابقة-: بضعف تلك الأحاديث فالحديث الأول في سنده سهيل بن

---

(١) صحيح مسلم في النووي ٦/ ١٠٥. نفس المرجع.

(٢) أخرجه الترمذي برقم ٢٩٥٢.

(٣) أخرجه الترمذي برقم ٢٩٥١ وقال: هذا حديث حسن.

(٤) أخرجه الترمذي برقم ٢٩٥٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

أبي حزم لا يحتج به، ضعفه البخاري وأحمد وأبو حاتم، أما الحديثان الآخران ففيهما عبد الأعلى بن عامر الثعلبي وقد تكلموا فيه، وأورد المحققان كلام أهل العلم في عبد الأعلى هذا.

قلت بعد النظر في كلام أهل العلم في عبد الأعلى بن عامر الثعلبي وجدت أن أقوالهم فيه لا تنزل بحديثه عن درجة الحسن فمنهم من قال: يكتب حديثه ومنهم من قال: حدث عنه الثقات. بل قال فيه يعقوب بن سفيان -كما ذكر المحققان-: في حديثه لين وهو ثقة وحسَّن له الترمذي وصحح له الحاكم"(1).

قلت: كذلك ضعف هذه الأحاديث -إن ثبت- لا يهون من خطر القول في القرآن بغير علم لأنه سبب كثير من الضلال والهوى، أسأل الله لي ولكم السلامة والعافية.

---

(1) انظر شرح السنة للبغوي ١/ ٢٥٧.

الخاتمة

إن نتيجة هذا البحث بيان عناية النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم، وكذلك عناية صحابته الكرام رضي الله عنهم، حفظاً وتدبراً وتعلماً وتعليماً، ويتضح لنا جلياً من البحث كذلك شدة متابعة الصحابة رضي الله عنهم لأوامر النبي صلى الله عليه وسلم.

وذلك يتجلى واضحاً –على سبيل المثال– عند نهي النبي صلى الله عليه وسلم إياهم عن كتابة شيء غير القرآن.

أما وصيتي في هذا البحث فهي أن أوصي نفسي وإخواني بالحرص على الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في كل شيء وعلى رأس ذلك اهتمامه وعنايته بالقرآن الكريم، وأن لا نجعل همنا فقط إقامة حروف القرآن وضبط تجويده دون تدبر لمعانيه وعمل بما فيه، أسأل الله أن يرزقني وإياكم حب القرآن وحفظه والعمل به والوقوف عند حدوده وأن يجعلنا ممن يكون لهم القرآن يوم القيامة شافعاً وأن يظلنا في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المراجع

١- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - صيدا ١٤٠٨ هـ.

٢- الأحاديث العوالي من جزء ابن عرفة العبدي رواية شيخ الإسلام ابن تيمية انتقاء الإمام الذهبي، تحقيق د. عبد الرحمن الفريوائي، ط١، دار الكتب السلفية ١٤٠٧ هـ.

٣- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي.

٤- تاريخ القرآن الكريم، محمد سالم محيسن - رابطة العالم الإسلامي، سلسلة دعوة الحق، عدد ١٥، ١٤٠٢هـ.

٥- التبيان في علوم القرآن، محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي، دمشق، ط٢.

٦- تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير - نشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤١٤هـ.

٧- سنن أبي داود.

٨- سنن الترمذي، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية - بيروت.

٩- سير أعلام النبلاء، الذهبي تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧ هـ.

١٠- شرح السنة، الإمام البغوي، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط - المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٠ هـ .

١١- شرح صحيح مسلم، الإمام النووي - دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

١٢- صحيح الإمام البخاري، دار السلام بالرياض، ط١، ١٤١٧ هـ .

١٣- صحيح الإمام مسلم، دار السلام بالرياض، ط١، ١٤١٩ هـ .

١٤- صحيح الجامع الصغير للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٨ هـ .

١٥- غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، ط٢، ١٤٠٠هـ ، دار الكتب العلمية.

١٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار الريان، القاهرة، ط١، ١٤٠٧ هـ .

١٧- القاموس المحيط، الفيروزابادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

١٨- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، لبنان.

١٩- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين.

٢٠- مباحث في علوم القرآن، مناع خليل القطان، مؤسسة الرسالة، ط٢٣، ١٤١١ هـ.

٢١- مناهل العرفان، الزرقاني.

الفهرس



الموضوع الثاني:

جمع القرآن الكريم
في عهد الخلفاء الراشدين

جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين

إعداد

د. عبد القيوم بن عبد الغفور السندي

الأستاذ المساعد بكلية الدعوة وأصول الدين
قسم القراءات
جامعة أم القرى - بمكة المكرمة

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن والاه، وبعد:

فإن القرآن الكريم بحر لا يدرك غوره، ولا تنفد درره، ولا تنقضي عجائبه، فما أحق الأعمار أن تفنى فيه، والأزمان أن تشغل به، ومما يسعدني أن أشارك في هذه الندوة المباركة التي يعزم مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة على عقدها بعنوان: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، بكتابة بحث في موضوع: جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين.

ولا شك أن المملكة العربية السعودية منذ نشأتها وتوحيدها على يد مؤسسها صقر الجزيرة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (يرحمه الله) سباقة إلى كل خير في مختلف المجالات، وتقدم للمسلمين في أرجاء المعمورة -دون تمييز بين الأبيض والأسود- كل ما ينفعهم في الدارين، من عقيدة صافية، ومنهج سديد، وكتاب مفيد، وجو آمن، وعيش رغيد. ومن سلسلة أعمالها الخيرة -التي لا تأتي في الحصر- قيام هذا الصرح الشامخ للعناية بكتاب الله تعالى باسم (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف) بالمدينة النبوية

على يد منظم المملكة ومطورها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود رزقه الله الصحة والعافية، وأمد في عمره في طاعته.

وهذه -في الحقيقة- سلسلة مترابطة ومتواصلة لعناية المسلمين حكاماً وشعوباً وأفراداً وجماعات بالقرآن الكريم -كلام الله- .

والأمة الإسلامية عنيت بالقرآن الكريم عناية فائقة من لدن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا، فقد حفظت لفظه، وكشفت عن معانيه، واستقامت على العمل به عملاً بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ... ﴾ (فصلت: ٣٠)، وأفنت أعمارها في البحث والدراسة فيه، وفي الكشف عن أسراره، ولم يترك علماء المسلمين ناحية من نواحيه إلا أشبعوها بحثاً وتمحيصاً، وألفوا في ذلك مؤلفات قيمة في التفسير، والقراءات وما يتعلق بها من علوم كعلم الرسم الضبط والفواصل (عد الآي) والوقف والابتداء، وتوجيه القراءات، وألفوا في فضائل القرآن وآداب تلاوته، وأحكام القرآن، وفي الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، وفي إعجاز القرآن، وغريبه، وإعرابه، وقصصه، وفي أمثاله وأقسامه،ومنهم من ألف في تناسب آياته وسوره... إلى غير ذلك من علوم ومعارف يقول فيها الإمام بدر الدين الزركشي[1]: "ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان

---

(١) هو بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي أحد العلماء الأثبات، ولد في القاهرة سنة (٧٤٥هـ)، له مؤلفات مفيدة وكثيرة عد منها محقق البرهان (٣٣) كتاباً =

استقصاءه لاستفرغ عمره، ثم لم يحكم أمره..."[1].

وكل ذلك بتسخير من الله (عز وجل) منزّل هذا الكتاب العزيز مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، وليس هذا إلا معجزة من معجزات هذا الكتاب الذي قال الله تعالى في وصفه: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٢)ثم خص به من شاء من بريته وأورثه من اصطفاه من خليقته: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾ (فاطر: ٣٢). هذا وأسأل الله تعالى أن يوفقني لكتابة ما ينفعني وينفع الأمة الإسلامية في الدنيا والآخرة، ويكون إسهاماً مني في مجال إبراز دور المملكة العربية السعودية في خدمة القرآن الكريم وعلومه.

والله الموفق والمعين،،،

= توفي في مصر سنة: (٧٩٤هـ)، ترجمته في: حسن المحاضرة للسيوطي: ١/ ١٨٥، الدرر لابن حجر: ٣/ ٣٩٧، الشذرات لابن العماد: ٦/ ٣٣٥.

(١) البرهان: ١/ ١٢.

خطـة البحـث

لقد قسمت البحث إلى : تمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة .

أما التمهيد : فيحتوي على :

(١) تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحاً .

(٢) مفهوم جمع القرآن الكريم .

(٣) صلة القرآن بالقراءات .

١- المبحث الأول :

جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق وتحته مطالب :

المطلب الأول : أبو بكر وعهده .

المطلب الثاني : بواعث الجمع وأسبابه .

المطلب الثالث : المكلّف بالجمع .

المطلب الرابع : كيفية الجمع .

المطلب الخامس : وسائل الجمع .

المطلب السادس : نتائج الجمع وفوائده .

٢- المبحث الثاني :

جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وتحته مطالب :

المطلب الأول : عثمان بن عفان وعهده .

المطلب الثاني : بواعث الجمع وأسبابه .

المطلب الثالث : اللجنة المكلفة بالجمع .

المطلب الرابع : كيفية الجمع .

المطلب الخامس : عدد مصاحف عثمان ، وإِلى أين أرسلت؟

المطلب السادس : قضية الرسم المصحفي ، من حيث كونه توقيفياً أو غير توقيفي .

المطلب السابع : قضية إِتقان الكتابة لدى الصحابة .

المطلب الثامن : نتائج الجمع وفوائده .

٣- المبحث الثالث : وفيه مطلبان :

(١) الفروق المميزة بين الجمعين .

(٢) الأحرف السبعة ومراعاتها في الجمعين .

الخاتـمة :

أهم نتائج البحث والدراسة .

منهجي في البحث :

لقد حاولت بقدر المستطاع أن تكون المعلومات مستقاة من المصادر الأصيلة . وترجمت للأعلام -عدا أشهر الصحابة- الوارد ذكرهم في ثنايا البحث في الحواشي .

ترجمت للخليفتين الراشدين (أبي بكر وعثمان) ولأعلام اللجنة المكلفة بجمع القرآن الكريم في صلب البحث ، لما لهم من أهمية بالغة ودور كبير في المهمة.

وعرفت بلفظ (القرآن) لغةً واصطلاحاً، وأوضحت مفهوم الجمع، وبينت صلة القرآن بالقراءات في التمهيد لأهمية كل ذلك، وصلته الوثيقة بالموضوع.

وتعرضت لجمع القرآن الكريم في عهد الخليفتين الراشدين (أبي بكر وعثمان) فقط، حيث إن جمعهما هو الجمع الرسمي، أما ما قيل في جمعه من قبل غيرهما فلا أصل له.

وحاولت بقدر المستطاع أن يمتاز البحث بالجدية، والعمق والأصالة، والتركيز وحسن الترتيب، مع مراعاة كونه مفهوماً لدى عامة الناس ومقبولاً لدى خواصهم.

ملاحظة: لم أتطرق لسرد شبهات حول النص القرآني وجمعه وتفنيدها، لكونه عنواناً مستقلاً ، وخامس محاور الندوة.

هذا ما تهيأ لي، فإن كنت موفقاً فهو من الله تعالى، وله الشكر والمنة، وإن كان غير ذلك فلا ألومنّ إلا نفسي، وأسأل الله العفو والصفح.

التمهيد

تعريف القرآن:

القرآن (لغةً) مأخوذ من (قرأ) بمعنى: تلا، وهو مصدر مرادف للقراءة، وقد ورد بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ (القيامة: ١٧، ١٨) أي قراءته.

ومنه قول حسان بن ثابت[١] رضي الله عنه في رثاء عثمان بن عفان رضي الله عنه[٢]:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به   يقطِّع الليل تسبيحاً وقرآناً

أي: قراءة [٣].

و(القرآن) على وزن فعلان كغفران وشكران..، وهو مهموز كما في قراءة جمهور القراء، ويقرأ بالتخفيف (قران) كما في قراءة ابن كثير[٤].

---

(١) هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري الخزرجي أبو عبدالرحمن، وقيل أبو الوليد شاعر رسول الله ﷺ وأحد المخضرمين، عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام، اشتهرت مدائحه في الغساسنة وملوك الحيرة، عمي قبل وفاته، وتوفي في سنة ٥٤هـ التهذيب: ٢/ ٢٢٧، ٢٢٨، والتقريب: ١/ ١٦١، الإصابة: ١/ ٣٢٦، الأعلام: ٢/ ١٧٥، ١٧٦.

(٢) ستأتي ترجمته.

(٣) البيت في ديوان حسان بن ثابت، وقد استدل به ابن عطية لتأكيد مصدرية القرآن، انظر: مقدمتان في علوم القرآن، ص ٢٨٤، والشمط: في الرجل شيب اللحية، اللسان، مادة (شمط): ٧/ ٣٣٥، ٣٣٦.

(٤) قال الشاطبي: ونقل قران والقران دواؤنا.. حرز الأماني، البيت رقم: ٥٠٢.

وأصله من (القـرء) بمعنى الجـمع والضـم، يقـال : قـرأت الماء في الحوض، بمعنى جمعته فيه، يقال : ما قرأت الناقة جنيناً، أي لم تضمَّ رحمها على ولد .

وسُمِّي القرآن قرآناً لأنه يجمع الآيات والسور ويضم بعضها إلى بعض[1]. ولقد أصبح (القرآن) علماً على كلام الله تعالى، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ . . . ﴾[2] .

واصطلاحاً :

"هو كلام الله تعالى المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز، المجموع بين دفتي المصحف، المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر جيلاً بعد جيل" وحول هذا المعنى تدور تعريفات كثير من الأصوليين، والفقهاء للقرآن الكريم[3] .

---

(١) راجع لسان العرب (قرأ) : ١ / ١٢٨ ، مجاز القرآن لمعمر بن المثنى : ١ / ١ – ٣ ، مناهل العرفان للزرقاني : ١ / ١٤ ، ١٥ .

(٢) سورة الإسراء : ٩ ، وانظر تعريف القرآن في الإتقان : ١ / ٥٠ .

(٣) راجع تيسير التحرير لأمير بادشاه : ٣ / ٣ ، الإحكام في أصول الأحكام للآمدي : ١ / ٢٢٨ ، كشف الأسرار للنسفي مع نور الأنوار للملاجيون : ١ / ١٧ ، إرشاد الفحول، ص : ٢٩ ، واقرأ كلام النويري في رسالته : القول الجاذ لمن قرأ بالشاذ ، ص٥٥ ، المطبوعة مع شرح الطيبة للنويري .

(القرآن كلام الله، منه بدا، بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدَّقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية . فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر) الطحاوية ١ / ١٦٨ (اللجنة العلمية) .

يقول الدكتور / محمد عبد الله دراز[1]:

"روعي في تسميته قرآنا كونه متلواً بالألسن، كما روعي في تسميته كتاباً كونه مدوناً بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه، وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعاً (أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى)، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب، المنقول إلينا جيلاً بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر"[2].

مفهوم جمع القرآن:

جمع القرآن يعني أمرين اثنين، وهما:

أ- حفظه واستظهاره في الصدور[3]:

---

(١) علم من أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، رزق الحظ الأوفر من علوم الإسلام، كما نهل من علوم أوربا الشيء الكثير، ولد في قرية (محلة دياي) بمحافظة كفر الشيخ عام ١٨٩٤م، وحصل على العالمية الأزهرية عام ١٩١٦م، ونال الدكتوراه من فرنسا عام ١٩٤٧م، من مؤلفاته: التعريف بالقرآن، دستور الأخلاق في القرآن، الدين، النبأ العظيم، توفي في مدينة لاهور بباكستان عام ١٩٥٨م، انظر فاتحة كتابه: النبأ العظيم، قال الزركلي: فقيه متأدب، الأعلام: ٦ / ٢٤٦.

(٢) النبأ العظيم ص: ١٢، ١٣.

(٣) ومنه قول عثمان رضي الله عنه: ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله ﷺ، أي حفظته، تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص: ١٦٢.

فقد حفظ الرسول ﷺ كل ما نزل عليه من الوحي في صدره الشريف، وليس أدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ... ﴾ (الأعلى: ٦، ٧)، وكان الرسول ﷺ يعارض جبريل بالقرآن في كل عام مرة، وفي العام الذي انتقل فيه إلى الرفيق الأعلى عارضه مرتين.

كما ثبت ذلك في صحيح البخاري وغيره عن عائشة عن فاطمة رضي الله عنهما أنها قالت: أسَرَّ إليَّ النبيُّ ﷺ أنَّ جبريلَ كانَ يعارِضُني بالقرآنِ كلَّ سنةٍ وإنهُ عارضَني العامَ مرَّتينِ ولا أُراهُ إلا حضَرَ أجَلِي"[(١)].

وفي ذلك يقول الإمام أبو عمرو الداني[(٢)]:

وكان يعرض على جبريل ... في كل عام جملة التنزيل

فكان يقريه في كل عرضة ... بواحد من الحروف السبعة

حتى إذا كان بقرب الحين ... عرضه عليه مرتين[(٣)]

كما حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب جم غفير من الصحابة، منهم

---

(١) البخاري، فضائل القرآن: ٦/ ١٠١، المناقب، رقم: ٣٣٥٣، مسلم، فضائل الصحابة رقم: ٢٤٥٠، أبو داود رقم: ٥٢١٧، مسند أحمد، رقم: ٢٥٢٠٩، وراجع فضائل القرآن لأبي الفضل الرازي، ص: ٥١، البرهان للزركشي: ١/ ٢٣٢، لطائف الإشارات للقسطلاني: ١/ ٢٣.

(٢) عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني، القرطبي، علم من أعلام القراء، ثقة حجة في القراءات وعلومها، ولد بدانية من بلاد الأندلس في: ٣٧١هـ، له أكثر من مائة مؤلف، أشهرها التيسير في القراءات السبع الذي نظمه الشاطبي في اللامية، توفي بدانية في ٤٤٤هـ، معرفة القراء الكبار: ١/ ٤٠٦، غاية النهاية: ١/ ٥٠٣.

(٣) الأرجوزة المنبهة، الأبيات رقم: ٧٠-٧٢، ص: ٨٧.

الخلفاء الراشدون: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وكذلك أبيّ بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت وأبو الدرداء، وأبو موسى الأشعري، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم وهم الذين دارت أسانيد قراءات الأئمة العشرة عليهم(١).

يقول العلامة ابن الجزري(٢):

"ثم إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا على حفظ المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة، ففي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم أن النبي ﷺ قال: " إن ربي قال لي: قم في قريش فأنذرهم، فقلت له: رب إذاً يثلغوا(٣) رأسي حتى يدعوه خبزةً، فقال: مبتليك ومبتلٍ بك، ومنزل عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان، فابعث جنداً أبعث مثلهم، وقاتل بمن أطاعك من عصاك، وأنفق ينفق عليك"(٤)، فأخبر تعالى أن

---

(١) انظر: الوجيز للقرطبي ص: ١٧٧، النشر: ١/٦، الإتقان: ١/٢٢٢، مناهل العرفان: ١/٢٤٢.

(٢) محمد بن محمد بن محمد، شمس الدين أبو الخير، المعروف بابن الجزري، الدمشقي، علم من أعلام القراء، ولد ونشأ في دمشق سنة: ٧٥١هـ، من أشهر مؤلفاته: النشر في القراءات العشر، غاية النهاية في طبقات القراء، منظومة الطيبة في القراءات العشر، والدرة المضيئة في القراءات الثلاث، المقدمة الجزرية في التجويد، توفي في شيراز من مدن إيران الحالية عام ٨٣٣هـ، غاية النهاية: ٢/٢٤٧، الأعلام: ٧/٤٥.

(٣) أي: يشدخوه ويشجوه كما يشدخ الخبز، أي: يكسر.

(٤) كتاب: صفة الجنة ونعيمها، رقم: ٢٨٦٥، مسند أحمد برقم: ١٧٤١٤ (١٣/٣٨٧)، وانظره في الوجيز للقرطبي ص: ١٧٥.

القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء بل يقرؤه في كل حال، كما جاء في صفة أمته "أناجيلهم في صدورهم"(١).

وقد ساعدهم على حفظه نزوله منجماً ومفرقاً، ولم يكن همُّ الصحابة حفظ ألفاظ القرآن فحسب، بل جمعوا إلى حفظ اللفظ فهم المعنى، وتدبر المراد، والعمل بمقتضى ما تضمنه من الأحكام والآداب.

قال أبو عبدالرحمن السلمي(٢): حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن.. أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً (٣).

ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة الواحدة، وهذا هو السر فيما روي أن ابن عمر رضي الله عنهما أقام على حفظ سورة البقرة ثمان سنين (٤).

ب- كتابته كله حروفاً وكلمات وآيات وسوراً.

وقد حدث ذلك في الصدر الأول ثلاث مرات:

الأولى: في عهد النبي ﷺ حيث كان النبي ﷺ ينادي واحداً من

---

(١) النشر: ١/ ٦.

(٢) هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي الكوفي، التابعي الجليل، شيخ الحسنين (رضي الله عنهما)، ثقة ثبت، إليه انتهت القراءة تجويداً وضبطاً، توفي بعد (٧٠هـ)، غاية النهاية: ١/ ١٤١، معرفة القراء: ١/ ٥٢، التقريب: ١/ ٤٠٨.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٤١٠)، وانظره في مجمع الزوائد للهيثمي (١/ ١٦٥)، والوجيز للقرطبي ص: ١٣٧.

(٤) الموطأ، باب ما جاء في القرآن. رقم: ١١، ١/ ٢٠٥.

كتاب الوحي فيأمره بكتابة ما نزل عليه من الوحي، وكان ﷺ يرشدهم إلى مواضع الآيات من السور[١]، ولم ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن كله كان مكتوباً، مرتب الآيات في سورها، غير أنه لم يكن مرتب السور، ولا مجموعاً في مصحف واحد، ولا موجوداً في مكان واحد، بل كان مفرقاً لدى الصحابة، وكان ذلك لما كان يتوقع من نزول ناسخ لآية حكماً أو تلاوة[٢].

والثانية: في خلافة أبي بكر رضي الله عنه[٣].

والثالثة: على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه[٤]. وسيأتي تفصيل كل ذلك في الصفحات التالية.

صلة القرآن بالقراءات:

هنا سؤال يطرح نفسه، هو أنه: هل القرآن والقراءات شيء واحد؟ أي بينهما اتحاد كلّي، أو أنهما شيئان متغايران؟ أي بينهما تغاير كلي.

بين المتأخرين والمعاصرين من علماء القراءات في ذلك خلاف.

أ- يرى بعض المتأخرين من العلماء أن بينهما تغايراً كلياً، أي هما

---

(١) انظر: سنن أبي داود: ١/٢٠٦، رقم: ٧٨٦، والترمذي: ٥/٢٥٤، رقم: ٣٠٨٦، ومسند أحمد: ١/٥٧، وجمال القراء: ١/٨٤، ٨٥، وتفسير الطبري: ١/١٠٢، والقرطبي: ٨/٦١، وراجع البرهان للزركشي: ١/٢٣٢.

(٢) انظر: الإتقان: ١/١٦٤.

(٣) ستأتي ترجمته.

(٤) الإتقان: ١/١٨١، مناهل العرفان: ١/٢٣٩.

شيئان مختلفان، لأن القرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز، والقراءات: هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف أو في كيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما...[1].

ب – ويرى بعض المعاصرين أنهما حقيقتان بمعنى واحد –أي بينهما اتحاد كلي–، وذلك لأن القرآن: مصدر مرادف للقراءة، والقراءات: جمع قراءة، إذاً فهما حقيقتان بمعنى واحد، كما أن أحاديث نزول القرآن على الأحرف السبعة تدل دلالة واضحة على أنه لا فرق بينهما، إذ كل منهما وحي منزل [2].

ج– والذي نراه هنا –والله أعلم– هو أن نفصل القول في القراءات.

فالقراءات قسمان: **المقبولة والمردودة**.

أما المقبولة، فهي التي تتوفر فيها الشروط الثلاثة المتفق عليها لقبولها، وهي:

أن تكون القراءة متواترة، وأن توافق وجهاً من وجوه اللغة العربية، وأن توافق أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.

وهذا القسم هو الذي قال فيه العلماء:

(١) يجب على كل مسلم اعتقاد قرآنيته.

---

(١) ذهب إليه العلامة بدر الدين الزركشي في البرهان: (٣١٨)، وتبعه في ذلك العلامة القسطلاني في لطائف الإشارات (١ / ١٧١) والبنا الدمياطي في إتحاف فضلاء البشر (١ / ٦٨).

(٢) انظر: "في رحاب القرآن" للدكتور/ محمد سالم محيسن: ١ / ٢٠٩، وقد رد عليه الدكتور/ شعبان محمد إسماعيل واستبعد قوله وذهب إلى أنهما ليسا متغايرين =

(٢) يقرأ به تعبداً في الصلوات وخارجها.

(٣) يكفر جاحدُ حرف منه.

وهذا بعينه هو ما يقال في القرآن، وهل يقرأ القرآن إلا برواية من روايات القراءات المتواترة؟ كما نقرأ نحن اليوم برواية الإمام حفص عن عاصم، ويقرأ أهل ليبيا برواية الإمام قالون عن نافع، ويقرأ أهل موريتانيا ونيجيريا وبعض البلاد الإفريقية الأخرى برواية الإمام ورش عن نافع، وكذا يقرأ أهل إثيوبيا وإرتيريا والصومال وما جاورها برواية الإمام الدوري عن أبي عمرو، وقراءة الإمام أبي عمرو هي التي كانت رائجة في أكثر البلاد الإسلامية في عهد الإمام ابن الجزري "أي في القرن الثامن والتاسع الهجري"[١] كما هو حال رواية الإمام حفص اليوم، حيث تقرأ في أكثر من ثلثي العالم الإسلامي.

وعلى هذا، فالقرآن هو عين القراءات المتواترة، وبالعكس كذلك، فهما حقيقتان بمعنى واحد، أي بينهما اتحاد كلي.

وأما المردودة، فهي التي اختل فيها أحد الشروط الثلاثة لقبولها، أو كلها، وهي التي يطلق عليها: الشاذة، وقد قال العلماء فيها:

(١) لا يجوز اعتقاد قرآنيتها.

= تغايراً كلياً كما أنهما ليسا متحدين اتحاداً كلياً، بل بينهما ارتباط وثيق كارتباط الجزء بالكل، انظر: القراءات أحكامها ومصدرها ص ٢٣، وهامشه على كتاب "إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي: ١ / ٦٩.

(١) انظر: النشر ١ / ٤١، ومنجد المقرئين.

(٢) لا تجوز القراءة بها تعبداً.

(٣) يجب تعزير من أصر على قراءتها تعبداً وإقراءً.

وعلى هذا، فالقراءات الشاذة: هي غير القرآن، وبينهما تغاير كلي، لأن الشاذة حتى لو ثبتت قراءة منها بسند صحيح لا يعتقد قرآنيتها، بل تعد من الأخبار الآحاد، والخبر الواحد من أقسام الحديث، والحديث غير القرآن[١].

---

(١) راجع لمزيد من التفصيل: القول الجاذ للنويري، ص: ٧٣-٨٨، ومقال الشيخ عبد الفتاح القاضي بعنوان: حول القراءات الشاذة والأدلة على حرمة القراءة بها، المنشور في مجلة كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص: ١٥ وما بعدها، وكتابه القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، ص:٤-٨، وكتابنا: صفحات في علوم القراءات ص ١٧-٢٠.

المبحث الأول
جمع القرآن على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه

المطلب الأول: أبو بكر وعهده:

هو عبد الله بن عثمان (أبي قحافة) بن عامر بن كعب التيمي القرشي، أبو بكر الصديق، صهر رسول الله ﷺ، أول الخلفاء الراشدين، ولد بمكة بعد الرسول ﷺ بسنتين وأشهر، وبها نشأ، وهو أول من أسلم من الرجال، وأول من صلى مع الرسول ﷺ، وكان سبَّاقاً إلى تصديق الرسول ﷺ فمن ثم لقب بالصديق، وهو مزامل النبي في هجرته، وضحى بنفسه وماله في الهجرة، وهو أفضل الناس بعد الرسول ﷺ بإجماع أهل السنة، وقد نزل فيه قرآن كثير[1]، ونشأ سيداً من سادات قريش، وغنياً من كبار أثريائهم وعالماً بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، له في عصر النبوة مواقف مشرقة وجليلة، وهو صاحب المواقف البطولية يوم وفاة الرسول ﷺ، وفي قضية أهل الردة والمتنبئين، ففي عهده قضي على المرتدين، وقتل مسيلمة الكذاب، وفتحت اليمامة، وهو الذي أنفذ جيش أسامة[2].

ويمتد عهد خلافته من عام ١١-١٣هـ، لمدة سنتين وبضعة أشهر،

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص: ٤٨.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص: ٣١، ٤٤، ٧٣.

حيث بويع بالخلافة قبل دفن جثمان الرسول ﷺ وتوفي رضي الله عنه بالمدينة في شهر جمادى الآخرة سنة ١٣هـ.

وفيه قال حسان بن ثابت رضي الله عنه[١]:

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة   فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها   إلا النبي وأوفاها بما حملا

والثاني التالي المحمود مشهده   وأول الناس منهم صدق الرسلا[٢]

المطلب الثاني: بواعث الجمع وأسبابه:

بعد تولي أبي بكر رضي الله عنه إمارة المسلمين واجهته أحداث جسيمة، ولا سيما ما كان من قبل أهل الردة، وما دار بعد ذلك من حروب طاحنة ومعارك عنيفة، مثل ما كان في موقعة اليمامة [٣]، حيث استشهد فيها عدد كبير من الصحابة، منهم أكثر من سبعين من

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ١٢٥، التهذيب: ٥/ ٣١٥، التقريب: ١/ ٤٣٢، غاية النهاية: ١/ ٤٣١، شذرات الذهب: ١/ ٢٤، الأعلام: ٤/ ١٠٢.

(٢) تاريخ الخلفاء، ص: ٣٣ .

(٣) قال الحموي: بين اليمامة والبحرين عشرة أيام، وهي معدودة من نجد وقاعدتها حجر، وتسمى اليمامة جواً والعَروض -بفتح العين- وكان اسمها قديماً: جوا، فسميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسم، (معجم البلدان: ٥/ ٤٤٢)، أما غزوة اليمامة فكانت سنة ١٢هـ (شذرات الذهب: ١/ ٢٣) قتل فيها عدو الله مسيلمة الكذاب، وآلاف من جنده وأعوانه، وفتحت على يد خالد بن الوليد صلحاً، واستشهد فيها أكثر من سبعمائة من كبار المهاجرين والأنصار. (الكامل لابن الأثير: ٢/ ٢٤٣ وما بعدها)، وقيل: ١٢٠٠مقاتل (الشذرات: ١/ ٢٣)، وانظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ٧٦.

قراء الصحابة، فاشتد ذلك على الصحابة، ولا سيما على عمر رضي الله عنه فاقترح على أبي بكر رضي الله عنه أن يجمع القرآن، خشية ضياعه بموت الحفاظ وقتل القراء، فتردد أبو بكر لأول الأمر ثم شرح الله صدره لما شرح له صدر عمر رضي الله عنه، فكان هو أول من جمع القرآن بين اللوحين(١)، وكان أحد الذين حفظوا القرآن كله(٢).

ويتضح ذلك من الحديث الصحيح الذي روي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه وكان من كتاب الوحي، وقال فيه: "أَرْسَلَ إِليَّ أَبُوبكرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمَامةِ وعندهُ عُمرُ، فقالَ أبو بكرٍ: إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحرّ(٣) يوم اليمامةِ بالنّاس وإنِّي أخشَى أن يستَحرَّ القَتْلُ بالقرّاءِ في المواطن فيذْهبَ كثيرٌ من القرآن إلا أن تجمعوه، وإني لأرى أن تجمعَ القرآن. قال أبو بكر: قلتُ لعمرَ كيفَ أفعلُ شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ فقال عمرُ: هو واللهِ خيرٌ. فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري ورأيت الذي رأى عمر. قال زيد بن ثابت: وعمر عنده جالسٌ لا يتكلم. فقال أبو بكر: إنك رجلٌ شابٌ عاقلٌ ولا نتهمك كنتَ تكتبُ الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلَّفني نقل جبلٍ من الجبال ما كانَ أثقلَ عليّ مما

(١) راجع كتاب المصاحف لابن أبي داود: ١/ ١٦٥.

(٢) تاريخ الخلفاء، ص: ٤٤، نقلاً عن ابن كثير في تفسيره، والنووي في التهذيب.

(٣) أي: اشتد.

أمرني به من جمع القرآن. قلتُ: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله النبي ﷺ فقال أبو بكر: هو والله خيرٌ. فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرحَ الله له صدر أبي بكرٍ وعمر، فقمتُ فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسُبِ وصدور الرجال حتى وجدتُ من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحدٍ غيره ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم...﴾ (التوبة: ١٢٨-١٢٩) إلى آخرهما وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفّاه الله ثم عند عمر حتى توفّاه الله ثم عند حفصة بنت عمر"(١).

وعلى هذا، فقد بدأ جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه سنة ١٢هـ.

المطلب الثالث: المكلف بالجمع:

ذكر أبو بكر بن أبي داود عن هشام بن عروة عن أبيه قال: لما استحرَّ القتل بالقراء يومئذ فَرِقَ أبو بكر على القرآن أن يضيع، فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت: اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه(٢).

ويبدو من هذا الأثر أن المكلف بجمع المصاحف في عهد أبي بكر اثنان، وهما: عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت.

---

(١) البخاري، التفسير: ٤٣١١، فضائل القرآن: ٤٦٠٣، الأحكام: ٦٦٥٤، الترمذي، التفسير: ٣٠٢٨، أحمد، مسند العشرة: ٧٢، جمال القراء: ١/٨٦، وانظر: تخريجه مستوفىً في كتاب المصاحف لابن أبي داود: ١/١٦٩-١٧٩، وراجع المقنع للداني: ٢، ٣.

(٢) كتاب المصاحف: ١/١٦٨، ١٦٩، إسناده منقطع، لأن عروة لم يلق أبا بكر.

غير أن جمهور العلماء على أن المكلف بالجمع هو زيد بن ثابت وحده، أما عمر رضي الله عنه فلم يثبت أنه كان مكلفاً بالجمع، والأثر المذكور سابقاً منقطع، فلا يحتج به، وإن سُلّم فيكون المراد: الإشراف على الجمع، والنظر في الشهادة والكتابة.

وزيد رضي الله عنه، هو:

ابن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، ولد في المدينة، ونشأ بمكة، وقتل أبوه وهو ابن ست سنين، وهاجر مع النبي ﷺ وهو ابن (إحدى عشرة) سنة، تعلم السريانية في سبعة عشر يوماً [1]، وحفظ القرآن الكريم كله عن ظهر قلب في حياة الرسول ﷺ وكان من كتّاب الوحي لرسول الله ﷺ مشهوراً بالصدق والأمانة، وتفقه في الدين حتى أصبح رأساً بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض على عهد عمر وعثمان وعلي رضي الله عنه، وكان يعد من الراسخين في العلم، توفي سنة ٤٥هـ، ولما توفي رثاه حسان بن ثابت، وقال أبو هريرة: اليوم مات حبر هذه الأمة، وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً [2].

لقد اختاره أبو بكر رضي الله عنه لهذه المهمة العظيمة والخطب

---

(١) انظر: كتاب المصاحف لابن أبي داود: ١/ ١٥٦، ت: د/محب الدين واعظ.

(٢) تذكرة الحفاظ: ١/ ٢٩، تهذيب التهذيب: ٣/ ٣٩٩، غاية النهاية: ١/ ٢٩٦، الإصابة: ١/ ٥٦١، طبقات ابن سعد: ٢/ ٢٧٣، الأعلام: ٣/ ٥٧.

الجسيم لما تفرس فيه من الأمانة ورجاحة العقل وقربه من الرسول ﷺ واعتماده ﷺ عليه.

يقول العلامة الزرقاني[1] في ذلك:

"اجتمع فيه من المواهب ذات الأثر في جمع القرآن، ما لم يجتمع في غيره من الرجال، إذ كان من حفاظ القرآن، ومن كتاب الوحي لرسول الله ﷺ وشهد العرضة الأخيرة للقرآن في ختام حياته ﷺ وكان فوق ذلك معروفاً بخصوبة عقله، وشدة ورعه،وعظم أمانته، وكمال خلقه، واستقامة دينه[2].

وقال: ويؤيد ورعه ودينه وأمانته قوله: "فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن"[3].

ويشهد بوفرة عقله تردده وتوقفه أول الأمر ومناقشته لأبي بكر حتى راجعه أبو بكر وأقنعه بوجه الصواب.

وينطق بدقة تحريه قوله: "فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال"[4].

---

(١) محمد بن عبد العظيم الزرقاني، علم بارز من أعلام الأزهر، تخرج فيه ودرس به، وتأليفه: مناهل العرفان خير دليل على طول باعه، وعلو مكانته في علوم القرآن، توفي بالقاهرة سنة: ١٣٦٧هـ، الأعلام: ٦/ ٢١٠.

(٢) مناهل العرفان: ١/ ٢٥٠، وراجع الفتح: ٩/ ١٣، والمقنع: ١٢٤.

(٣) البخاري، فضائل القرآن: ٤٦٠٣، الترمذي، التفسير: ٣٠٢٨، أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة: ٧٢، ومسند الأنصار: ٢٠٦٥٧.

(٤) البخاري: فضائل القرآن ٤٦٠٣.

المطلب الرابع: كيفية الجمع:

استثقل زيد بن ثابت المهمة، إلا أنه حينما شرح الله لها صدره باشرها بها، وبدأ بجمع القرآن بوضع خطة أساسية للتنفيذ، اعتماداً على مصدرين هامين، وهما:

(١) ما كتب أمام الرسول ﷺ وبإملاء منه، وكان زيد نفسه من كتاب الوحي.

(٢) ما كان محفوظاً لدى الصحابة، وكان هو من حفاظه في حياته ﷺ. وكان لا يقبل شيئاً من المكتوب، حتى يتيقن أنه:

أ- مما كتب بين يدي الرسول ﷺ، وذلك بشهادة شاهدين عدلين[١].

ب- وأنه مما ثبت في العرضة الأخيرة، ولم تنسخ تلاوته.

يدل على ذلك ما أخرجه ابن أبي داود من طريق يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب قال: قدم عمر، فقال: من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شاهدان[٢].

كما يدل عليه ما أخرجه ابن أبي داود أيضاً، ولكن من طريق هشام ابن عروة عن أبيه أن أبا بكر قال لعمر وزيد: "اقعدا على باب المسجد،

(١) الإتقان: ١/٥٨.

(٢) كتاب المصاحف: ١/١٨١، ١٨٢، وعنه السيوطي في الدر المنثور: ٤/٣٣٢، وابن حجر في الفتح: ٩/١٥، وانظر فضائل القرآن لابن كثير (٢٧)، والإتقان: ١/١٦٦.

فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه"[1].

قال الحافظ ابن حجر[2]: "المراد بالشاهدين: الحفظ والكتابة"[3].

وقد ذهب العلامة السخاوي[4] إلى أن المراد بشاهدين:

رجلان عدلان يشهدان على أنه كتب بين يدي رسول الله ﷺ، أو أنه من الوجوه السبعة التي نزل بها القرآن[5].

وقال أبو شامة[6]: وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي ﷺ، لا من مجرد الحفظ.

---

(١) كتاب المصاحف ١ / ١٦٩، وانظر جمال القراء ١ / ٨٦، والفتح ٩ / ١٤، واللطائف ١ / ٥٦، وكنز العمال ٢ / ٥٧٣، والمرشد الوجيز: ٥٥.

(٢) أحمد بن علي بن محمد، المعروف بابن حجر العسقلاني، فلسطيني الأصل، من أعلام الحديث والتاريخ، مولده ووفاته بالقاهرة، ولد سنة: ٧٧٣هـ، وتوفي سنة ٨٥٢هـ، كثير التصانيف، من أشهرها: فتح الباري شرح صحيح البخاري، نخبة الفكر، تهذيب التهذيب، وتقريبه، لسان الميزان، الإصابة، بلوغ المرام، (البدر الطالع: ١ / ٨٧، الأعلام: ١ / ١٧٨، ١٧٩).

(٣) الفتح: ٩ / ١٤.

(٤) علي بن محمد بن عبد الصمد، علم الدين أبو الحسن السخاوي، ولد في سخا بمصر سنة ٥٥٨هـ، أو ٥٥٩هـ، من أبرز تلامذة الإمام الشاطبي، وأول من شرح قصيدته باسم: فتح الوصيد في شرح القصيد، ومن مؤلفاته: جمال القراء، هداية المرتاب، الوسيلة إلى شرح العقيلة، توفي في دمشق سنة: ٦٤٣هـ، (معرفة القراء الكبار: ٢ / ٦٣١، غاية النهاية: ١ / ٥٦٨، شذرات الذهب: ٥ / ٢٢٢، الأعلام: ٤ / ٣٣٢).

(٥) انظر: جمال القراء: ١ / ٨٦.

(٦) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم أبو القاسم المقدسي الدمشقي، فلسطيني =

ولم يعتمد زيد على الحفظ وحده، ولذلك قال في الحديث الذي أوردناه عن البخاري سابقاً: إنه لم يجد آخر سورة براءة إلا مع أبي خزيمة، أي: لم يجدها مكتوبة إلا مع أبي خزيمة الأنصاري، مع أن زيداً كان يحفظها، وكان كثير من الصحابة يحفظونها كذلك، ولكنه أراد أن يجمع بين الحفظ والكتابة، زيادة في التوثق، ومبالغة في الاحتياط.

وعلى هذا الدستور الرشيد تم جمع القرآن في صحف بإشراف أبي بكر وعمر وأكابر الصحابة وأجمعت الأمة على ذلك دون نكير، وكان ذلك منقبة خالدة لا يزال التاريخ يذكرها بالجميل لأبي بكر في الإشراف، ولعمر في الاقتراح، ولزيد في التنفيذ، والصحابة في المعاونة والإقرار.

قال علي كرم الله وجهه: "أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع بين اللوحين"(١).

وقد قوبلت تلك الصحف التي جمعها زيد بما تستحق من عناية فائقة، فحفظها أبو بكر عنده مدة حياته، ثم حفظها عمر بعده حتى

= الأصل، المعروف بأبي شامة، لقب به لشامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر، من أعلام القراء ومن أبرز تلامذة علم الدين السخاوي، ولد بدمشق سنة: ٥٩٩هـ، من أشهر مؤلفاته: إبراز المعاني من حرز الأماني، المرشد الوجيز، قتل في: ٦٦٥هـ، المعرفة: ٢/ ٦٧٣، الغاية: ١/ ٣٦٥، الأعلام: ٣/ ٢٩٩.

(١) كتاب المصاحف: ١/ ١٦٦، وانظر المصنف لابن أبي شيبة: ٦/ ١٦٨، والمسند لأحمد: ١/ ٢٣٠- ٣٥٤.

شهادته، ثم حفظتها أم المؤمنين حفصة بنت عمر بعد وفاة والدها، حتى طلبها منها عثمان رضي الله عنه ليستنسخ منها مصاحفه اعتماداً عليها، ثم ردها إليها إيفاء بالعهد الذي أعطاها إياه، فلم تزل عندها حتى أرسل إليها مروان بن الحكم[1] حينما ولي المدينة فأبت، ثم لما توفيت رضي الله عنها سنة ٤٥هـ، حضر مروان جنازتها، ثم طلبها من أخيها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فبعث بها إليه فأخذها مروان وأمر بإحراقها[2].

يقول الإمام أبو عمرو الداني في جمع القرآن في العهد الصديقي:

وذاك بعد محنة وشدةِ	جرت على الصحب من اهل الردةِ
واستشهد القرأة الأكابر	يومئذ هناك والمشاهر
ووصل الأمر إلى الصديق	فحمد الله على التوفيق
وقال عند ذلك الفاروق	مقالة أيدها التوفيق
إني أرى القتل قد استحرا	بحاملي القرآن واستمرا

(١) مروان بن الحكم بن أبي العاص، أبو عبدالملك، خليفة أموي، إليه ينسب بنو مروان، ولد بمكة في ٢هـ، ونشأ بالطائف، وسكن المدينة، من خواص عثمان رضي الله عنه وكاتب سر له، ولسببه جرى لعثمان ما جرى له، قاتل في وقعة الجمل قتالاً شديداً، وشهد صفين مع معاوية، وتولى المدينة في أيامه، وأخرجه ابن الزبير فسكن الشام، وبها توفي في طاعون سنة ٦٥هـ، تهذيب التهذيب: ١٠/ ٩١، الأعلام: ٧/ ٢٠٧.

(٢) كتاب المصاحف: ١/ ١٧٧، ١/ ١٧٩، وراجع جمال القراء: ١/ ٨٨، مناهل العرفان: ١/ ٢٥٢، وانظر الفتح: ٩/ ١٦-٢٠.

وربمـا قـد دار مثـل ذاكـا عـليهـمُ فعـدمـوا بـذاكـا

فاستدرك الأمر وما قد كانا واعمـل علـى أن تجمـع القـرآنـا

وراجـعَ الصديقَ غيـر مـره فشـرح اللـه لـذاك صـدره

فقال لابن ثابت إذ ذاكـا إنـي لـهـذا الأمـر قـد أراكـا

قـد كنت بالغداة والعشي تكـتـب وحـي اللـه للنبـي

فـأنت عندنا مـن السُّبَّاق فـاجمع كتـاب اللـه فـي الأوراق

ففعل الـذي بـه قـد أمـره معتمـدا علـى الـذي قـد ذكـره

وجمع القرآن في الصحائف ولـم يميـز أحـرف التخـالـف

بل رسم السبع من اللغات وكـل مـا صـح مـن الـقـرات

فكانت الصحف في حياته عنـد أبـي بكـر إلـى ممـاتـه

ثُمَّـتَ عند عمـر الفاروق حين انقضـت خـلافـة الصـديـق

ثُمَّتَ صارت بعدُ عند حفصه لمـا تـوفـي كمـا فـي القصـة[1]

مزايا هذه الصحف:

وامتازت هذه الصحف بميزات مهمة، منها:

أولاً: جمع فيها القرآن الكريم على أدق وجوه البحث والتحري، وأسلم أصول التثبت العلمي.

ثانياً: اقتصر فيها على ما لم تنسخ تلاوته.

---

(١) المنبهة، الأبيات: ١٦٢-١٧٨.

ثالثاً: ظفرت بإجماع الصحابة رضي الله عنهم عليها، وعلى تواتر ما فيها.

رابعاً: هذا الجمع شاملاً للأحرف السبعة التي بها نزل القرآن تيسيراً على الأمة الإسلامية[1].

أما ما ورد في بعض الروايات[2] بأن علياً رضي الله عنه أول من جمع القرآن بعد رسول الله ﷺ فهي -على وهنها وضعفها- تثبت أن علياً أو بعض الصحابة كان قد كتب القرآن في مصحف، وهي مصاحف فردية، ليست لها تلك الثقة ولم تنل حظها من الدقة والتحري، والجمع والترتيب، والاقتصار على ما لم تنسخ تلاوته، والمزايا التي ذكرناها سابقاً، ولم يحجر أبو بكر على أحد جمع وكتابة مصحف لنفسه، فكتابة القرآن أمر مسموح به لجميع المسلمين، وكان الصحابة يكتبونه لأنفسهم، منهم أبي بن كعب[3]، وابن مسعود...

---

(١) راجع منجد المقرئين: ٢٢، ومناهل العرفان: ١ / ٢٥٤.

(٢) كتاب المصاحف: ١ / ١٨٠، وقال ابن أبي داود: لم يذكر المصحف أحد إلا أشعث، وهو لين الحديث، وإنما رووا: حتى أجمع القرآن، يعني أتم حفظه، فإنه يقال للذي يحفظ القرآن: قد جمع القرآن، وهو بذلك نفى أن يكون علي رضي الله عنه قد جمع القرآن، وقد صرح ابن حجر بضعف هذه الرواية لانقطاع سندها، وعلى تقدير ثبوتها أولها بأن المراد بالجمع: حفظه في الصدر، على ما ذهب إليه مؤلف كتاب المصاحف، انظر الفتح: ٩ / ١٢، ١٣، والإتقان: ١ / ١٦٤.

(٣) الإتقان: ١ / ٧٢.

وغيرهما من الصحابة، وإذا كان بعض المصاحف قد سبق في الوجود على صحف أبي بكر فإن جمع أبي بكر هو الأول من نوعه على كل حال [1].

المطلب الخامس: وسائل الجمع:

لم تكن وسائل الكتابة وأدواتها متوفرة وميسرة في عصر الصحابة وما قبله، فكان الناس يستخدمون لتسجيل أفكارهم وأشعارهم ومعاهداتهم ووثائقهم وسائل مختلفة من الأحجار والجلود والعظام والأخشاب وما إلى ذلك من الأشياء المتوافرة لديهم، وهذه الوسائل نفسها هي التي استخدمها الصحابة لكتابة الوحي في حياة الرسول ﷺ فمما ورد ذكره في روايات مختلفة نستطيع أن نعرف تلك الوسائل، وهي كالآتي:

العسب، اللخاف، الرقاع، الأضلاع، الأكتاف، قطع الأديم، القضم، الظرر، القراطيس، الصحف، الكرانيف.

هذه الأشياء هي التي ورد ذكرها في كتابة القرآن الكريم في عهد الصحابة رضي الله عنهم وقد حاولت استقصاءها مما يتوفر لدي من مراجع – وفيما يلي نعرف كل ما ذكر من ذلك:

(**العسب**): جمع عسيب، وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخُوصَ ويكتبون في الطرف العريض منه [2].

---

(١) راجع مناهل العرفان: ١/ ٢٥٤–٢٥٥.

(٢) راجع اللسان، مادة (عسب): ١/ ٥٩٨، وفي النهاية لابن الأثير: (٣/ ٢٣٤): هي السَّعفة مما لاينبت عليه الخوص، وانظر: القاموس المحيط، ص: ١٤٧.

(**اللخاف**) : بكسر اللام وبخاء معجمة خفيفة ، آخره فاء، جمع : (لَخْفَةٍ) بفتح اللام وسكون الخاء : وهي الحجارة الرقاق، وقال الخطابي : صفائح الحجارة [١] .

(**الرقاع**) : جمع رُقْعَة، وهي التي تكتب[٢]، قال العلامة الجزائري[٣] : "وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد"[٤] .

(**الأضلاع**) : جمع ضلع، بكسر الضاد وفتح اللام "على لغة أهل الحجاز" وبإسكانها "على لغة تميم" ، وهي عظام الجنبين[٥] .

(**الأكتاف**) : جمع كَتِف، والكَتِف والكِتْف مثل كَذِب وكِذْب : عظم عريض خلف المنكِب، يكون في أصل كتف الحيوان من الناس والدواب، وهو ما فوق العضد، كانوا إذا جفّ كتبوا عليه[٦] .

---

(١) كتاب المصاحف لابن أبي داود : ١ / ١٧٠ ، الإتقان : ١ / ١٨٦ ، القاموس المحيط : ١١٠٢ .

(٢) اللسان : مادة (رقع) ، القاموس : ٩٣٣ .

(٣) طاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب السمعوني، جزائري الأصل، دمشقي المولد والمدفن، من أكابر علماء اللغة والأدب، كان شغوفاً بجمع واقتناء المخطوطات، ساعد على إنشاء دار الكتب الظاهرية بدمشق، والمكتبة الخالدية في القدس، كان يجيد أكثر اللغات الشرقية كالعبرية والسريانية والحبشية والتركية والفارسية، له نحو عشرين مؤلفاً، ولد في ١٢٦٨هـ، وتوفي سنة : ١٣٣٨هـ ، مقدمة كتابه : التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن لمحققه / الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، الأعلام ٣ / ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٤) التبيان، هامش ص : ١٠١ .

(٥) المصباح المنير، ص : ١٣٨ .

(٦) اللسان : مادة، (كتف) .

(**الأقتاب**) : جمع قَتَب، وهو الخشب الذي يوضع على ظهرالبعير ليركب عليه، وفي اللسان : والقَتَب والقِتْب : إكاف البعير . . وقيل : هو الإكاف الصغير الذي على قدر سنام البعير، وفي الصحاح : رَحل صغير على قدر السنام[1] .

(**قطع الأديم**) : الأديم : الجلد المدبوغ و الجمع : أدم بفتحتين[2] .

(**القُضُم**) : جمع : قضيم، وهو الجلد الأبيض يكتب فيه، وقيل : هي الصحيفة البيضاء، قال ابن منظور : وفي حديث الزهري : قبض رسول الله ﷺ والقرآن في العسب والقضم، هي الجلود البيض، واحدها قضيم، ويجمع أيضاً على قَضَم بفتحتين، كأدم وأديم . . .، عن اللحياني، قال : وجمعها : قُضُم كصحيفة وصحف . . .، قال الأزهري : القضيم هنا الرق الأبيض الذي يكتب فيه[3] .

(**الظُّرر**) : حجر له حد كحد السكين، جمع : ظِرار، مثل : رُطب ورِطاب، ورُبع ورِباع، وظِرَّان أيضاً مثل : صُرَد وصِرْدان[4] .

(**القراطيس**) : جمع قرطاس، مثلثة القاف، وهي الصحيفة الثابتة –من أي شيء كانت– التي يكتب فيها، أو الكاغد، ويقال للأديم الذي ينصب للنضال : قرطاس كذلك[5] .

---

(١) المرجع السابق ، والقاموس : ١٥٧ .

(٢) المصباح المنير ، ص : ٤ ، القاموس : ١٣٨٩ .

(٣) اللسان، مادة (قضم) : ١٢ / ٤٨٨ ، القاموس : ١٤٨٥ .

(٤) الوجيز للقرطبي، ص : ١٦٣ ، وانظر القاموس : ٥٥٦ .

(٥) اللسان، مادة (قرطس)، القاموس : ٧٢٩ .

وقد وردت الكلمة في سورة الأنعام بالإفراد والجمع في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ... ﴾ (الأنعام: ٧). وفي قوله: ﴿ ... تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا ... ﴾ (الأنعام: ٩١).

ونقل العلامة السيوطي[1] رواية موطأ ابن وهب عن مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبدالله بن عمر قال: جمع أبو بكر القرآن في قراطيس[2].

(**الألواح**): مفرده: اللوح، وهو: كل صحيفة عريضة من خشب أو عظم كتف إذا كتب عليه[3].

(**الصحف**): جمع صحيفة، وهي قطعة من جلد أو قرطاس كتب فيه، والجمع: صُحُف بضمتين وصحائف، مثل: كريم وكرائم[4].

(**الكرانيف**): جمع كُرْنَافَة، بالضم والكسر، وهي أصول الكَرَب -السعف الغلاظ العراض- تبقى في الجذع بعد قطع السعف[5].

---

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، جلال الدين أبو الفضل الخضيري السيوطي، إمام حافظ مؤرخ أديب، له نحو ٦٠٠ مصنف، ولد في ٨٤٩هـ، ونشأ بالقاهرة يتيماً، بقي معتزلاً عن الناس إلى أن مات سنة: ٩١١هـ، من أشهر مؤلفاته: الدر المنثور، الإتقان، شذرات الذهب: ٨/ ٥١، حسن المحاضرة: ١/ ١٨٨، الأعلام: ٣/ ٣٠٢.

(٢) الإتقان: ١/ ١٨٦.

(٣) المصباح المنير، ص: ٢١٤، القاموس: ٣٠٧.

(٤) المصباح المنير، ص: ١٢٧، وراجع القاموس: ١٠٦٨.

(٥) المصباح المنير: ٢٠٢، القاموس: ١٠٩٦، ١٠٩٧.

هـذا، وقـد وقـع فـي "مغـازي مـوسى بن عـقبـة"[1]-كـما نقـل عنه السيوطي- عن ابن شهاب قال: لما أصيب المسلمون باليمامة فزع أبو بكر وخاف أن يذهب من القرآن طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم حتى جُمِعَ على عـهد أبي بكر في الورق، فكان أبو بكر أول من جمع القرآن في الصحف[2].

فهذه الرواية، وما نقلنا قبلها من موطأ ابن وهب تثبت بأن وسائل الكتابة المذكورة سابقاً هي ما كتب عليها القرآن الكريم قبل عهد أبي بكر رضي الله عنه، أما في عـهده رضي الله عنه فقد كتب المصحف كله في الورق.

وقد أيد ذلك الحافظ ابن حجر حيث قال: "إنما كان في الأديم والعسب أولاً، قبل أن يجمع في عهد أبي بكر، ثم جمع في الصحف في عهد أبي بكر، كما دلت عليه الأخبار الصحيحة المترادفة"[3].

المطلب السادس: نتائج الجمع وفوائده:

كان من نتائج الجمع في العهد الصديقي:

- أن سجل كامل القرآن الكريم وقيد بالكتابة.

---

(١) موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي بالولاء، أبو محمد، مولى آل الزبير عالم بالسيرة والمغازي، محدث ثقة، ولد بالمدينة، وبها توفي سنة ١٤١هـ قال الإمام أحمد: عليكم بمغازي ابن عقبة فإنه ثقة، تهذيب التهذيب: ١٠/ ٣٦٠، الأعلام: ٧/ ٣٢٥.

(٢) الإتقان: ١/ ١٨٦، وراجع الإتقان في المباحث المتعلقة بالقرآن ص: ١٠٢.

(٣) الفتح: ٩/ ١٣، وراجع الإتقان: ١/ ١٨٦، ١٨٧.

- زال الخوف من ضياعه بوفاة حملته وقرائه.
- حفظ كله في موضع واحد، بعد ما كان مبعثراً في أماكن متفرقة.
- أجمع الصحابة كلهم على ما سجل فيه.
- أصبح بمنـزلة وثيقة وسجل يرجع إِليه وقت الضرورة.
- زالت شبهة الجمع من أذهان كثير من الصحابة.

المبحث الثاني
جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه

المطلب الأول: عثمان بن عفان وعهده:

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، أمير المؤمنين وذو النورين، ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه، وثالث الخلفاء الراشدين، وأحد المبشرين بالجنة، ولد بمكة سنة: (٤٧) ق هـ، وأسلم بعد البعثة بقليل، كان من أغنياء قريش، وأشرافهم، ومن كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وهو من السابقين الأولين، ورابع أربعة ممن دخل في الإسلام، وأول المهاجرين مع أهله الهجرتين إلى الحبشة [١]، ثم إلى المدينة، وأحد الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وأحد الذين جمعوا القرآن في حياة الرسول ﷺ وحفظوه [٢] وكان أشبه الناس بإبراهيم (عليه السلام) وسيدنا محمد ﷺ [٣]، واستشهد صبيحة عيد الأضحى في بيته بالمدينة وهو يقرأ القرآن سنة: ٣٥هـ [٤].

يبدأ عهد عثمان رضي الله عنه بعد استشهاد عمر رضي الله عنه في: غرة محرم عام: ٢٤هـ، حيث بويع بالخلافة بعد دفن عمر بثلاث

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص: ١١٧.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد: ٣ / ٦١، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، ص: ١٤٨.

(٣) تاريخ الخلفاء، ص: ١٥١.

(٤) غاية النهاية: ١ /٥٠٧، الأعلام: ٤ / ٢١٠.

ليال، وقد اتسعت الفتوحات في زمنه رضي الله عنه، ففي عهده فتحت الري، وحصون كثيرة من الروم، وتوسع في المسجد النبوي، وفتحت الأندلس، وإصطخر، وبلاد كثيرة من خراسان، ونيسابور، وطوس وسرخس ومرو وبيهق وغيرها من البلاد [1]، وكثر العمران، وتفرق المسلمون في أرجاء البلاد الإسلامية وأقطارها، ونشأ جيل جديد، وطال عهد الناس بالرسول ﷺ والوحي، وكان أهل كل إقليم من أقاليم الإسلام، يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة، فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء ووجوه القراءة، بصورة فتحت باب الشقاق والنزاع في المسلمين في أمر القراءة، أشبه بما كان بين الصحابة قبل أن يعلموا أن القرآن نزل على سبعة أحرف، بل كان هذا الشقاق أشد، لبعد عهد هؤلاء بالنبوة، وعدم وجود فيصل بينهم يطمئنون إلى حكمه، ويصدرون جميعاً عن رأيه، واستفحل الداء حتى خطأ بعضهم بعضاً، وكادت تكون فتنة في الأرض وفساد كبير.

المطلب الثاني: بواعث الجمع في العهد العثماني:

الباعث الأساس على جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه هو: استدراك اختلاف القراء في وجوه قراءة القرآن الكريم وتخطئة بعضهم بعضاً، بل وصل الأمر أحياناً إلى تكفير بعضهم بعضاً، فأراد رضي الله عنه جمع الأمة على مصحف موحد مجمع عليه.

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص: ١٥٦.

روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: عن ابن شهاب أن أنس بن مالكٍ حدَّثه أنّ حذيفة بن اليمان[1] قدمَ على عثمانَ وكانَ يغازي أهلَ الشام في فتح إِرْمينية [2] وأذربيجان [3] مع أهل العراقِ فأفزَعَ حُذيفةَ اختلافُهم في القراءةِ فقالَ حُذيفة لعثمانَ: يا أميرَ المؤمنينَ أدركْ هذه الأمّةَ قبلَ أن يختلِفُوا في الكتابِ اختلافَ اليهودِ والنصارى. فأرْسَلَ عثمانُ إلى حفصةَ أن أرسلي إلينا بالصُّحف ننسخُها في المصاحفِ ثم نردُّها إليكِ فأرسلتْ بها حفصَةُ إلى عثمانَ،

(١) هو حذيفة بن حِسل بن جابر العبسي، أبو عبد الله، صحابي من الولاة الشجعان الفاتحين، صاحب سر النبي ﷺ في المنافقين، لم يعلمهم أحد غيره، ولاه عمر على المدائن بفارس، وهاجم نهاوند سنة: ٢٢هـ، وفتح الدينور وسندان وهمذان والري عنوةً، توفي في المدائن سنة ٣٦هـ، تهذيب التهذيب ٢/ ٢١٩، غاية النهاية: ١/ ٢٠٣، وفيه: توفي بعد عثمان بأربعين يوماً، الأعلام: ٢/ ١٧١.

(٢) اسم لصُقع عظيم في جهة الشمال.. قيل هما إرمينيتان، وقيل: ثلاث، وقيل: أربع، وقد أطال الحموي في وصفها، وكانت بأيدي الروم حتى جاء الإسلام، انظر معجم البلدان: ١/ ١٥٩-١٦١.

(٣) ذكر الحموي في ضبطها أربعة أقوال: أذْرَبيجان ،أَذَرْبيجان، آذَرَبيجَان، وآذَرْبيجَان، معناها: بيت النار بالفارسية، أو خازن النار، إقليم واسع، وصُقْع جليل، ومملكة عظيمة، من مدنها: تبريز، الغالب عليها الجبال، ذات قلاع كثيرة، وخيرات واسعة، وفواكه جمة، وبساتين كثيرة ومياه وافرة وعيون جارية، فتحت أيام عمر بن الخطاب فولى عليها حذيفة بن اليمان، ثم عزله وولى عليها عتبة بن فرقد، ثم لما عزل عثمان بن عفان عتبة بن فرقد نقضوا، فغزاهم الوليد بن عقبة سنة خمس وعشرين ،ثم صالح أهلها على صلح حذيفة، انظر: معجم البلدان للحموي: ١/ ١٢٨، ١٢٩.

فأمَرَ زيدَ بن ثابت وعبد الله بن الزبيرِ وسعيدَ بن العاصِ وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف [1].

وأخرج ابن أبي داود [2] من طريق أبي قلابة أنه قال:

"لما كانت خلافة عثمان، جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين، قال أيوب: لا أعلمه إلا قال: حتى كفر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان، فقام خطيباً فقال: أنتم عندي تختلفون وتلحنون، فمن نأى عني من الأمصار أشد فيه اختلافاً وأشد لحناً، اجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوه للناس إماماً" [3].

وأخرج ابن أبي داود من طريق سويد بن غفلة الجعفي قول علي رضي الله عنه:

"يا أيها الناس: لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيراً.. فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا من ملأ منا جميعاً، فقال: ما تقولون في

---

(١) البخاري، فضائل القرآن، رقم: ٤٦٠٤، الترمذي، أبواب تفسير القرآن، برقم: ٣٠٢٩، وانظر كتاب المصاحف: ١/٢٠٤، والفتح: ٩/١١، والمقنع: ٤.

(٢) عبدالله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، أبوبكر، من كبار المحدثين والمقرئين، صاحب كتاب المصاحف، ولد في سجستان (من بلاد أفغانستان الحالية) ٢٣٠هـ، وتوفي سنة ٣١٦هـ، الغاية: ١/٤٢٠، ميزان الاعتدال: ٢/٤٣، الأعلام: ٤/٩١.

(٣) كتاب المصاحف: ١/٢١١، ٢١٢، والأثر مما انفرد المؤلف بتخريجه، وله شاهدان لديه، وإسناده هنا منقطع لإرسال أبي قلابة حيث لم يصرح هنا بمن حدثه عنه.

هذه القراءة؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفراً، قلنا: فما ترى؟ قال: نرى أن يجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف، قلنا: فنعم ما رأيت.. قال: قال علي: والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل"[1].

لهذه الأسباب والأحداث، رأى عثمان بثاقب رأيه، وصادق نظره، أن يتدارك الأمر، فجمع أعلام الصحابة وذوي البصر منهم، وأجال الرأي بينه وبينهم في علاج هذه الفتنة، فأجمعوا أمرهم على استنساخ مصاحف لإرسالها إلى الأمصار، فيؤمر الناس باعتمادها، والتزام القراءة بما يوافقها، وبإحراق كل ما عداها، وتعد تلك المصاحف العثمانية الرسمية الأساس والمرجع المعتمد لحسم الخلاف وقطع النزاع والمراء[2].

وقد نظم ذلك الإمام أبو عمرو الداني (رحمه الله) فقال:

وولي الناسَ الرضا عثمانُ	وبايع الكل له و دانوا
فحضهم معا على الجهاد	فانبعث القوم على ميعاد
وقصدوا مصححين النيه	نحو أذربيجان وإرمينيه
فاجتمع الشامي والعراقي	في ذلك الغزو على وفاق
فسمع البعض قراةَ البعض	فقابلوا قراتهم بالنقض

(١) كتاب المصاحف: ١/٢١٣-٢١٤، وراجع السنن الكبرى للبيهقي: ٢/٤٢، والمرشد الوجيز، ص: ٥٤، ولطائف القسطلاني: ١/٦١، والإتقان للسيوطي: ١/١٦٩-١٧٠.

(٢) راجع الإتقان: ١/١٨٧، وما بعدها، ومناهل العرفان: ١/٢٥٥-٢٥٧.

واختلفوا في أحرف التلاوه حتى بدت بينهم العداوه
ووصل الأمر إلى عثمانِ أخبره حذيفةٌ بالشان
وما جرى بينهمُ هناكا وما رأى من أمرهم في ذاكا
وقال هذا الأمر فادَّرِكْهُ فهو معضل فلا تتركه
فجمع الإمام من في الدار من المهاجرين والأنصار
وقال: قد رأيت أمراً فيه مصلحةٌ وهو ما أحكيه
رأيت أن أجمع هذه الصحف في مصحف بصورة لا تختلف
أدخله ما بين دفتين فصوّب الكل لذي النورين
مقاله وما رأى من ذاكا ولم يكن مخالف هناكا[1]

المطلب الثالث: لجنة الجمع في العهد العثماني:

وقع خلاف في عدد اللجنة المكلفة بالجمع في العهد العثماني:

فقيل: هم خمسة: زيد، وابن الزبير، وابن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث[2].

وقيل: هم اثنا عشر رجلاً من قريش والأنصار، فيهم أبي..[3].

وفي بعض الآثار: يملي سعيد، ويكتب زيد[4].

---

(١) الأرجوزه المنبهة للداني، الأبيات رقم: ١٧٩-١٨٢.

(٢) المقنع: ٤.

(٣) كتاب المصاحف: ١/ ٢٢٠.

(٤) المرجع السابق: ١/ ٢١٧.

غير أن ما عليه الجمهور:

أنهم أربعة: زيد بن ثابت من الأنصار، وعبد الله بن الزبير، وسعيد ابن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام (الثلاثة من قريش)[1].

أما زيد بن ثابت فقد سبقت ترجمته، وأما الثلاثة فهم:

عبد الله بن الزبير:

هو عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو بكر، أمه: أسماء بنت أبي بكر الصديق، أحد العبادلة الأربعة، فارس قريش في زمنه، من خطباء قريش المعدودين، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة، بويع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ، وجعل قاعدة ملكه المدينة، ودامت خلافته تسع سنين، وهو أول من ضرب الدراهم المستديرة، وقتل مظلوماً بمكة بعد قتال عنيف بينه وبين الحجاج بن يوسف الثقفي، في جمادى الأولى سنة ٧٣هـ[2].

سعيد بن العاص:

هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي القرشي، صحابي من الأمراء الولاة الفاتحين، تربى في حجر عمر بن الخطاب، وولاه عثمان الكوفة، وهو شاب، ثم استدعاه عثمان إلى المدينة فأقام فيها إلى أن كانت الثورة على عثمان، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى

---

(١) انظر: الفتح: ٩/ ١١، كتاب المصاحف: ١/ ٢٠٥، لطائف القسطلاني: ١/ ٥٧، ٥٨ .

(٢) الكامل: ٤/ ١٣٥، شذرات الذهب ١/ ٧٩-٨١، الأعلام: ٤/ ٨٧.

أن استشهد عثمان، فخرج إلى مكة فأقام فيها إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة فتولاها إلى أن مات بها في سنة ٥٩هـ ، وكانت ولادته قبل بدر، وهو فاتح طبرستان، وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان، كان قوياً، سخياً فصيحاً، عاقلاً حليماً، اعتزل الجمل وصفين، وكان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ[١].

عبدالرحمن بن الحارث بن هشام:

هو عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي القرشي المدني، أبو محمد، ختن عثمان رضي الله عنه وتزوج عمر رضي الله عنه والدته بعد وفاة أبيه في طاعون عمواس بالشام، فتربى في حجره، تابعي ثقة جليل القدر، ولد في زمن النبي ﷺ ولم يسمع منه، من أشراف قريش، أحد الأربعة الذين تولوا نسخ المصاحف العثمانية، وابنه أبو بكر أحد الفقهاء السبعة المعروفين، توفي بالمدينة سنة: ٤٣هـ[٢].

هؤلاء الأربعة هم الذين كوّن عثمان لجنة منهم، وعهد إليهم تنفيذ قرار نسخ المصاحف.

قال الحافظ ابن حجر: وكان ذلك في أواخر سنة أربع وعشرين وأوائل سنة خمس وعشرين، وهو الوقت الذي ذكر أهل التاريخ أن إرمينية فتحت فيه[٣].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٥/ ١٩، شذرات الذهب: ١/ ٦٥، الأعلام: ٣/ ٩٦، ٩٧.

(٢) تهذيب التهذيب: ٦/ ١٥٦، الإصابة: ٦١٩٥، الأعلام: ٣/ ٣٠٣.

(٣) الفتح: ٩/ ١٤.

وذهب العلامة ابن الجزري وابن الأثير إلى أن الجمع العثماني كان في الثلاثين من الهجرة[1] والأول أصح.

المطلب الرابع: كيفية الجمع:

أرسل عثمان إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر، فبعثت إليه بالصحف التي جمع القرآن فيها على عهد أبي بكر رضي الله عنه، وتسلمت اللجنة هذه الصحف وعدَّتها المصدر الأساس في هذا الخطب الجلل، ثم أخذت في نسخها، حسب الدستور الذي وضعه لهم عثمان رضي الله عنه حيث قال للقرشيين الثلاثة:

"إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن[2] فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم"[3].

وفي الترمذي: "قال الزهري فاختلفوا يومئذ في التابوت والتابوه فقال القرشيون التابوت [4] وقال زيدٌ التابوه فرُفعَ اختلافهم إلى عثمان فقال اكتبوه التابوت فإنه نزل بلسان قريش"[5].

وكان ما ذكر من منهجهم أنهم كانوا لا يكتبون شيئاً في هذه

---

(١) انظر النشر: ١/٧، الكامل: ٣/٥٥.

(٢) أي في كيفية كتابته ورسمه، كما يدل عليه لفظ: فاكتبوه.

(٣) البخاري فضائل القرآن، برقم: ٤٦٠٤.

(٤) سورة البقرة: ٢٤٨، سورة طه: ٣٩، أي: في كتابتها بالتاء المفتوحة أو المربوطة، ولم يوقف على أفراد من اختلافهم إلا في هذه الكلمة الوحيدة.

(٥) الترمذي، أبواب تفسير القرآن، رقم: ٣٠٢٩.

المصاحف إلا بعد ما يتحققون منه أنه قرآن متلوّ، وغير منسوخ، وذلك بعرضه على حملته من قراء الصحابة، أما لو ثبت نسخ شيء من ذلك تركوه.

فكتبت اللجنة مصاحف متعددة، بالمنهج الآتي:

- جردوا المصاحف كلها من النقط والشكل من أولها إلى آخرها.
- وحدوا رسمها فيما يلي:

أ- الكلمات التي لا تقرأ إلا بوجه واحد، نحو ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ (الفاتحة: ٥).

ب- الكلمات التي تقرأ بأكثر من وجه، وكتابتها برسم واحد توافق قراءتها بوجوه مختلفة، موافقة حقيقة وصريحة، ويساعد على ذلك تجردها من النقط والشكل، نحو: (يكذبون)[1] بالتخفيف، وبالتشديد، و(فتبينوا)، و(فتثبتوا)[2]، و(ننشرها) [3] بالزاي المنقوطة أو بالراء المهملة.

ج- الكلمات التي تقرأ بأكثر من وجه، وكتابتها برسم واحد توافق

(١) سورة البقرة: ١٠، قرأ الكوفيون (عاصم وحمزة والكسائي وخلف) بالتخفيف، الباقون بالتشديد، النشر: ٢/٢٠٧، ٢٠٨، الإتحاف: ١/٣٧٨.

(٢) النساء: (٩٤) موضعان، الحجرات: ٦: قرأ حمزة والكسائي وخلف (فَتَثَبَّتُوا) والباقون (فَتَبَيَّنوا)، النشر: ٢/٢٥١، الإتحاف: ١/٥١٨.

(٣) البقرة: ٢٥٩، قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف بالزاي، والباقون بالراء، النشر: ٢/٢٣١، الإتحاف: ١/٤٤٩.

قراءتها بوجوه مختلفة، تقديراً واحتمالاً نحو: (ملك)[1] بحذف الألف وبإثباتها، حيث تحذف الألف من كلمات كثيرة اختصاراً لكثرة ورودها فيها، وهي لا تقرأ إلا بوجه واحد، نحو: (الله)، (الرحمن)، (العلمين)[2].

في مثل الكلمات والأمثلة المذكورة أعلاه كان رسمها واحداً دون اختلاف.

● أما الكلمات التي لا يدل رسمها على أكثر من قراءة فإنهم كانوا يرسمونها في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة، وفي بعض آخر برسم آخر يدل على قراءة ثانية، كقراءة (وَوَصَّى) بالتضعيف و(وأوْصَى) بالهمزة [3]، وكذلك قراءة ﴿ ... تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ... ﴾ (التوبة: ١٠٠)[4]، بحذف لفظ: (من) قبل (تحتها)، أو بزيادتها.

يقول العلامة الزرقاني: "والذي دعا الصحابة إلى انتهاج هذه الخطة في رسم المصاحف وكتابتها أنهم تلقوا القرآن عن رسول الله ﷺ بجميع وجوه

---

(١) الفاتحة: قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف بإثبات الألف، والباقون بحذفها، النشر: ١ / ٢٧١، الإتحاف: ١ / ٣٦٣.

(٢) راجع أمثلة الحذف والإثبات في المقنع: ١٠ وما بعدها.

(٣) البقرة: ١٣٢، قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر (وأَوْصَى)، والباقون (وَوَصَّىٰ)، النشر: ٢ / ٢٢٢، ٢٢٣، الإتحاف: ٢ / ٤١٨.

(٤) قرأ ابن كثير بزيادة (من) وكسر التاء من (تحتِها)، وهي كذلك في المصاحف المكية، والباقون بحذفها وفتح تاء (تحتَها)، النشر: ٢ / ٢٨٠، الإتحاف: ٢ / ٩٧.

قراءاته، وبكافة حروفه التي نزل عليها، فكانت هذه الطريقة أدنى إلى الإحاطة بالقرآن على وجوهه كلها، حتى لا يقال: إنهم أسقطوا شيئاً من قراءاته، أو منعوا أحداً من القراءة بأي حرف شاء على حين أنها كلها منقولة نقلاً متواتراً عن النبي ﷺ ورسول الله ﷺ يقول: "فأي ذلك قرأتم أصبتم فلا تماروا"(١).

مصير المصاحف والصحف المخالفة للمصاحف العثمانية:

بعد أن تم نسخ المصاحف العثمانية بالطريقة التي أوضحناها سابقاً، أمر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه بإرسالها إلى الأقطار الإسلامية الشهيرة، وأرسل مع كل مصحف مقرئاً من الذين توافق قراءته في أغلبه قراءة أهل ذلك القطر، وذلك لأن التلقي أساس في قراءة القرآن، وأمر أن يحرق كل ما عداها من الصحف أو المصاحف الشخصية الموجودة لدى الصحابة مما تخالفها، ليستأصل بذلك سبب الخلاف والنزاع بين المسلمين في قراءة كتاب الله، فاستجاب لذلك الصحابة رضي الله عنهم، فجمعت المصاحف والصحف وحرقت أو غسلت بالماء(٢).

ففي صحيح البخاري: "حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحفِ ردّ عثمانُ الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا

---

(١) مناهل العرفان: ١/ ٢٥٩.

(٢) انظر مناهل العرفان: ١/ ٢٦١.

وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق"[1].

واجتمعوا جميعاً على المصاحف العثمانية، حتى عبد الله بن مسعود الذي نقل عنه أنه أنكر أولاً مصاحف عثمان، وأنه أبى أن يحرق مصحفه، رجع وعاد إلى الجماعة،حين ظهر له مزايا تلك المصاحف العثمانية، واجتماع الأمة عليها، وتوحيد الكلمة بها[2].

مزايا المصاحف العثمانية:

- الاقتصار على ما ثبت بالتواتر، دون ما كانت روايته آحاداً.
- إهمال ما نسخت تلاوته ولم يستقر في العرضة الأخيرة.
- ترتيب السور على الوجه المعروف الآن، بخلاف صحف أبي بكر رضي الله عنه فقد كانت مرتبة الآيات دون السور.
- كتابتها بطريقة تجمع وجوه القراءات المختلفة والأحرف التي نزل عليها القرآن بعدم إعجامها وشكلها، ومن توزيع وجوه القراءات على المصاحف إذا لم يحتملها الرسم الواحد.
- تجريدها من كل ما ليس قرآناً كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في مصاحفهم الخاصة شرحاً لمعنى، أو بياناً لناسخ ومنسوخ، أو نحو ذلك.

المطلب الخامس: عدد المصاحف العثمانية وإلى أين أرسلت؟

اختلف في عدة المصاحف التي أمر عثمان بكتابتها والمشهور أنها خمسة:

---

(١) البخاري، فضائل القرآن، رقم: ٤٦٠٤.

(٢) مناهل العرفان: ١ / ٢٦١.

أرسل أربعةً منها إلى مكة، والمدينة والكوفة، والشام، وأمسك عنده واحداً منها، وهو المعروف بالمصحف الإمام [1].

وقال أبو عمرو الداني: أكثر العلماء على أنها كانت أربعة، أرسل واحداً منها للكوفة، وآخر للبصرة، وآخر للشام، وترك واحداً عنده [2].

وقال ابن أبي داود: سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: لما كتب عثمان المصاحف حين جمع القرآن، كتب سبعة مصاحف، فبعث واحداً إلى مكة، وآخر إلى الشام، وآخر إلى اليمن، وآخر إلى البحرين، وآخر إلى البصرة، وآخر إلى الكوفة، وحبس بالمدينة واحداً[3].

والراجح أنها: ستة، أرسلت أربعة منها إلى مكة، والشام، والكوفة، والبصرة، وأبقي واحد منها بالمدينة، ويسمى: المدني العام، وأمسك عثمان واحداً منها لنفسه، ويسمى المدني الخاص، أو المصحف الإمام [4].

المطلب السادس: قضية الرسم المصحفي من حيث كونه توقيفياً أم لا؟

أ- ذهب الجمهور إلى أن الرسم العثماني توقيفي، يجب على الأمة اتباعه، ولا تجوز مخالفته.

---

(١) انظر: الإتقان: ١/ ١٨٩.

(٢) المقنع: ٩، وراجع كتاب المصاحف: ١/ ٢٤١، والإتقان: ١/ ١٨٩.

(٣) كتاب المصاحف: ١/ ٢٤٢.

(٤) راجع مقال شيخنا الدكتور/ محمود سيبويه (رحمه الله) المنشور في العدد الأول من مجلة كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام ١٤٠٣هـ، ص: ٣٢٣-٣٥٣.

واستدلوا على ذلك بأمور متعددة:

(١) أن كتاب الوحي كتبوا القرآن الكريم بهذا الرسم أمام الرسول ﷺ، وقد أقرهم على ما كتبوه.

(٢) كتب القرآن الكريم بالرسم نفسه في العهد الصديقي، ثم في العهد العثماني، وأجمع الصحابة عليه، ولم يخالف في ذلك أحد منهم، وإجماعهم واجب الاتباع.

(٣) اتبعت الأمة هذا الرسم، وقلدته في كتابة المصاحف، واستمر العمل عليه في عصور التابعين والأئمة المجتهدين، ولم ير من يعتد بقوله مخالفاً له، وفي ذلك نصوص كثيرة لعلماء الأمة من الأئمة الأربعة وغيرهم[١]، بل نقل البعض إجماع الأئمة الأربعة على ذلك[٢]، ومن ثم جعل القراء موافقة الرسم العثماني أحد أركان قبول القراءة[٣].

ب- ذهب البعض إلى أن الرسم غير توقيفي، ولا تجب موافقته، بل تجوز كتابة المصاحف بالرسم الإملائي حسب ما تقتضيه قواعد أهل صناعة الخط.

واحتجوا بأن كتاب المصاحف من الصحابة كانوا غير مجيدين للخط، فوقعوا في أخطاء في الكتابة، ولا يجب علينا اتباعهم في ذلك

---

(١) راجع المقنع للداني: ٩، ١٠، البرهان: ١/ ٣٧٩، الإتقان: ٢/ ١٦٣.

(٢) انظر: مقال د/ محمود سيبويه، ص: ٣٤٥.

(٣) انظر: مناهل العرفان: ١/ ٣٧٩، ٣٨٠.

لأن رسمهم قد يوقع الناس في الخلط والالتباس والحيرة ولا يمكنهم من القراءة الصحيحة، كما أنه لم يرد دليل شرعي يوجب كتابة المصحف برسم معين [1].

ج- ذهب بعض المتأخرين والمعاصرين إلى التوسط بين الأمرين، فقالوا بوجوب كتابة المصاحف بالرسم الإملائي لعامة الناس، وبالرسم العثماني للخواص من أهل العلم[2].

ملاحظة:

مما مر بنا من أدلة مذهب الجمهور تظهر قوة قولهم وترجيحه، ولكن يجب علينا أن نفرق في هذا المقام بين كون الرسم توقيفياً، وبين وجوب الالتزام بالرسم العثماني.

فالأدلة التي ذكرت في قول الجمهور لا يصرح شيء منها بكون الرسم توقيفياً، لعدم وجود دليل صريح من الكتاب أو السنة على ذلك.

أما وجوب الالتزام بالرسم العثماني، فنعم، وأقوى دليل عليه، هو إجماع الصحابة -أولاً-، ثم إجماع الأمة الإسلامية منذ العصور المتقدمة.

كما أنه ينبغي أن يفرق هنا بين الالتزام بالرسم العثماني لكتابة المصاحف الأمهات، وبين كتابة الآيات القرآنية في غير المصاحف.

---

(١) ذهب إليه ابن خلدون في مقدمة تاريخه: ٤١٩، وأيده الباقلاني في الانتصار، وانظر للرد عليه: رسم المصحف لغانم قدوري الحمد: ٢١٠.

(٢) جنح إليه العلامة الزركشي في البرهان: ١/ ٣٧٩، وشيخ الإسلام العز بن عبدالسلام، راجع مناهل العرفان: ١/ ٣٨٥، وصفحات في علوم القراءات: ١٧٦-١٨٣.

فبالنسبة لكتابة المصاحف الأمهات : فأرجح في ذلك قول الجمهور.

أما بالنسبة لكتابة الآيات القرآنية المفرقة في غير المصاحف -كالاستشهاد بآية أو بجزء منها في مؤلف أو في رسالة علمية أو في الأجزاء المفرقة التي تطبع لتعليم الناشئة- فينبغي فيها الالتزام بالرسم العثماني، وهو الأحوط للخروج عن الخلاف، ولكن لم يتضح لي وجوب الالتزام بالرسم العثماني فيها[1].

المطلب السابع: قضية إتقان الكتابة لدى الصحابة:

وبمعنى آخر: هل كان الصحابة يجيدون الخط والكتابة، أو أنهم ارتكبوا أخطاء في كتابة المصحف لعدم إجادتهم صناعة الخط والكتابة؟ ذهب البعض من المتأخرين[2] والمعاصرين[3] إلى أن الصحابة لم يتقنوا صناعة الخط والكتابة، فمن ثم وقعوا في أخطاء حين كتابة المصاحف.

وهنا نقف فنتساءل هل يستطيع تلامذة المرحلة الابتدائية في خلال مدة دراستهم في هذه المرحلة، أن يتقنوا الخط والإملاء أو لا؟ وبخاصة

---

(١) راجع لمزيد من التفصيل في الموضوع مقالنا بعنوان: مسألة الالتزام بالرسم العثماني.. نشر في مجلة الدراسات الإسلامية بإسلام آباد باكستان، ع: ٤، م ٢٩: ٩، ١٤١٥هـ.

(٢) على رأسهم العلامة ابن خلدون، المؤرخ المعروف، انظر قوله في مقدمة تاريخه، ص: ٤١٩.

(٣) منهم الأستاذ/أحمد أمين في كتابه: فجر الإسلام، ص: ١٤٢، حيث قال: وحتى هؤلاء الذين كانوا يكتبون الوحي لم يكونوا مهرة في الكتابة، ولا كتابتهم سائرة على نمط واحد، ولا خاضعة لقوانين الإملاء، وسبب ذلك -كما يعلله ابن خلدون- ضعفهم في صناعة الخط، وأنهم لم يبلغوا حد الإجادة فيها.

إذا كـــان الطالب ممن يطلق عليـــهم في الاصطلاح المعـــاصـــر- : (موهوبون)، ولا سيما إذا لم تكثر ولم تتعدد لديه المواد الدراسية .

للإجابة عن هذا السؤال : أرى أن هذه المدة تكفي تماماً لإجادة الخط والإملاء، وهذا هو المشاهد في المدارس الابتدائية .

والذين مارسوا الكتابة في جمع القرآن كان على رأسهم زيد بن ثابت الأنصاري، والذي عرفنا عنه سابقاً أنه تعلم السريانية في خلال سبعة عشر يوماً فقط، وكان يمارس الكتابة منذ حياة الرسول ﷺ حيث كان من كتاب الوحي المشهورين، وهو الذي مارس كتابة القرآن كله حين الجمع الصديقي سنة ١٢ من الهجرة حين كان عمره حوالي ٢٣سنة، ثم هو الذي مارس الكتابة في الجمع العثماني سنة: ٢٤ أو ٢٥ من الهجرة حين كان عمره حوالي ٣٥ أو ٣٦ سنة (أي في عنفوان شبابه)، فهل يتصور من مثل هذا الشاب الموهوب أنه لم يكن -في خلال هذه المدة كلها- قد أتقن الكتابة ثم ارتكب الأخطاء في كتابة كلام الله الذي يقول فيه: "فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن"(١) .

فالقضية واضحة، ولا ينبغي اتهام الصحابة بعدم إجادة صناعة الخط، ثم تعليل ذلك بنسبتهم إلى البداوة وعدم التحضر كما فعل

---

(١) البخاري، فضائل القرآن : ٤٦٠٣ ، الترمذي، التفسير: ٣٠٢٨، أحمد ، مسند العشرة المبشرين بالجنة : ٧٢، ومسند الأنصار: ٢٠٦٥٧ .

ذلك ابن خلدون وأتباعه[1].

المطلب الثامن: نتائج الجمع في العهد العثماني وفوائده:

من أكبر نتائج الجمع العثماني:

(١) القضاء على الفرقة والخلاف بين المسلمين في وجوه قراءة القرآن الكريم.

(٢) اتحاد الأمة على مصحف واحد، بصورة نهائية يوثق فيه ويعتمد عليه.

(٣) تعرف كثير من الصحابة -لأول مرة- على وجوه وآيات متعددة منسوخة التلاوة.

(٤) تعرف كثير منهم على وجوه ثابتة من الأحرف السبعة لقراءة القرآن الكريم.

(٥) توزيع المصاحف المجمع عليها رسمياً من قبل أمير المؤمنين وخليفة المسلمين.

(٦) اعتماد الأمة هذه المصاحف والتمسك بالقراءة بما يوافق رسمها وكتابتها.

(٧) الخلاص من الصحف والمصاحف التي لم تكن لها صفة رسمية وجماعية.

---

(١) انظر قوله في مقدمته: ٤١٩، وراجع فجر الإسلام لأحمد أمين: ١٤٢.

المبحث الثالث

المطلب الأول: الفروق المميزة بين الجمعين:

الفرق بين الجمعين هو في أمرين:

١- الباعث.

٢- الكيفية.

فباعث الجمع في العهد الصديقي هو: مخافة ضياع القرآن بقتل حملته وقرائه، حيث استحرَّ القتل فيهم، في حروب الردة.

وباعث الجمع في العهد العثماني هو حدوث الخلاف والنزاع في وجوه قراءة القرآن، وبخاصة لدى الشباب من تلامذة القراء، وتحسين بعضهم لقراءة شيخه، وتخطئته لقراءة غيره [١].

أما الكيفية:

فكان الجمع الصديقي عبارة عن نقل القرآن المفرق في الرقاع والعسب واللخاف، وكتابته في صحف مرتب الآيات في سورها على ما كانت هي عليه في عهد الرسول ﷺ مقتصراً على ما لم تنسخ تلاوته، مشتملاً على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووضعها في موضع واحد.

---

(١) راجع الإتقان: ١/ ١٨٨.

أما الجمع العثماني: فكان عبارة عن نسخ مصاحف متعددة عن الصحف الصديقية، مشتملة على الثابت من الأحرف السبعة في العرضة الأخيرة، مرتبة الآيات والسور -على الصورة الموجودة الآن- بصفة يمكن معها قراءة الوجوه المختلفة الثابتة برسم واحد -بقدر الإمكان-، وتوزيعها على الأقطار الإسلامية المشهورة التي يكثر فيها القراء، لجمع الأمة وحملها على القراءة الثابتة، وإزالة الفرقة والخلاف بين المسلمين.

قال ابن التين وغيره: الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان: أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته، لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد، فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي ﷺ[١].

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني[٢]: "لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي ﷺ وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبتٍ رسمه ومفروضٍ قراءته وحفظه، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد"[٣].

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني، أصولي متكلم، ولد في البصرة سنة: ٣٣٨هـ، وتوفي في بغداد سنة: ٤٠٣هـ، من مؤلفاته: إعجاز القرآن، تهذيب السير: ٢/ ٢٦٤، الأعلام: ٦/ ١٧٦.

(٣) الانتصار.

قلت: وفي هذا رد على من يقول بنسخ عثمان للقراءات وجمع الأمة على قراءة قريش.

المطلب الثاني: الأحرف السبعة ومراعاتها في الجمعين:

لقد اتفق العلماء قديماً وحديثاً على أن الصحف التي جمعت في عهد أبي بكر رضي الله عنه كانت مشتملة على الأحرف السبعة، كما اتفقوا على أن زيد بن ثابت رضي الله عنه لم يجمع في تلك الصحف إلا ما تأكد من صحته وعدم نسخ تلاوته.

أما بالنسبة للمصاحف العثمانية، وكونها مشتملة على الأحرف السبعة أم لا؟ فقد اختلف العلماء في المسألة، وذهبوا فيها إلى ثلاثة أقوال:

أ- ذهب البعض إلى أنها لا تشتمل إلا على حرف قريش واستدلوا على ذلك بقول عثمان رضي الله عنه للقرشيين الثلاثة: "إذا اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم"[1].

واحتجوا: بأن الأحرف السبعة نزلت في صدر الإسلام للتيسير على الأمة ورفع الحرج والمشقة عنها في أمر القراءة، ولما ذللت الألسنة ومرنت على لغة قريش أمرت جميع القبائل بالقراءة بلغة قريش، كما أن القراءة باللغات الكثيرة كانت مثار نزاع وخلاف بين المسلمين، لذلك اقتصر عثمان رضي الله عنه على لغة واحدة، وهي لغة قريش،

---

(١) سبق تخريجه، وممن ذهب إلى ذلك: ابن جرير الطبري، والطحاوي وغيرهما... انظر: منجد المقرئين: ٥٥.

أما القراءات الموجودة اليوم -على كثرتها وتعددها- فهي كلها تمثل حرفاً واحداً فقط[1].

ب- وذهب جماعة من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى أنها كانت مشتملة على جميع الأحرف السبعة.

واحتجوا: بأنه لا يجوز للأمة إهمال شيء من الأحرف لكونها منزلة قرآناً، وبأن المصاحف العثمانية نقلت من الصحف التي جمعها أبو بكر وعمر، وكانت مشتملة على الأحرف السبعة، أما عثمان رضي الله عنه فأراد استنقاذ القرآن من فشو اللحن فيه، فجمعهم على القراءات الثابتة عن الرسول ﷺ وأمرهم بترك ما سواها[2].

ج- وذهب الجمهور إلى أن المصاحف العثمانية في مجموعها تشتمل على ما ثبت في العرضة الأخيرة من الأحرف السبعة، فليس كل مصحف بمفرده يشتمل على جميع الأحرف السبعة، بل الثابت منها منتشر في المصاحف العثمانية كلها[3].

واحتجوا: بأن المصاحف العثمانية تمَّ نسخها من الصحف الصديقية، وقد أجمع الصحابة على ما فيها من الأحرف السبعة.

وبأنه لم يرد خبر صحيح ولا ضعيف عن عثمان بأنه أمر بإلغاء بقية الأحرف.

---

(١) قال الدكتور/ محمد أبو شهبة: وهو مذهب المحققين، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص: ٢١٦، وراجع مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص: ١٦٦، ١٦٧.

(٢) انظر: النشر: ١/ ٣١، ٣٢، الإتقان: ١/ ١٥٧.

(٣) النشر: ١/ ٣١.

وبأن الخلافات الموجودة في المصاحف العثمانية دليل قاطع على وجود الأحرف السبعة فيها، فلو كانت المصاحف مكتوبة بلغة واحدة وبحرف واحد فقط لما كان فيها وجود هذا الخلاف.

وبأن وجود كثير من الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية على غير لغة قريش دليل على أن المصاحف لم يقتصر في كتابتها على لغة قريش فقط.

قال العلامة ابن الجزري: وهذا القول هو الذي يظهر صوابه، لأن الأحاديث الصحيحة والآثار المشهورة المستفيضة تدل عليه وتشهد له [1].

---

(١) المرجع السابق، وراجع لمزيد من التفصيل: مناهل العرفان: ١/١٦٩، وكتابنا صفحات في علوم القراءات، ص: ١٢٢-١٢٦.

الخاتمة في أهم نتائج البحث والدراسة

في هذه الجولة السريعة الممتعة في أجواء القرآن، وعهود الخلفاء الراشدين وعموم الصحابة رضي الله عنهم، وما قاموا به من بذل جهود جبارة في خدمة كلام الله تعالى وكتابه المبين -دستور الأمة المحمدية على مدى الدهور والأزمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها- جمعاً وكتابةً، وتنظيماً وترتيباً، وتوثيقاً، وتوزيعاً، وما أثمرت تلك الجهود من نتائج وفوائد نستخلص ما يلي:

(١) الدلالة على مدى اهتمام الصحابة -بعد حياة الرسول الأكرم (بأبي وأمي، صلوات الله وسلامه عليه)- بحفظ النص القرآني المنزل من الله عزوجل وشغفهم به، وحبهم له وتفانيهم فيه.

(٢) الدلالة على حرص الخلفاء الراشدين على توحيد كلمة المسلمين ولمِّ شملهم، وجمع كلمتهم، ومحاولة إبعادهم عن أمراض الفرقة والفساد والشقاق والنزاع.

(٣) الدلالة على مدى اهتمامهم للأخذ بمبدأ الشورى في الأمور ذات الشأن في الشريعة الإسلامية.

(٤) الدلالة على حب بعضهم بعضا، والأخذ بالقول الحق، حتى ولو خالف مشاعره وآراءه مادام فيه مصلحة للإسلام والمسلمين.

كما كان من فوائد الجمع القرآني:

(٥) جمع الأمة واتحادها على قرآن واحد ومصحف معتمد.

(٦) زوال الخوف والوجل على ضياع القرآن وذهابه بذهاب حملته وحفاظه.

(٧) التأكد من النص المنزل المتبقي غير المنسوخ.

(٨) حفظ وجوه مختلفة ومتعددة لتلاوة القرآن الكريم، وأحرفه التي نزل بها تيسيراً على الأمة ورفع المشقة والحرج عنها في أمر القراءة.

هذا بعض ما تراءى لي من فوائد ونتائج جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، ولا أدعي حصرها فيها، ولا صحتها من كل الوجوه، وبالتأكيد تكون هناك نتائج وفوائد أخرى أهم مما ذكرته غابت عن قلبي وخفيت على بالي،ولعل الله أن يقيض لها من يعنى بإبرازها، ويكشف عنها الستار.

اقتراح وتوصية

الاهتمام بتلك الوجوه المتعددة المختلفة لقراءة القرآن الكريم الثابتة بالتواتر من لدن الرسول ﷺ إلى عصرنا هذا دون أدنى شك أو ريبة فيها، وهي ما عرفت بالقراءات، حيث لا يجوز -بإجماع الأمة- قراءة شيء من كتاب الله إلا برواية من رواياتها، وقد قلّ وندر في هذا العصر رجالاتها والمعنيُّون بها، فإلى الله المشتكى.

فلا تقل العناية بها أهمية من العناية بالنص المكتوب، حيث لا اعتبار لدى الأمة للمكتوب دون تلقيه بالمشافهة، كما لا اعتبار للمحفوظ إلا بشرط موافقته للمرسوم.

وأخيراً لا يسعني إلا أن أتقدم ببالغ الشكر والتقدير إلى منظمي الندوة المتعلقة بعناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه لتوجيههم دعوة المشاركة إليّ فيها ببحث يتعلق بجانب من جوانب خدمة القرآن الكريم وعناية المسلمين به، فلهم جميعاً شكري وتقديري مكرراً، وخالص دعواتي لقبول أعمالنا جميعاً وتحليتها بالإخلاص لله والنصح لكتابه وللأمة جمعاء.

هذا، وصلى الله وسلم على إمام المرسلين وقائد الغر الميامين وعلى آله وصحبه وعترته وأمته إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المراجع والمصادر

(١) القرآن الكريم.

(٢) إتحاف فضلاء البشر، أحمد البنا الدمياطي، تحقيق: د/شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية ط: ١، ١٤٠٧هـ.

(٣) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: د/مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط: ١، ١٤٠٧هـ.

(٤) الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن الآمدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

(٥) الأرجوزة المنبهة (في القراءات...)، أبو عمرو الداني، تحقيق: محمد مجقان الجزائري، دار المغني الرياض، ط: ١، ١٤٠٢هـ.

(٦) إرشاد الفحول، الشوكاني، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط: ١، ١٣٥٦هـ.

(٧) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، مطبعة السعادة، تصوير دار صادر، ١٣٢٨هـ.

(٨) الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: ٦، ١٩٨٤م.

(٩) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، الشوكاني، دار السعادة القاهرة، ط: ١، ١٣٤٨هـ.

(١٠) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت.

(١١) تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (بدون تاريخ ودار نشر).

(١٢) تاريخ القرآن، أبو عبد الله الزنجاني، تحقيق: محمد عبدالرحيم، دار الحكمة، دمشق، ط: ١، ١٤١٠هـ.

(١٣) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، طاهر الجزائري، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط: ٣، ١٤١٢هـ.

(١٤) تذكرة الحفاظ، الإمام الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(١٥) تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

(١٦) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) دار الكتب المصرية، ١٣٧٢هـ.

(١٧) تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني.

(١٨) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، مصورة ط: ١، ١٣٢٥هـ، الهند.

(١٩) تهذيب سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تهذيب:

أحمد الحمصي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١٤١٣هـ.
(٢٠) تيسير التحرير، أمير بادشاه البخاري المكي، دار الباز، مكة المكرمة.
(٢١) جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي، تحقيق: د/علي حسين البواب، مكتبة التراث مكة المكرمة، ط: ١، ١٤٠٨هـ.
(٢٢) حرز الأماني في القراءات السبع، لأبي القاسم بن فيره الشاطبي، مصطفى البابي، مصر، ١٣٥٥هـ.
(٢٣) حسن المحاضرة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، ط: ١، ١٣٨٧هـ.
(٢٤) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، مصورة دار الجيل، بيروت، لطبعة حيدر آباد، الهند.
(٢٥) الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ط: ٣، ١٤٠٣هـ.
(٢٦) رسم المصحف، غانم قدوري الحمد، ط. اللجنة الوطنية بالجمهورية العراقية، ط: ١، ١٤٠٢هـ.
(٢٧) سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا.
(٢٨) سنن الترمذي، تحقيق: عزت عبيد الدعاس، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا.

(٢٩) السنن الكبرى، البيهقي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط: ١، ١٣٤٤هـ.

(٣٠) شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، دار الباز، مكة المكرمة، مصورة عن دار الفكر، بيروت، ط: ١٣٩٩هـ.

(٣١) صحيح البخاري، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا.

(٣٢) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا.

(٣٣) صفحات في علوم القراءات، د/عبد القيوم بن عبد الغفور السندي، المكتبة الإمدادية، ط: ١، ١٤١٥هـ.

(٣٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد البصري، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١٤١٠هـ.

(٣٥) غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ٣، ١٤٠٢هـ.

(٣٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية، مصر، ١٣٨٠هـ.

(٣٧) فجر الإسلام، الأستاذ/أحمد أمين المصري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ١٠، ١٩٦٩م.

(٣٨) فضائل القرآن وتلاوته، أبو الفضل الرازي، تحقيق: د/عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط: ١، ١٤١٥هـ.

(٣٩) فضائل القرآن لابن كثير، تحقيق: د/محمد إبراهيم البنا، دار القبلة، ط: ١، ١٤٠٨هـ.

(٤٠) في رحاب القرآن، د/محمد سالم محيسن، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٤٠٠هـ.

(٤١) القاموس المحيط، الفيروزابادي، مؤسسة الرسالة، دار الريان للتراث، ط: ٢، ١٤٠٧هـ.

(٤٢) القراءات أحكامها ومصدرها، الدكتور/ شعبان محمد إسماعيل، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة ١٤٠٢هـ.

(٤٣) القراءات الشاذة وأدلة حرمة القراءة بها، عبد الفتاح القاضي، مجلة كلية القرآن الكريم، بالمدينة المنورة، ع: ١ /١٤٠٢-١٤٠٣هـ.

(٤٤) القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح القاضي، دار إحياء الكتب العربية.

(٤٥) القول الجاذ لمن قرأ بالشاذ، أبو القاسم النويري، مع شرح الطيبة للنويري، تحقيق: عبد الفتاح أبو سنة، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، ١٤٠٦هـ.

(٤٦) الكامل، أبو الحسن ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ٥، ١٤٠٥هـ .

(٤٧) كتاب المصاحف، ابن أبي داود السجستاني، تحقيق: د/محب الدين واعظ، وزارة الأوقاف، دولة قطر، ط: ١، ١٤١٥هـ.

(٤٨) كشف الأسرار، أبو البركات النسفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤٠٦هـ.

(٤٩) كنز العمال، على المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١٤٠٩هـ.

(٥٠) لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط: ١، ١٤١٠هـ.

(٥١) لطائف الإشارات، شهاب الدين القسطلاني، تحقيق: عامر السيد عثمان، د/عبد الصبور شاهين، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ١٣٩٢هـ.

(٥٢) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١٤، ١٤٠٣هـ.

(٥٣) مجاز القرآن، معمربن المثنى، تحقيق: د/محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.

(٥٤) مجلة كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ع: ١، ١٤٠٢–١٤٠٣هـ.

(٥٥) مجمع الزوائد، نور الدين الهيثمي، دارالكتاب العربي، بيروت، ط: ٣، ١٤٠٣هـ.

(٥٦) مدخل القرآن الكريم، د/محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، ١٤٠٤هـ.

(٥٧) المدخل لدراسة القرآن الكريم، د/محمد أبو شهبة، دار اللواء، الرياض، ط: ٣، ١٤٠٧هـ .

(٥٨) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة المقدسي ،تحقيق: طيار قولاج، دارصادر، بيروت، ١٣٩٥هـ.

(٥٩) مسألة الالتزام بالرسم العثماني، د/عبد القيوم السندي، مجلة الدراسات الإسلامية بإسلام آباد باكستان، ع: ٤، ٩: ٢٩، ١٤١٥هـ.

(٦٠) مسند أحمد، شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث القاهرة، ط: ١، ١٤١٦هـ.

(٦١) المصاحف العثمانية، د/محمود سيبويه، مجلة كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ع: ٢ ١٤٠٢-١٤٠٣هـ.

(٦٢) المصباح المنير، أحمد محمد الفيومي، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م.

(٦٣) المصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند .

(٦٤) معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ.

(٦٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت، ط: ١٤٠١هـ.

(٦٦) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، دار الدعوة، استانبول، ١٩٨٦م.

(٦٧) معرفة القراء الكبار، شمس الدين الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف وزميليه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٤٠٤هـ.

(٦٨) مقدمتان في علوم القرآن، نشرهما / آرثر جفري، مكتبة الخانجي، ١٩٥٤م.

(٦٩) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار الفكر، بيروت.

(٧٠) المقنع، أبو عمرو الداني، تحقيق: محمد أحمد دهمان، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.

(٧١) مناهل العرفان، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، بيروت.

(٧٢) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ.

(٧٣) الموطأ، الإمام مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الفيصلية، مكة المكرمة.

(٧٤) ميزان الاعتدال، أبو عبد الله الذهبي.

(٧٥) النبأ العظيم، د/محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، ط: ٢، ١٣٩٠هـ.

(٧٦) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تصحيح: علي محمد الضباع، دار الفكر، بيروت.

(٧٧) نكت الانتصار، أبو بكر الباقلاني، تحقيق: د/محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧١م.

(٧٨) الوجيز في فضائل الكتاب العزيز، أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: د/علاء الدين علي رضا، دار الحديث القاهرة.

الفهرس

جمعُ القرآن الكريم في عهد الخلفاء الرّاشدين

إعداد

أ. د. فهد بن عبد الرحمن الرّومي

أستاذ الدّراسات القرآنية
بكلّية المعلّمين - بالرّياض



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد تلقيت دعوة كريمة من أخي الأستاذ الدكتور محمد سالم بن شديد العوفي الأمين العام لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ورئيس اللجنة التحضيرية لندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" للمشاركة في هذه الندوة ببحث عن "جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين".

وكانت لي رغبة في الكتابة عن موضوعات أدق لولا أن محاور الندوة مقيدة بموضوعها، وأن تحديد هذه المحاور قد تم، ومعالمه قد رسمت.

وبادرت إلى الاستجابة لهذه الدعوة الكريمة والكتابة في هذا الموضوع وهو عن القرآن الكريم وكفى به فضلاً، وفي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وكفى بها مكانة، وعن عناية المملكة بالقرآن الكريم وعلومه وهي عناية عظيمة كان من حقها أن تبرز وتظهر، وتدرس وتعلن.

وفق الله الجميع وسدد الخطى إنه سميع مجيب.

الباحث

أ.د. فهد بن عبدالرحمن الرومي

تمهيد

يطلق جمع القرآن الكريم ويراد به أحد ثلاثة معان :

الأول : جمعه بمعنى حفظه في الصدور .

الثاني : جمعه بمعنى كتابته وتدوينه .

الثالث : جمعه بمعنى تسجيله تسجيلاً صوتياً .

ولكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة تأريخ وخصائص ومزايا .

أما جمعه بمعنى حفظه فدليله قوله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ (القيامة : ١٦، ١٧) . أي : جمعه في صدرك كما قال ابن عباس رضي الله عنهما[١] . وحفظ القرآن كله واجب على الأمة بحيث يحفظه عدد كثير يثبت به التواتر وإلا أثمت الأمة كلها . ولم يترك الرسول صلى الله عليه وسلم أمراً فيه حث على حفظ القرآن الكريم إلا أمر به، فكان يفاضل بين أصحابه بحفظ القرآن، ويعقد الراية لأكثرهم حفظاً للقرآن، وإذا بعث بعثاً جعل إمامهم في صلاتهم أكثرهم قراءة للقرآن، ويؤم القوم أحفظهم لكتاب الله، ويقدم للحد في القبر أكثرهم أخذاً للقرآن، فضلاً عن كثرة الأحاديث الداعية لحفظ القرآن الكريم . وحفظ الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن وحفظه الصحابة رضي الله عنهم وتنافسوا في حفظه، وتلاوته، وتدبره، ومدارسته،

---

(١) البخاري ج١، ص٤، ومسلم ج١، ص٣٣٠ .

وتفسيره، والعمل به، وكانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، وكانوا يهجرون لذيذ المنام، ودفء الفراش، ويؤثرون قيام الليل والتهجد بالقرآن حتى كان يسمع لهم دويٌّ كدوي النحل لتلاوتهم القرآن. وحفظه من بعدهم التابعون ومن تبعهم وما زالت المسيرة والحمد لله مستمرة فأنشئت مدارس وجماعات لتحفيظ القرآن الكريم وأقيمت المسابقات المحلية والدولية، ورصدت الجوائز والمكافآت وحفظ القرآن -بحمد الله وفضله- الآلاف من المسلمين كاملاً.

ومن خصائص جمع القرآن بمعنى حفظه:

١ - أن جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور هو أول علم نشأ من علوم القرآن الكريم.

٢ - أنه دائم لا ينقطع -إن شاء الله تعالى- فقد حفظه الرسول صلى الله عليه وسلم وحفظه الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم وما زال المسلمون يحفظونه إلى أن يأذن الله برفعه في آخر الزمان.

٣ - أن الحفظ في الصدور خاص بالقرآن فليس هناك كتاب يحفظه أهله في صدورهم غيره.

٤ - أنه يجب على كل مسلم أن يحفظ من القرآن ما يؤدي به الصلوات بخلاف جمع القرآن بمعنى كتابته فلا يجب على كل مسلم.

أما النوع الثالث من أنواع جمعه فهو جمعه بمعنى تسجيله تسجيلاً صوتياً:

وهو آخر أنواع الجمع وأحدثها، ومن المعلوم أن للتلاوة أحكاماً ينبغي أن يأخذ بها تالي القرآن الكريم كالقلقلة، والرَّوم، والإشمام، والإخفاء، والإدغام، والإظهار، والإقلاب وغيرها.. وهذه الأحكام تتعذر كتابتها ولهذا قرر العلماء أنه لا يصح التعويل على المصاحف وحدها في حفظ القرآن بل لابد من التلقي عن حافظ متقن. كانوا يقولون: "من أعظم البلية تشييخ الصحيفة"[1] ويقولون: "لا تأخذ العلم من مصحفي ولا العلم من صحفي"[2] وهو الذي يعلم الناس وينظر إلى رسم المصحف، وكان الشافعي رحمه الله تعالى يقول: "من تفقه من بطن الكتب ضيع الأحكام"[3].

بل إن أعلام الحفاظ يميزون الحفظ بالتلقي فهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقول: "والله لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعاً وسبعين سورة"[4] ويبين عمن أخذ باقيه فيقول في رواية أخرى: "وأخذت بقية القرآن عن أصحابه"[5] وكان -رضي الله عنه-

(١) تذكرة السامع والمتكلم: ابن جماعة ص٨٧.

(٢) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: العسكري ص: ١٠. والفقيه والمتفقه ج٢، ص٩٧.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ص٨٧.

(٤) صحيح البخاري ج٦، ص١٠٢، ومسلم ج٤، ص١٩١٢.

(٥) فتح الباري: ابن حجر ج٩ ص: ٤٨.

إذا سئل عن سورة لم يكن أخذها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صرح بذلك وأرشد إلى من أخذها عنه بالمشافهة. وما قاله أعلام الحفاظ لم يبتدعوه وإنما أخذوه من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان عليه الصلاة والسلام يتعلم القرآن من جبريل عليه السلام مشافهة، ويعارضه القرآن في كل عام في شهر رمضان وعارضه بالقرآن -عام وفاته- مرتين، والصلوات الخمس يجهر في ثلاث منها، ويجهر في صلوات أخرى كالجمعة والعيدين والخسوف والكسوف والاستسقاء والتراويح وفي هذا إشارة إلى تعليم الناس للتلاوة الصحيحة في الصلاة الجهرية ثم تطبيقها في الصلاة السرية، وصلاة المنفرد في النوافل.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يبعث القراء إلى من يدخل في الإسلام لتعليمهم التلاوة وكان بإمكانه أن يكتب لهم، واقتدى بسنته من بعده الخلفاء الراشدون فأرسلوا إلى أهل البلدان المفتوحة القراء يعلمونهم القرآن، وأرسل عثمان مع كل مصحف قارئاً يعلم الناس عليه. وهذه أدلة قاطعة على أن من أحكام القرآن ما لا يمكن إتقانه إلا بالتلقي الشفهي عن حافظ متقن. أدرك هذا بعض الغُيُر على الإسلام فتداعوا لتسجيله على الأشرطة الصوتية بقراءة أئمة حفظة متقنين.

وتبنت هذا جمعية المحافظة على القرآن الكريم في مصر سنة ١٣٧٨هـ ووضعت لذلك الشروط والمواصفات والقواعد والأحكام. وبدأ الطبع لأول مرة سنة ١٣٧٩هـ وانتهت الطبعة الأولى في المحرم من عام١٣٨١هـ بقراءة الشيخ محمود خليل الحصري برواية حفص عن عاصم وأعقب

هذا سنة ١٣٨٢هـ تسجيل قراءة أبي عمرو برواية الدوري [١].

وأنشأت حكومة المملكة العربية السعودية وفقها الله "مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف" وتم افتتاحه في السادس من شهر صفر عام ١٤٠٥هـ وذلك لطباعة المصحف الشريف وترجمة معانيه وتسجيله تسجيلاً صوتياً، لذا فإني أغتنم هذه المناسبة فأدعو إلى تغيير اسم المجمع إلى "مجمع الملك فهد للعناية بالمصحف الشريف" أو "مجمع الملك فهد لخدمة القرآن الكريم" إذ إن أهداف المجمع ليست محصورة في الطباعة بل تشمل الطباعة والتفسير والترجمة والنشر والتوزيع في العالم الإسلامي وإجراء البحوث والدراسات المتعلقة بالقرآن والسنة.

وقد قام هذا المجمع حتى نهاية عام ١٤١٧هـ بتسجيل القرآن الكريم كاملاً برواية حفص عن عاصم بأصوات كل من:

١ - الشيخ علي بن عبد الرحمن الحذيفي.

٢ - الشيخ عبد الله بن علي بصفر.

٣ - الشيخ إبراهيم الأخضر علي القيّم.

٤ - الشيخ محمد أيوب.

وبرواية قالون عن نافع بصوت الشيخ علي الحذيفي [٢].

---

(١) لمزيد المعرفة عن هذا الجمع انظر كتاب: الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم أو المصحف المرتل: لبيب السعيد.

(٢) انظر التقرير السنوي للمجمع لعام ١٤١٧هـ وكتيب التعريف بالمجمع ١٤١٨هـ ومطوية أصدرتها إدارة العلاقات العامة بالمجمع.

أما النوع الثاني من أنواع جمع القرآن الكريم فهو :

جمعه بمعنى كتابته وتدوينه.

فقد جمع القرآن الكريم بهذا المعنى ثلاث مرات :

الجمع الأول : في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

الجمع الثاني : في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

الجمع الثالث : في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

أما الجمع الأول بمعنى كتابته وتدوينه في عهد الرسول ﷺ :

فمن المعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذ عدداً من كتاب الوحي ومنهم الخلفاء الأربعة وزيد بن ثابت وأبي بن كعب، ومعاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن رواحة، وخالد بن الوليد وغيرهم[١] وكان إذا نزل عليه شيء من الوحي أمر أحدهم بكتابته. ولم تكن أدوات الكتابة متوافرة عندهم بل كانوا يكتبون على العسب واللخاف[٢] والرقاع والكرانيف[٣] والأقتاب[٤] والأكتاف. روى عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من كان يكتبه فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا الحديث[٥].

---

(١) جوامع السيرة : ابن حزم ص٢٦، ٢٧ وزاد المعاد : ابن القيّم : ج١، ص٢٩ .

(٢) هي الحجارة الرقيقة.

(٣) هي أطراف العُسُب العريضة.

(٤) جمع (قتب) وهي الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليستوي الركوب عليه.

(٥) رواه الحاكم في المستدرك : ج٢، ص٢٢١ .

ومن مزايا جمع القرآن في عهد الرسول ﷺ

١ - أنه كتب على الأحرف السبعة.

٢ - كان مرتب الآيات أما السور ففي ترتيبها خلاف.

٣ - لم يكن مجموعاً في مصحف واحد بل كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف وغيرها. كما قال زيد بن ثابت رضي الله عنه "قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع في شيء"[١].

ولما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم سار خلفاؤه الراشدون على منهجه واستنّوا بسنته، وسلكوا طريقته في العناية بالقرآن الكريم واتجهت جهودهم أفراداً وجماعات للعناية بالقرآن الكريم ومن ذلك جمعه وترتيبه وكان ذلك في عهدي أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعثمان بن عفان رضي الله عنه. ويعنى هذا البحث الموجز بهذين الجمعين.

---

(١) فتح الباري: ابن حجر ج٩، ص٩، والإتقان: السيوطي: ج١، ص٥٧ .

جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين

أولاً: جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

من المعلوم أن عدداً كبيراً من الصحابة رضي الله عنهم كانوا يحفظون القرآن الكريم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وحين ارتدت قبائل العرب بعد وفاته صلى الله عليه وسلم شارك هؤلاء الحفاظ مع بقية الصحابة في قتال المرتدين، ولم تكن حروب الردة يسيرة بل كانت شديدة على المسلمين، قتل فيها عدد كبير من القراء الذين يحفظون القرآن الكريم مما جعل بعض الصحابة يخشى أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حفظته[1] فتشاوروا فيما بينهم واتفقوا على جمع القرآن في مصحف واحد.

وقد روى البخاري في صحيحه قصة ذلك الجمع عن زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال: "أرسل إليَّ أبو بكر -مقتل أهل اليمامة- فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر

(١) شرح السنة: البغوي ج٤، ص٥٢١ .

يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كانوا كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما"[1].

قال ابن عطية في تفسيره: "كان القرآن في مدة النبي صلى الله عليه وسلم متفرقاً في صدور الرجال، وقد كتب الناس منه في صحف، وفي جريد، وفي ظرر[2]، وفي لخاف وفي خزف وغير ذلك، فلما استحر القتل بالقراء يوم اليمامة، أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القرآن مخافة أن يموت أشياخ القراءة كأُبَيّ، وزيد، وابن مسعود فيذهب، فندبا إلى ذلك زيد بن ثابت

---

(١) صحيح البخاري: ج٦، ص٩٨، ٩٩.

(٢) الظُرَر: الحجر عامة، وقيل هو الحجر المدور.

فجمعه غير مرتب السور بعد تعب شديد منه رضي الله عنه"[1].

تاريخ هذا الجمع:

وكان هذا الجمع بعد معركة اليمامة، في السنة الثانية عشرة من الهجرة. ولم أجد من حدد المدة التي استغرقها هذا الجمع.

أسباب اختيار زيد بن ثابت رضي الله عنه لهذا الجمع[2]:

وترجع أسباب اختيار أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لزيد بن ثابت رضي الله عنه لأمور منها:

١ - أنَّه كان من حُفَّاظ القرآن الكريم في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢ - أنَّه شهد العَرضة الأخيرة للقرآن الكريم، روى البَغَويُّ عن أبي عبدالرحمن السُّلَمِي أنه قال: قرأ زيد بن ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفاه الله فيه مرتين إلى أن قال عن زيد ابن ثابت إنه: "شهد العرضة الأخيرة، وكان يُقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاه عثمان كَتبة المصاحف رضي الله عنهم أجمعين"[3].

---

(١) المحرر الوجيز: ابن عطية: ج١، ص٥٠، ٥١ والجامع لأحكام القرآن: القرطبي: ج١، ص٤٩، ٥٠.

(٢) دراسات في علوم القرآن: فهد الرومي، ص ٧٩، ٨٠.

(٣) شرح السنة: البغوي ج٤ ص: ٥٢٥، ٥٢٦، والبرهان للزركشي، ج١ ص: ٢٣٧، والإتقان للسيوطي ج١، ص٥٩.

٣ – أنه من كُـتَّـاب الوحي للرسـول صلى الله عليـه وسلم بل هو أشهرهم وأكثرهم كتابة للوحي.

٤ – خصوبة عقله، وشدة ورعه، وكمال خلقه، واستقامة دينه، وعظم أمانته ويشهد لذلك قول أبي بكر رضي الله عنه له: "إِنك رجل شاب، عاقل، لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم" وقوله نفسه رضي الله عنه: "فوالله لو كانوا كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن". فما أحراه بجمع القرآن وأولاه.

كيفية هذا الجمع[1]:

من المعلوم أنَّ زيد بن ثابت رضي الله عنه كان يحفظ القرآن كله في صدره وكان القرآن مكتوباً عنده ومع هذا فلم يعتمد على ما حفظه ولا على ما كتب بيده وذلك أنّ عمله ليس جمعَ القرآن فحسب، وإنَّما التوثيق والتثبت فيما يكتب ولهذا قال الزركشي رحمه الله تعالى عن زيد: "وتتبعه للرجال كان للاستظهار لا لاستحداث العلم"[2]، وقال ابن حجر رحمه الله تعالى: "وفائدة التتبع المبالغة في الاستظهار والوقوف عند ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم"[3]. وقد رسم أبو بكر رضي الله عنه لزيد المنهج لهذا الجمع فقال له ولعمر بن الخطاب رضي الله عنه: "اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه"[4][5]. وقد امتثلا ذلك فقد قام عمر في الناس فقال: "من كان تلقّى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من القرآن فليأتنا به"[6]. وقد بيَّن زيد نفسه المنهج الذي سلكه بقوله رضي الله عنه:

---

(١) دراسات في علوم القرآن: فهد الرومي، ص ٨٠، ٨١.

(٢) البرهان، الزركشي ج١ ص٢٣٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ج٩ ص١٥.

(٤) المصاحف: لابن أبي داود ص١٢، وجمال القراء: ج١ ص٨٦.

(٥) قال ابن حجر: "ورجاله ثقات مع انقطاعه" فتح الباري ج٩ ص١٤.

(٦) المصاحف: ابن أبي داود، ص١٧.

"فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال"[1].

وعلى هذا فإنّ منهج زيد في جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه يقوم على أسس أربعة:

- الأول: ما كُتِبَ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- الثاني: ما كان محفوظاً في صدور الرجال.
- الثالث: أن لا يقبل شيئاً من المكتوب حتى يشهد شاهدان على أنه كُتب بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، قال السخاوي معناه: "من جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله الذي كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتباه "[2].

وقال ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: "وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لا من مجرد الحفظ"[3].

- الرابع: أن لا يقبل من صدور الرجال إلا ما تلقوه من فم الرسول صلى الله عليه وسلم فإن عمر رضي الله عنه ينادي: "من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من القرآن فليأتنا به" ولم يقل "من حفظ شيئاً من القرآن فليأتنا به".

---

(١) صحيح البخاري، ج٦ ص٩٨، ٩٩.

(٢) جمال القراء: السخاوي ج١، ص٨٦.

(٣) فتح الباري: ابن حجر ج٩ ص١٥، وانظر المرشد الوجيز: لأبي شامة، ص٥٧.

مميزات جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه [(١)]

١ – جمع القرآن الكريم في هذا العهد على أدق وجوه البحث والتحرّي والإتقان على الوجه الذي أشرنا إليه في منهج الجمع.

٢ – أهمِل في هذا الجمع ما نُسِخت تلاوته من الآيات.

٣ – أنّ هذا الجمع كان بالأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم كما كان في الرِّقاع التي كتبت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

٤ – أنّ هذا الجمع كان مرتب الآيات باتفاق. واختلف العلماء في السور أكانت مرتبة في هذا الجمع أم أن ترتيبها كان في عهد عثمان رضي الله عنه.

٥ – اتفق العلماء على أنه كُتبَ نسخة واحدة من القرآن في هذا الجمع حفظها أبو بكر لأنه إمام المسلمين.

٦ – ظفر هذا الجمعُ بإجماع الأمة عليه وتواتر ما فيه.

مكانة هذا الجمع:

ظفر هذا الجمع باتفاق الصحابة رضي الله عنهم على صحته ودقته وأجمعوا على سلامته من الزيادة أو النقصان وتَلقَّوه بالقبول والعناية التي يستحقها حتى قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر فإنه أول من جمع ما بين اللوحين"[(٢)].

---

(١) دراسات في علوم القرآن: فهد الرومي، ص٨٢ .

(٢) المصاحف: أبو داود السجستاني، ص١١ .

ومع هذا التصريح من علي -رضي الله عنه- فقد زعم قوم أن أول من جمع القرآن هو علي رضي الله عنه وقد رد عليهم الألوسي فقال: "وما شاع أن علياً -كرم الله وجهه- لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف لجمعه، فبعض طرقه ضعيفة، وبعضها موضوع، وما صح فمحمول كما قيل على الجمع في الصدر، وقيل كان جمعاً بصورة أخرى لغرض آخر، ويؤيده أنه قد كتب فيه الناسخ والمنسوخ فهو ككتاب علم"[1] ولهذا روي أن أول من جمعه عمر رضي الله عنه، كما روي أن أول من جمعه سالم مولى أبي حذيفة، أقسم أن لا يرتدي برداء حتى يجمعه. وكل ذلك محمول على ما حمل عليه جمع علي رضي الله عنه بل ذكر ابن حجر وغيره أن جمع علي رضي الله عنه كان حسب ترتيب النزول وذكر النهاوندي -أحد مفسري الرافضة- "أن الكتاب الذي جمعه أمير المؤمنين عليه السلام كان فيه بيان شأن نزول الآيات. وأسماء الذين نزلت فيهم وأوقات نزولها وتأويل متشابهاتها وتعيين ناسخها ومنسوخها، وذكر عامها وخاصها، وبيان العلوم المرتبطة بها، وكيفية قراءتها"[2] وإن صح هذا -مع استحالته- فليس هو بجمع للقرآن وإنما هو كتاب في علوم القرآن. وإنما قلت مع استحالته فلأن جمعه حسب ترتيب النزول غير ممكن فقد سأل محمد ابن سيرين عكرمة مولى ابن عباس فقال: "قلت لعكرمة: ألفوه كما

---

(١) روح المعاني: الألوسي، ج١، ص٢٢.

(٢) نفحات الرحمن: ج١، ص٨-١٢. عن كتاب (علوم القرآن عند المفسرين): إصدار مركز الثقافة والمعارف القرآنية في إيران ج١، ص٣٦٧.

أنزل الأول فالأول؟ قال: لو اجتمعت الإنس والجن على أن يؤلفوه هذا التأليف ما استطاعوا"[1].

تسميته بالمصحف:

لم يكن (المصحف) يُطلق على القرآن قبلَ جمع أبي بكر الصديق رضي الله عنه وإنّما عُرِفَ هذا الاسم بعد أن أتمَّ زيد جمع القرآن فقد روى السيوطي عن ابن أشته في كتابه (المصاحف) أنَّه قال: "لما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق قال أبو بكر التمسوا له اسماً فقال بعضهم السِّفْر وقال بعضهم المصحف فإنَّ الحبشة يسمونه المصحف وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله وسماه المصحف"[2].

خبر هذا المصحف:

بعد أن أتمَّ زيد جمع القرآن في المصحف سَلَّمَه لأبي بكر الصديق رضي الله عنه فحفظه عنده حتى وفاته ثم انتقل إلى أمير المؤمنين من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعد وفاته انتقل المصحف إلى حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها لأن عمر رضي الله عنه جعل أمرَ الخلافة من بعده شورى، فبقي عند حفصة إلى أن طلبه منها عثمان رضي الله عنه لنسخه بعد ذلك ثم أعاده إليها -لما سيأتي- ولما توفِّيت حفصة رضي الله عنها أرسل مروان بن الحكم إلى أخيها

(١) الإتقان: السيوطي ج١، ص٧٧ .

(٢) الإتقان: السيوطي، ج١، ص٥١ .

عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ساعة رجعوا من جنازة حفصة بعزيمة ليُرْسِلَنَّ بها فأرسل بها ابن عمر إلى مروان فمزقها مخافة أن يكون في شيء من ذلك خلاف ما نسخ عثمان رضي الله عنه[1] .

---

(١) المرشد الوجيز: أبو شامة المقدسي، ص٥٢ .

ثانياً: جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه

وهو الجمع الثاني في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم. فعندما اتسعت الفتوحات الإسلامية انتشر الصحابة رضي الله عنهم في البلاد المفتوحة يعلمون أهلها القرآن وأمور الدين.

وكان كل صحابي يُعَلِّم طلابه بالحرف الذي تلقاه من الأحرف السبعة، فكان أهل الشام يقرأون بقراءة أبي بن كعب رضي الله عنه، فيقرأون بما لم يسمع أهلُ العراق، وكان أهل العراق يقرأون بقراءة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فيقرأون بما لم يسمع أهل الشام، فيكفر بعضهم بعضاً[1].

وعندما اتجه جيش المسلمين لفتح أرمينية وأذربيجان كان الجنود من أهل العراق، وأهل الشام فكان الشقاق والنزاع يقع بينهم ورأى حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه اختلافهم في القراءة وبعض ذلك مشوب باللحن مع إلف كل منهم لقراءته واعتياده عليها واعتقاده أنها الصواب وما عداها تحريف وضلال حتى كَفَّرَ بعضهم بعضاً فأفزع هذا حذيفة رضي الله عنه فقال: والله لأركبَنَّ إلى أمير المؤمنين (يعني عثمان بن عفان رضي الله عنه) وكان عثمان قد رأى نحو هذا في المدينة فقد

(١) فتح الباري: ابن حجر ج٩، ص١٨ .

كـان المُعَلِّم يُعَلِّم بقـراءة والمعلـم الآخـر يعلـم بقـراءة فـجـعل الصـبـيـان يلتقون فينكر بعضهم قراءة الآخر فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فقام خطيباً وقال: "أنتم عندي تختلفون فيه فتَلْحَنُون فمن نأى عني من الأمصار أشدّ فيه اختلافاً وأشدّ لحناً، اجتمعوا يا أصحاب محمد، واكتبوا للناس إماماً"[1].

فلمَّا جاء حذيفة إلى عثمان رضي الله عنهما وأخبره بما جرى تحقَّق عند عثمان ما توقعه، وقد روى البخاري في صحيحه قصة ذلك الجمع في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "إنّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يُغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان"[2].

وذكر ابن عطية أن الصحف التي جمعت في عهد أبي بكر رضي الله عنه بقيت عنده ثم عند عمر بن الخطاب بعده ثم عند حفصة بنته في خلافة عثمان، وانتشرت في خلال ذلك صحف في الآفاق كتبت عن الصحابة كمصحف ابن مسعود. وما كتب عن الصحابة بالشام،

---

(١) المصاحف: ابن أبي داود، ص٢٩ .

(٢) صحيح البخاري: ج٦، ص٩٩ .

ومصحف أُبَيّ وغير ذلك، وكان في ذلك اختلاف حسب السبعة الأحرف التي أنزل القرآن عليها، فلما قدم حذيفة من غزوة أرمينية -حسبما قد ذكرنا- انتدب عثمان لجمع المصحف"[1].

تاريخ هذا الجمع:

كان ذلك في أواخر سنة ٢٤هـ وأوائل سنة ٢٥هـ كما قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى وقال أيضاً: "وغفل بعض من أدركناه فزعم أنه كان في حدود سنة ثلاثين ولم يذكر له مستنداً"[2]. ولم أجد أيضاً من حدد المدة التي استغرقها هذا الجمع.

فكرة الجمع[3]:

لما سمع عثمان رضي الله عنه ما سمع وأخبره حذيفة رضي الله عنه بما رأى استشار الصحابة فيما يفعل، فقد روى ابن أبي داود بإسناد صحيح -كما يقول ابن حجر[4]- من طريق سويد بن غفلة قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيراً في المصاحف.. فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منَّا جميعاً، قال ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد

---

(١) المحرر الوجيز: ابن عطية ج١، ص٥١-٥٢ .

(٢) فتح الباري: ابن حجر ج١، ص١٧ .

(٣) دراسات في علوم القرآن: فهد الرومي ص٨٥-٨٧ .

(٤) فتح الباري: ابن حجر ج٩، ص١٨ .

بلغني أنَّ بعضهم يقول إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفراً، قلنا: فما ترى؟ قال: نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف. قلنا: فنعم ما رأيت.. قال علي: والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل[1].

اللجنة المختارة:

اختار عثمان رضي الله عنه أربعة لنسخ المصاحف هم:

زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وهؤلاء الثلاثة من قريش.

فقد سأل عثمان رضي الله عنه الصحابة: من أكتب الناس؟ قالوا: كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت. قال: فأي الناس أعرب؟ وفي رواية أفصح. قالوا: سعيد بن العاص، قال عثمان: "فليُملِ سعيد، وليكتب زيد"[2].

وقيل إن عثمان رضي الله عنه اختار اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار فيهم أبي بن كعب، وزيد بن ثابت وغيرهم[3].

خطوات هذا الجمع[4]:

بعد أن اتفق عثمان مع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين على جمع

---

(١) المصاحف: ابن أبي داود ص٣٠ .

(٢) فتح الباري: ابن حجر، ج٩ ص١٩ .

(٣) المصاحف: ابن أبي داود ص٣٣ .

(٤) دراسات في علوم القرآن الكريم: فهد الرومي ص٨٦-٨٧ .

القرآن على حرف سلك منهجاً فريداً، وطريقاً سليماً، أجمعت الأمة على سلامته ودقته.

١ – فبدأ عثمان رضي الله عنه بأن خطب في الناس فقال: "أيها الناس عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن وتقولون: "قراءة أبي وقراءة عبدالله يقول الرجل: والله ما تقيم قراءتك!! فأعزمُ على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لمَّا جاء به. وكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى جمع من ذلك كثرة، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلاً رجلاً فناشدهم، أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أملاه عليك؟ فيقول نعم"(١).

٢ – وأرسل عثمان رضي الله عنه إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نعيدها إليك، فأرسلت بها إليه، ومن المعلوم أن هذه الصحف هي التي جمعت في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أدق وجوه البحث والتحري.

٣ – ثم دفع ذلك إلى زيد بن ثابت والقرشيين الثلاثة وأمرهم بنسخ مصاحف منها وقال عثمان للقرشيين: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم"(٢).

---

(١) المصاحف ابن أبي داود، ص٣١ . وانظر جمال القراء: ج١، ص٨٩ .

(٢) صحيح البخاري: ج٦ ص٩٩ .

٤ – إذا كان في آية أكثر من قراءة تكتب الآية خالية من أيَّة علامة تقصِرُ النطقَ بها على قراءة واحدة فتكتب برسم واحد يحتمل القراءتين أو القراءات فيها جميعاً مثل:

أ – ﴿ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ (الحجرات: ٦) التي قُرِئت أيضاً (فتثبتوا)[١].

ب – ﴿ نُنشِزُهَا ﴾ (البقرة: ٢٥٩) قُرئت أيضاً(ننشرها)[٢].

أما إذا لم يمكن رسمها بحيث تحتمل القراءات فيها فتكتب في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة، وفي مصاحف أخرى برسم يدل على القراءة الأخرى مثل:

أ – ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ ﴾ (البقرة: ١٣٢) هكذا تكتب في بعض المصاحف وفي بعضها (وأوصى)[٣].

ب – ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ (آل عمران: ١٣٣) بواو قبل السين في بعض المصاحف وفي بعضها بحذف الواو[٤].

وبعد الفراغ من نسخ المصاحف بعث عثمان بنسخ منها إلى الأمصار الإسلامية حيث نشط المسلمون في نسخ مصاحف منها للأفراد وكان زيد بن ثابت في المدينة يتفرغ في رمضان من كلِّ سنة لعرض المصاحف

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف (النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ج٢، ص٢٥١).

(٢) الأولى قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف بالزاي والباقون بالراء المهملة، (إتحاف فضلاء البشر: البنا ص١٦٢).

(٣) وهي قراءة نافع وابن عامر (إتحاف فضلاء البشر ص١٤٨).

(٤) وهي قراءة نافع وابن عامر (إتحاف فضلاء البشر ص١٧٩).

فيعرضون مصاحفهم عليه وبين يديه مصحف أهل المدينة[1].

مزايا جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه[2]:

تميّز هذا الجمع بمزايا عديدة منها:

١ - الاقتصار على حرف واحد من الأحرف السبعة:

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "جمع عثمان رضي الله عنه الناس على حرف واحد من الأحرف السبعة التي أطلق لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القراءة بها لمّا كان ذلك مصلحة"[3].

٢ - إهمال ما نسخت تلاوته:

فقد كان قصد عثمان رضي الله عنه جمع الناس على مصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أثبِتَ مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كُتِبَ مع مُثبَتٍ رسمه، ومفروض قراءته وحفظه، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد[4].

٣ - الاقتصار على ما ثبت في العرضة الأخيرة وإهمال ما عداه:

فقد روى ابن أبي داود في المصاحف عن محمد بن سيرين عن كثير ابن أفلح قال: لمّا أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر

---

(١) المصاحف: ابن أبي داود ص١٧٥ .

(٢) دراسات في علوم القرآن: فهد الرومي، ص٨٧-٨٩ .

(٣) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن القيم، ص١٦ .

(٤) الإتقان: السيوطي، ج١، ص٦٠ .

رجلاً من قريش والأنصار فيهم أبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت قال فبعثوا إلى الرَّبعة التي في بيت عمر فجيء بها، قال وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا إذا تدارؤوا في شيء أخروه، قال محمد: فقلت لكثير وكان منهم فيمن يكتب: هل تدرون لم كانوا يؤخرونه؟ قال: لا، قال محمد فظننت ظنًّاً أنما كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الأخيرة فيكتبونها على قوله[1].

٤ - الاقتصار على القراءات الثابتة المعروفة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وإلغاء ما لم يثبت[2].

٥ - كان مرتب الآيات والسور على الوجه المعروف الآن.

قال الحاكم في المستدرك: "إن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة، فقد جُمِع بعضه بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم جمع بعضه بحضرة أبي بكر الصديق، والجمع الثالث هو في ترتيب السور وكان في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين"[3].

---

(١) المصاحف: ابن أبي داود، ص٣٣ .

(٢) البرهان، الزركشي، ج١، ص٢٣٥ .

(٣) المستدرك، الحاكم ج٢، ص٢٢٩ .

الفروق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان رضي الله عنهما [1]

كان معنى (الجمع) ظاهراً في جمع القرآن في عهد أبي بكر فقد كان القرآن مفرقاً فأمر بجمعه كما قال المحاسبي: "كان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها القرآن منتشر، فجمعها جامع، وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء"[2].

إذاً فمعنى الجمع فيه ظاهر لا يحتاج إلى تفريق بينه وبين الجمع في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن الإشكال واللبس هو في الجمعين الثاني والثالث، إذ كيف يأمر عثمان بجمع القرآن وهو مجموع في عهد أبي بكر رضي الله عنهما؟! ولذا فإنَّ العلماء يُولُون التفريق بين جمع القرآن في عهد أبي بكر وجمعه في عهد عثمان عنايتهم لإزالة هذا اللبس، ويذكرون فروقاً.

قال القاضي أبو بكر في الانتصار: "لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع القرآن بين لوحين وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم وإلغاء ما ليس كذلك"[3] وقال

---

(١) دراسات في علوم القرآن: فهد الرومي ص٨٩، ٩٠.

(٢) البرهان: الزركشي، ج١، ص٢٣٨.

(٣) البرهان: الزركشي، ج١، ص٢٣٥.

ابن التين وغيره: "الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان أنَّ جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته لأنه لم يكن مجموعاً في أي موضع واحد فجمعه في صحائف مرَتباً لآيات سُوَرِهِ على ما وقَّفَهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم وجمع عثمان كان لَمَّا كَثُر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدَّى ذلك ببعضهم إلى تخطئة بعض فخشي من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجاً بأنه نزل بلغتهم"(١).

ومن هذين النصين نستطيع أن نستخلص أهم الفروق وهي:

١ - أنَّ الباعث لجمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه خشية أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حفظته وذلك حين استحرَّ القتل بالقراء في حروب الرِّدَّة، أمَّا جمعه في عهد عثمان رضي الله عنه فلكثرة الاختلاف في وجوه القراءة.

٢ - أنَّ جمع أبي بكر رضي الله عنه على الأحرف السبعة، أما جمعه في عهد عثمان فقد كان على

(١) الإتقان: السيوطي، ج١، ص٥٩، ٦٠ .

حرف واحد.

٣ - أنَّ جمع أبي بكر رضي الله عنه كان مرتب الآيات وفي ترتيب السور خلاف، أمَّا جمع عثمان فقد كان مرتب الآيات والسور باتفاق.

٤ - أنَّ الجمع في عهد أبي بكر رضي الله عنه بمعنى الجمع في مصحف واحد وأما الجمع في عهد عثمان رضي الله عنه فبمعنى نسخه في مصاحف متعددة.

إنفاذ المصاحف:

بعد أن أتمَّت اللجنة نسخ المصاحف أنفذ عثمان إلى آفاق الإسلام بنسخ منها وأرسل مع كل مصحف من يوافق قراءته فأمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدني وبعث عبدالله ابن السائب مع المكي والمغيرة بن أبي شهاب[١] مع الشامي وأبا عبدالرحمن السلمي مع الكوفي وعامر بن عبد القيس مع البصري وتلقى التابعون في كل قطر قراءة إمامهم وتفرغ قوم منهم لضبط القراءات حتى صاروا أئمة يُرحل إليهم[٢].

---

(١) انظر غاية النهاية: ج٢، ص٣٠٥ حيث قال: "الصواب ابن أبي شهاب" وهو عند بعضهم المغيرة بن شهاب.

(٢) مناهل العرفان: الزرقاني، ج١، ص٣٩٦، ٣٩٧.

موقف الصحابة من هذا الجمع[1]:

وبعد أن أنفذ عثمان المصاحف أمر بما سوى مصحفه أن يُحرق وبعث "إلى أهل الأمصار إني قد صنعت كذا وكذا ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم"[2].

وقد رضي الصحابة رضي الله عنهم ما صنع عثمان وأجمعوا على سلامته وصحته وقال زيد بن ثابت: "فرأيت أصحاب محمد يقولون: أحسن والله عثمان، أحسن والله عثمان"[3].

وروى ابن أبي داود عن مصعب بن سعد قال: "أدركت الناس متوافرين حين حرَّق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك وقال: لم يُنكر ذلك منهم أحد"[4].

وروى سويد بن غفلة قال: قال علي –رضي الله عنه–: "لا تقولوا في عثمان إلا خيراً، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا"[5]، وعند ابن أبي داود قال: قال علي في المصاحف: "لو لم يصنعه عثمان لصنعته"[6].

---

(١) دراسات في علوم القرآن: فهد الرومي، ص٩١–٩٣.

(٢) فتح الباري: ابن حجر ج٩، ص٢١.

(٣) غرائب القرآن: النيسابوري، ج١، ص٢٧.

(٤) المصاحف: ابن أبي داود، ص١٩.

(٥) فتح الباري: ابن حجر، ج٩، ص١٨.

(٦) المصاحف: ابن أبي داود، ص١٩.

ولم يُنقل عن أحد من الصحابة خلاف أو معارضة لما فعل عثمان رضي الله عنه، إلا ما روي من معارضة عبدالله بن مسعود وينبغي أن نعلم أنَّ معارضته رضي الله عنه لم تكن بسبب حصول تقصير في الجمع أو نقص أو زيادة وإنما جاءت معارضته لعدم تعيينه مع أعضاء لجنة النسخ للمصاحف، ولهذا قال "أعزَلُ عن نسخِ المصاحف وتَولاها رجل والله لقد أسلمت وإنَّه لفي صُلب رجلٍ كافرٍ"(١).

وروى الترمذي عن ابن شهاب قال: "فبلغني أن ذلك كرهه من مقالة ابن مسعود رجال من أفاضل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم"(٢) وقد دافع أبو بكر الأنباري عن اختيار زيد بقوله: "ولم يكن الاختيار لزيد.. إلا أن زيداً كان أحفظ للقرآن من عبد الله إذ وعاه كله ورسول الله صلى الله عليه وسلم حيّ، ولا ينبغي أن يظنَّ جاهل أنَّ في هذا طعناً على عبد الله بن مسعود، لأن زيداً إذا كان أحفظ للقرآن منه فليس ذلك موجباً لتقدمته عليه لأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كان زيد أحفظ منهما للقرآن وليس هو خيراً منهما ولا مساوياً لهما في الفضائل، والمناقب، وما بدا عن عبد الله بن مسعود من نكير فشيء نَتَجه الغضبُ، ولا يعمل به ولا يؤخذ به، ولا يُشك في أنه رضي الله عنه قد عرف بعد زوال الغضب عنه حسن اختيار عثمان ومن معه من أصحاب رسول الله ﷺ وبقي على موافقتهم وترك

(١) المصاحف: ابن أبي داود ص٢٤، ٢٥، وتفسير القرطبي، ج١، ص٥٢، ٥٣.

(٢) جامع الترمذي، ج٥، ص٢٨٥.

الخلاف لهم"[1]. وأكَّد ذلك الذهبي فقال: "وقد ورد أنّ ابن مسعود رضي وتابع عثمان ولله الحمد"[2]، وقال ابن كثير: "وإنما روي عن عبدالله بن مسعود شيء من الغضب بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف إلى أن قال.. ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق"[3].

فإن قيل كيف جاز للصحابة ترك الأحرف الستة التي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقراءة القرآن بها واقتصروا على حرف واحد؟

قيل: إنَّ أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض، وإنما كان أمر إباحة ورخصة.. وإذا كان ذلك كذلك لم يكن القوم بتركهم بقية الأحرف تاركين ما عليهم نقله، بل كان الواجب عليهم من الفعل ما يؤدون به الواجب وهو أحد هذه الأحرف فإذا حفظوه ونقلوه فقد فعلوا ما كلفوا به[4].

وقد علَّل ابن القيم رحمه الله تعالى جمع الناس على حرف واحد، فأحسن حيث قال: "فلما خاف الصحابة رضي الله عنهم على الأمة أن يختلفوا في القرآن ورأوا أن جمعهم على حرف واحد أسلم وأبعد من وقوع الاختلاف فعلوا ذلك ومنعوا الناس من القراءة بغيره، وهذا كما لو كان للناس عدَّة طرق إلى البيت، وكان سلوكهم في تلك

---

(١) تفسير القرطبي، ج١، ص٥٣.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١، ص٤٨٨.

(٣) فضائل القرآن، ابن كثير، ص٢٠.

(٤) انظر تفسير ابن جرير الطبري ج١، ص٦٤، وما بعدها.

الطرق يوقعهم في التفرق والتشتيت ويطمع فيهم العدو فرأى الإمامُ جمعهم على طريق واحد، فترك بقية الطرق جاز ذلك، ولم يكن فيه إبطال لكون تلك الطرق موصلة إلى المقصود وإن كان فيه نهي عن سلوكه لمصلحة الأمة"[1].

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: ابن القيم ص١٦.

عدد المصاحف التي أمر عثمان رضي الله عنه بنسخها

اختلف في عدد النسخ التي كتبها عثمان على خمسة أقوال:

١ - قيل إنها أربع نسخ:

قال أبو عمرو الداني: "أكثر العلماء على أنَّ عثمان بن عفان رضي الله عنه لَّما كتب المصحف جعله على أربع نسخ وبعث إلى كلِّ ناحية من النواحي بواحدة منهن، فوجه إلى الكوفة إحداهن وإلى البصرة أخرى وإلى الشام الثالثة، وأمسك عند نفسه واحدة "[١].

٢ - وقيل إنها خمس نسخ:

قال السيوطي: "المشهور أنها خمسة"[٢].

٣ - وقيل إنها سبع نسخ:

فقد روى ابن أبي داود عن أبي حاتم السجستاني قال: "لَّما كتب عثمان المصاحف حين جمع القرآن كتب سبعة مصاحف فبعث واحداً إلى مكة وآخر إلى الشام وآخر إلى اليمن، وآخر إلى البحرين، وآخر إلى البصرة، وآخر إلى الكوفة، وحبس بالمدينة واحداً"[٣].

٤- وقيل إنها ثمانية.

٥- وقيل إنها ستة.

---

(١) المقنع: لأبي عمرو الداني ص٩.

(٢) الإتقان: السيوطي، ج١، ص٦٠.

(٣) المصاحف: ابن أبي داود، ص٤٣.

خبر هذه المصاحف[1]:

ذكر بعض المؤرخين القدامى رؤيتهم لبعض هذه المصاحف وممن ذكر رؤيته لبعضها ابن جبير (ت٦١٤هـ) حين زار جامع دمشق رأى في الركن الشرقي من المقصورة الحديثة في المحراب خزانة كبيرة فيها مصحف من مصاحف عثمان رضي الله عنه وهو المصحف الذي وجه به إلى الشام كما قال[2] وقد زار المسجد أيضاً ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) فقال: "وفي قبلة المسجد المقصورة العظمى التي يؤم فيها إمام الشافعية وفي الركن الشرقي منها إزاء المحراب خزانة كبيرة فيها المصحف الكريم الذي وجهه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الشام"[3] ورأى النسخة نفسها ابن كثير (٧٧٤هـ) رحمه الله تعالى حيث قال: "وأمَّا المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق عند الركن شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله، وقد كان قديماً في طبريَّة، ثم نقل منها إلى دمشق في حدود ثماني عشرة وخمسمائة وقد رأيته كتاباً جليلاً عظيماً ضخماً بخط حسن مبين قوي بحبر محكم في رق أظنه من جلود الإبل والله أعلم[4]، كما ذكر ابن بطوطة أنه رأى في مسجد علي رضي الله عنه في البصرة المصحف الذي كان

---

(١) دراسات في علوم القرآن: فهد الرومي، ص٩٤-٩٦ .

(٢) رحلة ابن جبير: ص٢١٧ .

(٣) رحلة ابن بطوطة: ج١، ص٥٤ .

(٤) فضائل القرآن: ابن كثير، ص٢٩ .

عثمان رضي الله عنه يقرأ فيه لما قُتِلَ، وأثر تغيير الدم في الورقة التي فيها قوله تعالى: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (البقرة: ١٣٧)[١] ويبدو كذلك أن ابن الجزري وابن فضل الله العمري قد رأيا كلاهما هذا المصحف الشامي نفسه[٢] ورأى ابن الجزري مصحفاً في مصر[٣].

ويبدو -كذلك- أنَّ المصحف الشامي ظلَّ محفوظاً في الجامع الأموي إلى أوائل القرن الرابع عشر الهجري حيث قيل إنه احترق، فقد قال الأستاذ محمد كرد علي في حديثه عن الجامع الأموي حتى إذا كانت سنة ١٣١٠هـ سرت النار إلى جذوع سقوفه فالتهمتها في أقل من ثلاث ساعات فدثر آخر ما بقي من آثاره ورياشه وحرق فيه مصحف كبير بالخط الكوفي كان جيء به من مسجد عتيق في بُصرى وكان الناس يقولون إنه المصحف العثماني[٤] وقيل إن هذا المصحف أمسى زمناً في حوزة قياصرة الروس في دار الكتب في لينينجراد ثم نقل إلى إنجلترا[٥].

كما أن هناك مصاحف أثرية تحتويها خزائن الكتب والآثار في مصر، ومنها المصحف المحفوظ في خزائن الآثار بالمسجد الحسيني،

---

(١) رحلة ابن بطوطة: ج١، ص١١٦.

(٢) مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ص٨٨، ٨٩.

(٣) مناهل العرفان: الزرقاني، ج١، ص٣٩٧.

(٤) خطط الشام، محمد كرد علي، ج٥ ص٢٦٢.

(٥) مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ص٨٩.

ويقال عنها إنها مصاحف عثمانية، وقد شكك كثيراً الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني بهذا معللاً بأن فيها زركشة ونقوشاً موضوعة كعلامات للفصل بين السور ولبيان أعشار القرآن، ومعلوم أن المصاحف العثمانية كانت خالية من كل هذا[١].

وفقد هذه المصاحف لا يقلل من ثقتنا اليقينية بما تواتر واستفاض نقله من المصاحف ثقة عن ثقة وإماماً عن إمام، وسواء وجدت هذه المصاحف أو فقدت فإنَّا على يقين تام لا يزاوله شك ولا يعتريه ريب بسلامة هذه المصاحف من الزيادة أو النقصان، وقد اعترف بذلك غير المسلمين من العلماء المحققين. يقول المستشرق موير: "إنّ المصحف الذي جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد ليد حتى وصل إلينا بدون أي تحريف، ولقد حفظ بعناية شديدة بحيث لم يطرأ عليه أي تغيير يُذكر، بل نستطيع أن نقول إنه لم يطرأ عليه أي تغيير على الإطلاق في النسخ التي لا حصر لها، والمتداولة في البلاد الإسلامية الواسعة، فلم يوجد إلا قرآن واحد لجميع الفرق الإسلامية المتنازعة، وهذا الاستعمال الإجماعي لنفس النص المقبول من الجميع حتى اليوم يُعدّ أكبر حجة ودليل على صحة النص المنزل الموجود معنا"[٢].

---

(١) مناهل العرفان، الزرقاني، ج١، ص٣٩٧. وانظر ما كتبته الدكتورة سعاد ماهر عن المصاحف الأثرية في مصر والمنسوبة إلى عثمان رضي الله عنه، وذلك في كتابها (مخلفات الرسول في المسجد الحسيني) من ص١٠٩ إلى ص: ١٣٤.

(٢) مدخل إلى القرآن: د. محمد عبد الله دراز ص٤٠.

المراجع

١- إتحاف فضلاء البشر: أحمد بن محمد البنا، دار الندوة الجديدة، بيروت.

٢- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي الطبعة الثانية ١٣٤٣هـ المطبعة الأزهرية مصر والطبعة الثالثة ١٣٧٠هـ مصطفى البابي الحلبي.

٣- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ.

٤- تذكرة السامع والمتكلم: بدر الدين بن جماعة، دار الكتب العلمية.

٥- التقرير السنوي لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف لعام ١٤١٧هـ، وكتيب تعريف بالمجمع ١٤١٨هـ، ومطوية أصدرتها إدارة العلاقات العامة بالمجمع.

٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ابن جرير الطبري تحقيق محمود وأحمد شاكر دار المعارف بمصر.

٧- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله القرطبي أعادت طبعه دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٥م.

٨- الجامع الصحيح: أبو عيسى الترمذي تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩- جمال القراء وكمال الإقراء: السخاوي تحقيق د/علي البواب مكتبة التراث مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٠- الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم: لبيب السعيد دار الكتاب العربي القاهرة، ١٣٨٧هـ.

١١- جوامع السيرة: ابن حزم تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد، دار المعارف بمصر.

١٢- خطط الشام: محمد كرد علي مكتبة النوري - دمشق الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.

١٣- دراسات في علوم القرآن الكريم: أ.د/فهد بن عبد الرحمن الرومي، الطبعة التاسعة ١٤٢١هـ مكتبة التوبة، الرياض.

١٤- رحلة ابن بطوطة المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٣٨٦هـ.

١٥- رحلة ابن جبير دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨١م.

١٦- روح المعاني: شهاب الدين الألوسي إدارة الطباعة المنيرية دار إحياء التراث العربي بيروت.

١٧- زاد المعاد: ابن قيم الجوزية المطبعة المصرية ومكتبتها.

١٨- سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي أشرف على التحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ مؤسسة الرسالة بيروت.

١٩- شرح السنة: البغوي تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

٢٠- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: الحسن العسكري

تحقيق عبد العزيز أحمد، نشر مصطفى الحلبي مصر، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ.
٢١- صحيح البخاري: المكتبة الإسلامية إستانبول تركيا ١٩٧٩م.
٢٢- صحيح مسلم: تحقيق وتصحيح محمد فؤاد عبد الباقي رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض، ١٤٠٠هـ.
٢٣- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: ابن قيم الجوزية مطبعة الاتحاد الشرقي دمشق.
٢٤- علوم القرآن عند المفسرين: مركز الثقافة والمعارف القرآنية ط ١ / ١٤١٦ هـ -قم- إيران.
٢٥- غاية النهاية في طبقات القراء: ابن الجزري عني بنشره ج. برجستراسر. دار الباز، مكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.
٢٦- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين النيسابوري تحقيق إبراهيم عطوة عوض مكتبة مصطفى البابي الحلبي مصر الطبعة الأولى ١٣٨١هـ.
٢٧- فتح الباري: ابن حجر العسقلاني تصحيح الشيخ عبد العزيز بن باز ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر - تصوير عن المطبعة السلفية.
٢٨- فضائل القرآن: ابن كثير الدمشقي دار الأندلس.
٢٩- الفقيه والمتفقه: الخطيب البغدادي صححه الشيخ إسماعيل الأنصاري دار الإفتاء السعودية الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ.

٣٠- مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح دار العلم للملايين ط ٨/ ١٩٧٤ م.

٣١- المحرر الوجيز: ابن عطية تحقيق الرحالي الفاروق وآخرين طبع على نفقة أمير دولة قطر، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ الدوحة قطر.

٣٢- مخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم في المسجد الحسيني: د. سعاد ماهر دار النشر لجامعة القاهرة ١٩٨٩م.

٣٣- مدخل إلى القرآن الكريم: د. محمد عبد الله دراز دار القلم، الكويت ط ٢/ ١٣٩٩ هـ.

٣٤- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز: أبو شامة المقدسي تحقيق طيار قولاج دار صادر بيروت ١٣٩٥هـ.

٣٥- المستدرك: الحاكم النيسابوري دار الكتب العلمية.

٣٦- المصاحف: ابن أبي داود السجستاني دار الباز مكة المكرمة ط ١/ ١٤٠٥ هـ.

٣٧- المقنع: أبو عمرو الداني تحقيق محمد أحمد دهمان دار الفكر دمشق ١٤٠٣هـ

٣٨- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني دار إحياء الكتب العربية القاهرة.

٣٩- النشر في القراءات العشر: ابن الجزري - دار الكتب العلمية - بيروت.

الفهرس

جَمعُ القُرآنِ الكَرِيمِ حِفظًا وكِتابةً

إعداد

أ.د. علي بن سليمان العبيد

وكيل كلّية أصول الدّين للدّراسات العُليا والبحث العلميّ
جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة
بالرّياض



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- أما بعد:

فقد أنزل الله عز وجل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم ليكون للعالمين نذيراً، وجعله خاتمة كتبه، ومهيمناً عليها، وحجة على خلقه، ومعجزة لنبيه صلى الله عليه وسلم، لهذا تكفل الله عز وجل بحفظه فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩) وقال: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت: ٤٢) وقال: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ (القيامة: ١٦، ١٧)، فهيأ لذلك الأسباب والرجال يحفظونه، ويعلمونه، ويقدمون أنفسهم في سبيل تعليم الناس بعض آيات من القرآن الكريم.

ولإبراز ما تحقق للقرآن الكريم من عناية واهتمام حفظاً وكتابة أحببت الكتابة في هذا الموضوع، وجعلته بعنوان: "جمع القرآن الكريم - حفظاً وكتابة".

وقد اقتضت طبيعة الكتابة فيه أن ينتظم في خمسة مباحث:

المبحث الأول: معنى جمع القرآن الكريم ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الجمع في اللغة.

المطلب الثاني: معنى جمع القرآن في الاصطلاح.

المبحث الثاني: حفظ القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حفظ القرآن الكريم في السماء.

المطلب الثاني: حفظ القرآن الكريم في طريقه إلى الأرض.

المطلب الثالث: حفظ القرآن الكريم على الأرض.

المبحث الثالث: كتابة القرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الأدلة على كتابة القرآن الكريم في عهده صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: كُتَّاب الوحي.

المطلب الثالث: الأدوات التي كتب عليها الوحي.

المطلب الرابع: الصفة التي كتب عليها القرآن الكريم في عهده صلى الله عليه وسلم.

المطلب الخامس: السبب في عدم جمع القرآن الكريم في مصحف واحد في عهده صلى الله عليه وسلم.

المبحث الرابع: جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفيه تسعة مطالب:

المطلب الثالث: منهج جمع القرآن الكريم في عهد عثمان رضي الله عنه.

المطلب الرابع: نشر عثمان بن عفان المصاحف بالأمصار.

المطلب الخامس: حرق المصحف والمصاحف الأخرى، ورضا الصحابة عن ذلك.

المطلب السادس: خبر هذه المصاحف.

والله أسال أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، وأن يغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

علي بن سليمان العبيد

المبحث الأول
معنى جمع القرآن الكريم

المطلب الأول: معنى الجمع في اللغة.

الجَمْع: مصدر الفعل "جَمَع"، يقال: جمع الشيء يجمعه جمعاً.

قال الجوهري المتوفى سنة ٣٩٣هـ : "أجمعتُ الشيءَ: جعلته جميعاً، والمجموع: الذي جُمِعَ من ها هنا وها هنا وإن لم يجعل كالشيء الواحد"(١).

وقال الراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢هـ : "الجمع : ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض، يقال : جمعته فاجتمع"(٢).

وقال ابن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ: "جَمَعَ الشيءَ عن كل تفرقة يجمعه جمعاً، واستجمع السيل: اجتمع من كل موضع، وجمعت الشيء: إذا جئت به من ها هنا وها هنا، وتجمَّع القوم: اجتمعوا أيضاً من ها هنا وها هنا"(٣). وقال الفيروزابادي المتوفى سنة ٨١٧هـ: "الجمع: تأليف المُتَفَرِّق"(٤).

---

(١) الصحاح للجوهري ج٣، ص١١٩٩ مادة "جمع".

(٢) المفردات للراغب ٩٦.

(٣) لسان العرب لابن منظور ج٨، ص٥٣ مادة "جمع".

(٤) ترتيب القاموس المحيط ج١، ص ٥٢٨ مادة "جمع".

ويلاحظ في هذه المعاني أن اشتقاق كلمة "جَمَع" تدل على الجمع والاجتماع والتأليف، وضم المتفرق فجمع الشيء استقصاؤه والإحاطة به.

المطلب الثاني: معنى جمع القرآن في الاصطلاح.

جمع القرآن الكريم يطلق في علوم القرآن على معنيين:

أحدهما: جمعه بمعنى حفظه في الصدور عن ظهر قلب، ويدل له قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ (القيامة: ١٧) أي: جمعه في صدرك، وإثبات قراءته في لسانك[١] وما جاء عن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنه– أنه قال: "جمعتُ القرآن فقرأته كلَّه في ليلة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أخشى أن يطول عليك الزمان، وأن تملَّ، فاقرأه في شهر، فقلت: دعني أستمتع من قوتي وشبابي قال: فاقرأه في عشرة، قلت: دعني أستمتع من قوتي وشبابي، قال: فاقرأه في سبع، قلت: دعني أستمتع من قوتي وشبابي فأبى"[٢] فمعنى قوله: جمعت القرآن أي: حفظته عن ظهر قلب.

ومنه قولهم: "جُمَّاع القرآن" أي: حفاظه.

الثاني: جمعه بمعنى كتابته، ويدل له ما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري في قصة جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– ومما ورد فيه:

---

(١) انظر الكشاف ج١٦ – ٢٦٩.

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب في كم يستحب يختم القرآن، سنن ابن ماجه ج١، ص٤٢٨.

قول عمر بن الخطاب لأبي بكر -رضي الله عنهما-: "وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن".

وقول أبي بكر الصديق لزيد بن ثابت -رضي الله عنهما-: "فتتبع القرآن فاجمعه" أي: اكتبه كله.

وقول زيد بن ثابت -رضي الله عنه-: "فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال"[1].

وإذا نظرنا إلى أشهر أسماء القرآن الكريم، فإننا سنجد فيها اسمين يدلان على المعنيين:

الأول: القرآن.

الثاني: الكتاب.

فالاسم الأول "القرآن" إشارة إلى جمعه عن طريق المعنى الأول، وهو الحفظ في الصدور. فالقرآن: لفظ مشتق من الفعل "قرأ" بمعنى تلا، فهو مرادف للقراءة، ودل على هذا قوله عز وجل: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ (طه: ١١٤) أي: لا تعجل بقراءة القرآن قبل أن ينتهي جبريل من قراءته. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (الإسراء: ٧٨) أي: قراءة القرآن في هذا الوقت تشهدها الملائكة ويشهدون بها.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن. صحيح البخاري ج٦، ص٩٨ .

قال اللحياني [1] وجماعة من أهل اللغة: "قرآن: مصدر كغفران، سُمِّي به "المقروء" أي المتلو، تسمية للمفعول بالمصدر، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾ (القيامة: ١٧، ١٨) أي: قراءته، والمراد: جبريل عليه السلام. ومنه كذلك قول حسان بن ثابت يرثي عثمان بن عفان رضي الله عنهما:

ضَحَّوا بأشمطَ عنوانُ السجود به   يُقَطِّعُ الليلَ تسبيحاً وقرآنا [2]

أي: قراءة. ويقال: قرأ الرجل، إذا تلا، يقطع قرآنا وقراءة [3].

والاسم الثاني (الكتاب) إشارة إلى جمعه عن طريق المعنى الثاني وهو الحفظ في السطور، فالكتاب في الأصل مصدر، ثم سمي المكتوب فيه كتاباً [4].

قال السخاوي المتوفى سنة ٦٤٣هـ "ومن أسمائه -أي القرآن- الكتاب، سمي بذلك، لأن الكَتْبَ الجمع يقال: كتب إذا جمع الحروف بعضها على بعض، وتكَتَّب بنو فلان، أي: اجتمعوا" [5].

وقال الدكتور محمد دراز: "روعي في تسميته قرآناً كونه متلواً

---

(١) هوعلي بن حازم اللحياني، لغوي عاصر الفراء،كان حيا سنة ٢٠٧هـ، معجم المؤلفين ٧: ٥٦.

(٢) الأشمط: أبيض الرأس يخالطه سواد، انظر ديوان حسان ص٤٦٩.

(٣) انظر قوله في مدخل إلى تفسير القرآن، د. زرزور ص٤٥.

(٤) انظر المفردات ص٤٢٣.

(٥) جمال القراء ج١، ص٢٨.

بالألسن، كما روعي في تسميته كتاباً كونه مدوناً بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه.

وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعاً ، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب، المنقول إلينا جيلاً بعد جيل، على هيئته التي وضع عليها أول مرة، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر"[(١)].

وحين يتحدث المؤلفون في علوم القرآن عن موضوع جمع القرآن الكريم فإن أغلبهم يطلق عبارة جمع القرآن الكريم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وجمعه في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وجمعه في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويريدون بالجمع معاني مختلفة، فبتدبر الأمر وتتبع الروايات نجد أن لفظ الجمع حين يطلق في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يقصد به حفظه عن ظهر قلب وكتابته على الأدوات المتوافرة ذلك الوقت . وحين يطلق في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه يقصد به كتابة القرآن الكريم في مصحف واحد مسلسل الآيات مرتب السور. وحين يطلق في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه يقصد به نسخ المصحف الذي كتب في عهد أبي بكر رضي الله عنه بمصاحف متعددة. وسنتناول بالتفصيل -إن شاء الله- هذه المراحل في المباحث التالية.

---

(١) النبأ العظيم ص١٢، ١٣.

المبحث الثاني
حفظ القرآن الكريم

المطلب الأول: حفظ القرآن الكريم في السماء:

لقد حظي كتاب الله عز وجل بالحفظ والعناية منذ أن كان في السماء حيث أودعه الله كتاباً مكنوناً وأقسم الله تعالى على هذه الحقيقة بقسم عظيم فقال: ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ٧٧ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ ﴾ (الواقعة: ٧٥-٨٠).

وقال عز وجل: ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ١٣ مَّرۡفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٍ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٍ ١٦ ﴾ (عبس: ١٣-١٦). فهو في اللوح المحفوظ، مصون مستور عن الأعين، لا يطلع عليه إلا الملائكة المقربون، ولا يمسه في السماء إلا الملائكة الأطهار، ولا يصل إليه شيطان، ولا يُنال منه[1] فالشياطين لا تمس هذا الكتاب، وليس لها سبيل إليه، وإنما تحف به الملائكة المقربون، ويؤكد الله تعالى وصفه بكونه مكنوناً بوصفه بكونه محفوظاً في قوله تعالى: ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٌ مَّجِيدٌ ٢١ فِي لَوۡحٍ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢ ﴾ (البروج: ٢١، ٢٢).

---

(١) انظر الضوء المنير جمع الصالحي ٥ : ٥٨٧ .

المطلب الثاني: حفظ القرآن الكريم في طريقه إلى الأرض:

حفظ الله عز وجل القرآن الكريم وهو في طريقه إلى الأرض فجاء به روح مطهر، فما للأرواح الخبيثة عليه سبيل، ولا وصول لها إليه، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٢١١ ﴾ (الشعراء: ٢١٠، ٢١١)، وإنما تناله الأرواح المطهرة وهم الملائكة[1] وحَفِظَه من الشياطين التي كانت تسترق السمع طلباً لخبر السماء، فحفظه بالحرس الأقوياء من الملائكة، وبالكواكب التي تحرق وتمنع من أراد استراق السمع.

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠ ﴾ (الجن: ٨ – ١٠).

وقال عز وجل: ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ (الصافات: ٧–١٠).

إذن حفظ الله عز وجل القرآن الكريم وهو في السماء، وعند نزوله منها، وبعد نزوله إلى الأرض. وهو ما سنتحدث عنه في المطلب التالي.

---

(١) انظر الضوء المنير ٥: ٥٨٦.

المطلب الثالث: حفظ القرآن الكريم على الأرض:

لقد حفظ الله عز وجل القرآن الكريم على الأرض بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي استقبله فأحسن الاستقبال، وحفظه أتم حفظ، وقام به خير قيام، وبلَّغه أحسن تبليغ والشواهد على ذلك كثيرة منها:

١- قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ (القيامة: ١٦-١٩). فكان صلى الله عليه وسلم حين نزول القرآن عليه يتعجل ويبادر بأخذه، واختلف في سبب ذلك.

فقيل: لما يجده من المشقة عند النزول، فيتعجل لتزول المشقة سريعاً.

وقيل خشية منه صلى الله عليه وسلم أن ينساه، أو يتفلت منه شيء.

وقيل: لأجل أن يتذكره.

وقيل: من حبه إياه.

قال ابن حجر -بعد ذكر هذه الأسباب- "ولا بعد في تعدد السبب"[١].

---

(١) فتح الباري ج٨، ص٥٢٤.

ومما ورد في تفسير هذه الآيات ما أخرجه البخاري وغيره عن موسى بن أبي عائشة أنه سأل سعيد بن جبير عن قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ قال: قال ابن عباس: "كان يحرك شفتيه إذا أُنْزل عليه، فقيل له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ يَخْشى أن يَتَفَلَّتَ منه ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾﴾ أن نجمعه في صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾﴾ أن تَقْرأَهُ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ يقول: أُنْزِل عليه ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾﴾ أن نُبيِّنه على لسانك"[1].

وأخرج البخاري أيضاً عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾﴾ قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل جبريل عليه بالوحي، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه، فيشتد عليه، وكان يُعْرفُ منه فأنزل الله الآية التي في "لا أقسم بيوم القيامة" ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾﴾ قال: علينا أن نَجْمعَهُ في صدرك وقرآنه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾﴾ فإذا أنزلناه فاستمع ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾﴾ علينا أن نبينه بلسانك. قال: فكان إذا أتاه جبريل أَطْرَقَ، فإذا ذهب قَرَأَهُ كما وعده الله"[2].

---

(١) الأثر أخرجه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة القيامة، باب (إن علينا جمعه وقرآنه) صحيح البخاري ج٦، ص٧٦.

(٢) الأثر أخرجه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة القيامة، باب (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه). صحيح البخاري ج٦، ص٧٦، ٧٧.

إذًا تدل هذه الآيات على تكفل الله المطلق لهذا القرآن: وحياً، وحفظاً، وجمعاً، وبياناً، وأن على الرسول صلى الله عليه وسلم التلقي والاتباع ثم البلاغ، فكان كلما نزلت عليه آية أو آيات جمعها الله له في صدره، فوعاها قلبه، واشتغل بها لسانه لنفسه وللمسلمين.

٢- قوله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ (الأعلى: ٦) حيث تكفل الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم برفع مشقة استظهار القرآن وحفظ قلبه له فلا ينسى ما يقرئه ربه.

٣- حرص النبي صلى الله عليه وسلم على حفظ القرآن الكريم ومدارسته في كل أوقاته، فكان يحيي الليل بتلاوة آيات القرآن في الصلاة عبادةً، وتلاوةً، وتدبراً لمعانيه، حتى تفطرت قدماه الشريفتان من كثرة القيام امتثالاً لأمر الله تعالى القائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ (المزمل: ١-٤).

٤- مدارسة جبريل عليه السلام القرآن للرسول صلى الله عليه وسلم مع تكفل الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم بحفظه وجمعه في صدره حتى لا يضيع منه شيء، فإن جبريل -عليه السلام- لم يكتف بتبليغ الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤه على جبريل عليه السلام في كل عام مرة حتى يزداد ثبات قلب النبي صلى الله عليه وسلم به.

أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم أجودَ الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان؛ لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يَعْرِضُ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القرآنَ، فإذا لقيه جبريلُ كان أجودَ بالخير من الريح المرسلة"(١).

وعندما دنا أجل النبي صلى الله عليه وسلم عارضه جبريل بالقرآن مرتين فقد ورد في صحيح البخاري: قال مسروق عن عائشة رضي الله عنها، عن فاطمة عليها السلام: "أسَرّ إليَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن جبريل يعارضُني بالقرآن كلَّ سنة، وإنَّه عارضني العام مرتين، ولا أُراهُ إلا حضر أجلي"(٢).

وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال: "كان يَعْرِضُ على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرةً، فعرضَ عليه مرتين في العام الذي قبض، وكان يعتكف كلَّ عام عشرا، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض"(٣).

٥- تعليم النبي صلى الله عليه وسلم القرآن بنفسه:

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم. صحيح البخاري ج٦، ص١٠١، ١٠٢.

(٢) صحيح البخاري ج٦، ص١٠١ في كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم. صحيح البخاري ج٦، ص١٠١.

فقد باشر النبي صلى الله عليه وسلم تعليم المسلمين القرآن بنفسه، وأمره الله عز وجل بأن يقرأه على الناس على مكث، أي: تؤدَة وتمهل، كي يحفظوا لفظه ويفقهوا معناه. كما قال تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ (الإسراء: ١٠٦).

وأخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "والله لقد أَخذتُ من في رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بضعاً وسبعين سورة"[١].

وأخرج عنه أنه قال: "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنْزِلتْ عليه "والمرسلات"، وإنا لنتلقَّاها من فِيْه"[٢].

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا القرآن، فإذا مَرّ بسجود القرآن سجد وسجدنا معه"[٣].

وأخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنا التشهد كما يُعَلِّمنا السورة من القرآن" وفي رواية ابن رُمْح "كما يُعَلِّمنا القرآن"[٤].

---

(١) الأثر أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. صحيح البخاري ج٦، ص١٠٢.

(٢) الأثر أخرجه البخاري في كتاب التفسير تفسير سورة والمرسلات. صحيح البخاري ج٦، ص٧٧.

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٢، ص١٥٧.

(٤) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة. صحيح مسلم ج١، ص٣٠٢، ٣٠٣، رقم٦٠ .

وأخرج البخاري عن جابر بن عبد الله قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنا الاستخارة في الأمور كما يُعَلِّمُنا السورة من القرآن"(١).

وأخرج الطبري عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: "حدثنا الذين كانوا يقرئوننا: أنهم يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلّموا عشر آيات لم يُخلِّفوها حتى يعلموا بما فيها من العمل، فتعلّمنا القرآن والعمل جميعاً"(٢).

وكان الصحابة رضوان الله عليهم إذا عجز أحدهم عن تفريغ وقت لتحصيل القرآن الكريم مباشرة من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم أناب عنه من يحصل عنه .

أخرج البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أمية بن زيد -وهي من عوالي المدينة- وكنا نتناوبُ النزولَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلتُ جئتهُ بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعلَ مثل ذلك"(٣).

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التهجد بالليل، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى. صحيح البخاري ج٢، ص٥١.

(٢) الحديث أخرجه الطبري في تفسيره ج١، ص٣٦، والإمام أحمد بنحوه في المسند ج٥، ص٤١٠.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب التناوب في العلم. صحيح البخاري ج١، ص٣١.

وكان من نتيجة ذلك أن كثر الحفاظ في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا يعرضون على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن ويقرؤونه عليه، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: "اقرأ عليّ"، قلتُ: أقرأ عليك وعليك أنزل؟، قال: "فإني أحب أن أسمعه من غيري"، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ (النساء: ٤١) قال: "أمسك"، فإذا عيناه تذرفان [١]. وكان مسجده صلى الله عليه وسلم عامراً بتلاوة القرآن يضج بأصوات الحفاظ فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا.

وكان كل حافظ للقرآن ينشر ما حفظه، ويعلمه للأولاد والصبيان والذين لم يشهدوا نزول الوحي، بل كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدفع كل مهاجر جديد إلى أحد الحفاظ ليعلمه حفظ القرآن الكريم، فشاع حفظه بين الرجال والنساء، حتى إن المرأة المسلمة كانت ترضى سورة من القرآن أو أكثر مهراً لها، ومما ورد في ذلك ما أخرجه البخاري عن سهل بن سعد قال: "أتت النبيَّ صلى الله عليه وسلم

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة النساء باب (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا). صحيح البخاري ج٥، ص١٨٠.

امرأةٌ فقالت، إنها قد وهبت نفسها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فقال: ما لي في النساء من حاجة فقال رجل: زوجنيها، قال: أعطها ثوباً، قال: لا أجد، قال: أعطها ولو خاتماً من حديد، فاعتلَّ له، فقال: ما معك من القرآن؟ قال: كذا وكذا، قال فقد زوجتكها بما معك من القرآن"[1].

وخير دليل على كثرة الحفاظ في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قتل منهم في بئر معونة[2] المعروفة بـ "سرية القراء" سبعون رجلاً، كما قتل منهم يوم اليمامة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه سبعون قارئاً.

وذكر أبو عبيد في كتابه "القراءات" عدداً كبيراً من القراء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر كثيراً من المهاجرين، وكثيراً من الأنصار، وبعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم[3].

ويتبين من ذلك أن الله عز وجل حفظ القرآن على الأرض بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أصحابه رضوان الله عليهم

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه. صحيح البخاري ج٦، ص١٠٨.

(٢) بئر معونة: موضع في بلاد هذيل بين مكة وعسفان، وتعرف هذه الموقعة بـ (سرية القراء) وكانت مع رعل وذكوان، ووقعت بعد أحد مباشرة أي: في حدود سنة ٤هـ. انظر خبرها في صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير، باب العون بالمدد ج٤، ص٣٥.

(٣) انظر قوله في المرشد الوجيز ص٤٠، ٤١، والبرهان في علوم القرآن ج١، ص٢٤٢، والإتقان في علوم القرآن ج١، ص٢٤٨ النوع العشرين.

والتابعين وكافة المؤمنين بعد ذلك، ولعل من أبرز دواعي حفظه -غير تكفل الله عز وجل بحفظه- ما يلي:

١- مجيء القرآن الكريم معجزاً متميزاً في نظمه، فريداً في أسلوبه، لا يطاوله كلام البلغاء، ولا تدنو منه فصاحة الفصحاء، وكان الصحابة ينتظرونه بشغف ويتمنون أن يتلقوه فور نزوله، كما كان أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم يحرصون على سماعه، إما للبحث عن نقط ضعف فيه تعينهم على مغالبته أو مهاجمته، وإما لإشباع حاجتهم الملحة في التذوق الأدبي، ويمكننا أن نتصور إذن مدى الاهتمام الذي كان يثيره القرآن في نفوس المؤمنين والكافرين على السواء[١].

٢- تشريع قراءة القرآن الكريم في الصلاة فرضاً كانت أم نفلاً، سراً أم جهراً، مما جعلهم يحرصون على حفظ القرآن الكريم لأداء هذه العبادة. أخرج مسلم في صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه قال: "صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم

---

(١) انظر: مدخل إلى القرآن الكريم ص٣٤، وأضواء على سلامة المصحف الشريف من النقص والتحريف ص٢٨-٣٦.

افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً، إذا مَرَّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مَرّ بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، ثم ركع..."[1].

٣- ارتباط القرآن الكريم بالتشريعات، فإن كثيراً من آياته تحوي أحكاماً في العبادات: كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وأحكاماً في المعاملات كالبيع والشراء والدَّين، وأحكاماً في سائر أمور الحياة، فلابد أن يستظهروه ليعملوا بمقتضاه[2].

٤- الترغيب في قراءة القرآن الكريم وحفظه وتعلمه وتعليمه، وقد ورد ذلك في القرآن نفسه، وفي أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي أكثر من أن تحصى ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ (فاطر: ٢٩، ٣٠) وقوله تعالى في الحديث القدسي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يقول الرب عز وجل من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعْطي السائلين، وفضل كلام

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل. صحيح مسلم ج١، ص٥٣٦.

(٢) انظر أضواء على سلامة المصحف الشريف من النقص والتحريف ص٢٨، ٢٩.

الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه"[1].

وقوله صلى الله عليه وسلم فيما روته عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران"[2].

وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[3].

وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشدُّ تَفَصِّياً[4] من الإبل في عقلها"[5].

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب رقم ٢٥، سنن الترمذي ج٥، ص١٨٤، والدارمي في كتاب فضائل القرآن، باب فضل كلام الله على سائر الكلام، سنن الدارمي ج٢، ص٣١٧.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه. صحيح مسلم ج١، ص٥٤٩.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن. باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه صحيح البخاري ج٦، ص١٠٨.

(٤) تفصياً: أي تفلتاً.

(٥) عقلها: أي الإبل المشدودة بالعقال، وهو الحبل الذي يشد في ركبة البعير. والحديث أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب استذكار القرآن وتعاهده. صحيح البخاري ج٦، ص١٠٩، ١١٠.

٥- سهولة حفظ القرآن الكريم وتيسيره، فكان من رحمة الله على خلقه أن يسر لهم حفظ القرآن الكريم، ليجعل من ذلك سبباً مانعاً من ضياع شيء منه، فكما قال عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩). فقد قال أيضاً ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (سورة القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠).

المبحث الثالث
كتابة القرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

لم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بحفظ القرآن الكريم، وإقرائه لأصحابه، وحثهم على تعلمه وتعليمه، بل جمع إلى ذلك الأمر بكتابته وتقييده في السطور، فكان كلما نزل عليه نجم دعا الكتَّاب فأملاه عليهم فيكتبونه، وبذلك كان القرآن مكتوباً كله بأمره في عهده صلى الله عليه وسلم.

المطلب الأول: الأدلة على كتابة القرآن الكريم في عهده صلى الله عليه وسلم:

لقد وردت أدلة كثيرة تدل على كتابة القرآن الكريم في عهده صلى الله عليه وسلم ومبادرته بالأمر بكتابته أذكر منها ما يلي:

١- إطلاق لفظ الكتاب على القرآن الكريم في مواضع عدة من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى ﴾ (البقرة: ٢).

فالكتاب يدل على أن القرآن مكتوب[١].

٢- أن الكتابة من الصفات الثابتة للقرآن الكريم حيث قال عز وجل: ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣ ﴾ (البينة: ٢، ٣).

---

(١) يراجع مبحث معنى جمع القرآن.

قال الفخر الرازي في تفسيره لهاتين الآيتين: "فاعلم أن الصحف جمع صحيفة، وهي ظرف للمكتوب"(١).

٣- ما ورد من الأحاديث الدالة على وجود القرآن الكريم مكتوباً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذلك:

ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يُسَافر بالقرآن إلى أرض العدو"(٢).

وفي لفظ لمسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تسافروا بالقرآن، فإني لا آمنُ أن يناله العدو".

وما أخرجه مالك والدارمي وأبو عبيد في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم: "أن لا يَمسَّ القرآنَ إلا طاهر"(٣).

وغير ذلك من الأخبار الدالة على أن القرآن الكريم كان مكتوباً في عهده صلى الله عليه وسلم.

٤- إذنه صلى الله عليه وسلم بكتابة القرآن الكريم، أخرج مسلم

---

(١) تفسير الفخر الرازي ج٣٢، ص٤٢.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب السفر بالمصاحف إلى أرض العدو صحيح البخاري ج٤، ص١٥، ومسلم في كتاب الإمارة، باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار. صحيح مسلم ج٣، ص١٤٩٠.

(٣) الحديث أخرجه مالك في كتاب القرآن، باب الأمر بالوضوء لمن مس القرآن، الموطأ ج١، ص١٩٩، والدارمي في كتاب الطلاق باب لا طلاق قبل نكاح، سنن الدارمي ج٢، ص٨٤. وأبو عبيد في كتاب فضائل القرآن ص٢٤٤.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه"[1]. فهذا الحديث يدل على نهي النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة عن كتابة شيء غير القرآن[2]، وأن القرآن كان مأذوناً لهم في كتابته.

٥- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له كُتَّاب يكتبون له الوحي، وكان يأمرهم بكتابته فور نزوله، أخرج البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: "لما نزلت ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النساء: ٩٥). دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيداً فكتبها، فجاء ابن أم مكتوم، فشكا ضَرَارتَهُ فأنزل الله ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾". وفي رواية أخرى عن البراء قال: "لما نزلت ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ادعوا فلاناً"، فجاءه ومعه الدواة واللوح أو الكتف، فقال: "اكتب ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله﴾" وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابنُ أم مكتوم، فقال: يا رسول الله أنا ضرر، فنزلت مكانها ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[3].

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب التثبت في الحديث، وحكم كتابة العلم. صحيح مسلم ج٤، ص٢٢٩٨.

(٢) نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة الحديث النبوي كان هذا في أول الأمر خشية أن يلتبس القرآن بالسنة، أو لأجل أن يخص القرآن بالعناية.

(٣) الحديثان أخرجهما البخاري في كتاب التفسير تفسير سورة النساء، باب "لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله". صحيح البخاري ج٥، ص١٨٢، ١٨٣.

وأخرج ابن أبي داود أن زيد بن ثابت قال: "كنت جار رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان إذا نزل الوحي أرسل إليَّ فكتبت الوحي"[1].

وأخرج البخاري وغيره أن أبا بكر قال لزيد بن ثابت رضي الله عنهما: "كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم"[2].

فهذه الأحاديث تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له كتاب يكتبون الوحي ويدعوهم لكتابته فور نزوله.

٦- توجيه النبي صلى الله عليه وسلم للكُتَّاب بأن يضعوا الآية أو الآيات التي تنزل في مواضعها من سورها، ويدل على ذلك الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي وأبو داود والحاكم من حديث عبد الله بن عباس عن عثمان بن عفان رضي الله عنهم قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان، ينزل عليه من السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: "ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا. وينزل عليه الآية فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وينزل عليه الآيات فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة

---

(١) الحديث أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص٣.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن. صحيح البخاري ج٦، ص٩٨.

التي يذكر فيها كذا وكذا"[1].

٧- مراجعته صلى الله عليه وسلم للكُتَّاب بعد كتابتهم لما ينزل فقد أخرج الطبراني عن زيد بن ثابت أنه قال: "كنت أكتب الوحي عند رسول الله وهو يملي عليَّ، فإذا فرغت، قال: اقرأه، فأقرؤه، فإن كان فيه سقط أقامه"[2].

المطلب الثاني: كُتَّاب الوحي:

كان للنبي صلى الله عليه وسلم كُتَّاب يكتبون له ما ينزل عليه من آي الذكر الحكيم وسوره، وما يحتاجه من مكاتبات في شؤون الرسالة والدعوة وحوائج الناس[3] واختلفت المصادر في تعدادهم وذِكْرهم، حتى أوصله بعضهم إلى أربعة وأربعين كاتباً[4] ولعل السبب في ذلك هو جمعهم بين من كتب التنزيل وغيره وبين من كتب في شؤون الرسالة والدعوة ونحوها دون التنزيل، أو بين من كتب التنزيل بصفة رسمية وبين من كتبه لنفسه.

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده ج١، ص٥٧-٦٩، والترمذي في كتاب التفسير، تفسير سورة التوبة. سنن الترمذي ج٥، ص٢٧٢، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب ماجاء من جهر بها. سنن أبي داود ج١، ص٢٦٨. والحاكم في المستدرك ج٢، ص٢٢١-٣٣٠ وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط ج٢، ص٥٤٤.

(٣) ككتابه إلى النجاشي في مهاجري الحبشة، وكتابه إلى مصعب بن عمير بالمدينة لإقامة صلاة الجمعة، وصلح الحديبية، وغير ذلك.

(٤) انظر: المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ج١، ص٢٩.

والذي اشتهر بكتابة التنزيل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم كتاب هم:

١- عبد الله بن سعد بن أبي السرح القرشي العامري أول من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة،حيث لم يكن بها أحد يعرف الكتابة سوى نفرٍ قليل. وقد اتخذه النبي صلى الله عليه وسلم كاتباً للتنزيل في أول الأمر، ثم أزله الشيطان وأغواه فارتد عن الإسلام، ولما كان يوم فتح مكة أسلم وحسن إسلامه وعاد لكتابة التنزيل توفي سنة ٣٦هـ[١].

٢- عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي، ثالث الخلفاء الراشدين، وهو ممن كتب للنبي صلى الله عليه وسلم التنزيل وغيره، يقول الذهبي: "هو أفضل من قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم". وقد شاء الله عز وجل أن يستقر المصحف على هيئته الخالدة على يده رضي الله عنه. توفي سنة ٣٥هـ.

٣- علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، رابع الخلفاء الراشدين، وهو ممن كتب للنبي صلى الله عليه وسلم أكثر التنزيل، كما كتب له كثيراً من العهود وعقود الصلح. توفي رضي الله عنه سنة ٤٠هـ.

٤- أبيّ بن كعب بن قيس الأنصاري الخزرجي، أول من كتب للنبي

---

(١) انظر: كتاب الوحي ص٣٢٥.

صلى الله عليه وسلم عند قدومه المدينة، كما كان يكتب ما يأمره به الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتب والرسائل وهو سيد القراء توفي سنة ٣٠هـ .

٥- زيد بن ثابت الأنصاري الخزرجي، كان أكثر الكتاب ملازمة للكتابة حيث لا عمل له غير ذلك، ولكثرة تعاطيه ذلك خصه البخاري في صحيحه بتسميته "كاتب النبي صلى الله عليه وسلم"[١] توفي سنة ٤٥هـ .

٦- معاوية بن أبي سفيان القرشي الأموي، طلب أبوه من النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة أن يجعله كاتباً بين يديه، فكان بعد ذلك ملازماً للكتابة بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم في التنزيل وغيره توفي سنة ٦٠هـ[٢].

هؤلاء ستة كُتَّاب للتنزيل كتبوه بصفة رسمية بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا يضعون ما يكتبون في حجرات النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يعني هذا أن الوحي لم يكتبه غيرهم، فقد كتبه غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم كأبي بكر وعمر وابن مسعود وغيرهم، ولكن هذه الكتابة كانت لأنفسهم دون تكليف من الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(١) صحيح البخاري ج٦، ص٩٩ كتاب فضائل القرآن، باب كاتب النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) انظر: كتاب الوحي، وفتح الباري ٩ : ١٩ .

وممن كتب في شؤون الرسالة والدعوة وحوائج الناس:

١- أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

٢- عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٣- حنظلة بن الربيع رضي الله عنه وغلب عليه اسم "الكاتب".

٤- الزبير بن العوام رضي الله عنه.

٥- خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه.

٦- ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه.

٧- المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

٨- معاذ بن جبل رضي الله عنه.

وغيرهم[١].

المطلب الثالث: الأدوات التي كتب عليها الوحي:

كان كتاب الوحي يكتبون القرآن فيما كان ميسراً لهم في زمنهم، ومن الأدوات التي كتب فيها:

١- **الرِّقاع**: وهي جمع رقعة، وهي القطعة من الجلد وقد تكون من غيره كالقماش أو الورق، وهو غالب ما كتب عليه الوحي. قال زيد بن ثابت: "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع"[٢].

---

(١) انظر: كتاب الوحي ٦٥.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٥، ص١٨٥.

٢- **الأكتاف**: وهي جمع كتف، وهي عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان[١] قال السيوطي: "هي العظم الذي للبعير أو الشاة"[٢].

قال زيد بن ثابت بعد أن أُمِر بجمع القرآن: "فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال"[٣].

٣- **العُسُب**: وهو جمع عسيب، وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض[٤].

٤- **اللِّخاف**: وهو جمع لَخْفَة، وهي صفائح الحجارة[٥] قال زيد ابن ثابت: "فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف"[٦].

٥- **الأقتاب**: وهو جمع قتب، وهو قطع الخشب التي توضع على ظهر البعير ليركب عليه الإنسان[٧]، قال زيد بن ثابت في رواية ابن أبي داود: "فجمعت القرآن أجمعه من الأكتاف والأقتاب والعسب

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٤: ١٥٠.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ج١، ص٢٠٧ النوع الثامن عشر.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة براءة، باب قوله: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) صحيح البخاري ج٥، ص٢١٠.

(٤) الإتقان في علوم القرآن ج١، ص٢٠٧.

(٥) انظر: الصحاح ٤: ١٤٢٦ مادة "لخف".

(٦) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن. صحيح البخاري ج٦، ص٩٨.

(٧) الإتقان في علوم القرآن ج١، ص٢٠٧.

وصدور الرجال"[1].

ومما كانوا يكتبون فيه: الصحف والألواح والكرانيف وغيرها[2].

المطلب الرابع: الصفة التي كتب عليها القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم:

بعد أن بينَّا أن القرآن الكريم كتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، يمكننا أن نقرر بأن القرآن الكريم لم يستظهر في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فحسب، بل دُوِّن كاملاً وهذا التدوين اتصف بصفات أبرزها:

١- أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن الكريم كله كان مكتوباً، كتبه كُتَّاب خاصون بهذه المهمة، وبتوجيهات منه صلى الله عليه وسلم لهم.

٢- أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة القرآن الكريم كان عامّاً، ولم يكن بجمعه في صحف؛ ولهذا لم يكن مجموعاً في مكان ومصحف واحد، قال زيد بن ثابت: "قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع في شيء"[3].

٣- أن كتابة القرآن الكريم تمت على أدوات متنوعة وغير متجانسة مما جعله غير مرتب ومحصور بين دفتين.

---

(١) الحديث أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، ص٨، ٩.

(٢) انظر فتح الباري ج٩، ص١١، الكرانيف: أصول الكرب التي تبقى في جذع النخلة.

(٣) الإتقان ١/ ١٦٤.

٤- أنه لم يكن مرتب السور، لأنه كتب أولاً بأول على حسب نزوله، وترتيب القرآن الكريم ليس على حسب النزول بالإجماع. مع العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن علَّم الصحابة بترتيب القرآن الكريم سوراً وآيات، حتى صاروا يقرؤون القرآن الكريم كاملاً مرتباً على نحو ما أمر به صلى الله عليه وسلم بتعليم من جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم في كل عرضة يعرض فيها القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم.

المطلب الخامس: السبب في عدم جمع القرآن الكريم في مصحف واحد في عهده صلى الله عليه وسلم:

لم يجمع القرآن الكريم في عهده صلى الله عليه وسلم على هيئة مصحف لأسباب منها:

١- ما كان يترقبه النبي صلى الله عليه وسلم من تتابع نزول الوحي حيث كانت تنزل بعض آيات سورة من السور، وتنقطع بنزول آيات سورة أخرى -قبل تلك السورة أو بعدها- ثم يستأنف الوحي آيات السورة الأولى.. وهكذا حتى كمل التنزيل. ولا شك والحالة هذه استحالة جمع القرآن الكريم مباشرة عند نزوله في مصحف واحد، إذ يلزم ذلك تغييراً مستمراً في الأدوات التي كتب عليها[1].

يقول الزركشي: "وإنما لم يكتب في عهد النبي صلى الله عليه

---

(١) انظر: "موجز علوم القرآن" ص١٥٩.

وسلم مصحف، لئلا يفضي إلى تغييره كل وقت، فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته صلى الله عليه وسلم"[1].

٢- أن ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره لم يكن على حسب النزول، بل على حسب ما هو في اللوح المحفوظ الذي بُلِّغه النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل عليه السلام.

فلو كتب القرآن مرتباً حسب نزوله لخالف ترتيبه في اللوح المحفوظ، ولوقع اضطراب في كثير من آياته وتداخلت آيات سورة بآيات أخرى بما يتنافى وإعجازه[2].

٣- أن المدة بين آخر ما نزل من القرآن الكريم ووفاته صلى الله عليه وسلم قصيرة جداً، وهي غير كافية لجمع القرآن بين دفتي مصحف واحد.

٤- أنه لم يوجد من دواعي الجمع في مصحف واحد مثل ما وجد في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقد كان المسلمون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بخير وأمن، والقراء كثيرون، والفتنة مأمونة، وفوق هذا الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم، بخلاف ما حصل في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه من مقتل الحفاظ حتى خاف على ضياع القرآن الكريم.

---

(١) البرهان في علوم القرآن ج١، ص٢٦٢.

(٢) انظر: "جمع القرآن بين الحقائق الثابتة والشبهات الهابطة" ص٤٣.

المبحث الرابع
جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه

لما تولى أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- الخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت بعض القبائل العربية ممن دخلت في الإسلام حديثاً، وامتنع بعضها عن دفع الزكاة، فجهز الجيوش لمحاربة المرتدين، ووجه خالد بن الوليد -رضي الله عنه- في جيش كبير إلى اليمامة -قوم مسيلمة الكذاب- وذلك سنة اثنتي عشرة للهجرة، فدارت معركة حامية الوطيس، انتهت بقتل مسيلمة، وهزيمة قومه، وعودة مَنْ سَلم منهم إلى الإسلام. كما استشهد فيها عدد كبير من الصحابة قدروا بخمسمائة[1]، وقيل ستمائة وستون[2] وقيل سبعمائة[3] وكان من بين هؤلاء سبعون قارئاً، منهم سالم مولى أبي حذيفة -أحد الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأخذ القرآن عنهم- وقد هال ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستشعر خطورة الأمر بذهاب شيء من القرآن بموت بعض القراء والحفظة من الصحابة، ففزع إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأشار عليه بجمع القرآن الكريم وكتابته في

---

(١) ذكره ابن كثير في فضائل القرآن. انظر: تفسير ابن كثير، تحقيق سامي سلامة ج١، ص٢٦.

(٢) ذكر ذلك ابن الأثير في الكامل ج٢، ص٢٤٧.

(٣) ذكره ابن حجر في فتح الباري ج٩، ص٩.

مصحف واحد بدلاً من وجوده متفرقاً في صحف متعددة[1]. وفي هذا الأمـر يروي لنا البـخـاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قـال: "أرسل إليَّ أبو بكر الصـديق، مـقـتـلَ أهل اليـمـامـة[2]، فـإذا عـمـرُ بن الخطاب عنده، قال أبو بكرٍ: إنَّ عمر أتاني فقال: إنَّ القتل قد اسْتَحَرّ[3] يوم اليـمـامـة بقـرّاء القـرآن، وإني أخـشى أن يَسْـتَـحـرّ القـتلُ بالقـراء بالمواطن، فيـذهـبَ كثيرٌ من القـرآن، وإني أرى أن تـأمر بجمع القـرآن. قلت لعمر[4]: كـيـف تفعلُ شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال عمر: هذا والله خيرٌ، فلم يزل عمرُ يراجعُني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيتُ في ذلك الذي رأى عمر.

قـال زيـد: قـال أبو بكر: إنَّك رجلٌ شـابٌّ عـاقلٌ لا نتـهـمُكَ، وقـد كنتَ تكتب الوحي لرسـول الله صلى الله عليـه وسلم، فـتـتـبع القـرآن فاجـمعه، فوالله[5] لو كلفوني نقل جبـل من الجبال ما كانَ أثقلَ عليّ مما أمـرني بـه من جـمع القـرآن. قلتُ: كـيـف تفـعلونَ شـيـئـاً لـم يـفـعلْهُ

---

(١) انظر: أضواء على سلامة المصحف الشريف من النقص والتحريف ص٣٩ وانظر: تفصيل وقعة اليمامة في البداية والنهاية لابن كثير ج٦، ص٣٢٣.

(٢) أي: عقب مقتل أهل اليمامة، والمراد بهم هنا من قتل بها من الصحابة في الوقعة المشهورة.

(٣) أي: اشتد وكثر.

(٤) أي: قال أبو بكر لعمر، حكاه ثانياً لزيد.

(٥) أي: قال زيد.

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: هو والله خير، فلم يزلْ أبو بكر يراجعُني حتى شرح الله صدري للذي شرح لهُ صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

فتتبعتُ القرآن أجمعه من العسب واللِّخاف، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحدٍ غيرِه ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[1] حتى خاتمة براءة، فكانت الصُّحُفُ عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عُمَرَ حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها[2].

ونستطيع أن نستخلص من هذا الحديث وغيره من أحاديث جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه عدة أمور، أوجزها في المطالب التالية:

المطلب الأول: عناية الصحابة بالقرآن الكريم:

تدلنا الروايات التي وردت حول وقعة اليمامة وحديث جمع القرآن الكريم على مدى العناية والاهتمام من الصحابة رضوان الله عليهم بالقرآن الكريم. فكان حفظ القرآن الكريم شعاراً لهم في وقعة اليمامة، حيث كانوا يتنادون به، ويشجعون أنفسهم أمام قوة عدوهم بعبارات

---

(١) سورة التوبة ١٢٨.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن صحيح البخاري ج٦، ص٩٨، وانظر فتح الباري ج٩، ص٩-١٣.

تدل على حفظهم للقرآن الكريم، ومن العبارات التي وردت على ألسنتهم عندما حمي الوطيس قولهم: "يا أصحاب سورة البقرة" وقول سالم مولى أبي حذيفة -للمهاجرين عندما خشوا أن يؤتوا من قبله- "بئس حامل القرآن أنا إذاً" وقول أبي حذيفة: "يا أهل القرآن: زينوا القرآن بالفعال"[1].

كما نلحظ فزع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما علم بكثرة القتلى من القراء، وخشي أن يشتد في مواقع أخرى ويكثر القتلى منهم فيذهب كثير من القرآن. ودار حوار بينهما حول كيفية العمل والحال ما وقع، ثم استدعى الخليفة أبو بكر الصديق زيد بن ثابت رضي الله عنه وأمره بجمع القرآن الكريم فدلَّ ذلك على مدى اهتمامهم بالقرآن الكريم حيث جعلوه من أولويات عملهم، بعد أن تناقش الجميع في الأمر وانتهوا إلى ما انتهوا إليه.

فهذا الحرص من الصحابة رضوان الله عليهم لم يقتصر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل تعداه وأشد إلى ما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

---

(١) انظر البداية والنهاية ج٦، ص٣٢٤، وجمع القرآن بين الحقائق الثابتة والشبهات الهابطة ص٩٠.

المطلب الثاني: سبب تردد أبي بكر الصديق في قبول عرض عمر رضي الله عنهما بجمع القرآن:

نلحظ من الحديث السابق الذي رواه البخاري أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه تردد في أول الأمر في قبول عرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجمع القرآن الكريم. ولعل السبب في ذلك أن أبا بكر رضي الله عنه ظن أن جمع القرآن الكريم كله في مصحف واحد بدعة في الدين، فخاف أن يحدث فيه ما لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم أو يأمر به، ولذلك قال رضي الله عنه: "كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟" قال ابن بطال: "إنما نفر أبو بكر أولاً، ثم زيد بن ثابت ثانياً، لأنهما لم يجدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله، فكرها أن يحلا أنفسهما محل من يزيد احتياطه للدين على احتياط الرسول"[1].

ولكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ يقنع أبا بكر بصواب الفكرة، وأن في هذا الأمر خيراً، ولم يزل به حتى اقتنع بأهمية ذلك، ولذا قال: "فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك".

---

(١) فتح الباري ج٩، ص١١.

وبالإقناع نفسه اقتنع زيد في آخر الأمر حيث قال: "لم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما".

قال ابن حجر: "وقد تسول لبعض الروافض أنه يتوجه الاعتراض على أبي بكر بما فعله من جمع القرآن في المصحف فقال: كيف جاز أن يفعل شيئاً لم يفعله الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام؟ والجواب: أنه لم يفعل ذلك إلا بطريق الاجتهاد السائغ الناشئ عن النصح منه لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أذن في كتابة القرآن، ونهى أن يكتب معه غيره، فلم يأمر أبو بكر إلا بكتابة ما كان مكتوباً. ثم قال: وإذا تأمل المنصف ما فعله أبو بكر من ذلك جزم بأنه يعد من فضائله، وينوه بعظيم منقبته لثبوت قوله صلى الله عليه وسلم: "من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها"(١) فما جمع القرآن أحد بعده إلا وكان له مثل أجره إلى يوم القيامة"(٢).

ومن هنا يتبين أن عمل أبي بكر رضي الله عنه لم يكن بدعة في الدين، ويكفي دليلاً على ذلك إجماع الصحابة رضوان الله عليهم

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة. صحيح مسلم ج٢، ص٧٠٥.

(٢) فتح الباري ج٩، ص١٠.

على استحسان عمله ومشاركتهم فيه ، وقد عبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك بقوله : "أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر ، إن أبا بكر كان أول من جمع بين اللوحين"[1].

المطلب الثالث : سبب جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق :

دلت الأحاديث الواردة في جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أن سبب جمعه يعود إلى خوف الصحابة رضوان الله عليهم من ذهاب شيء من القرآن بذهاب حفاظه باستشهادهم في المعارك أو موتهم، فكتابته مجموعاً في مصحف واحد فيه أمان وحفظ له مما قد يحصل في المستقبل، ويدل لهذا ما أفصح عنه عمر رضي الله عنه بقوله : "إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن" . فذهاب بعض القراء قد يعني ذهاب الآخرين، فبهذا العمل أمكن تدارك الأمر منذ بدايته[2].

---

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ١٥٥ ، وابن أبي داود في كتاب المصاحف ص٥ ، وأورده ابن كثير وقال عنه : إسناده صحيح، تفسير القرآن العظيم (فضائل القرآن) ج١ ، ص٢٥ . وانظر: أضواء على سلامة المصحف الشريف من النقص والتحريف ٤٥-٤٧ وجمع القرآن ص٩٤ .

(٢) انظر: أضواء على سلامة المصحف الشريف من النقص والتحريف ص٦١ ، وجمع القرآن ص٩١ .

المطلب الرابع: سبب اختيار زيد بن ثابت رضي الله عنه:

لقد أبان أبو بكر الصديق رضي الله عنه في كلامه الصفات التي جعلته يختار زيد بن ثابت رضي الله عنه لمهمة جمع القرآن الكريم حيث قال: "إنك رجل شاب، عاقل، لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه" ويمكن إيضاحها بما يلي:

١- إنه شاب يتوفر فيه النشاط والحماسة، فيكون أنشط لما يطلب منه، وحتى لا تفتر عزيمته أثناء العمل.

٢- إنه عاقل فطن يحسن التصرف، فيكون أوعى لما يعمله، وحتى لا يقع في عمله نقص أو خلل.

٣- إنه غير متهم في دينه لا يتطرق إليه تجريح أو تفسيق فلا يكون في عمله أدنى ريبة أو شك، وقد استشعر هو خطورة المهمة وضخامتها حيث قال: "فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن".

٤- إنه أحد كتبة الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلديه التجربة العملية والخبرة الميدانية أمام من نزل عليه القرآن صلى الله عليه وسلم ويكفي بها مزية.

هذا ما ذكره أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ويمكن أن يضاف إلى ذلك:

- حسن خطه وشدة ضبطه.

- شهوده العرضة الأخيرة للقرآن، قال أبو شامة: "قال أبو عبدالرحمن السلمي: قرأ زيد بن ثابت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفاه الله فيه مرتين، وإنما سميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت، لأنه كتبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقرأها عليه، وشهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاه عثمان كَتْب المصاحف، رضي الله عنهم أجمعين[1].

المطلب الخامس: منهج جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق:

حينما اقتنع الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه بجمع القرآن الكريم، أمر عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما بالبدء بهذه المهمة وسارا وفق منهج محدد بالاعتماد على مصدرين معاً هما:

الأول: ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم.

الثاني: ما كان محفوظاً في صدور الرجال.

---

(١) المرشد الوجيز ص٩٦.

ويدل لهما قول زيد بن ثابت -في الحديث السابق- الذي أخرجه البخاري: "فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف، وصدور الرجال".

فقوله: "من العسب واللخاف" دليل على المكتوب، وقوله: "صدور الرجال" دليل على المحفوظ.

وما ذكره السيوطي عن موسى بن عقبة في مغازيه عن ابن شهاب قال: "لما أصيب المسلمون باليمامة فزع أبو بكر، وخاف أن يذهب من القرآن طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم، وعندهم، حتى جمع على عهد أبي بكر في الورق، فكان أبو بكر أول من جمع القرآن في المصحف"[1].

فقوله: "فأقبل الناس بما كان معهم" يدل على إتيان الناس بالمحفوظ. وقوله: "وعندهم" بالمكتوب[2].

ويقصد بالحفظ أنهم لم يقبلوا شيئاً من القرآن إلا إذا كان محفوظاً عن ظهر قلب. وهذا الشرط كان ميسوراً، لأن القرآن الكريم كان محفوظاً في صدور الصحابة.

أما الكتابة فيقصد بها أن يكون كتب بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم. أما ما كان بأيدي الصحابة من القرآن المكتوب، فكان

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ج١، ص٢٠٧ النوع الثامن عشر.

(٢) انظر: جمع القرآن ص١٠٢. والبيان في مباحث من علوم القرآن ص١٧٦، ١٧٧.

يطلب من الصحابي الذي يتقدم به أن يُشهد على أن هذا المكتوب كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم أو روجع على قراءته، أو سمعه وأقره. ويؤكد هذا ما قاله أبو بكر لعمر وزيد رضي الله عنهم: "اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه"[1].

كما يدل عليه ما أخرجه ابن أبي داود عن يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب قال: قال عمر: "من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان"[2].

وليس المقصود بالشهادة هنا على قرآنية المكتوب، فقرآنيته بلا شك ثابتة متواترة بحفظ المئات من الصحابة، وإنما على أنه كتب بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، فكما هو معلوم كان للصحابة رضوان الله عليهم مصاحف خاصة بهم كتبوها في بيوتهم لأنفسهم.

قال أبو شامة موضحاً ذلك: "لم تكن البينة على أصل القرآن، فقد كان معلوماً لهم كما ذكر، وإنما كانت على ما أحضروه من الرقاع المكتوبة فطلب البينة عليها أنها كانت كتبت بين يدي رسول الله

---

(١) الأثر أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص٦، وقال عنه ابن حجر: رجاله ثقات مع انقطاعه. فتح الباري ج٩، ص١٢.

(٢) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص١٠.

صلى الله عليه وسلم وبإذنه على ما سمع من لفظه... ولهذا قال: فليمل سعيد، يعني من الرقاع التي أحضرت، ولو كانوا كتبوا من حفظهم لم يحتج زيد فيما كتبه إلى من يمليه عليه"(١).

إذن فالمقصود الشهادة على كونها مكتوبة لا كونها محفوظة، وهكذا كان منهج الجمع:

عدم الاكتفاء بما سمعاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعدم الاكتفاء بما كتباه وقت نزول الوحي.

وعدم الاكتفاء بما حفظاه.

ومطالبة الصحابة الآخرين بما حفظوه وكتبوه على أن لا يقبل هذا المكتوب إلا أن يأتي صاحبه بشاهدَيْ عدل يشهدان على كتابته بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، ويطابق ما هو محفوظ في صدورهم.

المطلب السادس: مدة جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر:

استغرق جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه قرابة خمسة عشر شهراً حيث بدأ بعد معركة اليمامة التي وقعت في أواخر السنة الحادية عشرة أو أوائل الثانية عشرة وانتهى قبل وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكانت في الشهر السادس من السنة الثالثة عشرة، وتم ذلك جمعاً وكتابة قبل وفاته رضي الله عنه، ويدل على

---

(١) المرشد الوجيز ص٥٩، ٦٠.

ذلك قول زيد بن ثابت، كما في الحديث السابق الذي أخرجه البخاري "فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله"[1].

المطلب السابع: سمات جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق:

اتسم جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق بعدة سمات، من أبرزها:

١- أن كتابته قامت على أدق وسائل التثبت والاستيثاق، فلم يقبل فيه إلا ما أجمع الجميع على أنه قرآن وتواترت روايته.

٢- أنه جمع في مصحف واحد مرتب الآيات والسور.

٣- موافقته لما ثبت في العرضة الأخيرة.

٤- اقتصاره على ما لم تنسخ تلاوته، وتجريده مما ليس بقرآن.

٥- اشتماله على الأحرف السبعة التي ثبتت في العرضة الأخيرة.

٦- إجماع الصحابة على صحته ودقته، وعلى سلامته من الزيادة والنقصان، وتلقيهم له بالقبول والعناية، حتى قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، فإنه أول من جمع بين اللوحين"[2].

---

(١) انظر: تاريخ الطبري ج٣، ص٣٤٣-٤١٩، وأضواء على سلامة المصحف الشريف ٧١، ٧٢.

(٢) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص١١. وانظر المدخل لدراسة القرآن ص٢٧٣، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان ١٢٨.

فهذه السمات اجتمعت في الصحف التي جمعها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وإن وجدت مصاحف فردية لدى بعض الصحابة كمصحف علي بن أبي طالب ، ومصحف أبي بن كعب، ومصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم إلاّ أنها لم تكن على هذا النحو ولم تحظ بالتحري والدقة والجمع والترتيب، والاقتصار على القرآن، حيث كانت متضمنة تعليقات وشروحاً وأدعية ومأثورات كتبها الصحابة لأنفسهم، فهي خاصة بهم وباستطاعتهم تمييز القرآن من غيره، أما غيرهم فقد لا يستطيع ذلك.

المطلب الثامن: تسميته بالمصحف:

بعد أن أتم زيد جمع القرآن الكريم أطلق على هذا المجموع "المصحف"، فقد روى السيوطي عن ابن أشته في كتابه المصاحف أنه قال: "لما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق، قال أبو بكر: التمسوا له اسماً، فقال بعضهم: السِّفْر. وقال بعضهم: المصحف، فإن الحبشة يسمونه المصحف".

وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله وسماه "المصحف"[1].

وعلى أي حال فإن المصحف يطلق على مجموع الصحائف المدون فيها القرآن الكريم، أما القرآن فهو الألفاظ ذاتها.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ج١، ص١٨٥ النوع السابع عشر.

المطلب التاسع : خبر هذا المصحف :

دل الحديث السابق الذي أخرجه البخاري على أن الصحف التي جمع فيها القرآن سلمت إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فحفظها عنده، حتى توفي سنة ١٣هـ ، ثم آلت إلى أمير المؤمنين من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حتى توفي سنة ٢٣هـ ، وبعد وفاته بقيت عند ابنته حفصة بنت عمر أم المؤمنين رضي الله عنها، لأن عمر رضي الله عنه جعل أمر الخلافة من بعده شورى، فبقيت عندها إلى أن طلبها عثمان بن عفان رضي الله عنه لنسخها، ثم أعادها إليها مرة أخرى، وبقيت عندها حتى أرسل مروان بن الحكم[١] يسألها إياها فامتنعت، ولما توفيت أرسل مروان إلى أخيها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما –ساعة رجعوا من جنازة حفصة– ليُرْسِلَنّ إليه بتلك الصحف، فأرسل بها إليه ، فأمر بها مروان فشققت، فقال مروان: "إنما فعلتُ هذا، لأن ما فيها قد كتب، وحفظ بالمصحف، فخشيت إن طال بالناس زمان أن

---

(١) مروان بن الحكم قام بالشام بعد بيعة ابن الزبير بأشهر، فبايعه جماعة من أهل الشام سنة ٦٤هـ، ثم مات في رمضان سنة ٦٥هـ، فكانت ولايته تسعة أشهر وعشرين يوماً، وتولى بعده ابنه عبد الملك بن مروان انظر: "تلقيح فهوم أهل الأثر" لابن الجوزي ص٨٥.

يَرْتاب في شأن هذه الصحف مرتاب، أو يقول: إِنه قد كان شيء منها لم يكتب"[1].

---

(١) انظر: المرشد الوجيز ص٥٢، وتاريخ القرآن للأبياري ص٨٨، ٨٩.

المبحث الخامس: جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه

عندما جمع أبو بكر الصديق رضي الله عنه القرآن الكريم كان الهدف الأساس منه كتابة القرآن الكريم في مصحف واحد مسلسل الآيات مرتب السور، ولم يكن من أهدافه القضاء على المصاحف الخاصة التي جمع فيها بعض الصحابة القرآن الكريم لأنفسهم والتي تضم بعض التفسيرات والأدعية والمأثورات ونحوها، وهم يعلمون أنها ليست من القرآن، أو تركوا تدوين سورة وهم يعلمون أنها من القرآن[1].

فتعدد المصاحف الخاصة بجوار مصحف أبي بكر، وانتشار القراء في الأمصار نتيجة اتساع الفتوحات الإسلامية، وأخذ كل مصر القراءة ممن وفد إليه من الصحابة، حيث كان كل صحابي يُعَلِّم بالحرف الذي تلقاه من الأحرف السبعة التي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم. أقول: إن ذلك تسبب في تعدد القراءات واختلاف القراء.

فكان أهل الشام يقرؤون بقراءة أبيّ بن كعب رضي الله عنه.

وأهل العراق يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن ص٤٧-٤٩، والمدخل إلى تفسير القرآن وعلومه ص١١٦.

وغيرهم يقرؤون بقراءة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء، ووجوه القراءة، فكان إذا ضمهم مجمع أو موطن من مواطن الغزو عجب البعض من وجود هذا الاختلاف حتى كاد الأمر يصل إلى النزاع والشقاق بينهم وإنكار بعضهم على بعض وبخاصة من الذين لم يسمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة القراءات القرآنية.

أخرج ابن أبي داود عن أيوب عن أبي قلابة قال: "لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين، قال أيوب: لا أعلمه إلا قال: حتى كفر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان فقام خطيباً فقال: أنتم عندي تختلفون فيه فتلحنون، فمن نأى عني من الأمصار أشد فيه اختلافاً وأشد لحناً، اجتمعوا يا أصحاب محمد واكتبوا للناس إماماً"(١).

وممن لاحظ الاختلاف في الأمصار حذيفة بن اليمان رضي الله عنه المتوفى سنة ٣٦هـ حيث شارك في فتح "أرمينية، وأذربيجان" سنة ٢٥هـ الذي اشترك فيه أهل الشام وأهل العراق، فرأى اختلافاً كثيراً بين المسلمين في وجوه القراءة، وسمع ما كان يحصل بينهم من تجريح وتأثيم بعضهم البعض، وقرر الركوب إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان

---

(١) الأثر أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص٢١.

لإخباره بما رأى. أخرج البخاري -قصة ذلك- في الحديث الذي رواه أنس بن مالك حيث قال: "إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح "أرمينية، وأذربيجان" مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف نَنْسَخُها في المصاحف ثم نردُّها إليكِ فأرسلت بها حفصة إلى عثمان. فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام. فنسخوها في المصاحف. وقال للرهط القرشيين الثلاثة: "إذا اختلفتم أنتم وزيدُ بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم" ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق"[1].

فأفادت هذه الروايات وغيرها عدة أمور أوجزها في المطالب التالية:

المطلب الأول: فكرة الجمع:

لما سمع عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ما سمع، وأخبره حذيفة

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن. صحيح البخاري ج٦، ص٩٩.

بما رآه، جمع -رضي الله عنه- أعلام الصحابة واستشارهم في علاج هذه الفتنة وذلك الاختلاف، فأجمعوا أمرهم على ثلاثة أمور:

١- أن تنسخ الصحف الأولى التي جمعها زيد بن ثابت في عهد أبي بكر الصديق في مصاحف متعددة.

٢- أن ترسل نسخة إلى كل مصر من الأمصار فتكون مرجعاً للناس منه يقرؤون ويُقرئون وإليه يحتكمون عند الاختلاف.

٣- أن يحرق ماعدا هذه النسخ.

ثم شرع عثمان بن عفان -رضي الله عنه- في تنفيذ هذه الأمور وكان ذلك في أواخر سنة ٢٤هـ وأوائل سنة ٢٥هـ[١] حيث عهد إلى لجنة من الصحابة من خيرة الحفاظ والكتاب مؤلفة من أربعة أشخاص هم:

١- زيد بن ثابت الأنصاري الخزرجي أحد كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي كلفه أبو بكر الصديق رضي الله عنه بجمع المصحف في عهده. توفي سنة ٤٢هـ وقيل ٤٣هـ وقيل ٤٥هـ[٢].

٢- عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي، أحد العبادلة الذين اشتهروا بالعلم، وعنوا بحفظ القرآن الكريم. توفي سنة ٧٣هـ[٣].

---

(١) انظر: فتح الباري ج٩، ص١٧.

(٢) انظر: الإصابة ج٤، ص٤١.

(٣) انظر: الإصابة ج٦، ص٨٣.

٣- سعيد بن العاص القرشي الأموي، كان من فصحاء قريش، ومما قيل فيه: إن عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد بن العاص.

لأنه كان أشبه الصحابة بلهجة رسول الله صلى الله عليه وسلم. توفي سنة ٥٣هـ[١].

٤- عبد الرحمن بن الحارث بن هشام القرشي المخزومي كان من أشراف قريش، نشأ في حجر عمر، وتزوج بنت عثمان رضي الله عنهم مات سنة ٤٣هـ[٢].

ويلاحظ أن زيد بن ثابت هو الأنصاري الوحيد أما الثلاثة الآخرون فهم قرشيون، وكان نصيبهم كبيراً، لأن القرآن نزل بلغة قريش.

وتشير بعض الروايات إلى أن الذين ساهموا في نسخ المصاحف اثنا عشر رجلاً. حيث أخرج ابن أبي داود عن محمد بن سيرين عن كثير ابن أفلح قال: "لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار فيهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت"[٣].

والظاهر أنه لا تنافي بين رواية البخاري التي اقتصرت على ذكر الأربعة وبين الروايات الأخرى التي أضافت إليهم خمسة أو سبعة، فرواية البخاري حددت اللجنة الأساسية، والروايات الأخرى أضافت

---

(١) انظر: الإصابة ج٤، ص٤١.

(٢) انظر: الإصابة ج٦، ص٨٣.

(٣) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص٢٥.

إليهم ممن ساعدهم بالإملاء والكتابة[1].

المطلب الثاني: سبب جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

بينت لنا الروايات السابقة أن سبب جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان يمكن إرجاعه إلى ما يلي:

١- رفع الاختلاف والتنازع في القرآن الكريم، وقطع المراء فيه، وذلك باعتماد القراءات المتواترة التي يمكن أن يقرأ بها القرآن الكريم.

٢- حماية النص القرآني من أي إضافة أو نقص نتيجة وجود عدد من المصاحف بأيدي الصحابة حيث اشتملت على ما ليس بقرآن كالشروح والتفاسير، أو لم يكتب فيها بعض السور لعدم حاجتهم لكتابتها مع علمهم بأنها من القرآن[2].

المطلب الثالث: منهج جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

حينما عزم عثمان بن عفان -رضي الله عنه- على جمع القرآن الكريم وعيّن اللجنة التي تباشر هذا العمل حدّد لها خطوات العمل الذي يمكن إيجازها بما يلي:

---

(١) انظر جمع القرآن ١٣٢، وعلوم القرآن لنور الدين عتر ١٧٤.

(٢) انظر: مدخل إلى القرآن الكريم لدراز ص٤٣، ومدخل إلى تفسير القرآن وعلومه لزرزور ص١٢٠، والمدخل لدراسة القرآن ص ٢٧٨.

١- اعتباره الصحف التي جمعها زيد بن ثابت -رضي الله عنه- في عهد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- أساساً في نسخ المصاحف حيث أمر عثمان بن عفان -رضي الله عنه- بإحضارها من حفصة بنت عمر أم المؤمنين حيث قال لها: "أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك".

٢- إشراف عثمان بن عفان -رضي الله عنه- المباشر على الجمع حيث كان يتفقد اللجنة باستمرار، ويتعاهدهم على الدوام. أخرج ابن أبي داود بإسناده عن كثير بن أفلح أنه قال: "وكان عثمان يتعاهدهم، فكانوا إذا تدارؤوا في شيء أخروه"(١).

٣- رجوع اللجنة إلى الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- فيما يحتاجون إليه للتأكد من كتابته وكيفية ذلك. أخرج البخاري أن ابن الزبير (أحد أعضاء اللجنة) قال: قلت لعثمان بن عفان: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا ﴾ (البقرة: ٢٤٠) قال: قد نسختها الأخرى، قلت: فلِمَ تَكْتُبُها؟ أَوتَدَعُها؟ قال: يا بن أخي لا أغير شيئاً من مكانه"(٢).

٤- استيثاق اللجنة مما يكتبونه وبخاصة فيما تعددت فيه القراءة

---

(١) الأثر أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص٢٥.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب (والذين يتوفون منكم). صحيح البخاري ج٥، ص١٦٣.

حيث كانوا يسألون مشاهير الصحابة عن كيفية القراءة به لا عن قرآنيته، فإن ذلك عرف في جمع أبي بكر، لأنه -رضي الله عنه- أراد أن تكتب المصاحف في مجموعها على جميع القراءات التي قرأها الرسول صلى الله عليه وسلم، ليقضي على الفتنة التي حدثت بين المسلمين، بسبب جهلهم هذه القراءات.

٥- أن الكتابة تمت بشكل يجمع ما ثبت من الأحرف السبعة في العرضة الأخيرة على أن يكتب بدون تكرار الكلمات، واتفقوا على رسم الكلمات التي بها عدة أوجه بطريقة تجعلها محتملة لأن تقرأ بكل تلك الأوجه، وقد ساعد على ذلك عدم ا لتشكيل، وعدم التنقيط. قال ابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ: "وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن هذه المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم على جبرائيل عليه السلام، متضمنة لها لم تترك حرفاً منها" إلى أن قال "وهذا القول هو الذي يظهر صوابه، لأن الأحاديث الصحيحة والآثار المشهورة المستفيضة تدل عليه وتشهد له...".

ثم قال: "فكتب الصحابة المصاحف على لفظ لغة قريش والعرضة الأخيرة، وجردوا المصاحف عن النقط والشكل لتحتمله صورة ما بقي

من الأحرف السبعة"[1].

٦- عند اختلاف اللجنة في كتابة كلمة فإنهم يكتبونها بحرف قريش. حيث قال عثمان بن عفان -رضي الله عنه- للرهط القرشيين الثلاثة: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم"[2].

فالمقصود بالاختلاف هنا من حيث الرسم والكتابة، لا من حيث الألفاظ والكلمات، ويدل عليه قوله: "فاكتبوه" فيكون المعنى: إذا اختلفتم أنتم وزيد في رسم كلمة، فاكتبوها بالرسم الذي يوافق لغة قريش ولهجتها[3].

المطلب الرابع: نشر عثمان بن عفان المصاحف في الأمصار:

بعد أن تم العمل بنسخ المصاحف، أعاد عثمان بن عفان -رضي الله عنه- الصحف إلى حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، وأمر بتوزيع المصاحف على الأمصار؛ ليقضي على التنازع والاختلاف في قراءة القرآن الكريم، فأرسل إلى كل مصر من الأمصار بمصحف من المصاحف التي نسخت، واحتفظ عنده بمصحف سمي "المصحف الإمام"[4].

---

(١) النشر في القراءات العشر ج١، ص٣١.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) راجع في هذا الموضوع: المقنع في رسم المصاحف للداني، في رحاب القرآن ١: ١٥٣، معجم القراءات القرآنية ١: ٤٥.

(٤) الأحرف السبعة ٢٧٢، دراسات حول القرآن لبدران أبو العينين ٧٦-٨٠.

وقد وقع الاختلاف في عدد هذه المصاحف:

١- فقيل: إنها ثمان نسخ، ذكر ذلك ابن الجزري عن عثمان قال: "فكتب منها عدة مصاحف: فوجه بمصحف للبصرة، ومصحف إلى الكوفة، ومصحف إلى الشام، وترك مصحفاً بالمدينة، وأمسك لنفسه مصحفاً -الذي يقال له الإمام- ووجه بمصحف إلى مكة، ومصحف إلى اليمن، ومصحف إلى البحرين"[١].

٢- وقيل: إنها أربع نسخ، قال أبو عمرو الداني: "أكثر العلماء على أن عثمان لما كتب المصاحف جعلها على أربع نسخ، وبعث إلى كل ناحية واحدا: الكوفة، والبصرة، والشام، وترك واحداً عنده[٢].

٣- وقيل: إنها خمس نسخ، قال ابن حجر: "فالمشهور أنها خمسة"[٣] وقرره السيوطي في الإتقان[٤].

وعلى أي حال فإن الجميع يكاد يتفق على خمسة وهي:

الكوفي، والبصري، والشامي، والمدني العام، والمدني الخاص، الذي حبسه عثمان لنفسه وهو المسمى بالإمام.

---

(١) النشر لابن الجزري ١: ٧.

(٢) المقنع ص١٠.

(٣) فتح الباري ج٩، ص١٨.

(٤) انظر الاتقان ج١، ص٢١١ النوع الثامن عشر.

والتي محل خلاف ثلاثة هي: المكي، ومصحف البحرين، واليمن. وإن كان بعضهم أضاف مصر.

ولم يكتف عثمان -رضي الله عنه- بتوجيه هذه المصاحف إلى تلك البلدان، وإنما اختار حفاظاً يثق بهم فأرسلهم إليها ليقرئوا أهل البلد المرسل إليهم مع ملاحظة أن تكون قراءته موافقة لخط المصحف.

١- فأمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمصحف المدني.

٢- وبعث عبد الله بن السائب المتوفى سنة ٧٠هـ مع المصحف المكي.

٣- وبعث المغيرة بن شهاب المتوفى سنة ٩١هـ مع المصحف الشامي.

٤- وبعث أبا عبد الرحمن السلمي المتوفى سنة ٧٢هـ مع المصحف الكوفي.

٥- وبعث عامر بن قيس مع المصحف البصري[1].

المطلب الخامس: حرق الصحف والمصاحف الأخرى ورضا الصحابة عن ذلك:

بعد أن أرسل عثمان -رضي الله عنه- المصاحف التي تم نسخها إلى الأمصار، أمر بما سواها مما كان بأيدي الناس أن يحرق، كما في حديث أنس السابق الذي أخرجه البخاري: "فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو

---

(١) انظر: المدخل لدراسة القرآن ص٢٨٠، ٢٨١. ومناهل العرفان ج١، ص٤٠٣، ٤٠٤.

مصحف أن يحرق" . وقد استجاب الصحابة كلهم لذلك، وقاموا بحرق مصاحفهم، حتى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فإنه بعد أن امتنع في أول الأمر رجع طواعية لما علم صواب ذلك، وأن مصلحة الأمة فيما فعله عثمان .

وقد أشار إلى ذلك ابن أبي داود في كتاب المصاحف حيث عقد له باباً سماه : رضاء عبد الله بن مسعود لجمع عثمان رضي الله عنه المصاحف[١] .

وأخرج أيضاً عن سويد بن غفلة قال : قال علي حين حرق عثمان المصاحف : لو لم يصنعه هو لصنعته[٢] .

وأخرج أيضاً عن مصعب بن سعد قال : "أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك، وقال : لم ينكر ذلك منه أحد[٣] .

وجاء في المصاحف عن سويد بن غفلة أنه قال : "والله لا أحدثكم إلاّ شيئاً سمعته من علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– سمعته يقول : "يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً في المصاحف وإحراق المصاحف، فو الله ما فعل الذي فعل في المصاحف

---

(١) المصاحف ص١٨ .

(٢) المصاحف ص١٢ .

(٣) المصاحف ص١٢ .

إلا عن ملأ منا جميعاً. " ثم قال: قال علي: والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل[1].

ونقل أبو شامة عن البيهقي في جمع عثمان: "وذلك كله بمشورة من حضره من علماء الصحابة -رضي الله عنهم- ، وارتضاه علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، وحمد أثره فيه"[2].

وهكذا استطاع عثمان بن عفان -رضي الله عنه- بهذا العمل الجبار أن يزيل جذور الخلاف، ويجمع الأمة عبر كل العصور -منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم حتى عصرنا الحاضر- على التزام المصحف الذي أجمعوا عليه، وحمد له المسلمون ذلك العمل. قال الزركشي: "ولقد وفق لأمر عظيم ورفع الاختلاف، وجمع الكلمة، وأراح الأمة"[3].

المطلب السادس: خبر هذه المصاحف:

اعتنت الأمة الإسلامية بهذه المصاحف العثمانية فاتخذتها أصولاً يؤخذ منها، وأئمة يقتدى بها في كتابة المصاحف جيلاً بعد جيل.

---

(١) المصاحف لابن أبي داود ص٢٢، ٢٣، وانظر: الجامع لأحكام القرآن ج١، ص٥٤، وفتح الباري ج٩، ص١٨.

(٢) المرشد الوجيز ص٦٢، وانظر السنن الكبرى للبيهقي ج٢، ص٤١، ٤٢.

(٣) البرهان في علوم القرآن ج١، ص٢٣٩.

أما عن هذه المصاحف بذاتها فقد ذكر بعض الرحالة والمؤرخين عن رؤيتهم لبعض منها.

فيحدثنا ابن جبير المتوفى سنة ٦١٤هـ في رحلته إلى الشام عندما زار جامع دمشق حيث ذكر أنه رأى في الركن الشرقي من المقصورة الحديثة في المحراب خزانة كبيرة فيها مصحف من مصاحف عثمان، وهو الذي أرسله إلى الشام[١].

كما أشار ابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩هـ إلى رؤيته له في رحلته إلى الشام[٢].

كما رأى النسخة نفسها ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ حيث قال: "وأما المصاحف العثمانية الأئمة، فأشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق –عند الركن، شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله– وقد كان قديماً في "طبريَّة"، ثم نقل منها إلى دمشق في حدود ثمان عشرة وخمسمائة ٥١٨هـ، وقد رأيته كتاباً عزيزاً جليلاً عظيماً ضخماً، بخط حسن مبين، قوي، بحبر محكم، في رق أظنه من جلود الإبل، والله أعلم"[٣].

واستمر هذا المصحف محفوظاً في الجامع الأموي إلى أوائل القرن الرابع عشر الهجري، ثم فقد هذا المصحف:

---

(١) رحلة ابن جبير ص٢٤٢.

(٢) رحلة ابن بطوطة ج١، ص٥٤.

(٣) فضائل القرآن لابن كثير من تفسير القرآن العظيم ج١، ص٣٤.

فبعضهم يرى أنه احترق عندما احترق الجامع الأموي. يقول محمد كرد علي في حديثه عن الجامع الأموي: "حتى إذا كانت سنة ١٣١٠هـ سرت النار إلى جذوع سقفه، فالتهمتها في أقل من ثلاث ساعات، فدثر آخر ما بقي من آثاره ورياشه، وحرق فيه مصحف كبير بالخط الكوفي، كان جيء به من مسجد عتيق في بصرى، وكان الناس يقولون: إنه المصحف العثماني[١]، وبعضهم يرى أنه نقل إلى إنجلترا[٢].

وفي مصر الآن مصاحف أثرية، يقال إنها مصاحف عثمانية -في المسجد الحسيني، ودار الكتب المصرية- ولكن يستبعد ذلك لوجود زركشة وزينة ونقوش فاصلة بين السور، وعلامات لبيان أعشار القرآن، ولا شك أن المصاحف العثمانية كانت خالية من كل هذا، ومن النقط والشكل[٣].

وعلى أي حال فإن فقد هذه المصاحف لا يقلل من ثقتنا بما تواتر واستفاض نقله من المصاحف، ثقة عن ثقة وإماماً عن إمام، وسواء أوجدت هذه المصاحف أم لم توجد فإنا على يقين بسلامة القرآن الكريم من الزيادة أو النقصان[٤].

---

(١) خطط الشام لمحمد كرد علي ج٥، ص٢٦٢.

(٢) انظر: مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص٨٨.

(٣) انظر: مناهل العرفان ج١، ص٤٠٤.

(٤) مدخل إلى القرآن لدراز ص٤٠.

وهكذا سجلت الأمة الإسلامية بحفظها القرآن الكريم في الصدور والسطور منذ نزول القرآن الكريم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم بصنيع أبي بكر، ثم بصنيع عثمان بن عفان رضي الله عنهم، مزية ليست لأمة غيرها، نقلوه عن الأصل المكتوب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومقابلة ذلك بما حفظوه في صدورهم، وبذلوا فيه كل عوامل الدقة والاستيثاق، فجاء كاملاً، محفوظاً، عزيزاً، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩). وقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت: ٤١، ٤٢).

الخاتمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه وبعد:

فقد تناول هذا البحث معنى جمع القرآن الكريم في اللغة والاصطلاح، والمقصود بحفظ القرآن الكريم، ثم مراحل كتابته زمن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين.

وظهر فيه ما يلي:

أولاً: أن القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله له منذ أن كان في السماء، وفي طريقه إلى الأرض، وحين نزل إلى الأرض.

ثانياً: أن كتابة القرآن الكريم زمن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين مرت بمراحل ثلاث، كل مرحلة لها سمتها وخصائصها أوجزها بما يلي:

١- المراد بجمع القرآن الكريم في العهود الثلاثة:

- في عهد النبي صلى الله عليه وسلم: حِفْظُه عن ظهر قلب، وكتابته على الأدوات المتوافرة ذلك الوقت.

- في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه: كتابة القرآن الكريم في مصحف واحد مسلسل الآيات مرتب السور.

- في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه: نسخ المصحف الذي كتب في عهد أبي بكر في مصاحف متعددة.

٢- سبب الجمع:

- في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لمجرد كتابته وحفظه.

- في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه خشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته، حين كثر القتل بالقراء.

- في عهد عثمان رضي الله عنه لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة فأراد حسم هذا الخلاف بجمعهم على مصحف واحد.

٣- ترتيب الآيات في سورها:

قدر مشترك في العهود الثلاثة، إلا أنه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يربطها رابط، لعدم تجانس الأشياء المكتوبة فيها.

٤- ترتيب السور كتابةً:

في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن مرتبة كتابة.

وفي عهد أبي بكر وعثمان -رضي الله عنهما- فقد كانت مرتبة في جمعهما.

٥- تجريد الكتابة من المنسوخ تلاوة:

قدر مشترك في العهود الثلاثة :

ففي عهد النبي صلى الله عليه وسلم، لئلا يلتبس الناسخ بالمنسوخ.

وفي عهد أبي بكر؛ فلأن نزول القرآن قد اكتمل.

وفي عهد عثمان، فلأن المصاحف قد نسخت من مصحف أبي بكر وكانت خالية منه.

٦- كتابة القرآن في مكان واحد:

في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان غير مجموع في موضع واحد.

وفي عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما كتب في مكان واحد.

٧- تجريد الكتابة من النقط والشكل:

قدر مشترك في العهود الثلاثة؛ لعدم وجودهما ذلك الوقت، وأفاد في كتابة القرآن الكريم بشكل يجمع القراءات المتعددة.

فهرس المصادر

١- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٤م.

٢- الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن حجر العسقلاني، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٨هـ.

٣- أضواء على سلامة المصحف الشريف من النقص والتحريف د. زيد عمر مصطفى، نشر: مركز البحوث التربوية بجامعة الملك سعود سنة ١٤١٤هـ.

٤- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير، نشر: مكتبة المعارف بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧م.

٥- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار المعرفة بيروت.

٦- البيان في مباحث من علوم القرآن، عبد الوهاب غزلان مطبعة دار التأليف.

٧- تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار المعارف بالقاهرة، الطبعة الثالثة.

٨- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر نشر: دار التراث بالقاهرة.

٩- ترتيب القاموس المحيط للفيروزابادي، ترتيب: الطاهر الزاوي، نشر: دار الكتب العلمية سنة ١٣٩٩هـ.

١٠- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي السلامة، نشر: دار طيبة بالرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ.

١١- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، لأبي الفرج ابن الجوزي، نشر: مكتبة الآداب بالقاهرة.

١٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٨هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

١٣- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، نشر: دار الكتاب العربي سنة ١٣٨٧هـ.

١٤- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، نشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨هـ.

١٥- جمال القراء وكمال الإقراء، لعلم الدين السخاوي، تحقيق: د. علي حسين البواب، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ.

١٦- جمع القرآن بين الحقائق الثابتة والشبهات الهابطة د. جمال مصطفى، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ.

١٧- خطط الشام لمحمد كرد علي.

١٨- دراسات حول القرآن لبدران أبو العينين بدران، نشر: مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية.

١٩- ديوان حسان بن ثابت، نشر: عبد الرحمن البرقوقي.

٢٠- رحلة ابن بطوطة، مطبعة التقدم بمصر، الطبعة الثانية.

٢١- رحلة ابن جبير، نشر: دار صادر، ودار بيروت سنة ١٣٨٤هـ.

٢٢- سنن الدارمي، لأبي محمد عبد الله الدارمي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم، نشر: حديث أكادمي بالباكستان سنة ١٤٠٤هـ.

٢٣- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث، دراسة وفهرسة: كمال الحوت، نشر: دار الجنان بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ.

٢٤- سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار الفكر بيروت.

٢٥- الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٢هـ.

٢٦- صحيح البخاري، نشر: المكتبة الإسلامية بإستانبول سنة ١٩٧٩م.

٢٧- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار الإفتاء بالرياض سنة ١٤٠٠هـ.

٢٨- الضوء المنير على التفسير (تفسير ابن قيم الجوزية) جمع: علي الحمد الصالحي، نشر: مؤسسة النور بالرياض.

٢٩- علوم القرآن لنور الدين عتر، نشر: دار الخير، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ.

٣٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن حجر العسقلاني، نشر: دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية.

٣١- فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي، نشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ.

٣٢- في رحاب القرآن الكريم، د. محمد سالم محيسن، نشر: مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٤٠٠هـ.

٣٣- الكامل في التاريخ لابن الأثير، نشر: دار الكتاب العربي بيروت.

٣٤- كُتَّاب الوحي د. أحمد عبد الرحمن عيسى، نشر دار اللواء، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ.

٣٥- الكشاف لجار الله الزمخشري، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، نشر: مكتبة العبيكان.

٣٦- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين بن منظور، نشر: دار الفكر بيروت.

٣٧- مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح، نشر: دار العلم للملايين، الطبعة التاسعة سنة ١٩٧٧م.

٣٨- مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، نشر: مكتبة المعارف بالرياض سنة ١٤١٣هـ.

٣٩- المدخل إلى تفسير القرآن وعلومه د. عدنان محمد زرزور نشر: دار القلم دمشق والدار الشامية بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ.

٤٠- مدخل إلى القرآن الكريم د. محمد عبد الله دراز، نشر: دار القلم بالكويت سنة ١٤٠٤هـ.

٤١- المدخل لدراسة القرآن الكريم د. محمد أبو شهبة، نشر: دار اللواء بالرياض، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٧هـ.

٤٢- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة المقدسي، تحقيق: طيار قولاج، نشر: دار صادر بيروت سنة ١٣٩٥هـ.

٤٣- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، نشر: دار المعرفة بيروت.

٤٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، نشر: المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٣هـ.

٤٥- المصاحف لعبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث، نشر: مؤسسة قرطبة بمصر.

٤٦- المصباح المضي في كتاب النبي العربي، لابن حديدة الأنصاري، طبع دائرة المعارف العثمانية بالهند سنة ١٣٩٦هـ.
٤٧- معجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار، وعبد العال مكرم، نشر: جامعة الكويت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨هـ.
٤٨- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، نشر: مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٩- مفاتيح الغيب للفخر الرازي، نشر: دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ.
٥٠- المفردات للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، سنة ١٣٨١هـ.
٥١- المقنع لأبي عمرو الداني تحقيق: محمد أحمد دهمان، نشر: دار الفكر دمشق.
٥٢- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة، الطبعة الثالثة.
٥٣- موجز علوم القرآن د. داود العطار، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩هـ.
٥٤- الموطأ للإمام مالك بن أنس، تخريج: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي بيروت سنة ١٤٠٦هـ.
٥٥- النبأ العظيم، د. محمد عبد الله دراز، نشر: دار القلم بالكويت، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠هـ.

٥٦- النشر في القراءات العشر لابن الجزري، نشر: دار الكتب العلمية بيروت.

٥٧- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، نشر: دار الباز بمكة المكرمة.

الفهرس

الموضوع الثالث :

العناية بالقرآن الكريم وعلومه من بداية القرن الرابع الهجري إلى عصرنا الحاضر

العِنَايَةُ بالقُرآن الكَرِيم وَعُلُومِهِ

من بداية القرن الرّابع الهجري إلى عصرنا الحاضر

إعداد

د. نبيل بن محمّد آل إسماعيل

وكيل قسم القرآن وعلومه بكلّية أصول الدّين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة

بالرّياض

المقدمة

الحمد لله تكفل بحفظ كتابه ورفعة حملته وأهله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في أسمائه وصفاته وملكه وعبادته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أنزل عليه أعظم رسالاته فاجتهد في عبادته وترتيلاته، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أهل القرآن في كتابته وتلاواته وسلم تسليماً.

أما بعد:

فإن شرف أي علم يكون بمصدره ومحتوياته ولا أشرف مما صدر عن الله من وحيه وكلماته، فالقرآن كلام الله حقيقة مبتدؤه ونهاياته.

لذا فإن علوم القرآن والقراءات أشرف العلوم وأجلها، بل وأفضلها على الإطلاق وأنفعها، لكون موضوعها كتاب الله، وغايتها الاعتصام بكلام الله، ولهذا الأمر اهتم الصحابة والتابعون ومن جاء بعدهم وسار على هديهم بهذا العلم، فأقبلوا على كتاب الله إقراءً ودراسة وتصنيفاً وتأليفاً -مختصرات ومطولات- كاشفين عن علومه وحقائقه، مظهرين من إعجازه وبيانه، مساهمين في حفظه من التحريف والاندراس- فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

وإسهاماً مني في المكتبة القرآنية وتأسياً بمن سبق الحديث عنهم رأيت أن أكتب بحثاً أوضح فيه مدى اهتمام علماء الإسلام بكتاب ربهم تعليماً وتأليفاً من القرن الرابع الهجري إلى العصر الحاضر.

ولأن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالمدينة المنورة قد طرح موضوعات حول خدمة المسلمين للقرآن الكريم، فقد وقع اختياري حول هذه الجزئية إسهاماً مني في خدمة القرآن الكريم بما يفيد إن شاء الله.

ويتكون البحث من مقدمة وفصلين وخاتمة على التفصيل التالي:

المقدمة: أهمية البحث وخطته.

الفصل الأول:

جهود المسلمين في تعليم القرآن والقراءات وأشهر العلماء في ذلك: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أشهر علماء القرآن والقراءات من القرن الرابع الهجري إلى القرن الرابع عشر.

المبحث الثاني: أشهر علماء القرآن والقراءات في العصر الحديث.

الفصل الثاني:

جهود المسلمين في التأليف في علوم القرآن والقراءات. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أشهر المؤلفات في علوم القرآن والقراءات من القرن الرابع إلى القرن الرابع عشر.

المبحث الثاني: أشهر المؤلفات في علوم القرآن والقراءات في العصر الحديث.

الخاتمة: أهم نتائج البحث.

الفصل الأول:
جهود المسلمين في تعليم القرآن والقراءات وأشهر العلماء في ذلك

وهو مكون من مبحثين:

المبحث الأول: أشهر علماء القرآن والقراءات من القرن الرابع الهجري وحتى القرن الرابع عشر:

عرفت المدرسة القرآنية منذ الحياة الأولى للإسلام، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقى الوحي عن ربه، ويقوم بتلقينه لصحابته فرادى وجماعات.

وكان هؤلاء الصحب الكرام يقبلون في حماسة وشغف على تلقي كتاب ربهم إعجاباً به، وإيماناً منهم بأن تلاوته ومدارسته والعمل به عبادة من أجلِّ العبادات، وقربى من أقرب القربات، ألم يخبرهم نبيهم الكريم بقوله: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"(١). وبقوله صلوات الله وسلامه عليه: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: الٓمٓ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف"(٢).

ولقد امتاز هذا الكتاب المعجز فيما امتاز به بيسر تلقيه وتلاوته، يقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر: ١٧).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ٦/١٠٨.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر ٥/١٦١.

بل جعل الله تبارك وتعالى من ميزاته أن يحفظ في الصدور ، كما يسجل في السطور ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ ... ﴾ (العنكبوت : ٤٩) . وبذلك تحول مسجد المدينة المنورة إلى مدرسة قرآنية أولى، كما تحولت دور المهاجرين والأنصار إلى مدارس قرآنية، فكانت حلقات القرآن يدوّي بها المسجد دوياً كدوي النحل، بل إن بيوت أصحاب رسول الله ﷺ ليصبح لها ذلك الدوي حين يرجع إليها أصحابها فيتدارسون القرآن، مع أزواجهم وأولادهم.

يقول صلوات الله وسلامه عليه : "إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار"(١).

ومع انتشار الإسلام وذيوعه انتشرت المدرسة القرآنية، وعلا شأنها وبعد أن كانت في المساجد تملأ حلقاتها، أصبحت غرفاً ملحقة بالمساجد تستقبل الناشئة من أطفال المسلمين، ليكون القرآن الكريم أول ما يقرع آذانهم، وتتفتح عليه قلوبهم من أنواع الدراسات المختلفة قبل أن ينتقلوا إلى مراحل العلوم بعد ذلك.

وقد انتشرت تلك المدارس حيث ينتشر الإسلام. فأينما وجدت الجماعة الإسلامية وجدت المدرسة القرآنية، لا فرق بين بلاد تنطق بالعربية، وبلاد لا تنطق بها.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب "غزوة خيبر" ٥ / ٨٠.

يقول ابن حزم: "مات رسول الله ﷺ والإسلام قد انتشر في جميع جزيرة العرب ، وفي هذه الجزيرة من القرى والمدن ما لا يعرف عدده إلا الله، كلهم قد أسلموا وبنوا المساجد، ليس فيها مدينة أو قرية، ولا حلة للأعراب إلا قرئ فيها القرآن في الصلوات وعلمه الصبيان والرجال والنساء. . .ثم مات أبو بكر وولي عمر ففتحت بلاد الفرس، وفتحت الشام والجزيرة ومصر، ولم يبق من هذه البلاد مدينة إلا وقد بنيت فيها المساجد، ونسخت المصاحف، وقرأ الأئمة القرآن، وتعلمه الصبيان في المكاتب شرقاً وغرباً"(١) .

وإذا كان بعض العلماء يعد عام (٤٥٩هـ) حداً فاصلاً بين عهدين في تاريخ المؤسسات التعليمية الإسلامية، ففي هذا العام أنشئت المدرسة النظامية في بغداد، مؤذنة ببداية عهد تعليمي جديد، انتقلت فيه أماكن التعليم من الكتاتيب والقصور والمساجد، ودور الحكمة، وحوانيت الورّاقين ومنازل العلماء، إلى المدارس المنظمة، فإن هذا لا يقلل من دور المسجد بوصفه أول مؤسسة انطلق منها شعاع العلم والتعليم في الإسلام على البشر كافة، حيث كان يلتقي فيه الطلاب بالعلماء: يناقشون، ويتحاورون فيما يعنّ لهم من مشكلات ومسائل فقهية، أو علمية بحتة، حتى قيل بحق: إن آلاف أعمدة المساجد التي كانت منتشرة في الإسلام كانت محاطة بآلاف من العلماء المسلمين ، وعشرات الآلاف من المتعلمين(٢) .

---

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ص ٦٦ .

(٢) انظر: الدور التربوي للمسجد د. فرغلي جاد ص ١٤٣ من مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الكويت – العدد السادس ١٤٠٦ هـ ربيع الأول.

ومنذ العهد الأول -عهد مدارس المساجد- انتشرت مدارس القرآن والقراءات في جميع الأقطار الإسلامية وصار التنافس العلمي الشريف دافعاً لطلاب تلك المدارس إلى التفوق والإبداع العلمي في مجال علم القراءات. وفيما يلي ذكر لأهم أولئك العلماء الأفذاذ مع تراجم مختصرة لهم، تبين مدى ما قاموا به من جهد في خدمة الكتاب العزيز.

أحمد بن فرح (ت ٣٠٣هـ)

هوأحمد بن فرح بن جبريل أبو جعفر البغدادي الضرير المقرئ المفسّر، قرأ على الدوري والبزي، وحدّث عن علي بن المديني، وأبي بكر بن أبي شيبة، وأبي الربيع الزهراني، وطائفة.

تصدر للإفادة زماناً، وبَعُدَ صيته، واشتهر اسمه لسعة علمه وعلو سنده، قرأ عليه زيد بن علي بن أبي بلال، وعبد الله بن محرز، وعلي ابن سعيد القزاز، وأبو بكر النقاش، وعبد الواحد بن أبي هاشم، وأحمد بن عبد الرحمن الولي، والحسن بن سعيد المطوعي، وآخرون. وحدث عنه أحمد بن جعفر الختلي، وابن سمعان الرزاز.

سكن الكوفة مدة، وحمل أهلها عنه علماً جماً، وكان ثقة مأموناً، توفي في ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثمائة، وقد قارب التسعين[1].

---

(١) انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي ١/ ٢٣٨، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ١/ ٩٥، ٩٦، وطبقات المفسرين: ١/ ٦٣ وشذرات الذهب ٢/ ٢٤١.

أبو بكر بن سيف (ت ٣٠٧هـ)

هو عبد الله بن مالك بن عبد الله بن سيف الدين أبو بكر التجيبي، المقرئ، المصري، شيخ الإقليم في القراءات في زمانه، قرأ القرآن على أبي يعقوب الأزرق عرضاً وسماعاً وعُمِّر دهراً طويلاً، وحدث عن محمد بن رمح صاحب الليث بن سعد وغيره.

قرأ عليه إبراهيم بن محمد بن مروان، ومحمد بن عبد الرحمن الظهراوي، وأبو بكر بن محمد بن عبد الله بن القاسم الخرقي، شيخ أبي علي الأهوازي، وأبو عدي عبد العزيز بن علي بن محمد بن إسحاق بن الإمام، وغيرهم.

وقد غلط فيه أبو الطيب بن غلبون فسماه محمداً وتبعه على ذلك ابنه أبو الحسن ومن تبعهما.

وكان شيخ الديار المصرية في زمانه، وانتهت إليه الإمامة في قراءة ورش. مات يوم الجمعة سنة سبع وثلاثمائة بمصر[1].

أبو بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)

هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي شيخ القراء في وقته، أبو بكر البغدادي العطشي، المقرئ الأستاذ مصنف كتاب "السبعة" ولد سنة خمس وأربعين ومائتين بسوق العطش من بغداد، وسمع الحديث من سعدان بن نصر، وأحمد بن منصور الرمادي،

---

(١) انظر: طبقات القراء للذهبي/ ٢٣١-٢٣٢، وغاية النهاية ١/ ٤٤٥، وشذرات الذهب ٢/ ٢٥١.

ومحمد بن عبدالله المخرمي وخلق، وقرأ القرآن على أبي الزعراء بن عبدوس وقنبل المكي، وسمع القراءات من طائفة كبيرة، مذكورين في صدر كتابه، وتصدر للإقراء وازدحم عليه أهل الأداء، ورحل إليه من الأمصار وبَعُدَ صيته، وأول من سبع السبعة.

قرأ عليه أبو طاهر عبدالواحد بن أبي هاشم، وصالح بن إدريس، وأبو عيسى بكر بن أحمد، وأبو بكر الشذائي، وأبو الفرج الشنبوذي، وأبو الحسين عبيدالله بن البواب، وعبدالله بن الحسين السامري، وأحمد بن محمد العجلى، وأبو علي بن حبش الدينوري، وأبو الفتح بن بدهن، وطلحة بن محمد بن جعفر، ومنصور بن محمد بن منصور القزاز وغيرهم.

قال أبو عمرو الداني: فاق ابن مجاهد في عصره، سائر نظائره من أهل صناعته، مع اتساع علمه، وبراعة فهمه، وصدق لهجته، وظهور نسكه، تصدر للإقراء في حياة محمد بن يحيى الكسائي الصغير.

توفي في شعبان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة[1].

المطوعي (ت ٣٧١هـ)

هو الشيخ الإمام، شيخ القراء، مسند العصر أبو العباس، الحسن بن سعيد بن جعفر العباداني المطوعي، ولد في حدود سنة سبعين ومائتين،

---

(١) كتاب السبعة لابن مجاهد، مقدمة شوقي ضيف، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٧/ ١٢٦ومعرفة القراء ١/ ٢٦٩-٢٧١ والبداية والنهاية لابن كثير ١١/ ١٩٧، وغاية النهاية ١/ ١٣٩-١٤٢.

وكان أحد من عني بهذا الفن وتبحر فيه، ولقي الكبار، وأكثر الرحلة في الأقطار، وكان أبوه واعظاً محدّثاً وكان سبباً في إعانته على الرحلة.

قرأ على إدريس بن عبدالكريم الحداد، ومحمد بن عبدالرحيم الأصبهاني، والحسين بن علي الأزرق الجمال، ومحمد بن القاسم الإسكندراني. وأحمد بن فرح المفسر، وإسحاق بن أحمد الخزاعي، وسمع الحديث من الحسن بن المثنى وإدريس بن عبدالكريم، وجعفر الفريابي، وطائفة.

وجمع، وصنف كتاب (اللامات وتفسيرها)، وعمر دهراً طويلاً، وانتهى إليه علو الإسناد في القراءات.

قرأ عليه أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي، وأبو الحسين علي بن محمد الخبازي، ومحمد بن الحسين الكارزيني، وغيرهم.

توفي سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، وقد جاوز المائة [1].

علي بن محمد بن إسماعيل (ت ٣٧٧هـ)

هو الإمام علي بن محمد بن إسماعيل بن بشر الأنطاكي، الإمام أبو الحسن التميمي، نزيل الأندلس ومقرئها، ومسندها.

قال الداني: أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن إبراهيم بن عبدالرزاق، ومحمد بن الأخرم، وأحمد بن يعقوب التائب، وأحمد بن محمد بن

---

(١) انظر: معرفة القراء ١/٣١٧-٣١٩، وسير أعلام النبلاء ١٦/٢٦٠، وغاية النهاية ١/٢١٣-٢١٥.

خشيش، ومحمد بن جعفر بن بيان، وصنف قراءة ورش [1].

قرأ عليه أبو الفرج الهيثم الصباغ، وإبراهيم بن مبشر المقرئ، وطائفة من قراء الأندلس، وسمع منه عبدالله بن أحمد بن معاذ الداراني[2].

قال أبو الوليد بن الفرضي: " أدخل الأندلس علماً جماً، وكان بصيراً بالعربية والحساب، وله حظ من الفقه، قرأ الناس عليه، وسمعت أنا منه وكان رأساً في القراءات لا يتقدمه أحد في معرفتها في وقته، وكان مولده بأنطاكية، سنة تسع وتسعين ومائتين، ومات بقرطبة في ربيع الأول سنة سبع وسبعين وثلاثمائة"[3]. وروى عنه الحروف أصبغ بن مالك الزاهد، وأحمد بن خالد، ومحمد بن أحمد ابن يحيى الإشبيلي وغيرهم. وكان زاهداً عالماً كبيراً صالحاً انتفع به أهل الأندلس[4].

---

(١) انظر: معرفة القراء ١ / ٣٤٤.

(٢) انظر: تاريخ علماء الأندلس لأبي الوليد بن الفرضي ص ٣١٦، وغاية النهاية ١ / ٥٦٤، ٥٦٥.

(٣) انظر: تاريخ علماء الأندلس ص ٣١٦.

(٤) انظر: المراجع السابقة هامش ١٢-١٤.

علي بن داود القطان (ت ٤٠٢هـ)

هو علي بن داود أبو الحسن الداراني القطان، إمام جامع دمشق ومقرئها.

قرأ القرآن بالروايات على طائفة، منهم: أبو الحسن بن الأخرم، وأحمد بن عثمان بن السباك، وسمع من خيثمة الأطرابلسي، وأبي علي الحصائري، وجماعة.

قرأ عليه رشأ بن نظيف، وعلي بن الحسن الربعي، وأحمد بن محمد الأصبهاني، وأبو علي الأهوازي، وتاج الأئمة أحمد بن علي المصري، وعبد الرحمن بن أحمد، شيخ الهذلي، وحدث عنه رشأ وغيره.

قال عبدالمنعم بن النحوي: خرج القاضي أبو محمد العلوي وجماعة من الشيوخ إلى "داريا"[1] إلى ابن داود، فأخذوه ليؤم بجامع دمشق في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، وجاؤوا به بعد أن منعهم أهل داريا، وتنافسوا، حتى قال أبو محمد عبدالرحمن بن أبي نصر: يا أهل "داريا" ألا ترضون أن يسمع في البلاد أن أهل دمشق احتاجوا إليكم في إمام، فقالوا: قد رضينا، فقدمت له بغلة القاضي فأبى، وركب حماره، ودخل معهم، فسكن في المنارة الشرقية، وكان يقرئ بشرقي الرواق الأوسط، ولا يأخذ على الإمامة رزقاً، ولا يقبل ممن يقرأ عليه براً، ويقتات من غلة أرض له "بداريا" ويحمل ما يكفيه من الحنطة، ويخرج بنفسه إلى الطاحون فيطحنه، ثم يعجنه ويخبزه.

---

(١) داريّا : قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة، انظر معجم البلدان ٢ / ٤٣١.

قال الكتاني: كان ثقة، انتهت إليه الرئاسة في قراءة الشاميين، توفي رحمه الله سنة اثنتين وأربعمائة[1].

مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ)

هو مكي بن أبي طالب، واسم أبي طالب "حموش" بن محمد بن مختار الإمام أبو محمد القيسي المغربي، القيرواني، ثم الأندلسي القرطبي، العلامة المقرئ.

ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة بالقيروان، وحج وسمع بمكة من أحمد بن فراس، وأبي القاسم عبيدالله السقطي.

قال صاحبه أبوعمر المهدي: "قرأ القراءات على أبي الطيب بن غلبون، وابنه طاهر، وأبي عبدالعزيز، وسمع من محمد بن علي الأذفوي.

كان رحمه الله من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية، حسن الفهم والخلق، جيد الدين والعقل، كثير التأليف في علوم القرآن، محسناً مجوداً، عالماً بمعاني القراءات، سافر إلى مصر، وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وتردد إلى المؤدبين بالحساب، وأكمل القرآن، ورجع إلى القيروان، ثم رحل فقرأ القراءات على ابن غلبون، سنة ست وسبعين، ثم حج سنة سبع وثمانين، وجاور ثلاثة أعوام، ودخل الأندلس سنة ثلاث وتسعين، وجلس للإقراء بجامع قرطبة، وعظم اسمه، وجل قدره"[2].

---

(١) انظر: معرفة القراء ١/ ٣٦٦، ٣٦٧، وغاية النهاية ١/ ٥٤١، ٥٤٢ وشذرات الذهب ٣/ ١٦٣.

(٢) انظر: معرفة القراء ١/ ٣٩٥.

قرأ عليه جماعة كثيرة منهم: محمد بن أحمد بن مطرف الكناني القرطبي، وعبدالله بن سهل، ومحمد بن عيسى المغامي، وحاتم بن محمد، وأبو الأصبغ ابن سهل، وأبو محمد بن عتاب، وغيرهم. وله تآليف مشهورة [١].

توفي رحمه الله في ثاني محرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة [٢].

أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)

هو العلامة عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي، مولاهم القرطبي الإمام المعلم، المعروف في زمانه بابن الصيرفي، وفي زمان الذهبي، بأبي عمرو الداني، لنزوله بدانية.

ولد سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، قال الداني: وابتدأت بطلب العلم في سنة ست وثمانين وثلاثمائة، ورحلت إلى المشرق سنة سبع وتسعين، فمكثت بالقيروان أربعة أشهر أكتب، ثم دخلت مصر فمكثت بها سنة، وحججت، ثم دخلت الأندلس في ذي القعدة سنة تسع وتسعين. وخرجت إلى الثغر سنة ثلاث وأربعمائة، فسكنت سرقسطة سبعة أعوام، ثم رجعت إلى قرطبة، قال: وقدمت دانية سنة سبع عشرة. فاستوطنها حتى مات.

---

(١) منها: التبصرة في القراءات السبع، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، وغيرها من الكتب.

(٢) انظر: معرفة القراء ١/٣٩٥، ٣٩٦، وغاية النهاية ٢/٣٠٩، ٣١٠.

أخذ القراءات عرضاً عن خلف بن إبراهيم بن خاقان، وأبي الحسن طاهر بن غلبون، وأبي الفتح فارس بن أحمد، وعبيدالله بن سلمة بن حزم وغيرهم.

قرأ عليه أبو إسحاق إبراهيم بن علي الفيسولي، وولده أحمد بن عثمان، والحسن بن علي بن مبشر، وخلف بن إبراهيم الطليطلي، وأبو داود سليمان بن نجاح وغيرهم[١].

أبو معشر الطبري (ت ٤٧٨ هـ)

هو عبدالكريم بن عبد الصمد بن محمد بن علي الطبري، المقرئ، القطان، مقرئ أهل مكة، قال الذهبي: "قرأ القراءات على أبي القاسم الزيدي بحران، وأبي عبدالله الكارزيني، وابن نفيس، وإسماعيل بن راشد الحداد، والحسين بن محمد الأصبهاني، وخلق"[٢].

وممن قرأ عليه الحسن بن خلف بن بليمة، صاحب تلخيص العبارات، وإبراهيم بن عبدالملك القزويني، وعبدالله بن منصور بن أحمد البغدادي، وعبدالله بن عمر بن العرجاء، ومحمد بن إبراهيم بن نعيم الخلف وغيرهم.

ألف كتاب التلخيص في القراءات الثمان، وكتاب سوق العروس فيه ألف وخمسمائة رواية وطريق، وكتاب الدرر في التفسير، وكتاب الرشاد في شرح القراءات الشاذة، وكتاب عنوان المسائل وكتاب

---

(١) انظر: معرفة القراء ١/٤٠٦-٤٠٩، وغاية النهاية ١/٥٠٣-٥٠٥.

(٢) انظر: معرفة القراء ١/٤٣٥، ٤٣٦، وغاية النهاية ١/٤٠١، وطبقات المفسرين ١/٣٣٨، ٣٣٩.

طبقات القراء، وكتاب الجامع في القراءات العشر[1].

توفي رحمه الله بمكة سنة ثمان وسبعين وأربعمائة [2].

عبدالقاهر بن عبد السلام المكي (ت ٤٩٣ هـ)

هو عبدالقاهر بن عبد السلام بن علي العباسي، الشريف أبو الفضل المكي، النقيب المقرئ قال الذهبي: "ولد سنة خمس وعشرين وقرأ بالروايات الكثيرة على أبي عبدالله محمد بن الحسين بن آذر الكارزيني، وطال عمره، وكان من آخر من مات من أصحاب الكارزيني، وكان نقيب بني هاشم بمكة ..."[3].

قال السمعاني: كان فقيه الهاشميين.

وقال أبو الفضل محمد بن محمد بن عطاف: رحمة الله على هذا الشريف، فلقد كان على أحسن طريقة سلكها الأشراف من دين مكين، وعقل رزين، قدم من مكة وسكن المدرسة النظامية، فأقرأ بها القرآن عن جماعة، وحدث. قرأ عليه دعوان بن علي وأبو محمد عبدالله بن علي سبط الخياط، وأبو الكرم الشهرزوري، وآخرون.

---

(١) حقق هذا الكتاب في رسالة علمية لدرجة الدكتوراه في الجامعة الإسلامية بتحقيق د/محمد سيدي الأمين.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) انظر: معرفة القراء ١/٤٤٧، وتاريخ الإسلام للذهبي (وفيات ٤٩٣) وغاية النهاية ١/٣٩٩.

توفي يوم الجمعة من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة من الهجرة [1].

الحسن بن عبدالله (ت ٥٤٧ هـ)

هو الحسن بن عبدالله بن عمر بن العرجاء أبو علي وقيل لأبيه (ابن العرجاء) لأن أمه كانت فقيهة عرجاء، عابدة، تقعد في المسجد الحرام في صف بعد صف ابنها.

قال الذهبي: "قرأ بمكة على والده، وعلى أبي معشر الطبري، وطال عمره، وقصده القراء لعلو سنده، قرأ عليه محمد بن أحمد بن معط الأوريولي، وأبو الحسن بن كوثر المحاربي، وأبو القاسم محمد بن وضاح (خطيب شقر) وآخرون.

وكان أبوه قد أدرك عند مجيئه من الغرب الشيخ أبا العباس بن نفيس، وأخذ عنه وعن عبد الباقي بن فارس بقي إلى حدود سنة خمسمائة بمكة، وبقي أبو علي هذا إلى حدود سبع وأربعين وخمسمائة" [2].

الشريف الخطيب (ت ٥٦٣ هـ)

هو ناصر بن الحسن بن إسماعيل الشريف، أبو الفتوح الزيدي الخطيب، مقرئ الديار المصرية.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: معرفة القراء ١/ ٤٨٧، وغاية النهاية ١/ ٢١٧.

قرأ بالروايات، على أبي الحسن علي بن أحمد الأبهري ومحمد بن عبدالله بن مسبح الفضي، وأبي الحسين يحيى بن الفرج الخشاب، وسمع من أبي الحسن محمد بن عبد الله بن أبي داود الفارسي، ثم المصري صاحب ابن نظيف، ومن ابن القطاع اللغوي، وغيرهم.

انتهت إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية، وكان من جلة العلماء في زمانه.

قرأ عليه بالروايات أبو الجود غياث بن فارس، وعبدالصمد بن سلطان بن قراقيش، وعبد السلام بن عبدالناصر بن عديسة، وأبو الجيوش عساكر بن علي، وآخرون.

وآخر من روى عنه سماعاً القاضي أبو الكرم أسعد بن قادوس. توفي رحمه الله يوم عيد الفطر سنة ثلاث وستين وخمسمائة[1].

الشاطبي (ت ٥٩٠هـ)

هو القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الشاطبي الرعيني، الضرير، العلامة، أحد الأعلام الكبار والمشتهرين في الأقطار، ولد في آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بشاطبة من الأندلس.

قرأ ببلده القراءات وأتقنها على أبي عبدالله محمد بن أبي العاص النفزي، ثم رحل إلى بلنسية بالقرب من بلده، فعرض بها التيسير من حفظه والقراءات على ابن هذيل، وسمع منه الحديث.

---

(١) انظر: معرفة القراء ٢/٥٢٥، ٥٢٦، وغاية النهاية ٢/٣٢٩، ٣٣٠، وحسن المحاضرة ١/٤٩٥.

ثم رحل للحج فسمع من أبي طاهر السلفي بالإسكندرية وغيره. ولما دخل مصر أكرمه القاضي الفاضل البيساني وعرف مقداره، وأنزله بمدرسته التي بناها بدرب الملوخية داخل القاهرة، وجعله شيخاً لها وعظمه تعظيماً كثيراً، ونظم قصيدتيه اللامية والرائية بها -أي بمصر- وجلس للإقراء، فقصده الخلائق من الأقطار، وكان إماماً كبيراً أعجوبة في الذكاء كثير الفنون، آية من آيات الله تعالى، غاية في القراءات حافظاً للحديث بصيراً بالعربية، إماماً في اللغة رأساً في الأدب مع الزهد والعبادة.

عرض عليه القراءات أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالصمد السخاوي، وهو أجل أصحابه، وأبو عبدالله محمد بن عمر القرطبي، والكمال علي بن شجاع الضرير -صهره- والزين محمد بن عمر الكردي، وأبو القاسم عبدالرحمن بن سعيد الشافعي، وعيسى بن يوسف بن إسماعيل المقدسي، وعلي بن موسى التجيبي، وعبدالرحمن بن إسماعيل التونسي وغيرهم.

وقد بارك الله في تصنيفه وأصحابه، توفي رحمه الله في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة بالقاهرة، ودفن بالقرافة بمقبرة القاضي الفاضل عبدالرحيم البيساني[1].

---

(١) انظر: معرفة القراء ٢/ ٥٧٣-٥٧٥، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٦١-٢٦٤، وغاية النهاية ٢/ ٢٠-٢٣.

علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣ هـ)

هو الإمام علي بن محمد بن عبدالصمد بن عبدالأحد، أبو الحسن الهمداني السخاوي، المقرئ المفسر النحوي، شيخ القراء بدمشق في زمانه.

ولد سنة ثمان أو تسع وخمسين وخمسمائة، وقدم من سخا[1]، فسمع من السلفي وأبي الطاهر بن عوف، وبمصر من أبي الجيوش عساكر بن علي، وهبة الله البوصيري، وغيرهم.

وأخذ القراءات عن أبي القاسم الشاطبي، وأبي الجود اللخمي وأبي اليمن الكندي وأقرأ الناس نيفاً وأربعين سنة، فقرأ عليه خلق كثير بالروايات، منهم: شهاب الدين أبو شامة، وشمس الدين أبو الفتح، وهو الذي تصدر للإقراء بعده بالتربة الصالحية، وزين الدين عبدالسلام الزواوي، ورشيد الدين أبو بكر بن أبي الدر، وتقي الدين يعقوب الجرائدي، وجمال الدين إبراهيم الفاضل وشمس الدين محمد الدمياطي وغيرهم.

وكان إماماً ومقرئاً محققاً، ونحوياً علامة مع بصره بمذهب الشافعي رضي الله عنه، ومعرفته بالأصول، وإتقانه للغة، وبراعته في التفسير، وإحكامه لضروب الأدب، وفصاحته بالشعر، وطول باعه في النثر مع الدين والمروءة والتواضع، وحسن الأخلاق وظهور الجلالة، وكثرة التصانيف، منها:

فتح الوصيد في شرح الشاطبية، وكتاب جمال القراء وكمال الإقراء، وغيرها من الكتب[2].

---

(١) سخا: بلدة مصرية تابعة لمحافظة كفر الشيخ.

(٢) انظر: معرفة القراء ١/ ٦٣١-٦٣٥، وغاية النهاية ١/ ٥٦٨-٥٧١، وطبقات المفسرين ١/ ٤٢٩-٤٣٢.

عبد الصمد بن أبي الجيش (ت ٦٧٦ هـ)

هو عبدالصمد بن أحمد بن عبدالقادر بن أبي الجيش، الأستاذ الكبير مجد الدين أبو أحمد البغدادي المقرئ، الحنبلي، شيخ الإقراء ببغداد.

قرأ القراءات على الفخر الموصلي، وجماعة كثيرة بعدة كتب، فأقدمهم وأعلاهم إسناداً الشيخ عبدالعزيز بن أحمد الناقد، قرأ عليه بالروايات العشر، عن قراءاته على أبي الكرم الشهرزوري.

وقرأ على ابن الدبيثي، وعبدالعزيز بن دلف، ومحمد بن أبي القاسم ابن سالم، ومحمد بن محمود الأزجي، وعلي بن خطاب الموفق الضرير، وإبراهيم بن الخير.

وأحكم القراءات، واعتنى بهذا الشأن، وسمع كثيراً من كتب القراءات. وسمع من عبدالعزيز بن الناقد، وأحمد بن صرما، والفتح بن عبدالسلام، وأجاز له أبو الفرج بن الجوزي.

قرأ عليه الشيخ إبراهيم الرقي الزاهد، والتقي أبو بكر الجزري المقصاتي، وأبو عبدالله محمد بن علي بن الوراق بن خروف الموصلي، وأبو العباس أحمد الموصلي، وجماعة.

وكان إماماً محققاً بصيراً بالقراءات، وعللها وغريبها، صالحاً ورعاً زاهداً كبير القدر، بعيد الصيت، توفي في ربيع الأول سنة ست وسبعين وستمائة[1].

---

(١) انظر: معرفة القراء ٢/ ٦٦٥-٦٦٧، وغاية النهاية ١/ ٣٨٧، ٣٨٨، وشذرات الذهب ٥/ ٣٥٣.

أبو جعفر بن الزبير (ت ٧٠٨هـ)

هو العلامة أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير، الإمام الأستاذ الحافظ أبو جعفر الثقفي العاصمي الغرناطي.

أحد نحاة الأندلس ومحدثيها، ولد أواخر سنة سبع وعشرين وستمائة.

قرأ على أبي الوليد إسماعيل بن يحيى بن أبي الوليد العطار سنة ثمان وأربعين وستمائة، وعلى أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن يحيى الشاوي، وأبي بكر محمد بن أحمد العاصمي، وأحمد بن عمر المضرس، وأجازه الكمال الضرير، وسمع التيسير من محمد بن عبدالرحمن بن جوبر عن ابن أبي جمرة عن أبيه عن الداني بالإجازة، وهذا سند في غاية الحسن والعلو.

وقد قرأ عليه خلق لا يحصون منهم: الوزير أبو القاسم محمد بن محمد بن سهل الأسدي الغرناطي، ومحمد بن علي بن أحمد بن مثبت شيخ القدس، والأستاذ أبو حيان النحوي، وأحمد بن عبدالولي العواد، وأبو الحسن علي بن سليمان الأنصاري وموسى بن محمد بن موسى بن جرادة، والإمام عبدالواحد بن محمد البلقيني، والخطيب محمد بن يوسف البلقيني اللوشي، وهو آخر من روى عنه في الدنيا سماعاً.

توفي ابن الزبير سنة ثمان وسبعمائة بغرناطة [1].

---

(١) غاية النهاية ١/ ٣٢، والإحاطة في أخبار غرناطة ١/ ١٨٨-١٩٣.

تقي الدين الصائغ (ت ٧٢٥هـ)

هو الإمام محمد بن أحمد بن عبدالخالق بن علي بن سالم، أبو عبدالله الصائغ المصري الشافعي، مسند عصره، وشيخ زمانه، وإمام أوانه، ولد سنة ست وثلاثين وستمائة، وقرأ على الشيخ كمال الدين إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل بن فارس جمعاً بالقراءات الاثنتي عشرة، ختمتين: الأولى في جماعة، والأخرى بمفرده عندما حضر ابن فارس إلى مصر، وكل من الختمتين بمضمن المبهج وإرادة الطالب في العشر، وتبصرة المبتدئ في السبع، والإيجاز في السبع، كل ذلك من تأليف سبط الخياط، وكتاب المستنير لابن سوار، وكتابي الموضح والمفتاح في العشر لابن خيرون، وكتابي الكفاية والإرشاد للقلانسي والتذكار لابن شيطا، والسبعة لابن مجاهد، وغير هذه الكتب.

وقرأ على الشيخ كمال الدين أبي الحسن علي بن شجاع الضرير العباسي تسع ختمات ثمان بإفراد الثمانية السبعة ويعقوب، والتاسعة جمع فيها القراءات بمضمن العنوان، والتيسير، والشاطبية، والتجريد، والمستنير، وتذكرة ابن غلبون، والروضة والتمهيد للمالكي، والتلخيص لأبي معشر، وقرأ أيضاً على التقي عبدالرحمن بن مرهف ابن ناشرة، وسمع من الرشيد القرشي الحافظ وغيره.

وعُمِّر حتى لم يبق معه من يشاركه في شيوخه، ورحل إليه الخلق من الأقطار وازدحم الناس عليه لعلو سنده وكثرة مروياته، وجلس

للإقراء بمدرسته الطيبرسية بمصر، والجامع العتيق، ولازم الإقراء ليلاً ونهاراً، فقرأ عليه خلق لا يحصون منهم إبراهيم بن عبدالله الحكري، وأخوه إسماعيل، وإبراهيم بن لاجين الرشيدي، وأحمد بن محمد سبط السلعوس، وأحمد العكبري، وعبدالله بن عبدالمؤمن بن الوجيه، وأبو بكر عبدالله بن أيدغدي بن الجندي وغيرهم كثير.

توفي رحمه الله في الثامن عشر من شهر صفر سنة خمس وعشرين وسبعمائة بمصر [١].

أبو عبدالله الذهبي (ت ٧٤٨هـ)

هو العلامة مؤرخ الإسلام الإمام المتقن شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مولده ووفاته في دمشق، رحل إلى القاهرة وكثير من البلدان، واعتنى بالقراءات منذ نعومة أظفاره، فقرأ القراءات سنة ٦٩١هـ على الشيخ جمال الدين أبي إسحاق العسقلاني المعروف بالفاضلي، فشرع عليه بالجمع الكبير فمات الفاضلي قبل أن يكمل فقرأ ختمة بالجمع على العلم طلحة الدمياطي، ورحل إلى بعلبك فقرأ جمعاً على الموفق النصيبي ورحل إلى الإسكندرية فقرأ على سحنون، وعلى يحيى بن الصواف بعض القراءات وهما آخر من بقي من أصحاب الصفراوي، وقرأ كثيراً من

---

(١) غاية النهاية ٢/ ٦٥-٦٧، وحسن المحاضرة للسيوطي ١/ ٥٠٨.

كتب القراءات في السبع والعشر، وممن قرأ عليه الشهاب أحمد بن إبراهيم المنبجي الطحان، وإبراهيم بن أحمد الشامي ومحمد بن أحمد اللبان وجماعة.

له تصانيف كثيرة تقارب مائتي مصنف، منها في علم القراءات، ومنها كتابه المشهور معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، وهو محقق ومطبوع في مجلدين عن مؤسسة الرسالة ببيروت، حققه بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس. في ط الأولى ١٤٠٤هـ، ومن أهم كتبه تاريخ الإسلام، وسير أعلام النبلاء في خمسة وعشرين مجلداً وكلاهما محقق مطبوع [١].

أبو العباس الكَفري (ت ٧٧٦هـ)

هو أحمد بن الحسين بن سليمان بن بدر بن محمد بن يوسف الكَفري الحنفي قاضي القضاة بدمشق، إمام كبير ثقة صالح، ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة، وقرأ على أبيه، وأبي بكر بن قاسم التونسي ومحمد بن نصير المصري، وقرأ الشاطبية على محمد بن يعقوب بن بدران الجرايدي.

قرأ عليه أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، ونصر بن أبي بكر البابي، ومحمد بن مسلم بن الخراط، وأحمد بن يوسف البانياسي والشريف محمد بن الوكيل، وشعبان بن علي الحنفي، وعمر بن أبي

(١) غاية النهاية ٢ / ٧١، والأعلام ٥ / ٣٢٦ ومقدمة تحقيق معرفة القراء وسير أعلام النبلاء.

المعالي بن اللبان، ومحمد بن محمد بن ميمون البلوي آخر من قرأ عليه القراءات ابن الجزري حيث يقول: قرأت عليه جميع القرآن جمعاً بالقراءات السبع ولله الحمد، وكان كثير الفضل عليّ وبشرني بأشياء وقع غالبها، وأرجو من الله التمام بخير وكان أجلَّ مَن قرأت عليه، تصدر للإقراء بالمقدمية والزنجيلية سنة أربع عشرة ولم يزل يقرئ حتى توفي في ليلة الأحد تاسع عشر من شهر صفر سنة ست وسبعين وسبعمائة بدمشق ودفن بالسفح رحمه الله تعالى [1].

ابن القاصح (ت ٨٠١ هـ)

هو علي بن عثمان بن محمد بن أحمد أبو البقاء العذري البغدادي، ويعرف بابن القاصح: عالم بالقراءات، من أهل بغداد، قال ابن الجزري: " قرأ بالقراءات العشر وغيرها على أبي بكر بن الجندي، وإسماعيل الكفتي، وألف وجمع"[2]. له كتب منها "سراج القارئ المبتدي وتذكرة المقرئ المنتهي" وهو شرح على الشاطبية، مطبوع في مجلد كبير بمراجعة فضيلة الشيخ علي محمد الضباع، شيخ عموم المقارئ المصرية في وقته، وله كتاب "تلخيص الفوائد" في شرح رائية الشاطبي المسماة عقيلة أتراب القصائد في رسم المصحف، مطبوع

---

(١) غاية النهاية ١/٤٨، ٤٩. وشذرات الذهب ٦/٢٣٩، ٢٤٠.

(٢) غاية النهاية ١/٥٥٥، وكشف الظنون ٢/١١٥٩.

بمراجعة فضيلة الشيخ عبدالفتاح القاضي سنة ١٣٦٨هـ ، وكتاب "قرة العين" في التجويد وكتاب "مصطلح الإشارات في القراءات الزوائد الثلاث عشرة المروية عن الثقات"[١] مخطوط [٢].

توفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وثمانمائة [٣].

أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)

هو الحافظ المقرئ شيخ الإقراء في زمانه، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري، ولد في ليلة السبت الخامس والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، داخل خط القصاعين بين السورين بدمشق، وحفظ القرآن سنة أربع وستين، وصلى به سنة خمس، وأجازه خال جده محمد بن إسماعيل الخباز، وقرأ القراءات على الشيخ أبي محمد عبدالوهاب بن السلار، والشيخ أحمد بن إبراهيم بن الطحان، والشيخ أحمد بن رجب وجمع للسبعة على الشيخ إبراهيم الحموي، ثم على أبي المعالي بن اللبان في سنة ثمان وستين، وحج في هذه السنة، فقرأ بمضمن الكافي والتيسير على الشيخ أبي عبدالله محمد بن صالح الخطيب بالمدينة الشريفة، ثم رحل إلى الديار المصرية في سنة تسع فجمع القراءات

---

(١) كشف الظنون ٢/١١٦٣ . ولطائف الإشارات ١/٩١ .

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

الاثنتي عشرة بمضمن كتب على الشيخ أبي بكر عبدالله بن الجندي، وللسبعة بمضمن العنوان والتيسير والشاطبية على العلامة أبي عبدالله محمد بن الصائغ، ثم رجع إلى دمشق فجمع القراءات السبع في ختمة على القاضي أبي يوسف أحمد بن الحسين الكفري الحنفي ثم رحل إلى الديار المصرية، وقرأ بها الأصول والمعاني والبيان على الشيخ ضياء الدين سعدالله القزويني، ورحل إلى الإسكندرية فسمع من أصحاب ابن عبدالسلام وغيرهم وسمع من هؤلاء الشيوخ وغيرهم كثيراً من كتب القراءات بالسماع والإجازة، وقرأ على غير هؤلاء ولم يكمل، وأجازه وأذن له بالإفتاء شيخ الإسلام أبو الفداء إسماعيل بن كثير وجلس للإقراء تحت قبة النسر من الجامع الأموي سنين وولي مشيخة الإقراء الكبرى بتربة أم صالح بعد وفاة أبي محمد عبدالوهاب بن السلار، وقرأ عليه القراءات جماعة كثيرون، فممن كمل عليه القراءات العشر بالشام ومصر ابنه أبو بكر أحمد، والشيخ محمود بن الحسين بن سليمان الشيرازي، والشيخ أبو بكر بن مصبح الحموي، والشيخ نجيب الدين عبدالله بن قطب بن الحسين البيهقي، والشيخ أحمد بن محمود بن أحمد الحجازي الضرير، والمحب محمد بن أحمد بن الهايم، والشيخ الخطيب مؤمن بن علي بن محمد الرومي، والشيخ يوسف بن أحمد بن يوسف الحبشي، والشيخ علي بن إبراهيم بن أحمد الصالحي، والشيخ علي بن حسين بن علي اليزدي، والشيخ موسى الكردي والشيخ علي ابن نفيس، والشيخ أحمد الرماني. وولي قضاء الشام سنة ثلاث

وتسعين وسبعمائة، ثم دخل الروم لما ناله من الظلم من أخذ ماله بالديار المصرية سنة ثمان وتسعين وسبعمائة، فنزل مدينة برصه دار الملك العادل المجاهد بايزيد بن عثمان، ثم انتقل إلى عدة مدن، وكانت حياته عامرة بالتأليف والإقراء حيثما ارتحل، ومن أهم كتبه النشر في القراءات العشر، وغاية النهاية في طبقات القراء وطيبة النشر وهذه الكتب كلها مطبوعة، توفي رحمه الله سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة بمدينة شيراز [1].

أبو منصور الشيباني الطبري (٨٤١ هـ)

هو علي بن جار الله بن صالح بن أبي المنصور الشيباني الطبري، ولد في مكة المكرمة في اثنتين وتسعين وسبعمائة، في شهر ذي القعدة، ونشأ بها وأخذ عن علمائها، وحفظ القرآن الكريم، وتلا للسبع على الشمس الحلبي، واهتم كثيراً بالقراءات، وحفظ العمدة، وألفية ابن مالك وعرضها بمكة والقاهرة على جماعة، وولي قضاء جدة بعد موت أخيه ثم ترك وتفرغ للعلم.

مات رحمه الله سنة إحدى وأربعين وثمانمائة من الهجرة، التاسع من شهر شوال وصلي عليه عند باب الكعبة ودفن بالمعلاة [2].

---

(١) غاية النهاية ٢/ ٢٤٧-٢٥١، والأعلام ٧/ ٤٥، ٤٦ .

(٢) الضوء اللامع للسخاوي ٥/ ٢٠٩ .

زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦ هـ)

هو العلامة: زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري السنيكي المصري الشافعي، أبو يحيى: الملقب بشيخ الإسلام، ولد سنة ست وعشرين وثمانمائة في سنيكة (بشرقية مصر)، وتعلم في القاهرة بعد حفظه للقرآن وعمدة الأحكام في بلده، فقطن الأزهر وأكمل حفظ المختصر المذكور وحفظ المنهاج الفرعي وألفية النحو والشاطبيَّتين، ثم جدَّ في الطلب وأخذ عن جماعة منهم البلقيني، والشرف السبكي وابن حجر وغيرهم، وقرأ في معظم الفنون، وأذن له شيوخه بالإفتاء والتدريس وتصدر وأفتى، وأقرأ دهراً وصنف التصانيف منها في التجويد "الدقائق المحكمة" . وفتح الرحمن في التفسير، وتعليق على تفسير البيضاوي، وتحفة الباري على صحيح البخاري، و"غاية الوصول" في أصول الفقه، وغيرها من الكتب القيمة.

ولاه السلطان قايتباي الجركسي قضاء القضاة، فلم يقبله إلا بعد مراجعة وإلحاح، ولما ولي رأى من السلطان عدولاً عن الحق في بعض أعماله، فكتب إليه يزجره عن الظلم، فعزله السلطان، فعاد إلى اشتغاله بالعلم إلى أن توفي يوم الجمعة رابع ذي الحجة سنة ٩٢٦هـ[١].

---

(١) البدر الطالع للشوكاني ١/٢٥٢، ٢٥٣. والأعلام ٣/٤٦. ومعجم المؤلفين لكحالة ٤/١٨٢. وهداية القارئ للمرصفي ٦٥٣.

إبراهيم بن علوي (٩٣٨ هـ)

هو السيد إبراهيم بن علي بن علوي بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن الإمام عبدالله بن علوي، اشتهر بعلم القراءات والتجويد، حفظ القرآن بتجويده، وحفظ الجزرية والشاطبية، واشتغل بعلم التجويد والقراءات والفقه والنحو، واجتهد في تحصيل هذه العلوم حتى حصل طرفاً صالحاً منها.

أخذ علم القراءات عن الشيخ عبدالرحمن الديبع، والشاوري ثم أخذ عن المغربي محمود بن حميدان، والشيخ أحمد العجيمي بمكة، وقصده الناس لعلو سنده في القراءات وبرع في علوم الشريعة؛ لكن غلب عليه علم القراءات، فاشتهر به، وكان حسن الحفظ ذا خلق حسن مع تحمل أذى الناس توفي في مكة المشرفة وجهز في ليلته وصلوا عليه تحت باب الكعبة ودفن بالمعلاة وذلك سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة [١].

الشيخ أحمد بن أحمد الطيبي (ت ٩٧٩هـ)

هو العلامة أحمد بن أحمد بن بدر الشيخ الإمام، شهاب الدين الطيبي المقرئ الفقيه النحوي صاحب المصنفات النافعة، مولده نهار الأحد سابع ذي الحجة سنة عشر وتسعمائة، وأخذ عن الشيخ شمس الدين الكفرسوسي، والسيد كمال الدين بن حمزة، ولازم الشيخ تقي الدين

---

(٣) انظر: المختصر من كتاب نشر النور والزهر ١/ ١٧، ١٨.

القاري، وبه انتفع، وقرأ على ابن غزي في الأجرومية، ومصنفات ابن الجزري على الشيخ كريم الدين بن عمر بن علي الجعبري، صاحب المؤلفات. وأخذ عن الشيخ العلامة محمد الغوشي الغربي، حين قدم دمشق وولي الإمامة بعد شيخه الشيخ تقي الدين المقرئ، وكان يقرأ بالميعاد بالجامع الأموي ودرس فيه بضعاً وثلاثين سنة، وكذلك درس بدار الحديث الأشرفية، ثم بالرباط الناصري، ثم بالعادلية الصغرى، وخطب بالجامع مدة يسيرة، وألف الخطب النافعة، وأكثر خطباء دمشق كانوا يخطبون بخطبه، ومن أشهر تلاميذه في القراءات الشيخ علي بن محمد الطرابلسي.

ألف عدة مصنفات في علوم شتى منها في القراءات وعلوم القرآن، بلوغ الأماني في قراءة ورش من طريق الأصبهاني، والمفيد في علم التجويد.

وكانت وفاته يوم الأربعاء ثامن عشر من ذي القعدة سنة تسع وسبعين وتسعمائة [1].

الملاّ علي القاري (١٠١٤هـ)

هو العلامة نور الدين، أبو الحسن علي بن سلطان محمد القاري الهروي ثم المكي، الحنفي، الشهير بـ(ملا علي القاري)، وكان -رحمه الله- ديناً، تقياً ورعاً، وقد أخذ عن كبار علماء عصره، منهم: ابن حجر الهيتمي، والشيخ علي المتقي الهندي، والشيخ

---

(١) انظر: الكواكب السائرة للغزي ٣/ ١١٥، ١١٦. وشذرات الذهب ٨/ ٣٩٣.

محمد سعيد الحنفي الخرساني، وقطب الدين المكي، وغيرهم.

وأخذ عنه كثير من طلاب العلم، منهم عبد القادر الحسيني الطبري، وعبدالرحمن المرشدي العمري، والشيخ عبد العظيم المكي، وغيرهم من العلماء الذين تتلمذوا عليه.

وكان مكثراً في التأليف حتى قاربت مؤلفاته خمسين كتاباً ومائة، منها في التفسير والقراءات، والحديث وعلومه، والتوحيد، والفقه، والسيرة والتراجم، والنحو وآداب اللغة العربية.

وبعد حياة غنية بالعلم والتأليف والعمل، توفي الشيخ علي القاري سنة (١٠١٤هـ)(١).

سلطان المزَّاحي (ت ١٠٧٥ هـ)

هو الإمام المقرئ سلطان بن أحمد بن سلامة بن إسماعيل، أبو العزائم المزاحي المصري الأزهري، من الحفاظ والقراء، فريد العصر، وعلامة الزمان. قرأ بالروايات على الشيخ الإمام المقرئ سيف الدين بن عطاء الله الفضالي، وأخذ العلوم الدينية عن النور الزيادي، وأحمد بن خليل السبكي وغيرهم.

وأجيز بالإفتاء والتدريس سنة ثمان بعد الألف، وتصدر بالأزهر للتدريس، فكان يجلس في كل يوم مجلساً يقرئ فيه العلوم الشرعية والقراءات.

وأخذ عنه كثير من العلماء المحققين منهم: الشمس البابلي، والعلامة الشبراملسي ومحمد الخباز، ومنصور الطوخي، ومحمد البقري، ومحمد البهوتي الحنبلي وغيرهم ممن لا يحصى كثرة.

---

(١) خلاصة الأثر للمحبي ٣/ ١٨٥، ومعجم المؤلفين ٧/ ١٠٠، والأعلام ٥/ ١٢.

وكان بيته بعيداً عن الجامع الأزهر، ومع ذلك يأتي إلى الأزهر من أول ثلث الليل الأخير فيستمر يصلي إلى طلوع الفجر ثم يصلي الصبح إماماً بالناس، ويجلس بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس لإقراء القرآن من طريق الشاطبية والدرة والطيبة، ثم يدرِّس بعض العلوم إلى قرب الظهر، هذا دأبه كل يوم.

وألف تآليف نافعة منها حاشيته على شرح المنهاج للقاضي زكريا في فقه الشافعي وله مؤلف في القراءات الأربع الزائدة على العشر من طريق القباقبي، ورسالة في التجويد، وقد وصف بشيخ القراء بالقاهرة على الإطلاق في زمانه، ومرجع الفقهاء بالاتفاق.

وكانت ولادته في سنة خمس وثمانين وتسعمائة، وتوفي ليلة الأربعاء سابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وألف[1].

عبدالله باقشير (١٠٧٦ هـ)

هو عبدالله بن سعيد بن عبدالله بن أبي بكر بن عبدالرحمن بن علي بن محمد بن سعد المعلم باقشير، الشافعي الحضرمي الأصل، ثم المكي، ولد بمكة فنشأ في رعاية والده، وأخذ علوم القراءات عن الشيخ أحمد الحكمي، وأجاز له وأخذ العربية عن الشيخ عبد الرحيم ابن حسان، والشيخ أبي السعود الزيني، والشيخ عبد الملك العصامي.

درّس في المسجد الحرام فتخرج على يديه جماعة، وتصدر للإقراء،

---

(١) خلاصة الأثر ٢ / ٢١٠-٢١٢، وهداية القارئ ٦٥٥.

ومن أشهر تلاميذه السيد محمد الشلي، والسيد أحمد بن أبي بكر ابن سالم شيخان، والسيد محمد بن عمر بن شيخان والشيخ علي العصامي، والشيخ عبدالله العباسي، والشيخ أحمد النخلي وغيرهم.

شرح كثيراً من الكتب في مختلف الفنون منها: الأصول من الشاطبية، وجوهرة التوحيد ونظم نزهة الحساب وشرحها.

وله طريقة بديعة في جمع القراءات تعلّم من شيخه الشيخ أحمد الحكمي، وأقرأ بها، توفي في مكة يوم الاثنين لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة ١٠٧٦هـ(١).

أبو الإكرام البقري (ت ١١١١هـ)

هو العلامة شمس الدين محمد بن إسماعيل البقري المقرئ الشافعي، أخذ علم القراءات عن الشيخ عبدالرحمن اليمني، والحديث عن الشيخ البابلي، والفقه عن الشيخ المزاحي والزيادي والشوبري، ومحمد المناوي، والحديث أيضاً عن النور الحلبي والبرهان اللقاني، قرأ عليه عدد من العلماء لا يحصى، كما قرأ عليه غالب علماء مصر في زمانه.

ومن أهم مؤلفات أبي الإكرام:

١- "القواعد المقررة، والفوائد المحررة" وهي المعروفة بالقواعد البقرية في القراءات السبع.

٢- غنية الطالبين ومنية الراغبين في التجويد.

---

(١) المختصر من كتاب نشر النور ٢/ ٢٤٥، ٢٤٦. وخلاصة الأثر ٣/ ٤٢-٤٤. والأعلام ٤/ ٩٠.

٣- العمدة السنية: في أحكام النون الساكنة والتنوين والمد والقصر ولام الفعل واللام القمرية والشمسية.

٤- شرح المقدمة الأجرومية.

ومات رحمه الله سنة إحدى عشرة ومائة بعد الألف للهجرة (١١١١هـ)[1].

أحمد النخلي (١١٣٠هـ)

هو الإمام أحمد بن محمد بن أحمد بن علي الشهير بالنخلي المكي الشافعي الفقيه الحبر الفهامة المحقق المدقق أبو محمد، ولد بمكة المكرمة سنة أربع وأربعين وألف ونشأ بها، وأول شيخ قرأ عليه بمكة الشيخ العالم عبدالله بن سعيد باقشير المكي -المتقدم- ثم قرأ على السيد عبدالرحمن بن السيد أحمد الحسني المغربي المالكي، ثم على السيد محمد الرديني اليمني ثم على شيخ الإسلام الشمس محمد بن علاء الدين البابلي، وسمع عليه صحيح البخاري ومسلم وغالب السنن، وبرع في العلوم ولازم التدريس بالمسجد الحرام، وانتفع به في إفادة العلوم الشرعية، وكان بشوشاً متواضعاً، وأخذ عنه خلق كثير، وكانت وفاته بمكة المشرفة في أوائل سنة ثلاثين ومائة وألف ودفن بالمعلاة رحمه الله[2].

---

(١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار ١/١٦٩، ١٧٠، وهداية القارئ ٧٢٧.

(٢) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادي ١/١٧١، ١٧٢، وهداية العارفين ١/١٦٧، والأعلام ١/٢٤١.

الشيخ إبراهيم الحافظ (ت ١١٨٦ هـ)

هو الإمام العلامة إبراهيم بن عباس بن علي الشافعي الدمشقي، شيخ القراء و المجودين بدمشق، الفاضل المقرئ الحافظ الفلكي الصالح، التقي، كان له محبة لمن يقرأ عليه، مع رقة الطبع ودماثة الأخلاق، وحسن العشرة.

وأما القراءات فإنه كان بها إماماً ليس له نظير في الأقطار الشامية، ولد في سنة عشرة ومائة وألف، واشتغل بقراءة القرآن، ورباه السيد ذيب الحافظ وأقرأه، واعتنى به كمال الاعتناء، وهو أجل أشياخه، وأخذ القراءات عن الشيخ مصطفى المعروف "بالعم المصري" نزيل دمشق وهو عن الشيخ المقرئ المصري، وهو عن الشيخ اليمني إلى آخر السند، وأخذ القراءات أيضاً عن المنير الدمشقي، وقرأ في بعض العلوم على محمد بن محمد الجبال، وألان الله له مخارج الحروف كما ألان الحديد لداود عليه السلام، وأقرأ في الجامع الأموي، واستقام على إفادة الطالبين للقراءات، وانتفع به خلق لا يحصون منهم الشيخ عبدالحي البهنسي [١]. وكانت وفاته ليلة الثلاثاء رابع محرم سنة ست وثمانين ومائة بعد الألف، ودفن بتربة مرج الدحداح بالذهبية رحمه الله رحمة واسعة [٢].

---

(١) سلك الدرر للمرادي ٢ / ٢٤٠.

(٢) المصدر السابق.

العلامة الطباخ (ت ١٢٥٠هـ تقريباً)

هو محمد بن محمد بن خليل بن الطنتدائي المعروف بالطباخ مصري عالم مقدم في التجويد والقراءات وغيرها من العلوم العربية والشرعية.

وقد اشتهر بين الناس ذكره، وسارت تصانيفه، وانتفع بها طلاب العلم عامة والعلماء خاصة، حيث ترك لنا تصانيف ذات فيض عميم وفضل جسيم، منها نظم رائق في تحرير أوجه القرآن الكريم من طريق طيبة النشر في القراءات العشر سماه: "هبة المنان في تحرير أوجه القرآن" وشرحه بنفسه، كما تواكب العلماء المعتد بهم على شرحه من بعده.

ولا يعرف بالتحديد متى توفي الطباخ ولكن الشيخ عبد الفتاح المرصفي ذكر أن وفاته كانت بعد خمسين ومائتين بعد الألف، حيث فرغ الطباخ من تأليف كتابه المذكور في التاريخ نفسه [1].

أحمد المرزوقي (١٢٦٢هـ)

هو السيد أحمد بن السيد رمضان بن منصور بن السعيد محمد بن شمس الدين محمد مرزوقي، الإمام الورع الزاهد، المدرس بالمسجد الحرام، شيخ القراء في وقته، صاحب التصانيف الشهيرة، ولد سنة ١٢٠٥هـ، له تلامذة كثيرون وأصحاب كثيرون، ومن تصانيف السيد أحمد: متن عقيدة العوام وشرحها تحصيل نيل المرام، وشرح مسمى بتسهيل الأذهان على متن تقويم اللسان في النحو للخوارزمي البقالي،

---

(١) هداية القارئ للمرصفي ص ٧٢٩.

وشرح على الأجرومية سماه الفوائد المرزوقية، وقد توفي بمكة سنة ١٢٦٢هـ ودفن بالمعلاة ولم يعقب إلا ابنة واحدة، وممن أخذ وقرأ عليه الشيخ أحمد دهمان والسيد أحمد دحلان، والشيخ طاهر التكروري، والشيخ أحمد الحلواني شيخ القراء بالشام وغيرهم [١].

الشيخ أحمد بن علي محمد الحلواني (ت ١٣٠٧هـ)

هو الإمام، والحبر الهمام، وشيخ القراء في دمشق، ولد سنة ثمان وعشرين ومائتين بعد الألف ونشأ في حجر والده، وحفظ القرآن الكريم، على رواية حفص على الشيخ راضي، ثم أقبل على طلب العلم، فأخذ في دمشق عن أفاضلها الكرام، وأكابرها السادة الأعلام، منهم الشيخ حامد العطار، والشيخ سعيد الحلبي، والشيخ عبدالرحمن الطيبي، والشيخ عبداللطيف مفتي بيروت، ثم في سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف ذهب إلى مكة المشرفة، فأخذ عن الشيخ أحمد رمضان المرزوقي شيخ قراء مكة في وقته، فقرأ عليه ختمة مجودة على رواية حفص ثم حفظ عليه الشاطبية، وقرأ القراءات السبع من طريقها، ثم حفظ الدرة، وأتم القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة، ثم حفظ الطيبة، وقرأ عليه ختمة من طريقها للقراء العشرة، ثم أجازه الشيخ أحمد المرزوقي بالقراءات التي قرأها عليه، وأقام بمكة أربع سنوات، ثم رجع إلى وطنه دمشق سنة سبع وخمسين، فأقبل الناس عليه بالقراءة جمعاً وغيره واشتهر أمره، وارتفع ذكره، وانفرد بهذا العلم في جميع الشام.

---

(١) المختصر من كتاب نشر النور ١ / ٧٩، ٨٠.

له رسالة في التجويد سماها "المنحة السنية"، ثم شرحها شرحاً لطيفاً جمع فيه غالب أحكام التجويد، وسماه "اللطائف البهية"، وله نظم في بعض القواعد من فن القراءات، وبالجملة، فهو فريد عصره، أنجب تلامذة فضلاء، لهم في فن التجويد والقراءات اليد البيضاء، بعد أن كان هذا الفن وشيكاً على الاضمحلال في الشام في عصره، فكثر القارئون في زمنه.

توفي رحمه الله سنة سبع وثلاثمائة بعد الألف [1].

العلامة المتولي (ت ١٣١٣هـ)

هو الأستاذ، المحقق المدقق، المتقن الضابط، الشيخ محمد بن أحمد الشهير بالمتولي.

ولد في سنة ١٢٤٨هـ، وقيل خمسين ومائتين وألف من الهجرة بالقاهرة ولما أتم حفظ القرآن الشريف التحق بالأزهر، وحصل كثيراً من العلوم الشرعية والعربية، وطيبة النشر، وعقيلة أتراب القصائد، وتلقى القراءات العشر، والأربع الزائدة عليها على أستاذ وقته: العلامة المتقن المحقق السيد أحمد الدري الشهير بالتهامي، واشتغل بتلقينها والتأليف فيها، فأجاد وأفاد، توفي عام ١٣١٣هـ.

ومن مؤلفاته: فتح الكريم في تجويد القرآن العظيم، وفتح الرحمن في تجويد القرآن وهو أوسع من مؤلفه السابق، رسالة في مذاهب القراء السبعة في ياءات الإضافة والزوائد، تحقيق البيان في عد آي القرآن،

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر لعبد الرزاق البيطار ١/٢٥٣، ٢٥٤.

الوجوه المفسرة في القراءات الثلاثة المتممة للقراءات العشر، فتح المعطي وغنية المقرئ، شرح به المنظومة في بيان ما يخالف فيه ورش المصري حفصاً، وغيرها من الكتب القيمة، والتحريرات المفيدة [1].

الشيخ محفوظ بن عبدالله الترمسي (ت ١٣٣٨هـ)

ولد الشيخ محفوظ بن عبدالله الترمسي بقرية ترمس من قرى جاوا الوسطى، ونشأ بها، وتلقى مبادئ العلوم عن فضلاء علماء جاوا، وممن أخذ عنهم والده، ثم قدم إلى مكة المكرمة فتلقى شتى العلوم والفنون عن كبار علماء المسجد الحرام بمكة، من أمثال: السيد بكري شطا، والشيخ محمد سعيد بابصيل، والسيد عبدالباري رضوان وغيرهم. أخذ القراءات الأربع عشرة عن العلامة المقرئ؛ الشيخ محمد الشربيني الدمياطي وأجازه.

وتخرج على يده عدد كثير من طلاب العلم، منهم: محمد باقر.
وللشيخ محفوظ عدة مصنفات أذكر منها ما يخص القراءات وهو: البدر المنير في قراءة الإمام ابن كثير، وتعميم المنافع في قراءة الإمام نافع، وتنوير الصدر في قراءة الإمام أبي عمرو، وانشراح الفوائد في قراءة الإمام حمزة، وغنية الطلبة بشرح الطيبة في القراءات العشر.

وتوفي الشيخ محفوظ رحمه الله بعد حياة حافلة بالعلم والعمل بمكة المكرمة سنة ١٣٣٨هـ [2].

---

(١) فتح المعطي وغنية المقرئ في شرح مقدمة ورش المصري للمتولي ص ١٦٦-١٦٩.

(٢) انظر: سير وتراجم بعض علمائنا لعمر عبدالجبار ٣٢٣، ٣٢٤.

العلامة الضباع (ت ١٣٧٦هـ)

هو علي بن محمد بن حسن بن إبراهيم الملقب بالضباع، مصري علامة كبير وإمام مقدم في علم التجويد والقراءات والرسم العثماني، وضبط المصحف الشريف، وعد الآي وغيرها. ولي مشيخة عموم المقارئ والإقراء بالديار المصرية مع وجود كبار العلماء المبرزين عن جدارة، فنال منهم مكان الصدارة، وكان محيطاً لا يغيض، وبحراً في العلم، وله كتب في كل ماله صلة بالقرآن فأحسن وأجاد، وناقش فأفحم، وأفاد، وكان تقياً زكياً ورعاً.

تلقى العلامة الضباع القراءات على غير واحد من الثقات الجهابذة الأثبات منهم: العلامة المحقق الشيخ حسن الكتبي، والأستاذ الكبير الشيخ عبدالرحمن الخطيب الشعار، وقد أخذ هذان العالمان على خاتمة المحققين العلامة الشيخ محمد بن أحمد المعروف بالمتولي، شيخ القراء والإقراء بالديار المصرية في وقته.

وممن أخذ عنه القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة، وطيبة النشر وكذلك القراءات الأربع التي فوق العشر من خارج مصر العلامة المحقق فضيلة الشيخ عبدالعزيز علي عيون السود شيخ القراء وأمين الإفتاء بحمص في وقته، وكذلك الشيخ العلامة أحمد بن حامد التيجي المدني ثم المكي، المقرئ الكبير وشيخ القراء بمكة المكرمة.

وللعلامة الضباع كتب كثيرة سنذكرها في الفقرة القادمة [1].

---

(١) من أهم كتبه إرشاد المريد إلى مقصود المريد شرح على الشاطبية والبهجة المرضية شرح الدرة المضيّة في القراءات الثلاثة.

توفي العلامة الضباع بعد حياة حافلة بالخدمات الجليلة لكتاب الله العزيز نحو سنة ست وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية [1].

العلامة الشيخ عبدالعزيز عيون السود (ت ١٣٩٩هـ)

هو عبدالعزيز بن الشيخ محمد علي بن الشيخ عبدالغني عيون السود، المولود في حمص، عالم مقدم في العلوم الشرعية والعربية والقراءات وعلومها، حنفي المذهب، وهو من أجلة علماء حمص، كان يقرن العلم بالعمل، وكان كثير التلاوة للقرآن، وكان يديم التهجد قبل الفجر، ويحيي ما بين المغرب والعشاء، وما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس، ويحرص على تطبيق السنة في عبادته وأكله وشربه ونومه، وكل تصرفاته، وكان كثير الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، إلى جانب تواضعه الجم لجلسائه ومحبيه، لا يذكر أحداً إلا بخير، تولى مشيخة دور الإقراء بحمص، وأمانة دار الإفتاء بها، أخذ العلوم على مشايخ أجلاء من حمص وغيرها، ومن مشايخه في القراءات في الشام الشيخ سليمان الفارسكوري المصري، أخذ عنه القراءات بدمشق الشام في وقته، وقد أخذ عنه القراءات العشر بمضمن الشاطبية والدرة، والشيخ عبدالقادر قويدر العربيني، أخذ عنه القراءات العشر بمضمن طيبة النشر.

ثم رحل إلى الحجاز فأخذ القراءات الأربع عشرة على العلامة الشيخ أحمد حامد التيجي شيخ القراء والإقراء بمكة المشرفة، ثم رحل إلى مصر، فأخذ القراءات الأربع عشرة وناظمة الزهر في الفواصل، وعقيلة أتراب القصائد في الرسم على

---

(١) انظر: هداية القارئ للمرصفي ص ٦٨٩-٦٩٢.

الشيخ علي محمد الضباع، ثم جلس للإقراء والفتيا بحمص، فأخذ عنه الجم الغفير القراءات وعلومها، وكذلك العلوم الشرعية، وممن أخذ عنه القراءات العشر بمضمن طيبة النشر، الشيخ محمد تميم الزعبي، والشيخ المحدث النعيم النعيمي الجزائري أخذ عنه القراءات الأربع عشرة وغيرها، وممن أخذ عنه شيخ القراء بحماة، وله مصنفات منها: النفس المطمئنة في كيفية إخفاء الميم الساكنة بغنة وغيرها. توفي في شهر صفر سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وألف [١].

الشيخ حسن الشاعر (ت ١٤٠٠هـ)

ولد الشيخ حسن بن إبراهيم الشاعر في الثلث الأخير من القرن الثالث عشر الهجري في مصر، وحفظ القرآن وجَوَّده في التاسعة من عمره، ومن ثم تلقى القراءات السبع، ثم العشر، ثم الأربع عشرة على مشاهير قراء الأزهر، وكان شيخ القراء على مدى القرن الرابع عشر، والرائد الذي تخرج على يده مئات القراء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، ومن أبرز تلامذته: إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف؛ الشيخ عبدالعزيز بن صالح، والشيخ إبراهيم الأخضر الذي آلت إليه مشيخة القراء بعد وفاة شيخه الشاعر، وممن أخذ عنه أيضاً: الشيخ قاري كرامة الله البخاري، وغيرهم.

وتوفي رحمه الله يوم العشرين من ذي القعدة في نهاية المائة الرابعة بعد الألف من هجرة المصطفى ﷺ [٢].

---

(١) هداية القارئ ص ٦٦٤-٦٦٦ وما أملاه علي تلميذه الشيخ أيمن رشدي سويد.

(٢) هذه الترجمة أخذتها من بعض المعاصرين للشيخ مثل الأستاذ محمد المجذوب وبعض تلاميذه كالشيخ إبراهيم الأخضر القيم والشيخ كرامة الله البخاري وغيرهم.

المبحث الثاني: أشهر علماء القرآن والقراءات في العصر الحديث:

هذا المبحث قد أفرد في موضوعات الندوة لذا أكتفي بإشارات مختصرة: لقد امتدت جهود العلماء المسلمين في مجال خدمة القرآن وعلومه وقراءاته حتى في العصر الحديث من حيث تعليم القرآن للناشئة، وتربيتهم على منهاجه، في حلقات تحفيظ القرآن الكريم ومدارسه ومعاهده في شتى بقاع العالم الإسلامي من العلماء العاملين المواصلين لما بدأه أسلافهم وإسهاماً منهم في المحافظة على كتاب الله تحقيقاً لوعد الله بحفظه. فأسست مدارس تحفيظ القرآن الكريم الخيرية في المساجد والمنازل وفي المدارس الحكومية منها والأهلية، الخاصة والعامة ومنها إنشاء معاهد خاصة للقرآن وعلومه متوسطة وثانوية وإنشاء كليات متخصصة فيه بقسميها البكالوريوس والتعليم العالي وإعداد الرسائل العلمية -الماجستير والدكتوراه- والتحفيز على ذلك.

وغني عن الكلام أن المملكة العربية السعودية قد حازت قصب السبق في ذلك، لِمَ لا وهي الدولة الإسلامية والعربية الوحيدة التي جعلت القرآن مصدراً للتشريع فيها، وجعلته مطبقاً على أرض الواقع والعمل بأوامره، واجتناب نواهيه، وتحكيمه في جميع مجالات الحياة وذلك من أخص خصائص هذه المملكة وأكبر مميزاتها التي تتشرف بها منذ انطلاقتها الأولى، فقد اقترنت بالعناية بالقرآن الكريم ونشره

وتعليمه والتحاكم إليه والدعوة إلى سناه المنير وعملت جميع الجهات والهيئات في ضوء هذا المقصد المبارك.

وإذا كان كثير من المسلمين يهتمون بالقرآن وتعليمه وطباعته، فإن المملكة العربية السعودية قد بلغت القمة في ذلك كله، وفاقت الجميع بل إنها دللت على صدقها في محبة كتاب الله وتعظيمه، فلم تكتف بالطباعة الفاخرة له والحلقات الكثيرة والمسابقات الثمينة -محلية، ودولية- بل أخذت على نفسها العهد فطبقت أحكام الشريعة السمحة في واقع الحياة وإنها لشهادة تسجل للسعودية ولقادتها الأبرار أنهم تمسكوا بتطبيق شرع الله في مثل هذا العصر، وبين أمم الأرض من غير أن يتخلوا عن مقتضيات العصر وتقنيات الحضارة، فسارت بهذا التوازن بين الدين والدنيا، فأنعم الله عليها بالأمن والإيمان والاستقرار في كل مجالات الحياة. ومن أبرز مظاهر اهتمام المملكة بالقرآن الكريم الاعتناء بطباعته وتجويد إخراجه وتجميل مظهره، وحسن تغليفه وتجليده، ثم ترجمة معانيه وتفسيره إلى مختلف اللغات الحية، ونشره وتوزيعه مقروءاً ومسموعاً على المسلمين كافة فتم إصدار عدد من المصاحف، وظهر على الساحة علماء أعلام في مجال القرآن، وأذكر على سبيل المثال:

فضيلة الشيخ الدكتور علي بن عبد الرحمن الحذيفي.

فضيلة الشيخ إبراهيم الأخضر القيم.

فضيلة الشيخ الدكتور محمد أيوب محمد يوسف.

وغيرهم من العلماء والقراء المنتشرين في شتى أنحاء المملكة

يقومون بإقراء القرآن وتعليمه في المساجد والجامعات والمعاهد وبخاصة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وقسم القراءات بكلية أصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

واشتهر عدد كبير من كبار المؤلفين في مجال القرآن وعلومه وتعددت الأطروحات والرسائل العلمية المتخصصة في القرآن وعلومه -في الدراسات العليا- ممن يصعب حصرهم وسأكتفي هنا بإيراد ثلاثة علماء أعلام لجعلهم نماذج في هذا المجال وقس عليهم غيرهم في البروز وخدمة الكتاب العزيز.

١ - العلامة عبد الفتاح القاضي (ت ١٤٠٣ هـ)

هو العلامة عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، ولد بمدينة (دمنهور) عاصمة محافظة (البحيرة) بمصر في الخامس والعشرين من شعبان سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة.

حفظ القرآن الكريم ببلده على الشيخ علي عياد، وجوده على كل من الشيخين الفاضلين: الشيخ محمد غزال، والشيخ محمود بن محمد نصر الدين.

ثم أخذ القراءات العشر على غير واحد من الثقات الجهابذة الأثبات منهم: الشيخان المذكوران، والشيخ همام قطب عبد الهادي، والشيخ

حسن صبحي، وقد أجازوه جميعاً.

وأخذ عن شيوخ كثيرين غير ما ذكر: علوم القرآن، والتجويد، والتفسير، وعلوم العربية، والفقه، وغيرها من العلوم الإسلامية، وقد حصل على شهادة التخصص القديم -بشعبة التفسير والحديث- التي تعادل الدكتوراه حالياً، وذلك عام ١٣٥٥هـ.

عمل بالتدريس في المعهد الأزهري الثانوي عقب تخرجه، ثم عين رئيساً لقسم القراءات، ثم مفتشاً عاماً بالمعاهد الأزهرية، ثم شيخاً لمعهد القراءات بالقاهرة ثم شيخاً للمعهد الأزهري بدسوق، ثم شيخاً للمعهد الأزهري بدمنهور، ثم عين وكيلاً عاماً للمعاهد الأزهرية، ثم مديراً عاماً لها، وظل في عمله هذا حتى أحيل على التقاعد، ثم رحل إلى المدينة المنورة سنة ١٣٩٤هـ حيث عين رئيساً لقسم القراءات بكلية القرآن الكريم التي أنشئت في العام المذكور.

فقد مكث يقرئ ويعلم في مجال العلوم القرآنية منذ عام (١٣٥٥هـ) تقريباً، وتخرج على يديه أجيال من أهل القرآن، وممن قرأ عليه بالمدينة: الدكتور عبد العزيز القارئ والدكتور علي بن عبد الرحمن الحذيفي إمام الحرمين الشريفين، برواية حفص، وقرأ عليه بعضاً من الشاطبية، والشيخ منير بن محمد المظفر التونسي، المتخرج في الكلية، قرأ عليه في البيت ختمة كاملة للعشرة من طريق طيبة النشر، ومنهم الشيخ إبراهيم الأخضر تلقى عليه القراءات الثلاث المكملة للعشر من طريق الدرة، وقرأ عليه ختمة

كاملة. ومنهم في مصر: الدكتور موسى شاهين لاشين، والدكتور عوض الله حجازي، والدكتور زكريا البري، وغيرهم.

توفي رحمه الله يوم الاثنين الخامس عشر من محرم سنة ثلاث وأربعمائة بعد الألف من الهجرة [1].

٢- الشيخ عامر السيد عثمان (ت ١٤٠٨هـ)

العلامة الشيخ عامر السيد عثمان، شيخ المقارئ المصرية، ولد -رحمه الله بقرية "ملامس"، مركز منيا القمح محافظة الشرقية إحدى محافظات مصر- في شهر مايو سنة ١٩٠٠م الموافق ١٧ محرم ١٣١٨هـ.

حفظ القرآن الكريم، ولم يتجاوز التاسعة من عمره، في مكتب الشيخ عطية سلامة، ثم أرسله والده إلى المسجد الأحمدي بطنطا، وتلقى القرآن بقراءة نافع من فم عالم القراءات الشيخ السعودي، وقد أوتي الشيخ عامر -في صباه- حظاً من حسن الصوت، وفي القاهرة أخذ في القراءة والتلقي والمشافهة والعرض والسماع، فتلقى القراءات العشر الصغرى من طريق الشاطبية والدرة على الشيخ حسن الجريسي الكبير، وعن العلامة المقرئ أحمد الدري التهامي.

ثم تلقى القراءات العشر الكبرى على الشيخ المقرئ علي عبد الرحمن

---

(١) هداية القارئ للمرصفي ٦٦٧ وانظر مجلة كلية القرآن بالجامعة الإسلامية العدد الأول ص ٢٩٧.

سبيع، ولم يكمل، ثم شرع في ختمة جديدة على تلميذ الشيخ علي سبيع وهو الشيخ همام قطب -رحمه الله- فقرأ عليه ختمة كاملة بالقراءات العشر الكبرى من طريق الطيبة بالتحرير والإتقان، ثم اتخذ لنفسه حلقة بالجامع الأزهر الشريف سنة ١٣٥٣هـ إقراءً وتدريساً، وفي أثناء ذلك اطلع على مخطوطات القراءات بالمكتبة الأزهرية، ودار الكتب المصرية، فأخذ يقرأ وينسخ ما شاء الله له، فظهر نبوغه واتسعت شهرته، واتصل به الشيخ علي محمد الضباع، شيخ عموم المقارئ المصرية آنذاك، واستعان به في تحقيقات القراءات العشر الكبرى، وكان -رحمه الله- حجة في رسم المصحف، شغل الشيخ بالإقراء أيامه كلها، فلم يجد وقتاً للتصنيف ولكن الله سبحانه يسر له أن يترك بعض الآثار العلمية في فن القراءات[١] حتى تكون باعثاً لمن يطالعها أن يدعو له بالمغفرة.

وقد شارك -رحمه الله- في تصحيح ومراجعة كثير من المصاحف، وحين أنشئ معهد القراءات التابع لكلية اللغة العربية بالأزهر كان على رأس مشايخه وأساتذته فتخرجت -على يديه- هذه الأجيال الكريمة من خدمة كتاب الله والعارفين بعلومه وقراءاته في مصر وفي خارجها. وتلامذة الشيخ كثيرون ممن قرؤوا عليه العشر الكبرى (الطيبة) منهم المشايخ: محمد الصادق قمحاوي، ومحمد سالم

(١) منها: فتح القدير شرح تنقيح التحرير في القراءات العشر، وكتاب كيف يتلى القرآن، وتحقيق كتاب لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني بالاشتراك مع د. عبد الصبور شاهين.

محيسن، وعبد الرؤوف سالم، وعبد المتعال منصور عرفة، وإبراهيم عطوة، وغالب عبد السلام، ومحمود سيبويه البدوي، ورزق خليل حبة، وعبد الفتاح السيد المرصفي، وعبد الحكيم عبد السلام خاطر، وغيرهم.

توفي رحمه الله مساء الخميس الخامس من شوال سنة ثمان وأربعمائة وألف من الهجرة [١].

٣- العلامة حسين خطاب (ت ١٤٠٨هـ)

هو العلامة حسين خطاب الميداني الدمشقي، ولد بدمشق، وبدأ حياته عاملاً في صنع دلات القهوة، ثم تلقفه الشيخ حسن حبنكة الميداني -رحمه الله- لما لمس فيه من أمارات النجابة، والذكاء فصار من طلاب العلم في جامع "منجك" في حي الميدان، وصار ينهل فيه من شتى فروع العلم والمعرفة.

وقد منحه الله فصاحة اللسان وحسن البيان، فكان من الخطباء البارزين منذ نعومة أظفاره، حفظ القرآن الكريم وجوده على الشيخ محمود فائز الدير عطاني (نسبة إلى دير عطية)، واتصل بشيخ القراء -في وقته- الشيخ محمد سليم الحلواني وحفظ الشاطبية تمهيداً لجمع القراءات، إلا أن وفاة الشيخ محمد سليم حالت دون ذلك، فاتصل بولده، الشيخ أحمد الحلواني الحفيد، وجمع عليه القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة، ثم جمع بعد ذلك العشر الصغرى أيضاً على

---

(١) جريدة المدينة العدد ٧٧٢٦ في ٩/ ١١/ ١٤٠٨ مقال للدكتور محمود محمد الطناحي.

الشيخ محمود فائز الديرعطاني، ثم اتصل بالشيخ عبدالقادر قويدر العربيلي[1]، فجمع عليه العشر الكبرى من طريق طيبة النشر.

وكان رحمه الله حسن السمت، لطيف المعشر، على صلة بالمجتمع، يرشد الناس ويعظهم، لم يراء لحاكم ولم يكتم كلمة الحق على اختلاف اتجاه الحكام الذين عاصرهم.

قرأ عليه الكثير من أهل الشام، وجمعت عليه القراءات العشر الكبرى قبيل وفاته أختان من بنات دمشق[2] وأخذ عنه الشيخ عبدالرزاق الحلبي الدمشقي القراءات من طريق الشاطبية والدرة، ومن طريق الشاطبية وحدها كل من الشيخ حسين الحجيري والشيخ محمد الخجا الدمشقي[3]، ولم يقرأ عليه جمعاً بالكبرى أحد من الرجال، أما من تلقى عنه التجويد، وتصحيح التلاوة فيخطئهم العد.

وكان له مجالس علمية في بيته وفي مسجد "منجك" في التفسير والتوحيد والتجويد والفقه والحديث والنحو والصرف وعلوم البلاغة وغيرها من العلوم الشرعية، وعينه القراء شيخاً لهم بعد وفاة شيخ القراء الدكتور الطبيب الجراح محمد سعيد الحلواني، وقد ألف العلامة حسين خطاب عدة مصنفات في القراءات[4]. توفي رحمه الله في ١٢ شوال سنة ثمان وأربعمائة وألف من الهجرة.

---

(١) العربيلي: نسبة إلى عربيل ويقال لها اليوم عربين، وهي من قرى غوطة دمشق.

(٢) أخذت هذه الترجمة مشافهة من الشيخ أيمن رشدي سويد.

(٣) انظر: تعليق الدكتور صلاح الدين المنجد على كتاب دور القرآن في دمشق للنعيمي ص ٦٥، ٦٦.

(٤) منها: كتاب إتحاف حرز الأماني برواية الأصبهاني. طبع دار الفكر بدمشق ١٤٠٨هـ.

الفصل الثاني:
جهود المسلمين في التأليف في علوم القرآن والقراءات

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أشهر المؤلفات من القرن الرابع إلى القرن الرابع عشر :

شهدت هذه المرحلة نهضة علمية كبيرة، واستمر نشاط العلماء وهاجاً كالسابق، وازدهرت حركة التأليف والتصنيف حتى بلغت الذروة، فما تكاد تجد علماً من تلك العلوم إلا وقد طرق العلماء أبوابه، وجالوا النظر في مبناه، حتى أطنبوا في البيان، وكشفوا عن دقائقه، وألفوا فيه المؤلفات التي شهدت لهم برسوخ القدم وعلو الكعب .

وقد تميزت هذه المرحلة بالتالي :

١- تشعب العلوم واتساعها، فقد ظهرت مصنفات كثيرة في فنون علوم القرآن المتنوعة، وارتفعت تلك المؤلفات في معالجتها للموضوعات عن المرحلة السابقة وتوسعت، كما توسعت في نظرتها لمادة تلك الموضوعات، حيث نهجت نهج الاستقراء والاستيعاب للأنواع التي ألفت فيها .

٢- التوجه لتحديد كثير من المفاهيم المتعلقة بعلوم القرآن، وتمحيص الكتابات السابقة، فوضعت الضوابط والقواعد التي جعلت

الكتابة أكثر موضوعية، وساهمت إلى حد كبير في إسقاط ما كان حشواً وفضولاً من الأقوال والآراء التي وجدت في المراحل المتأخرة من المرحلة السابقة، عند بعض المنتسبين للعلم.

٣) ظهور المصنفات الموسوعية الجامعة في علوم القرآن، وكانت هي السمة الجديدة في التأليف في هذه المرحلة، وقد كانت في البدايات محاولات لضم مجموعة من العلوم الهامة والمشكلة، والتي كثرت في تفسيرها الأقوال وتعددت المذاهب، في مصنف واحد، وتضمنت تلك المصنفات علوماً بعدد، ثم سرعان ما اتجهت الهمم لجمع كل العلوم التي تخدم النص القرآني، أو تسهل سبل فهمه، بين دفتين، تسهيلاً لطالب العلم، وتنظيماً للمعرفة على غرار علوم الحديث وسار التصنيف الموسوعي إلى جانب التصنيف الموضوعي، فمن العلماء من توجه للكتابة في نوع من أنواع القرآن كالقراءات مثلاً: أو كأقسام القرآن ولامات القرآن... إلخ، وفيما يلي ذكر لأهم تلك المصنفات.

كتاب السبعة في القراءات

كتاب السبعة في القراءات للإمام الحافظ الأستاذ أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي (ت ٣٢٤هـ) وكتاب السبعة قام بتحقيقه الدكتور شوقي ضيف، وطبعته دار المعارف المصرية الطبعة الثانية وعدد صفحاتها (٧٨٨) صفحة. ويبدو أن ابن مجاهد ألّف كتابه هذا لما رآه من تكاثر القراءات في زمانه، حيث وصل بها أبو عبيد القاسم بن سلام نحو ثلاثين قراءة، وتوسع فيها –فيما بعد– بعض القراء، حتى وصل بها إلى نحو خمسين قراءة، وأوشك ذلك أن يكون باباً لدخول شيء من الاضطراب على ألسنة القراء، ولا سيما أنهم ليسوا على درجة واحدة من الإتقان، بل هناك من يعتمد على نوع شاذ من القراءة خارج مصحف عثمان الذي اجتمعت عليه الأمة، فكانت الأمة في أمس الحاجة إلى شيخ نابه، يضع الأصول والأركان لقبول القراءات من جهة ولاختيار طائفة من القراء النابهين يكتفي بهم عمن سواهم، فجاء ابن مجاهد–رحمه الله–واستصفى من هؤلاء القراء سبعة من الأئمة القراء في الأمصار الإسلامية، وألف هذا الكتاب النفيس مبيناً اختلافهم في القراءة، وعرض قراءاتهم وأئمتها إماماً إماماً، ذاكراً نسبهم وأساتذتهم الذين تلقوا عنهم القرآن الكريم، واصلاً بينهم وبين الرسول ﷺ فقدَّم للأمة الإسلامية عملاً جليلاً باهراً استجابت له ورضيته.

والحق أن ابن مجاهد حين اختار السبعة لم يسقط رواية من سواهم ولم يبطلها ولم يعتقد أن قراءات هؤلاء السبعة هي الحروف السبعة

الواردة في الحديث، ولكن ذلك إنما اعتقده بعض الناس واهمين خلاف مراد ابن مجاهد، وهو إنما قصد أن ما سوى قراءات هؤلاء السبعة يأتي وراء السبعة في عدد من يقرؤون بها في الأمصار[1].

وقد وضح ابن جني[2] في كتابه[3] "المحتسب" معنى الشذوذ عنده، وعند ابن مجاهد وأنه لا يعني الضعف، إنما يعني قلة القراءة به في الأمصار بالقياس إلى قراءات السبعة، على أن هذه القلة لا تعني عدم التواتر، وعدم الثقة في أئمتها. وعدم تداولها واعتماد العلماء لها.

والخلاصة أن ابن مجاهد اهتم بضبط الروايات وتحرير أوجه الخلاف والتمييز بين الطرق ووضوح العبارة والتلخيص.

نسبة الكتاب إلى مؤلفه:

أجمع المترجمون[4] لابن مجاهد على أنه ألف "كتاب السبعة" وأن الأجيال ظلت تتناقله جيلاً بعد جيل، والعلماء ظلوا يروونه ويؤخذ عنهم مشافهة، ويجيزون لتلاميذهم روايته، حتى صار هذا الكتاب أصلاً وثيقاً لقراءات هؤلاء الأئمة السبعة، التي تحرّاها وحررها.

وهذا كله يدل دلالة واضحة على أن نسبة كتاب السبعة إلى ابن مجاهد

---

(١) مقدمة تحقيق السبعة ص ٢٢.

(٢) هو أحد الأعلام المشهورين بالعلم والفضل واسمه عثمان بن جني الأزدي ولد بالموصل سنة ٣٢٢هـ، وتوفي ٣٩٢هـ وله تسعة وأربعون كتاباً تقريباً. مقدمة تحقيق كتاب المحتسب لابن جني ١ / ٥-١٥ والأعلام ٤ / ٢٠٤.

(٣) المحتسب ١ / ١١، وكتاب السبعة ص ٢٢.

(٤) انظر: مقدمة السبعة ص ٣٤، ٣٥.

نسبة صحيحة لا يعتريها أدنى ريب، والذي دعا العلماء في اختلافهم على ضبط اسم هذا الكتاب هو أن تسمية ابن مجاهد هذا الكتاب باسم "كتاب السبعة" هي تسمية مبهمة، وذلك ما دفع بعضهم إلى تسميته: " كتاب السبعة لابن مجاهد المسند المقرئ" و"كتاب في اختلاف القراء السبعة" و"اختلاف قراء الأمصار في القراءات السبع" و"كتاب السبعة في منازل القراء" و"كتاب السبعة في مذاهب القراء" وآخر هذه التسميات تسمية محقق الكتاب الدكتور شوقي ضيف حيث أسماه "كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد" .

وكل هذه التسميات كما يظهر منها عبارة عن محاولة من أولئك العلماء جميعاً لشرح مضمون الكتاب[1] .

كتاب مختصر في شواذ القرآن

مؤلفه:

هو الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان، وكنيته أبو عبد الله النحوي اللغوي، نشأ في همذان[2] ثم وفد إلى بغداد سنة ٣١٤هـ ليتلقى عن شيوخها، ويأخذ من أعلامها. أخذ القراءات عرضا على ابن مجاهد وابن الأنباري، وأخذ بقية العلوم عن كثير من علماء بغداد وغيرها، توفي سنة ٣٧٠هـ[3] .

---

(١) المصدر السابق.

(٢) همذان: مدينة من كور الجبل فتحها المغيرة بن شعبة سنة ٢٤هـ. انظر: معجم البلدان للحموي ٥ / ٤١٠ والروض المعطار للحميري ص ٥٩٦ .

(٣) غاية النهاية ١ / ٢٣٧ والأعلام ٢ / ٢٣١ .

منهج المؤلف في كتابه:

بعد تأليفه لكتابه "البديع في القرآن الكريم" وحواشي البديع في القراءات" رأى أن يختصره بكتابه هذا "مختصر في شواذ القرآن" وهو يقع في مجلد واحد متوسط الحجم بنشر المستشرق ج براجشتراسر، وطبع بالقاهرة بمكتبة المتنبي.

وقد سار في هذا الكتاب على منهج وهو سرد القراءات الشاذة في الكلمة القرآنية الواحدة من أول القرآن إلى آخره موجها لهذه القراءات أحياناً وتاركاً للتوجيه أحياناً أخرى نظراً لأن كتابه كتاب مختصر.

يذكر المؤلف اسم السورة ثم يبدأ بسرد القراءات الشاذة الواردة في السورة، فيذكر القراءة في الكلمة القرآنية وينسبها لأصحابها، ثم يوجهها توجيهاً لغويا مختصراً أحياناً يبين فيه صحتها وقوتها في اللغة العربية.

كتاب الحجة للقراء السبعة

كتاب: الحجة للقراء السبعة، أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد:

مؤلفه:

أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان الفارسي، تعلم في بلده ورحل في طلب العلم إلى بغداد وبلاد الشام، ومضى إلى طرابلس فأقام بحلب مدة، وكان شيخه في القراءة ابن مجاهد حيث يقول أبو علي الفارسي في مقدمة كتابه الحجة " فإن هذا الكتاب نذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم في كتاب أبي بكر

أحمد بن العباس بن مجاهد المترجم بمعرفة قراءات أهل الأمصار في الحجاز، والعراق والشام بعد أن نقدم ذكر كل حرف من ذلك على حسب ما رواه وأخذناه عنه" ،وأبو علي الفارسي شيخ العربية في عصره بلا منازع، وكان أهل بغداد يقولون في زمانه: لو عاش سيبويه لاحتاج إليه، وكان أبو علي من نحاة البصرة، وهو خليفة سيبويه[١]. رأس المدرسة البصرية، توفي رحمه الله سنة سبع وسبعين وثلاثمائة على الراجح[٢].

التعريف بالكتاب:

أما موضوع الكتاب فهو الاحتجاج للقراءات وتوثيقها وتوجيهها والتماس الدليل لقراءة كل قارئ من القراء السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد، وذلك إما بالاستناد إلى قاعدة مشهورة في العربية،أو بالتماس علة خفية بعيدة الإدراك يحاول اقتناصها، أو توليدها أو بالاعتماد على القياس وحشد النظائر ومقارنة المثيل بالمثيل وهو ما برع فيه أبو علي، وكان يسوق لكل أسلوب من أساليب احتجاجه الآيات القرآنية والشعر الصالح للاحتجاج والحديث النبوي والأمثال العربية،ولغات العرب ولهجاتها وأقوال أئمة العربية وعلى رأسهم سيبويه الذي انتشرت عبارات كتابه في الحجة[٣].

والكتاب مطبوع، وصدر الجزء الأول منه بدار الكتاب العربي بالقاهرة وتوقف، ثم طبع بتحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي ومراجعة عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق. عن دار المأمون للتراث بدمشق عام ١٤٠٤هـ في طبعته الأولى.

---

(١) انظر: غاية النهاية ١/ ٢٠٦، والأعلام ٢/ ١٧٩.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر مقدمة المحقق لكتاب الحجة ص ١٤-١٥.

كتاب الغاية في القراءات العشر

المؤلف:

هو الأستاذ المقرئ أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران، أصله من أصفهان[1]. وسكن في نيسابور، ومات بها سنة ٣٨١هـ عن ست وثمانين سنة، كان إماماً ضابطاً متقناً ثقة مقرئاً زاهداً، سمع الحديث، وحدث، ورحل إلى الشام والعراق في طلب أسانيد القرآن، حتى صار من أئمة الفن في عصره[2].

التعريف بالكتاب:

صنف ابن مهران عدة كتب في القراءات والتجويد وكان من أهمها الغاية في القراءات العشر، جمع فيه المؤلف قراءات القراء العشر وقسم كتابه هذا إلى مقدمة: ذكر فيها أنه طلب منه أن يجمع القراءات التي قرأ بها لفظاً بجميع الروايات التي وجدها نقلاً مع ذكر الأسانيد، وقد اختصرها اختصاراً لطيفاً وترجم لسنده بتراجم موجزة خفيفة.

ثم بدأ بعدها بذكر أسانيد قراءة القراء العشرة، ثم فاتحة الكتاب واختلاف القراء فيها، ثم سورة البقرة، فالإدغام، ثم ذكر الإمالة، وذكر بعدها كل سور القرآن الكريم حتى آخره، وختم كتابه هذا بذكر اختلاف القراء في حذف الياء وإثباتها. وعلى هذا الكتاب شرحان مشهوران:

---

(١) أصفهان بفتح الهمزة وكسرها وهي مدينة مشهورة تقع في إيران. انظر معجم البلدان ١/٢٠٦.

(٢) غاية النهاية ١/٤٩، والأعلام ١/١١٥.

١- شرح أبي الحسن علي بن محمد القهندزي، كتبه قبل سنة ٤١٣هـ والنصف الأول من هذا الشرح مخطوط في المكتبة التيمورية (١ / ٢٨٢) وأما النصف الثاني ففي مكتبة البارودي ببيروت.

٢- شرح محمد بن حمزة بن نصر الكرماني المتوفى سنة ٥٠٠هـ، ومنه مخطوط بمكتبة علي أصغر حكمت في طهران مكتوب سنة ٦٠٧هـ.

وللمؤلف عدة كتب معروفة مثل: المبسوط في القراءات العشر، طبع بتحقيق سبيع حمزة وكتاب الشامل في القراءات وغيرها[١]. طبع بشركة العبيكان للطباعة والنشر بالرياض في (٣٧٥) صفحة، وطبع الطبعة الثانية سنة ١٤١١هـ في (٤٩٣) صفحة.

كتاب التذكرة في القراءات الثمان

للإمام أبي الحسن طاهر بن عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون بن المبارك المقرئ، الحلبي ثم المصري. أحد الحذاق المحققين.

أخذ القراءات من والده، وبرع في الفن، وقرأ على محمد بن يوسف ابن نهار، وعلي بن محمد بن خشنام المالكي بالبصرة وغيرهم. وروى الحديث عن المصريين: ابن حيويه النيسابوي، والحسن بن رشيق، ولقي ببغداد أبا بكر القطيعي، وبحلب الحسين بن خالويه النحوي. وكان من كبار المقرئين في عصره بالديار المصرية. قرأ عليه القراءات أبو عمرو الداني وغيره، توفي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة[٢].

---

(١) انظر مقدمة محقق كتاب الغاية ص ١٣-١٩.

(٢) معرفة القراء ١ / ٣٦٩، وغاية النهاية ١ / ٣٣٩.

منهج المصنف في الكتاب:

رتب المصنف المادة العلمية في كتابه "التذكرة" على أربعة أقسام:

الأول: هو المقدمة، بيّن فيها موضوع الكتاب وطريقته في ذكر المعلومات، والغاية من هذا التأليف فقال: "فإني ذاكر في هذا الكتاب ما تأدى إليّ من قراءة أئمة الأمصار المشهورين، بالإيجاز، تذكرة للعالم، وتقريباً على المتعلم..."[1].

الثاني: ويتضمن هذا القسم باب ذكر الأسانيد، وفيه يشرع المصنف بذكر القراء الثمانية، واحداً واحداً، مع بيان الأسانيد التي وصلته بهم رواية وقراءة، ثم أسانيد هؤلاء الثمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، السبعة ويعقوب الحضرمي.

الثالث: ويتضمن ذكر الخلاف بين القراءات في الحروف التي يكثر دورها أي يبدأ بالأصول ثم الفرش[2].

الرابع: بهذا القسم يختم المصنف كتابه، وهو يتضمن باب ذكر التكبير للبزي من (والضّحى) ويتكلم فيه على ورود التكبير للختم عن البزي وعن قراءة الفاتحة وخمس آيات من أول البقرة عند الختم مدعّماً ذلك بأحاديث مسندة.

---

(١) انظر مقدمة محقق كتاب التذكرة ص ٧٩.

(٢) القراء يسمّون ما قل دوره من حروف القراءات المختلف فيها فرشاً بخلاف الأصول فإن الأصل الواحد منها ينطوي على الجميع، وهذا التقسيم على الغالب. انظر: شرح شعلة على الشاطبية ص ٢٥٤، ٢٥٥، وسراج القارئ لابن القاصح ص ١٤٨.

كتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها

مؤلفه :

هو عثمان بن جني الأزدي، ولا يعرف من نسب ابن جني غير أبيه، وكنيته أبو الفتح، وقد ولد ابن جني بالموصل، وفيها نشأ، وإليها ينسب، ولد سنة ٣٢٢هـ أو ٣٢١هـ وتوفي سنة ٣٩٢هـ وابن جني أحد الأعلام المشهورين بالعلم والفضل وقد أحصي له في مقدمة تحقيق الخصائص تسعة وأربعون كتاباً .

التعريف بالكتاب :

بعد أن ألَّف أبو علي الفارسي كتابه الحجة للقراء السبعة، فكر أن يؤلف كتاباً مثله يحتج فيه للقراءات الشاذة، فاعترضت خوالج هذا الدهر دونه .

من أجل هذا تجرد ابن جني للقراءات الشاذة ينوب عن شيخه في الاحتجاج لها، ويؤدي حقها عليه، كما أدى شيخه حق القراءات غير الشاذة عليه، إذ كانت داعية الاحتجاج للنوعين ثابتة، والاستجابة لها لازمة .

ومنهج المحتسب كمنهج الحجة لأبي علي الفارسي، ولا يكاد يخالفه إلا بمقدار ما تقتضيه طبيعة الاحتجاج لجماعة القراء والقراءة الشاذة، فأبوالفتح يعرض القراءة ويذكر من قرأ بها، ثم يرجع في أمرها إلى اللغة، يلتمس لها شاهداً فيرويه أو نظيراً فيقيسها عليه، أو لهجة فيردها إليها ويؤنسها بها، أو تأويلاً أو توجيهاً فيعرضه في قصد وإجمال .

أما شواهد المحتسب فكثيرة، لكن يشيع فيها تكرار مقتضيات الاستشهاد بها وأغلبها من الشعر، وفيها قليل من حديث الرسول ﷺ وكلام البلغاء والأمثال السائرة وطريقته في إيرادها لا تخالف طريقة العلماء الآخرين، فهو ينسب بعضها ولا ينسب بعضها الآخر، ويرويها في أكثر الأمر أبياتاً كاملة[1]. وإليك مثالاً من الكتاب، قال أبو الفتح عن قوله تعالى: ﴿... وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧ سَلَٰمٌ قَوۡلًا ...﴾. وقوله: "سلاماً قولاً "[2]: أما الرفع فعلى أوجه، أحدها: أن يكون مقطوعاً مستأنفاً: والثاني أن يكون على ما يدعون سلم لهم، أي مسلم لهم... ووجه ثالث وهو: أن يكون (لهم) خبراً عن (ما يدعّون)، (وسلم) بدل منه، ووجه رابع وهو: أن يكون (لهم) خبراً عن (ما يدعون) و(سلم) خبر آخر ونصب (قولاً) على المصدر أي: قال الله ذلك قولاً (وأما سلاماً) بالنصب فحال مما قبله. أي كان ذلك لهم مسلماً[3].

والكتاب طبع بتحقيق علي النجدي ناصف والدكتور عبد الحليم النجار والدكتور عبد الفتاح شلبي، عناية المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية عام ١٣٨٦هـ بالقاهرة، في مجلدين.

---

(١) انظر: مقدمة المحقق لكتاب المحتسب ١/٥-١٥.

(٢) سورة (يسٓ) وهي قراءة شاذة كما هو واضح من عنوان الكتاب.

(٣) انظر: المحتسب ٢/٢١٥ بتصرف.

كتاب حجة القراءات

مؤلفه:

الإمام الجليل أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة.

عاش ابن زنجلة، في القرن الرابع الهجري وعاصر أمثال الفارسي[1]. والسيرافي[2]، وابن فارس[3]، وابن جني، وكان قاضيا على مذهب الإمام مالك –رحمه الله–[4].

ألف كتابه "حجة القراءات" قبل سنة ٤٠٣هـ على الأقل، وله كتاب "شرف القراء في الوقف والابتداء" (خ) جزآن في خزانة عاكف العاني ببغداد.

منهج المؤلف في كتابه:

اتبع المؤلف في كلامه على القراءات الترتيب المعروف للسور من فاتحة الكتاب إلى خاتمته، إلا بعض السور القصار التي ليس فيها خلاف يذكر،

---

(١) الفارسي هو: أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي عالم نحوي وكان شيخه في القراءة ابن مجاهد ورحل في طلب العلم له عدة مؤلفات منها كتابه الحجة في القراءات، توفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة. غاية النهاية ١/٢٠٦.

(٢) والسيرافي هو: الحسن بن عبدالله المرزبان، نحوي، عالم بالأدب، أصله من بلاد فارس تفقّه في عمّان وسكن بغداد وتوفي فيها سنة ثمان وستين وثلاثمائة من الهجرة وله عدة كتب. انظر الأعلام ٢/١٩٥، ١٩٦.

(٣) ابن فارس هو: أحمد بن فارس بن زكريا الرازي من أئمة اللغة والأدب له تصانيف كثيرة منها معجم مقاييس اللغة توفي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة من الهجرة. انظر: الأعلام ١/١٩٣.

(٤) والإمام مالك هو مالك بن أنس إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة وإليه تنسب المالكية مولده ووفاته بالمدينة المنورة وله كتب منها الموطأ. سير أعلام النبلاء ٨/٤٨–١٣٥.

فهو يذكر عنوان السورة في منتصف السطر، ثم يشرع في الكلام على الآيات التي فيها أوجه للقراءات على ترتيبها في السورة، فينسب كل قراءة إلى قارئها من السبعة، ثم يذكر الحجة من القرآن نفسه بدءاً بها، وإذا كانت الحجة في حديث ذكره، كما يحتج بالشعر وبالنثر وبكلام اللغويين وأهل النحو... حتى إذا فرغ انتقل إلى آية بعدها مما فيه وجوه مختلفة متجاوزا الآيات التي لا خلاف في قراءتها بين السبعة.

ويمتاز كلامه وشرحه بالوضوح والإيجاز، وإذا كان له اختيار ذكره بعد فراغه من عرض الوجوه المختلفة للقراءات الصحيحة. ويشرح مذاهب القراء في الأداء عند اجتماع الهمزتين مثلاً،أو مذاهبهم في الآيات وغيرها من المباحث ويعنون لها[1].

طبع الكتاب بتحقيق سعيد الأفغاني في مجلد ضخم بمؤسسة الرسالة بيروت في طبعته الرابعة ١٣٩٤هـ.

كتاب التبصرة في القراءات

مؤلفه:

هو مكي بن أبي طالب أبو محمد القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي إمام علامة محقق عارف، أستاذ القراء والمجودين، ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة بالقيروان، وكان من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية حسن الفهم والخلق جيد الدين والعقل كثير التأليف في علوم القرآن محسناً مجوداً عالماً بمعاني القراءات، دخل الأندلس

---

(١) محقق كتاب الحجة الأستاذ سعيد الأفغاني ص ٣٠ وما بعده.

سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وجلس للإقراء بجامع قرطبة، وعظم اسمه وجلَّ قدره، والمعروف له ثمانون تأليفاً[1].

التعريف بالكتاب:

تحدث المؤلف في أصول القراءة وذكر ما اختلف فيه المشهورون من القراء وخرّج في الكتاب أربع عشرة رواية معتمداً على ما قرأ به على شيخه أبي الطيب بن غلبون الحلبي، وقلّ ما ذكر ما كان قد قرأ به على غيره، ونبه على قول مخالفه في بعض رواياته واختياراته، وقلل فيه الروايات الشاذة وترك التكرار، لكنه جمع من أصول ما فرّق في الكتب، ويمتاز مكي بأنه لا يستطرد في كتبه مما يجعل لموضوعه اتساقا يقف القارئ فيه على المراد، بدأ المؤلف كتابه بخطبة ثم ذكر أسماء القراء، وذكر السند المتصل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر الاستعاذة والبسملة واختلاف القراء فيهما، وذكر اختلافهم في فاتحة الكتاب، واختلافهم في سورة البقرة، وفي المد والقصر وما اختلف فيه من المد، باب المد في فواتح السور، اختلافهم في اجتماع الهمزتين... ثم ذكر اختلافهم في ما قل دوره من الحروف، ويتابع ذكر الاختلاف في السور على ترتيبها المعهود إلى آخر القرآن[2].

طبع الكتاب في الهند ثم طبع في معهد المخطوطات العربية بالكويت بتحقيق د. محي الدين رمضان عام ١٤٠٥هـ في طبعته الأولى.

---

(١) لمعرفة كتب مكي وترجمته انظر كتاب (مكي وتفسيره القرآن الكريم) للدكتور أحمد حسن فرحات.

(٢) انظر مقدمة محقق كتاب التبصرة ص ٧-١٢.

كتاب الروضة[1]
في القراءات الإحدى عشرة

مؤلفه:

الإمام الحسن بن محمد بن إبراهيم المالكي، الفقيه البغدادي ثم المصري أبو علي، الأستاذ المقرئ، مصنف كتاب الروضة والتمهيد في القراءات.

عاش في القرن الرابع الهجري وجزءاً من القرن الخامس الهجري، وتمتع -رحمه الله- بمكانة علمية كبيرة في عصره وفي العصور اللاحقة لعصره، واشتهر كتابه الروضة في القراءات، واعتمد عليه أهل هذا الفن، وعدّوه من كتب الأمهات في القراءات القرآنية، فهو كتاب مسند، أسند فيه القراءات من شيوخه إلى القراء الذين روى لهم -العشرة والأعمش- وذكره الإمام الذهبي بقوله: " إمام مقرئ متصدر في الإقراء... وسكن مصر وصار شيخ الإقراء بها "[2]. واعتمد ابن الجزري على كتاب الروضة وجعله أصلاً من أصول كتابه الجليل: "النشر في القراءات العشر".

توفي -رحمه الله- سنة ٤٣٨هـ بمصر[3].

التعريف بالكتاب:

ضمّن المصنف كتابه قراءات الأئمة العشرة المشهورين وزاد رواية الأعمش، ولم يذكر سبب اختياره لرواية الأعمش، وكان سبب تأليف

---

(١) حقق كتاب الروضة في القراءات الإحدى عشرة في كلية أصول الدين بالرياض.

(٢) انظر: معرفة القراء ١/٣٩٦، ٣٩٧، وغاية النهاية ١/٢٣٠.

(٣) المرجع السابق.

كتاب الروضة: إجابة لطلب أحد تلاميذه بأن يجمع ويلخص مروياته في القراءات، واستهل بحمد الله تعالى والثناء عليه، ثم ذكر شيوخه وطرق أخذه للقراءات بسند متصل. واحتوى على مائة وعشر روايات، ثم ذكر المصطلحات التي يستخدمها في كتابه ثم ذكر باب معرفة الأسانيد وبين فيها سند كل رواية قرأها إلى الأئمة الأحد عشر، ورفعها إلى رسول الله ﷺ ثم شرح أبواب أصول القراءات وختمها بباب فرش حروف القرآن.

وهذا الكتاب: تشرفت بتحقيقه ودراسته، في قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤١٥هـ، وأجيزت الرسالة بمرتبة الشرف الأولى.

كتاب التيسير في القراءات السبع

مؤلفه:

هو الإمام العلامة الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأموي مولاهم القرطبي المعروف في زمانه بابن الصيرفي، ولد سنة ٣٧١هـ وبدأ بطلب العلم منذ نعومة أظفاره، ورحل إلى المشرق ودخل مصر سنة ٣٨٧هـ، كان أبو عمرو آية في علم قراءة القرآن وطرقه ورواياته، وتفسيره ومعانيه، وإعرابه، ولم يكن في عصره من يضاهيه في قوة حفظه وحسن تحقيقه، ونقل عنه أنه كان يقول: ما رأيت شيئاً قط إلا كتبته، وما كتبته إلا حفظته ولا حفظته فنسيته. وكان أيضاً بارعاً بعلوم الحديث وطرقه وأسماء رجاله وكذلك في الفقه وسائر أنواع العلوم، توفي رحمه الله سنة ٤٤٤هـ[1].

(١) انظر: معرفة القراء ١/٤٠٦-٤٠٩، وغاية النهاية ١/٥٠٣-٥٠٥.

التعريف بالكتاب:

يسمى هذا الكتاب أيضاً "التيسير في علم القراءات السبع" وغير ذلك من الأسماء وبهذا الكتاب اشتهر المؤلف، والحق أنه من أصح الكتب المؤلفة في علم القراءات وضبطها كما قال ذلك ابن الجزري[1] وقد نظمه أبو محمد القاسم بن فيره الشاطبي[2] تسهيلاً لحفظه وتعليمه في القصيدة الموسومة بـ"حرز الأماني ووجه التهاني" والمعروفة بالشاطبية، فصار الفرع أشهر من الأصل وأكثر شروحاً منه لأن النظم أسهل للحفظ.

وكتاب التيسير منقسم من حيث ذكر خلاف القراءات قسمين:

القسم الأول: يبحث في اختلاف القراء السبعة ومذاهبهم التي تطرد ويكثر دورها في السور ويجري القياس عليها كنحو الاختلاف في الإظهار والإدغام والمد والقصر والهمزتين والفتح والإمالة وبين اللفظين والوقف وغير ذلك من الأبحاث، وهو مرتب على أبواب وفصول وترتيب المسائل فيها تابع لما يرد في الفاتحة وأوائل البقرة من الحروف على سياقها.

وأما القسم الثاني: فيحتوي على ذكر الحروف التي يقل ورودها في القرآن الكريم ولا يقاس عليها، واختلاف القراء في هذا الباب أكثر توسعاً من القسم الأول، كمثل اختلافهم في القراءات بالجمع والتوحيد وبالاستفهام والخبر وبالخطاب والأخبار إلى غير ذلك[3].

---

(١) في كتابه تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة ص ٧.

(٢) الشاطبي هو: القاسم بن فيره بن خلف الشاطبي الرعيني الضرير أحد الأعلام ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بشاطبة بالأندلس، قرأ ببلده القراءات، وتصدر للإقراء في مصر وتوفي فيها سنة ٥٩٠هـ، انظر: غاية النهاية ٢ / ٢٠-٢٣.

(٣) انظر: مقدمة الناشر لكتاب التيسير ص ط، ي.

ولأبي عمرو كتاب جليل آخر هو كتاب "جامع البيان في القراءات السبع" الذي اشتمل على نيف وخمسمائة رواية وطريق عن الأئمة السبعة، قال ابن الجزري في هذا الكتاب: "كتاب جليل في هذا العلم لم يؤلف مثله"[1].

وقد نال به الدكتور عبد المهيمن طحّان درجة الدكتوراه، ورسالته بعنوان "جامع البيان في القراءات السبع، دراسة وتحقيق من أول الكتاب إلى أول فرش الحروف".

وكتاب التيسير مطبوع في مجلد بتصحيح المستشرق أوتوبرتزل عام ١٤٠٤ هـ في طبعته الثانية عن دار الكتاب العربي ببيروت.

كتاب العنوان في القراءات السبع

مؤلفه:

هو أبو طاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران الأنصاري الأندلسي ثم المصري الإمام العالم المقرئ الأديب النحوي.

وقد وصفه ابن خلكان فقال: "كان إماماً في علوم الآداب متقناً لفن القراءات"[2] وقال السيوطي[3]: إنه تصدر للإقراء زماناً، ولتعليم العربية، وكان رأساً في ذلك"[4]. وأقرأ الناس بجامع عمرو بن العاص

---

(١) ابن الجزري في النشر ١ / ٦١.

(٢) وفيات الأعيان ١ / ٢٣٢.

(٣) السيوطي هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين له أكثر من ٦٠٠ مصنف نشأ في القاهرة يتيماً توفي ٩١١هـ. انظر: شذرات الذهب ٨ / ٥١.

(٤) حسن المحاضرة للسيوطي ١ / ٤٩٤.

بمصر، وتوفي رحمه الله سنة خمس وخمسين وأربعمائة بمصر[1].

ويعد كتاب "العنوان" من الكتب التي اعتمد عليها ابن الجزري في تأليف كتابه النشر في القراءات العشر.

التعريف بالكتاب:

سلك المؤلف في هذا الكتاب أسلوب الإيجاز والاختصار ليقرب على الدارسين تناوله، قاصداً الإبانة والوضوح من غير إسهاب أو تطويل، ليكون سهل التناول قريب التداول للمختصين، وقد جرده من الأسانيد، ومظاهر التعليل التي نجدها في كتب ذلك العصر، وقد أفصح أبو الطاهر عن منهجه في هذا الشأن في مقدمة "العنوان" بقوله: "وقد أضربت عن ذكر أسانيدي في هذا المختصر -يعني العنوان- إذ كنت بينتها في كتاب "الاكتفاء" فمن أراد شيئاً التمسه هناك إن شاء الله"، ويمكن تقسيم الكتاب قسمين: الأول يبحث في اختلاف القراء السبعة وما اطرد من قراءاتهم، وجرى القياس عليها كاختلافهم في المد والقصر والهمزتين في كلمة أو كلمتين والإظهار والإدغام والفتح والإمالة وهو ما يعرف "بالأصول".

أما القسم الثاني: فهو أكبر من سابقه وهو مشتمل على ذكر مظاهر الاختلاف في "الحروف" عند القراء السبعة على سياق ورودها في القرآن الكريم[2] أي فرش الحروف.

---

(١) النشر ١/ ٦٤، وغاية النهاية ١٦٤، والأعلام ١/ ٣١٣.

(٢) انظر: مقدمة محقق كتاب العنوان ص ١١، ١٢.

والكتاب طبع بتحقيق الدكتور زهير زاهد والدكتور خليل العطية عام ١٤٠٦ هـ في طبعته الثانية وقد حقق هذا الكتاب أيضاً في رسالة علمية الدكتور عبد المهيمن طحّان في مرحلة الماجستير، بجامعة أم القرى.

كتاب إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر

مؤلفه:

هو محمد بن الحسين بن بُندار أبو العز الواسطي القلانسي، شيخ العراق ومقرئ القراء بواسط، صاحب التصانيف، أستاذ، ولد سنة خمس وثلاثين وأربعمائة بواسط[١]. وبعد حياة دامت ستاً وثمانين سنة، توفي أبو العز في شوال سنة إِحدى وعشرين وخمسمائة بواسط[٢].

التعريف بالكتاب:

يمكن تقسيم إرشاد أبي العز ثلاثة أقسام:

١- أسانيده في القراءات العشر.

٢- الأصول، يذكر المؤلف في كل باب اختلاف القراء فيه مستشهداً لكل جزئية بما يناسبها من الحروف.

٣- الفرش: ويبدأ باختلاف القراء في البسملة ويثني باختلافهم في سورة الفاتحة فالبقرة وآل عمران، ثم يختم كل سورة بذكر ياءاتها ــ إن وجدت..

---

(١) انظر: معرفة القراء ١/ ٤٨٦.

(٢) غاية النهاية ٢/ ١٢٨، ١٢٩، والأعلام ٦/ ١٠١.

يُعَدُّ هذا الكتاب من كتب القراءات القلائل التي تلقاها الناس بالقبول وأجمعوا عليها من غير معارض، لأن مؤلفه اشترط الأشهر واختار ما قطع به عنده. وكان أهل العراق لا يحفظون سوى الإرشاد لأبي العز ولهذا نظمه كثير من الواسطيين والبغداديين. واعتمد هذا الكتاب العلامة ابن الجزري في نشره.

والكتاب طبع بتحقيق الشيخ عمر حمدان الكبيسي وهي رسالة علمية قدمت إلى جامعة أم القرى لنيل درجة الماجستير، والكتاب من نشر المكتبة الفيصلية بمكة في طبعته الأولى ١٤٠٤هـ في مجلد واحد.

كتاب الإقناع في القراءات السبع

مؤلفه:

هو أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري، المعروف بابن الباذش، ولد بغرناطة عام ٤٩١هـ، قال ابن الجزري عنه: "أستاذ كبير وإمام محقق محدث، ألف كتاب الإقناع في السبع من أحسن الكتب، ولكنه ما يخلو من أوهام نبهت عليها في كتابي الإعلام.."[١]. كان أبو جعفر علماً من أعلام الأندلس، ومفخرة من مفاخرها، ومحدثاً ثقة، وكان من أهل الرواية والدراية، وجمع علوم الدين والعربية معاً، توفي رحمه الله سنة ٥٤٠هـ[٢].

أما كتاب الإقناع: فهو محكم التأليف، مرتب الأبواب، غزير المادة. ويبدأ الكتاب بمقدمة بارعة، يتلوها باب في تراجم القراء السبعة ورواتهم

---

(١) غاية النهاية ١/ ٨٣، والأعلام ١/ ١٧٣.

(٢) المصدر السابق.

الأربعة عشر المشهورين، وأسانيد هؤلاء الرواة إلى القراء، وأسانيد هؤلاء القراء إلى رسول الله ﷺ، ثم إسناد المؤلف إلى كل راوٍ من ا لرواة، ويتلو ذلك فصل في الاستعاذة وما يتعلق بها، وآخر في البسملة وما يتعلق بها.

وبعد ذلك يأتي أبواب الأصول، وهي: الإدغام، فالإمالة، فالراءات واللامات، فالهمز، فالمد، فالهاءات، فالوقف، فالياءات، فاختلاف مذاهب القراء في كيفية التلاوة وتجويد الأداء، فما خالف فيه الرواة أئمتهم، ثم يأتي بعد ذلك فرش الحروف، وهو القسم الثاني من الكتاب، ثم ينتهي بخاتمة في التكبير وما يتعلق به، ويعد كتاب الإقناع تنقيحاً وتهذيباً، وشرحاً وتتميماً لكتابَي "التبصرة" لمكي بن أبي طالب القيسي، و"التيسير" للداني"[1]. طبع كتاب الإقناع بتحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش سنة ١٤٠٣هـ في طبعته الأولى بإشراف مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى في مجلدين.

كتاب حرز الأماني ووجه التهاني المعروف «بالشاطبية» أو «اللامية»

ناظمه:

هو العلامة القاسم بن فيره بن خلف الشاطبي، إمام القراء، ولد سنة ٥٣٨هـ بشاطبة، قرية من قرى الأندلس، وكان عالماً بالحديث والتفسير واللغة، ونظم أيضاً بشاطبة قصيدته الرائية المسماة عقيلة أتراب القصائد في رسم المصحف (ط) وقصيدة أخرى تسمى ناظمة الزهر في عد الآي

(١) انظر: مقدمة محقق كتاب الإقناع ص ٩-٣٢.

طبعت بمطبعة صبيح بتحقيق وضبط محمد الصادق القمحاوي، وقصيدة دالية (خمسمائة بيت) لخص فيها كتاب التمهيد لابن عبدالبر. توفي رحمه الله سنة تسعين وخمسمائة بالقاهرة [1].

أما منظومته -حرز الأماني- فهي من أحسن المؤلفات المنظومات في علم القراءات، فإنها جمعت ما تواتر عن الأئمة القراء السبعة بمضمن كتاب "التيسير" للداني، قصد بها المؤلف تيسير هذا العلم، وتقريب حفظه، وتسهيل تناوله، وقد بلغ عدد أبياتها ألفاً ومائة وثلاثة وسبعين بيتاً، وتعد هذه القصيدة من عيون النظم، بما اشتملت عليه من عذوبة الألفاظ، ورصانة الأسلوب، وجمال المطلع والمقطع، وروعة المعنى، وسمو التوجيه وبديع الحكم وحسن الإرشاد. فلا عجب أن يتلقاها العلماء في سائر الأعصار والأمصار بالقبول ويعنوا بها أعظم عناية، ويتوافروا على شرح ألفاظها وحل رموزها، وكشف أسرارها، واستخراج دررها وجواهرها. قال ابن الجزري في وصف هذه القصيدة: "من وقف على قصيدتيه علم مقدار ما آتاه الله في ذلك خصوصاً اللامية التي عجز البلغاء من بعده عن معارضتها.. ولقد رزق هذا الكتاب من الشهرة والقبول ما لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن بل أكاد أن أقول ولا في غير هذا الفن.."[2].

ولأهمية هذا النظم سأذكر بعض من شرحها واختصرها.

---

(١) انظر: معرفة القراء ٢ / ٥٧٣-٥٧٥، والبداية والنهاية لابن كثير ١٣ / ١١، وغاية النهاية ٢ / ٢٠-٢٣.

(٢) غاية النهاية ٢ / ٢٢.

أ- من أشهر شروح الشاطبية :

١- فتح الوصيد : لعلي بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣هـ) تلميذ الناظم وصاحبه وهو أول من شرحها، واشتهرت بسببه[١] والكتاب مخطوط في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم: ٤٦ . وأخبرني الدكتور عبدالعزيز القاري أنه يحقق هذا الكتاب، ولكني سمعت أن الكتاب حققه في رسالة علمية الدكتور أحمد الزعبي في جامعة القرآن الكريم في السودان .

٢- كنز المعاني شرح حرز الأماني : للإمام أبي عبدالله محمد بن أحمد بن محمد الموصلي المعروف بـ (شعلة) (ت ٦٥٦هـ) والكتاب مطبوع في مجلد واحد على نفقة الاتحاد العام لجماعة القراء بمصر في طبعته الأولى عام ١٣٧٣هـ بتصحيح متولي عبدالله الفقاعي، ومحمد سليمان صالح . ويمتاز هذا الشرح بحسن النظام وجمال الترتيب ويتكلم على البيت من ناحية اللغة والإعراب والمعنى .

٣- إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع : للإمام عبد الرحمن ابن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة الدمشقي المتوفى سنة ٦٦٥هـ. والكتاب مطبوع في قطع كبير يبلغ ٧٦٣ صفحة بتحقيق إبراهيم عطوة عوض، عام ١٤٠٢هـ بشركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٤- كنز المعاني : لإبراهيم بن عمر الجعبري (ت ٦٣٢هـ) (خ) ومخطوطاته في أغلب المكتبات وصفه القسطلاني بأنه "شرح عظيم لم يصنف مثله"[٢] .

---

(١) انظر: لطائف الإشارات للقسطلاني ١ / ٨٩.

(٢) المصدر السابق.

٥- سراج القارئ المبتدي وتذكرة المقرئ المنتهي: للإمام أبي القاسم علي بن عثمان بن القاصح البغدادي (ت ٨٠١هـ) والكتاب مطبوع في مجلد كبير عن دار الفكر للنشر. وقد ذكر العلماء من شروح الشاطبية أكثر من ٤٠ مؤلفاً[١].

ب - ومن أشهر مختصرات الشاطبية:

١- "الشمعة" قصيدة رائية قدر نصف الشاطبية: أحسن نظمها واختصارها الإمام أبو عبدالله محمد الموصلي المعروف بـ(شعلة) (ت٦٥٦هـ).

٢- مختصر عبد الصمد التبريزي (ت ٧٦٥) في خمسمائة بيت.

٣- نظم درر الجلا لعبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقي (ت٧٦٨هـ).

٤- حوز المعاني: لابن مالك النحوي (ت ٦٧٢ هـ).

وكثير من هذه الكتب التي ذكرت والكتب التي أغفلت الحديث عنها -اختصاراً- ما بين مخطوط ومفقود. وللاستزادة من معرفة شروح الشاطبية ومختصراتها. انظر كتاب "كشف الظنون لحاجي خليفة" (مادة حرز الأماني).

---

(١) كشف الظنون لحاجي خليفة مادة (حرز الأماني).

كتاب جمال القراء وكمال الإقراء

مؤلفه:

هو الإمام أبو الحسن، علي بن محمد بن عبد الصمد، علم الدين السخاوي ولد في سخا بمصر[1] سنة ٥٥٨هـ أو ٥٥٩هـ، وانتقل إلى القاهرة يتعلم ويتفقه ويأخذ على كبار العلماء، والتقى بالإمام الشاطبي فلازمه وأخذ عنه القراءات واللغة والنحو، كما أفاد من كبار علماء العصر في القاهرة والإسكندرية ودمشق، وارتحل السخاوي إلى دمشق أواخر القرن السادس وأقام فيها، فعلَت مكانته وذاع صيته، وصار إماماً في التفسير والقراءات واللغة والنحو، وتصدر بجامعها للإقراء والإفادة، فاجتمع عليه الطلاب يفيدون منه، ويتلقون علومهم عليه، وبقي على ذلك أكثر من أربعين سنة تتلمذ له فيها عدد كبير من العلماء كأبي شامة المقدسي، وتبوأ أبو الحسن المناصب في دمشق، وألف الكتب النافعة، وصنف في علم القراءات وشرح قصيدة شيخه في القراءات شرحاً كافياً، وقد تقدم تعريفها وواصل حياة البحث والتعليم إلى أن توفي ليلة الأحد، ثاني عشر من جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة[2].

التعريف بالكتاب:

الكتاب كما وصفه العلماء مجموعة من الكتب، جعلها المؤلف

---

(١) سخا: بلدة مصرية تقع في محافظة كفر الشيخ.

(٢) انظر: معرفة القراء ٢ / ٦٣١، وغاية النهاية ١ /٥٦٨-٥٧٠.

تحت كتاب واحد، ومن أجل ذلك ولكون كل مبحث فيه يصلح أن يكون كتاباً، كثر ذكر المترجمين للمؤلف لأقسام منه على أنها كتب مستقلة، ووجدت نسخاً من هذه الأقسام في مخطوطات مستقلة وقد سمى كل قسم من أقسام جمال القراء كتاباً، فكان مجموع ذلك عشرة كتب وهي: نثر الدرر في ذكر الآيات والسور، والإفصاح الموجز في إيضاح المعجز، ومنازل الإجلال والتعظيم في فضائل القرآن العظيم، وتجزئة القرآن، أقوى العدد في معرفة العدد، ذكر الشواذ، الطود الراسخ في المنسوخ والناسخ، مراتب الأصول وغرائب الفصول، ومنهاج التوفيق إلى معرفة التجويد والتحقيق، والاهتداء في معرفة الوقف والابتداء. وفي كل كتاب من هذه الكتب، يسعى المؤلف إلى جعله جامعاً شاملاً فينقل ما جاء للعلماء فيه، وينسق الآراء والأقوال، ليجعلها بين يدي القارئ ميسورة سهلة فهو كمدرس مقرئ، يريد أن يوفر للطلاب كتاباً فيه خلاصة جهود العلماء، وهو يرجع إلى كثير من الكتب والمصادر، والمؤلف يروي كثيراً من الأحاديث النبوية الشريفة مسندة عن شيوخه إلى مصادرها في كتب الحديث، وخلاصة القول أن الكتاب جيد نافع، فيه كثير من المباحث القيمة المفيدة[1].

والكتاب صدر بتحقيق الدكتور علي حسين البواب في طبعته الأولى عام ١٤٠٨هـ في مجلدين عن مطبعة المدني بمصر، توزيع مكتبة التراث بمكة المكرمة.

---

(١) انظر: مقدمة جمال القراء ١/٨-١١.

كتاب المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز

مؤلفه:

عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم أبو القاسم المقدسي ثم الدمشقي، المعروف بأبي شامة الشيخ الإمام العلامة الحجة والحافظ ذو الفنون، وقيل له أبو شامة لأنه كان فوق حاجبه الأيسر شامة كبيرة، ولد سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وقرأ القراءات على السخاوي[١]. وصنف الكثير في أنواع من العلوم فشرح الشاطبية مطولاً ولم يكمله ثم اختصره وهو الشرح المشهور "إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع" وغير ذلك من الكتب، وكان مع كثرة علومه وفضائله متواضعاً مطرح التكلف، ولي مشيخة الحديث الكبرى بالأشرفية[٢]، ومشيخة الإقراء، توفي رحمه الله في شهر رمضان في التاسع عشر سنة خمس وستين وستمائة[٣].

التعريف بالكتاب:

ذكر المؤلف في مقدمته وصف الكتاب بقوله: "فهذا تصنيف جليل يحتاج إليه أهل القرآن، خصوصاً من يعتني بعلم القراءات السبع ولا يعرف معنى هذه التسمية ولا ماذا قصده الرسول –بقوله: "أنزل

---

(١) تقدم التعريف به قريباً.

(٢) تقع هذه المدرسة في دمشق الشام.

(٣) انظر: غاية النهاية ١/ ٣٦٥، ٣٦٦، والأعلام ٣/ ٢٩٩.

القرآن على سبعة أحرف"[1] ولا يدري ما كان الأمر عليه في قراءة القرآن وكتابته في حياة الرسول- إلى أن جمع بعده في خلافة أبي بكر ثم جمع في خلافة عثمان رضي الله عنهما، ولا يهتدي إلى ما فعله كل واحد منهما، وما الفرق بين جمعيهما، وما الضابط الفارق بين القراءات الشواذ وغيرها؟

وأرجو أن يكون هذا التصنيف مشتملاً على ذلك كله، قيماً ببيانه مع فوائد أخرى تتصل به وبالله التوفيق"[2].

والكتاب مطبوع بتحقيق طيار آلتي قولاج، وصدر عن دار صادر ببيروت سنة ١٣٩٥هـ في (٢٨٨) صفحة متوسط الحجم.

كتاب معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار

مؤلفه:

محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبدالله الذهبي الحافظ أستاذ ثقة كبير، ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة، وعني بالقراءات من صغره، وتميز في دراسة القراءات وبرع فيها براعة جعلت شيخه يتنازل له عن حلقته بالجامع الأموي في أواخر سنة ٦٩٢هـ حين أصابه المرض، فكان هذا أول منصب علمي يتولاه الذهبي، وقد أصبح الذهبي نتيجة ذلك

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٦/١٠٠.

(٢) المرشد الوجيز ص ٦.

الأستاذ الكبير إماماً في القراءات، فألف كتابه "التلويحات في علم القراءات" وكتابه "معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار". واشتغل بالحديث وأسماء الرجال في حياته، توفي رحمه الله بعد حياة حافلة بالعلم والتأليف سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بدمشق(١).

التعريف بالكتاب:

رتب المؤلف هذا الكتاب على الطبقات، فجعله في ثماني عشرة طبقة حسب اللقيا بين القراء الكبار، بدءاً من الصحابة وانتهاءً بعصره، وقد أدرج الطبقة ١٧ في ١٨ وجعلهما طبقة واحدة. ومع أنه أراد أن يكون كتابه هذا خاصاً بالقراء الكبار دون غيرهم إلا أنه كثيراً ما خالف هذا المنهج، والذهبي لم يعن بتفصيل أخبار المترجمين في هذا الكتاب مما ليس له علاقة بفن القراءة، وإنما اقتصر على إبراز الفهم المتعلق بهذا الأمر ففصل فيه، وأبان عن دقائقه ونكته، فقد كانت تزدحم في صدره التراجم فتتداخل فربما تكررت عليه بعض التراجم كما وقع له في كتابه هذا.

والإمام الذهبي بارع أصيل، قل نظيره في صياغة التراجم، وتقديم صورة دقيقة مركزة موثقة بقلمه البليغ، وأسلوبه الواضح تبين عن سعة علمه، ونصاعة حجته وبراعة نقده(٢).

---

(١) غاية النهاية ٢ / ٧١، والأعلام ٥ / ٢٢٦.

(٢) انظر: مقدمة كتاب معرفة القراء ص ١٢، ١٣.

وقد طبع الكتاب بالقاهرة سنة ١٩٦٧م، وقد تولى نشره من ليس له حظ في التحقيق العلمي فكانت طبعته رديئة، وطبع مرة ثانية بتحقيق بشار عواد معروف، وشعيب الأرناؤوط، وصالح مهدي عباس سنة ١٤٠٤هـ في (طبعته الأولى) طبعة جيدة، ألحق بها فهارس مفيدة ويقع في مجلدين، نشر مؤسسة الرسالة ببيروت.

كتاب غاية النهاية في طبقات القراء

مؤلفه:

شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، شيخ الإقراء في زمانه ولد في دمشق سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، وحفظ القرآن والقراءات فكان علماً بارزاً، ومرجعاً للعلماء في هذا الفن، توفي رحمه الله سنة ٨٣٣هـ[١].

التعريف بالكتاب:

اختصر فيه كتاب طبقات القراء الكبير الذي سماه "نهاية الدرايات في أسماء رجال القراءات" وجمع في كتابه هذا -غاية النهاية- جميع ما في كتابي الحافظين أبي عمرو الداني، وأبي عبدالله الذهبي رحمهما الله تعالى، وزاد عليهما نحو الضعف.

---

(١) انظر: غاية النهاية ٢/ ٢٤٧-٢٥١، والأعلام ٧/ ٤٥، ٤٦.

وقد رمز في كتابه رموزاً يقصد بها ذكر الكتب التي أوردت ذلك فإن كان في كتاب النشر رمز له بـ "ن" وإن كان في كتاب التيسير (ت)، وكتاب جامع البيان للداني (ج)، وكتاب الكامل للهذلي "ك"، وكتاب المبهج (مب)، وكتاب المستنير (س)، وكتاب الكفاية الكبرى للقلانسي (ف)، وكتاب الغاية لأبي العلاء (غا)، ولهؤلاء الجماعة (ع).

ويذكر في الترجمة الاسم الكامل وشيئاً من علمه وفضله، ثم يذكر عمن أخذ من الشيوخ، ثم يذكر تلامذة المترجم له ثم يختم بتاريخ وفاته، ويتوسع في الترجمة بعض الأحيان حتى يصل ثلاث صفحات أو أكثر، ويقتصر أحياناً بذكر الاسم ومن روى عنه في سطر واحد، انظر مثلاً: ترجمة نافع المدني ٢ / ٣٣٠-٣٣٤، وترجمة لأبي عبدالله القرطبي ٢ / ١٨٩ وانظر ٢ / ١٤ . وقد ترجم لما يقرب من أربعة آلاف قارئ. فهو بحق كتاب قيّم ضخم وقد طبع في مجلدين كبيرين، وعني بنشره المستشرق ج برجستراسر، وطبع المرة الأولى سنة ١٣٥١هـ والمرة الثالثة سنة ١٤٠٢هـ.

كتاب النشر في القراءات العشر

مؤلفه:

هو الحافظ المقرئ أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن محمد ابن علي بن يوسف العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي المعروف بابن الجزَري، شيخ الإقراء في زمانه[١].

---

(١) المصدر السابق.

التعريف بالكتاب:

هو سفر جَلَّ قدره، لما حواه من صحيح النقول وفصيح الأقوال، جمع فيه مؤلفه رحمه الله من الروايات والطرق ما لا يعتريه وهن ولا يتطرق إليه شك ولا طعن، على تواتر محكم، وسند متصل، فهو البقية المغنية في القراءات بما حواه من محرر طرق الروايات، هذا إلى ما انطوى في ثناياه من علوم الأداء الجارية في فقه اللغة العربية، فمن علم مخارج الحروف وصفاتها، إلى علم الوقوف وأحكامها، إلى بحوث في الإدغامين، والهمزات والياءين، والفتح والإمالة والرسم، وفني الابتداء والختم، إلى غير ذلك[1].

طبع الكتاب في المكتبة التجارية الكبرى بمصر ثم صوره أصحاب مكتبة دار الكتب العلمية ببيروت، وأشرف على تصحيحه الشيخ علي محمد الضباع.

كتاب طيبة النشر في القراءات العشر

مؤلفه:

هو العلامة الحافظ محمد بن محمد بن محمد بن الجزري، شيخ القراء وحجة المحققين. أما نظمه هذا ففي القراءات العشر، واقتفى أثر الشاطبي في استخدام مصطلحات الكتاب ليسهل على كل طالب استحضار قواعد هذا الفن، وتحصيل مسائله، ونظمها من بحر الرجز، وهي قليلة الألفاظ كثيرة المعاني، جمع فيها طرق القراء ورواياتهم، واعتمد ما في الشاطبية وكتاب

---

(١) انظر مقدمة كتاب النشر ١ /ب، ولطائف الإشارات ١ / ٩١.

التيسير لأبي عمرو الداني، وزاد عليهما الضعف من القراءات والروايات والطرق. وبلغت أبياتها (١٠٠٠) بيت وأول هذا النظم:

قال محمد هو ابن الجَزَري	يا ذا الجلال ارحمه واستر واغفر
الحمد لله على ما يسرهْ	من نشر منقول حروف العشرهْ
ثم الصلاة والسلام السرمدي	على النبي المصطفى محمدِ
وآله وصحبه ومن تلا	كتاب ربنا على ما أنزلا

وختم هذا النظم بقوله:

وها هنا تم نظام الطيبهْ	ألفية سعيدة مهذبهْ
بالروم من شعبان وسط سنةِ	تسع وتسعين وسبعمائةِ
وقد أجزتها لكل مقري	كذا أجزت كل من في عصري
رواية بشرطها المعتبر	وقاله محمد بن الجزري
يرحمه بفضله الرحمنُ	فَظَنُّه من جوده الغفرانُ

وقد شرح هذا النظم أبو القاسم النويري[1] وطبع هذا الشرح بتحقيق عبد الفتاح السيد سليمان أبو سنة وخرج الجزء الأول سنة ١٤٠٦هـ عن الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية بالقاهرة، ولابن النظام شرح عليها أيضاً، طبع بمطبعة مصطفى الحلبي.

---

(١) هو: محمد بن محمد بن محمد بن علي النويري عالم مصري مالكي المذهب فقيه أصولي مقرئ قرأ القراءات على ابن الجزري وغيره ولد سنة ٨٠١هـ وتوفي بمكة المكرمة سنة ٨٩٧هـ، انظر: الضوء اللامع للسخاوي ٩ / ٢٤٦-٢٤٨، ومعجم المؤلفين ١١ / ٢٨٦.

كتاب لطائف الإشارات لفنون القراءات

مؤلفه:

هو الحافظ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبدالملك بن أحمد بن محمد بن حسين بن علي القسطلاني المصري الشافعي الإمام الحجة الفقيه المقرئ المسند، ولد في القاهرة في الثاني عشر من ذي القعدة عام ٨٥١هـ، ونشأ بها كما ينشأ الفتيان، فحفظ القرآن، وحفظ أيضاً الشاطبية، والطيبة ومتوناً أخرى في فنون الثقافة الإسلامية، ولقي في هذه الفترة شيوخاً كثيرين ممن كانوا يتصدرون في ساحات الجامع الأزهر، وقد بدأ القسطلاني حياته واعظاً إلى جانب إقرائه، ورحل إلى مكة والمدينة وعاش بهما زمناً تلقى فيه عن شيوخهما، وتجمع المراجع على أن وفاته كانت ليلة الجمعة، ثامن المحرم سنة ٩٣٢هـ وأنها كانت لعروض فالج له[1].

التعريف بالكتاب:

الكتاب ليس شرحاً لمتن، ولا تعليقاً، ولا حاشية، ولا اختصاراً لكتاب سبق، لقد طالع القسطلاني أصول القراءات الأربع عشرة، وتلقاها عن شيوخ كبار، عرضاً وسماعاً، ونستطيع معرفة منهج الكتاب ومحتواه من كلامه البليغ، حيث يقول: "إن رام السالك فيه ما يتعلق بنشر القراءات العشر، أو الأربعة الزائدة عليها، على اختلاف طرقها المستنيرة، فاز بآماله، أو أعاريبها على تنوع وجوهها الوجيهة؛ ظفر بكماله، أو الوقف والابتداء، كان له نعم المرشد في الاهتداء، أو علم مرسوم الخط العثماني، حظي بنيل

(١) البدر الطالع للشوكاني ١/١٠٢، والأعلام ١/٢٣٢.

البغية والأماني أو معرفة آي التنزيل وكلماته وحروفه من حيث العدد، منح بحسن المدد، مع ما حواه من محاسن دقائق أنوار التأويل، واشتمل عليه من لطائف أسرار التنزيل، وقد آن أن أطلق عنان القلم لجريانه في ميدان البيان، وأفتح أبواب هذا الكتاب الموصلة لمطالب كنوز هذا الشأن"[١].

وللمؤلف كتاب عظيم القدر هو "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري" وهو مطبوع شائع مشهور، وغير ذلك من الكتب القيمة في القراءات وغيرها.

طبع كتاب لطائف الإشارات بتحقيق الشيخ عامر السيد عثمان والدكتور عبد الصبور شاهين بالقاهرة سنة ١٣٩٢هـ الجزء الأول منه، وبعد وفاة الشيخ عامر، واصل الدكتور عبد الصبور شاهين في إكماله ويصدر قريباً إن شاء الله الكتاب كاملاً كما أخبرني.

كتاب إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر

مؤلفه:

هو أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالغني، الملقب بشهاب الدين المشهور بالبنا الدمياطي.

ولد بدمياط[٢] ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم وجوده، كما برع في علم

---

(١) انظر: لطائف الإشارات ١/١٩، ٢٠.

(٢) دمياط: مدينة قديمة تقع على الوجه البحري من القاهرة عند مصب ماء النيل إلى البحر وتتميز بالهواء الطيب. انظر معجم البلدان ٢/٤٧٢.

القراءات ومبادئ العلوم المختلفة على مشايخ دمياط، ولما أراد المزيد من العلم رحل إلى القاهرة، فلازم علماءها، وتلقى عنهم سائر العلوم المختلفة من القراءات والحديث والفقه، والأصول، والتاريخ والسير، وسائر العلوم الشرعية والعربية، حتى وصل ما لم يصل إليه نظراؤه من علماء عصره، ثم رحل بعد ذلك إلى الحجاز فحج، وأقام هناك طلباً للعلم، ثم رجع إلى دمياط ينشر العلم فيها ويستفيد منه العامة والخاصة، ثم عاد مرة ثانية إلى الحجاز فحج وظل مقيماً بالمدينة المنورة حتى توفاه الله تعالى لثلاث خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائة وألف ودفن بالبقيع[١].

التعريف بالكتاب:

ولما كانت "القراءات" هي المقصود الأعظم من تأليف هذا الكتاب سمي بهذا الاسم وإن كان مشتملاً على كل ما يتعلق بالقراءات من علوم أخرى، وبذلك نستطيع أن نستخلص أهم مميزات هذا الكتاب في النقاط الآتية:

١- جمع علوم القراءات: كاد يكون هذا الكتاب جامعاً لعلوم القراءات كلها في كتاب واحد وهو عمل جليل، وجهد عظيم تبع فيه المؤلف طريقة الإمام شهاب الدين القسطلاني، في كتابه " لطائف الإشارات لفنون القراءات" واستدرك عليه كثيراً فوضح الصواب فيها مع الدقة في العزو والأمانة في النقل، وتحدث في أول كتابه على الأمور التالية:

---

(١) البقيع: مقبرة أهل المدينة شرقي المسجد النبوي، وقد دفن به من الصحابة نحو عشرة آلاف. انظر كتاب البقاع الطاهرة لعبد الكريم نيازي ص١٠٩.

أ- عرف القراءات، وذكر أقسامها المختلفة، ثم عرف بعلماء القراءات الأربعة عشر، ورواتهم وطرقهم، وسبب نسبة القراءات إلى هؤلاء الأئمة بالذات.

ب- عقد فصلاً خاصاً للحديث عن الرسم العثماني وضوابطه، وكل ما يتعلق بقواعد الرسم.

ج- كما عقد فصلاً مستقلاً تحدث فيه عن آداب القرآن الكريم، وكيفية تلاوته وما ينبغي لقارئ القرآن والقراءات، وكيفية جمع القراءات، ومسلك السلف الصالح في ذلك.

د- ثم أعقب ذلك كله ببيان أصول القراءات، وتوجيهها من حيث العربية، ثم أعقب ذلك بالفرش، وهو ما يخص كل سورة من سور القرآن الكريم على حدة.

هـ- ثم يذكر المؤلف عند البدء بالسورة اسمها وكونها مكية أو مدنية ثم يثني بالفواصل وعدد الآيات والخلاف فيها موجهاً القراءات من حيث اللغة والإعراب إلخ..

٢- الاهتمام بالتوجيه: لا يكتفي برأي واحد في التوجيه، حتى ولو كان مشهوراً بل يذكر معظم ما قيل ويشير إلى الراجح منها[١].

٣- الاهتمام بالتفسير: اعتنى الإمام البنا بهذه الناحية عناية تامة حيث يتبع الكلام على أوجه القراءات بالحديث عن المعاني التي تفهم تبعاً لهذا الاختلاف[٢].

---

(١) انظر: أمثلة على هذا في مقدمة الكتاب ١/٥٤.

(٢) انظر: أمثلة على هذا في مقدمة الكتاب ١/٥٥.

٤- العناية بالأحكام الفقهية: كذلك من مميزات هذا الكتاب أنه -أحياناً- يتعرض لبعض الأحكام الفقهية التي تمس جانب القراءات سواء في الصلاة، أو خارجها[1].

والكتاب طبع في الأستانة سنة ١٢٨٥هـ، ثم بالمطبعة الميمنية بالقاهرة سنة ١٣١٧هـ نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي، وطبع بمطبعة المشهد الحسيني سنة ١٣٥٩هـ.

وأخيراً طبع بتحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل في مجلدين عن دار عالم الكتب ببيروت ومكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة في طبعته الأولى سنة ١٤٠٧هـ.

---

(١) انظر: أمثلة على هذا في مقدمة الكتاب ١/ ٥٧.

المبحث الثاني: أشهر المؤلفات في العصر الحديث:

وبعد هذه الجهود المباركة جاءت على المسلمين فترة ضعف خفتت فيها تلك الجذوة الوهاجة التي شهدتها القرون السابقة، فضعف التأليف في العلوم عامة، وفي علوم القرآن خاصة، ولم يظهر في العالم الإسلامي الواسع من المصنفات إلا اليسير النادر بين الفينة والفينة، واعتمد مؤلفوها على جهود سابقيهم ومصنفاتهم، فغلب على مؤلفاتهم النادرة صبغة الاختصار حيناً، والشرح والتبسيط حيناً آخر، وقد دامت مدة الفتور هذه أكثر من ثلاثة قرون، ولعل أسبابه تعود إلى ما تعرض له العالم الإسلامي من كيد الأعداء، والضربات الموجعة التي تلقاها في مواطن عديدة من دياره، كان أقواها تلك الحملة الصليبية الشرسة التي نكبت بديار الأندلس في المغرب العربي، والأندلس كما هو معروف مركز من مراكز الإشعاع الحضاري والعلمي الذي مد العالم الإسلامي خلال القرون الماضية بنخبة من المفسرين الذين لا يشق لهم غبار، بل يستطيع المرء أن يقرر هنا أن التفسير وعلوم القرآن والقراءات نضج واستوى على سوقه بالصورة المشرقة التي نراها من خلال جهود المفسرين والقراء من الديار المغربية وعلمائها، وبخاصة أهل الأندلس، غير أن الهجمة التي تعرضت لها أرض العلم ومأوى العلماء في الأندلس، والاحتلال الذي اغتصب أرض الخير هناك، جعل العلماء الذين هم القادة ينصرفون عن التعليم ليحملوا السلاح، وليدافعوا عن ديار الإسلام لتطهير الأراضي كما كانوا يفعلون لتطهير القلوب. وحينما سئل المؤرخ الإسلامي الأستاذ محمود شاكر عن سبب فتور العلم في هذه

المرحلة، وعدم ظهور المصنفات، لم يتردد في عزو ذلك إلى انشغال العلماء بالجهاد حيث قال: حين سقطت الأندلس عام ٨٩٧هـ وبدأت سيطرة النصارى توجه العلماء وطلبة العلم والخيرات إلى المقاومة، وكان العلماء هم الذين يقودون المقاومة. وقد دامت هذه الفترة العصيبة مدة طويلة. قال: ولهذا نجد حقد الصليبية على العلماء وعلى فكرهم إلى يومنا هذا.

وأضاف يقول: وهذه الظاهرة لم تقتصر على العلوم الدينية بل شملت العلوم التجريبية وتابع قوله: وبعد سقوط الخلافة الإسلامية، انحصر كل مصر من أمصار المسلمين بنفسه، واستقل بذاته، وفصلت الديار الإسلامية. وحين رأى الخيرون من أبناء المسلمين أن العلماء أصبحوا في المساجد، دفع الناس أبناءهم إليها، وتزاحم الطلبة على أبواب من بقي من أهل العلم، ينهلون المعارف، حتى شهد العالم الإسلامي بفضل الله نهضة مباركة شملت كثيراً من ميادين الحياة، فكانت المرحلة الثالثة في العصر الحديث.

هذا وقد وجدت مجموعة مؤلفات هنا وهناك من ديار الإسلام بين الحين والآخر، من ذلك:

النشر في القراءات العشر، وغاية النهاية في طبقات القراء: للإمام محمد ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ).

الدقائق المحكمة في التجويد: لزكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ).

قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن: لمرعي بن يوسف الكرمي (ت ١٠٣٣هـ) وقد طبع.

القواعد المقررة والفوائد المحررة في القراءات السبع: للعلامة أبو الإكرام شمس الدين البقري (ت ١١١١هـ).

تحفة الفقير ببعض علوم التفسير: لشمس الدين أبو عبدالله محمد ابن سلامة الإسكندري المالكي (ت ١١٤٩هـ).

الزيادة والإحسان في علوم القرآن: لابن عقيلة محمد بن أحمد الحنفي المكي (ت ١١٥٠هـ).

الفوز الكبير في أصول التفسير: لولي الله الدهلوي (ت١١٧٦هـ).

إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن: لعطية الله بن عطية البرهان الأجهوري (ت ١١٩٠هـ).

لب التفاسير في معرفة أسباب النزول والتفسير: لمحمد بن عبد الله القاضي الرومي (ت ١١٩٥هـ).

عجيب البيان في علوم القرآن: للشيخ عبد الباسط بن رستم علي ابن أصغر القنوجي (ت ١٢٢٣هـ).

هبة المنان في تحرير أوجه القرآن: للعلامة محمد الطباخ المصري (ت١٢٥٠هـ).

جواهر القرآن في التجويد: محمود بن محمد بن مهدي العلوي التبريزي (ت ١٢٨٧هـ).

وكان الغالب على تلك المؤلفات سمة النقل والانتخاب، يتخللها أحياناً تعليقات وإضافات هي الأخرى مختارة ومنتقاة من علوم الأولين، ويستطيع المرء أن يؤكد هنا فقدان هذه الفترة لعنصر التجديد والابتكار.

في عصرنا الحديث نهضت جملة من العلوم، وشهدت الساحة العلمية تنافساً قوياً في شتى ميادين المعرفة، وقد كان للعلوم الإسلامية عامة وعلوم القرآن بصورة خاصة حظ وافر، ونصيب كبير من ذلك الاهتمام، زادت الصحوة المباركة التي شملت الديار الإسلامية كافة من هذا الاهتمام، فظهرت المؤلفات التي تخصصت بالدراسات القرآنية، وأعاد ثلة من العلماء النظر في ذلك التراث الضخم الذي بقي مخطوطاً والذي أثقلت رفوف المكتبات العامة والخاصة من حمله، فأخرجته أيدي المحققين، بعد أن نفضت عنه تراب السنين، وعكف الباحثون على تحقيقه وإخراجه بصورة مرضية، وفق أسس منهجية علمية، يعيدون النظر في المواضع التي تحتاج منهم إلى إعادة نظر، فقوموا النص، وأخرجوه على أفضل صورة بعد أن وقفوا على النسخ المتعددة وقابلوا بينها، ولم يأل أولئك جهداً في إثبات التعليقات المفيدة، والإضافات النافعة، وشرح الغامض من الألفاظ والعبارات، وبخاصة تلك التي أصبحت غريبة على جيل العصر، فذيلت الأصول بحواش قربت البعيد، ويسرت الصَّعْب، وأصبح في إمكان طالب العلم فهم نصوص السلف على وفق مرادهم بيسر وسهولة.

واتجه فريق آخر من أهل العلم إلى الكتابة ابتداءً، ورأى أن لكل جيل مفهومه وقدراته وحاجاته، وأن من حق أبناء العصر أن يقدم لهم العلم بالطريقة التي يفهمونها، وبالأسلوب الذي يرتاحون له، فظهرت المصنفات التي بدا عليها هذه السمات، مع التحقيق والتمحيص بين

المنقولات، ويمثل كتاب الأستاذ الدكتور مصطفى زيد "النسخ في القرآن الكريم" واحداً من هذه المصنفات التي عالجت موضوعاً قرآنياً بنظرة حديثة، وكذا كتاب الأستاذ غانم قدوري الذي أسماه: رسم المصحف، دراسة لغوية وتقويمية.

كما كان للاستحداث الذي حدث لأسلوب التعليم في الجامعات والأكاديميات العلمية، أثر عظيم في نوعية التآليف التي ظهرت.

ولأن العصر الحديث قد أفرز على السطح علوماً تجريبية علمية، واعتمدت النظريات العلمية الحديثة والتي على ضوئها شهدت الساحة هذا التفوق الحضاري في الميادين التجريبية، وكانت الحاجة لتفسير نصوص الشرع التي فيها إشارات -قريبة كانت أم بعيدة- تفسيراً علمياً يواكب التقدم ضرورة ملحة، فظهرت المؤلفات التي حاول مؤلفوها مواكبة هذا التطور، وظهر ما يسمى بالتفسير العلمي، فكان فناً من فنون علوم القرآن، وظهر التفسير الموضوعي الذي عالج موضوعاً معيناً من خلال القرآن كله، أو من خلال سورة منه، أو بتتبع لفظة من كتاب الله، وزاد الاهتمام بإظهار جوانب الإعجاز العلمي في القرآن، وظهرت المؤلفات في الإعجاز الطبي والكوني... وغير ذلك، والمؤلفات في ذلك كثيرة لعلنا نشير إلى بعضها في ختام هذا البحث.

كما دعت الحاجة حين أصبح التواصل بين شعوب العالم يسيراً، إلى تقديم ترجمات ميسرة من معاني كتاب الله إلى تلك الشعوب، فأصبح البحث الدقيق في مسألة ترجمة معاني القرآن إلى تلك اللغات العالمية،

أمراً في غاية الضرورة. وقل مثل هذا في عدد العلوم التي دعت حاجة العصر إلى نشوئها أو التعمق فيها.

أريد أن أؤكد هنا أن العصر الحالي قد أوجد مجموعة من العلوم لم تكن موضع اهتمام العلماء السابقين لكونها لم تكن من قبل، أو لأنها لم تتضح لهم بمثل ما اتضح للجيل الذي عاصر التقدم العلمي في المجالات التجريبية.

وعلى العموم يستطيع المرء أن يؤكد أن التأليف في علوم القرآن في العصر الحديث قد اتصف بالآتي:

- عدم التجديد غالباً، والاعتماد شبه الكامل على علوم الأقدمين وكتاباتهم.
- سهولة العبارة، وعدم التعمق، في الغالب أيضاً.
- التكرار، وعدم التوثيق.
- التركيز على بعض العلوم دون بعض.
- جودة التبويب، وحسن العرض والترتيب.
- ظهور فنون جديدة لم تكن عند الأقدمين، أو لم تكن موضع عنايتهم.

ومن أهم المؤلفات التي ظهرت في العصر الحديث -وهي كثيرة- ما أذكره فيما يلي:

أولاً: المؤلفات الموسوعية:

يغلب على المؤلفات الموسوعية في عصرنا الحالي سمة الانتخاب والاختصار، وقد اعتمد المؤلفون في كتابتهم على كتابي الإتقان للسيوطي، والبرهان للزركشي، وكان السيوطي هو الأكثر اعتماداً.

وتفاوتت نظرة المؤلفين إلى الفنون التي اختاروها لدراستها، فربما كان الاختيار خاضعاً لأنظمة الجامعات التي تقرر بعض الموضوعات على طلبتها مقررات دراسية، كما تفاوتت معالجتهم لتلك الفنون، إذ غالب المؤلفات الموسوعية في هذا العصر هي في الأصل محاضرات ألقيت على الطلبة، ثم جمعها كاتبها ونشرها كتاباً مستقلاً، سواء أدخلت عليها التعديلات التي ترتقي بها إلى مستوى إخراجها كتاباً مستقلاً، أم لم تدخل.

وأود أن أشيد هنا ببعض تلك البحوث والكتابات التي كانت جادَّة في معالجتها، قوية في مضامينها، رائدة في بابها، حملت لطلبة العلم نظرات علمية فاحصة، يشهد المرء لكاتبها بعمق التفكير، وسلامة الاختيار، وقوة الدليل وصحته، فيسلم لكثير من ترجيحاتهم، وتهدأ النفس لأدلتهم وطريقة معالجتهم، ولهذا ذاع صيتها وانتشرت بين طلبة العلم حتى صنفت في مستوى أمهات المؤلفات. وخير مثال نقدمه هنا هو كتاب "مناهل العرفان" للأستاذ عبد العظيم الزرقاني -رحمه الله- وكتاب "التفسير والمفسرون" للأستاذ محمد حسين الذهبي -رحمه الله- و "مباحث في علوم القرآن" للشيخ مناع القطان، ولصبحي الصالح، و"علوم القرآن، مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه" للدكتور عدنان زرزور، و"مدخل إلى علوم القرآن والتفسير" للدكتور فاروق حماده، وغيرها.

ومن أهم المؤلفات الموسوعية التي ظهرت في هذه المرحلة:

- الإيجاز والبيان في علوم القرآن: محمد صادق قمحاوي.

- تاريخ القرآن: د. عدنان زرزور.
- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة: لعبد الفتاح القاضي (ت ١٤٠٣هـ).
- البيان في علوم القرآن: محمد حسنين مخلوف العدوي.
- البيان في مباحث من علوم القرآن: الشيخ عبد الوهاب غزلان.
- التبيان في علوم القرآن: د. القصيبي محمود زلط.
- التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريقة الإتقان: الشيخ طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري الدمشقي (ت ١٣٣٨هـ).
- دراسات في أصول تفسير القرآن: د. محسن عبد الحميد.
- دراسات في التفسير ورجاله: أبو اليقظان عطية الجبوري.
- دراسات في علوم القرآن: د. أمير عبد العزيز.
- دراسات في علوم القرآن: د. عبد القهار داود العاني.
- دراسات في علوم القرآن الكريم: د. فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي.
- دراسات في علوم القرآن: د. محمد أمين فرشوخ.
- دراسات في علوم القرآن: د. محمد بكر إسماعيل.
- علوم القرآن: د. أحمد عادل كمال.
- علوم القرآن: د. عبد المنعم النمر.
- علوم القرآن: د. عزت حسين.

- علوم القرآن: د. محمد الكومي، ود. محمد القاسم.
- علوم القرآن: مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه: د. عدنان زرزور.
- علوم القرآن المنتقى: د. فرج توفيق الوليد ود. فاضل شاكر النعيمي.
- علوم القرآن والحديث: الشيخ أحمد محمد علي داود.
- في علوم القرآن: كفافي الشريف.
- القرآن المجيد، تنزيله، أسلوبه، أثره، جمعه: محمد عزة دروزه.
- القرآن الكريم، تاريخه وآدابه: إبراهيم علي عمر.
- لمحات في علوم القرآن واتجاهات المفسرين: د. محمد لطفي الصباغ.
- مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح.
- مباحث في علوم القرآن: فضيلة الشيخ مناع بن خليل القطان.
- المعجزة الكبرى القرآن (نزوله، كتابته، جمعه، إعجازه، جدله، علومه، تفسيره، حكم الغناء به): محمد أبو زهرة.
- معجم القراءات القرآنية: د. أحمد مختار عمر، ود. عبد العال سالم مكرم.
- مدخل إلى علوم القرآن والتفسير: د. فاروق حمادة.
- المدخل لدراسة القرآن الكريم: محمد محمد أبو شهبة.
- المرشد الوافي في علوم القرآن: د. محمود بسيوني فوده.
- المنار في علوم القرآن: د. محمد علي الحسن.
- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد بن عبد العظيم الزرقاني (ت١٣٦٧هـ).

- من علوم القرآن: د. عبد الفتاح القاضي.
- من علوم القرآن: د. فؤاد علي رضا.
- يتيمة البيان في شيء من علوم القرآن: محمد يوسف البنوري.

ثانياً: المؤلفات الموضوعية:

فرق بين المؤلفات الموضوعية عند الأقدمين عنه عند المتأخرين، فالأقدمون كان اهتمامهم منصباً على الموضوعات التي تخدم كتاب الله، وتيسر سبل فهمه، وتلك التي تهتم بتاريخ القرآن، فكانت ألصق بمصطلح علوم القرآن الذي أطلقناه من قبل بمفهومه الخاص، بخلاف المتأخرين الذين وجهوا اهتمامهم إلى الموضوعات والدراسات القرآنية التي تتعلق بالنص القرآني، فقد لقيت هذه الموضوعات منهم عناية خاصة في هذه المرحلة، وكان حظها من التأليف أفضل من غيرها، ولعل سبب ذلك يعود إلى ما ذكرنا من قبل من توجه المتأخرين إلى البحوث التخصصية الدقيقة التي تفي بحاجة العصر، فتوضح المشكل، وتقرب البعيد، ولعل آخر هذه البحوث التي وقعت في يدي ما كتبه الدكتور الفاضل عبد العزيز القارئ حول "حديث الأحرف السبعة"، وما كتبه الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع عن "أسباب اختلاف المفسرين"، وما كتبه الشيخ مساعد بن سليمان الطيار بعنوان "فصول في أصول التفسير".

إضافة إلى أن الجامعات ودور العلم في الفترة الأخيرة من العصر الحديث

يسرت الدراسة في أقسام الدراسات العليا بكلياتها أكثر من ذي قبل، والتحق طلبة العلم بالتخصصات الدقيقة في علوم القرآن والتفسير، وقدمت البحوث التخصصية التي هي من متطلبات الحصول على الدرجات العلمية، تحت إشراف نخبة من أهل العلم، فظهرت بحوث قيمة هنا وهناك، وظهر ثلة من الباحثين المتخصصين الذين قدموا بحوثاً جليلة غيرت كثيراً من المفاهيم السائدة والخاطئة، واشتهرت تلك الرسائل حتى أخذت مكانها بين أمهات الكتب، وإن كان أغلبها قد بقي مخطوطاً. ومن الرسائل التي اشتهرت "دستور الأخلاق في القرآن" للأستاذ القدير محمد عبد الله دراز -رحمه الله- ، وكتاب "اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر" و "منهج المدرسة العقلية في التفسير" وكلاهما لفضيلة الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي -حفظه الله-، و"مدرسة التفسير في الأندلس" للأستاذ مصطفى إبراهيم المشني، و"ابن جزي الكلبي ومنهجه في التفسير" للأستاذ علي بن محمد الزبيري. وغيرها.

هذا والمؤلفات الموضوعية التي طبعت كثيرة، وأكثر منها تلك التي بقيت حبيسة الرفوف في الجامعات فلم تجد طريقها إلى النشر، وسأذكر هنا نماذج منهما:

- اتجاهات التفسير في العصر الراهن: د. عبد المجيد المحتسب.
- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: د. فهد الرومي.
- الأحرف السبعة في القرآن الكريم: د. حسن ضياء الدين عتر.
- أسباب اختلاف المفسرين: د. محمد بن عبدالرحمن الشايع.

- أسباب النزول وأثرها في التفسير: الشيخ عصام عبد المحسن الحميدان.
- استخراج الجدال من القرآن الكريم لابن الحنبلي: تحقيق د. زاهر عواض الألمعي.
- الإعجاز العددي للقرآن الكريم: د. عبد الرزاق نوفل.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي (ت١٣٥٦هـ).
- الإعجاز النحوي في القرآن الكريم: د. فتحي الدجني.
- إعراب القرآن الكريم: محيي الدين درويش.
- أمثال القرآن وأثرها في الأدب العربي إلى نهاية القرن الثالث الهجري: نور الحق تنوير.
- الأمثال القرآنية دراسة وتحليل وتصنيف ورسم لأصولها وقواعدها ومناهجها: عبد الرحمن حبنكة الميداني.
- بلاغة القرآن: محمد الخضر حسين.
- تاريخ القرآن: إبراهيم الأبياري.
- التجويد الميسر: د. عبد العزيز عبد الفتاح القارئ.
- حديث نزول القرآن على سبعة أحرف: د. عبد العزيز القارئ.
- التفصيل والبيان عن تفصيل آي القرآن: محمد زكي صالح.
- التصوير الفني في القرآن: سيد قطب (ت ١٣٨٧هـ).
- جواهر البيان في تناسب سور القرآن: عبد الله محمد صديق الغماري.
- دراسات في أسلوب القرآن الكريم: محمد عبد الخالق عضيمة (ت١٤٠٣هـ).

- دراسات الإِحكام والنسخ في القرآن الكريم: محمد حمزة.
- الرأي الصواب في منسوخ الكتاب: جواد موسى محمد عفانه.
- رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية: غانم قدوري.
- الفروق اللغوية وأثرها في التفسير: د. محمد بن عبدالرحمن الشايع.
- في إِعجاز القرآن، دراسة تحليلية لسورة الأنفال (المحتوى والبناء): د. محمد مختار البزرة.
- القصص القرآني: عماد زهير حافظ.
- قصة التفسير: د. أحمد الشرباصي.
- اللامات في القرآن: عبد الهادي الفضلي.
- مباحث في إِعجاز القرآن: د. مصطفى مسلم محمد.
- متشابه القرآن دراسة موضوعية: د. عدنان زرزور.
- المشاهد في القرآن الكريم: د. حامد صادق قنيبي.
- مشاهد القيامة في القرآن: سيد قطب (ت ١٣٨٧هـ).
- المعجزة القرآنية: محمد العفيفي.
- مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الراهن: د. محمد النقراشي السيد علي.
- نزول القرآن على سبعة أحرف: للشيخ مناع القطان.
- النسخ في القرآن الكريم ـ دراسة تشريعية تاريخية نقدية: د. مصطفى زيد.
- النسخ في القرآن الكريم ـ مفهومه تاريخه دعاواه: د. محمد صالح.

- الوجوه والأشباه والنظائر في القرآن الكريم (دراسة موازنة) : د . سليمان حمد القرعاوي .

أما الرسائل الجامعية التي لم تطبع فيما أعلم فهي كثيرة، أذكر منها بعض العناوين المسجلة في جامعات المملكة :

- آيات البعث في القرآن الكريم : عبد العزيز بن راجي الصاعدي، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الدراسات العليا الشرعية، رسالة ماجستير ١٣٩٧هـ.

- آيات العتاب في القرآن الكريم، دراسة تحليلية موضوعية : نورة محمد الجليل، الرئاسة العامة لتعليم البنات، الآداب للبنات بالرياض الدراسات الإسلامية، رسالة ماجستير ١٤٠٨هـ.

- اختلاف المفسرين : أسبابه وآثاره : سعود عبد الله الفنيسان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، رسالة دكتوراه، ١٤٠٢هـ.

- اختلاف التنوع والتضاد في تفسير السلف : عبد الله بن عبدالله الأهدل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، رسالة دكتوراه، ١٤٠٨هـ.

- أصول التفسير بين شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من المفسرين : عبدالله ديريه أبتدون، الجامعة الإسلامية، الدراسات العليا، التفسير، رسالة ماجستير، ١٤٠٣هـ.

الإمام الدهلوي، منهجه في التفسير وآراؤه في مباحث من علوم

القرآن: خليل الرحمن سجاد، الجامعة الإسلامية، الدراسات العليا، التفسير، رسالة ماجستير، ١٤٠٢هـ.

- أمثال القرآن: منصور بن عون العبدلي، جامعة أم القرى، رسالة ماجستير، ١٣٩٤هـ.

- تاريخ علوم القرآن حتى نهاية القرن الخامس الهجري: أحسن بن سخاء محمد أشرف الدين، الجامعة الإسلامية، الدراسات العليا، التفسير، رسالة ماجستير، ١٤٠٥هـ.

- تفاسير آيات الأحكام ومناهجها: علي بن سليمان العبيد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، رسالة دكتوراه، ١٤٠٧هـ.

- التفسير بالرأي، ما له وما عليه: أحمد بن عمر عبد الله، الجامعة الإسلامية، الدراسات العليا، التفسير، رسالة ماجستير، ١٤٠١هـ.

- التفسير بين الرأي والأثر: محمد حلمي أبو غزالة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الدراسات العليا الشرعية، رسالة ماجستير، ١٣٩٨هـ.

- التفسير في عهد الصحابة، مصادره ومزاياه: ناصر بن محمد الحميد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، رسالة ماجستير، ١٣٩٩هـ.

- التفسير في القرن الأول الهجري: فائقة إدريس عبدالله، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الدراسات العليا الشرعية، رسالة ماجستير، ١٤٠٤هـ.

- دراسة تقويمية لكتاب مناهل العرفان للزرقاني: خالد بن عثمان السبت، الجامعة الإسلامية، رسالة ماجستير، ١٤١١هـ.

- علم القراءات، نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية: د. نبيل ابن محمد آل إسماعيل، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رسالة ماجستير، ١٤١١هـ.

- فواتح السور في القرآن الكريم: فاروق حسين محمد أمين، الجامعة الإسلامية، الدراسات العليا، التفسير، رسالة ماجستير، ١٤٠٣هـ.

- قواعد الترجيح عند المفسرين: حسين بن علي الحربي، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رسالة ماجستير، ١٤١٦هـ.

- المتولي وجهوده في علم القراءات: إبراهيم بن سعيد الدوسري: كلية أصول الدين، جامعة الإمام، رسالة ماجستير، ١٤١١هـ.

- المدرسة الأندلسية في التفسير: زيد عمر عبدالله، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، رسالة دكتوراه، ١٤٠٤هـ.

- الوقف وأثره في التفسير: مساعد بن سليمان الطيار، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، رسالة ماجستير، ١٤١٤هـ.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وآله وصحبه ذوي الهمم العاليات وبعد:

فأحمد الله الذي سهل إتمام هذا البحث على هذا النحو، وقد توصلت فيه إلى بعض النتائج التالية:

صدق وعد الله تعالى بالتكفل بحفظ كتابه العزيز كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (سورة الحجر: ٩) وذلك بتهيئة العلماء الذين يقومون بتعليم القرآن وعلومه عبر الأجيال الإسلامية.

التأليف في مجال القرآن وقراءاته وقف جنباً إلى جنب مع تعليم القرآن وتدريسه فظهرت المؤلفات الباهية الواضعة لأسس القرآن وقراءاته.

مدى اهتمام الأمة بالقرآن من العصر النبوي إلى عصرنا هذا فالاهتمام به مستمر حتى الآن.

ومن أهم التوصيات والمقترحات التي أرجو أن تتحقق هي:

أولاً: ينبغي للمسلمين أن يلقنوا أولادهم القرآن منذ الصغر، وأن يعودوهم العناية به؛ لأنه المصدر الأول الذي به تعرف الشريعة الإسلامية الخالدة، وعلى الناشئة من أبناء المسلمين أن يتلقوا القرآن من أفواه القراء؛ لأنه طريقة مأثورة عن رسول الله ﷺ، والتقيد بها واجب شرعاً.

ويجب الحرص على وجود فئة من كل جيل تحفظ القرآن بقراءاته غيباً، تلقيناً عمن قبلهم من القراء؛ لتتصل سلسلة السند في حفظ القرآن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ثانياً: ينبغي لوزارات الشؤون الإسلامية وجمعيات تحفيظ القرآن في الدول الإسلامية أن تعتني بدراسة الوسائل الناجعة لنشر القرآن بين المسلمين على نطاق واسع؛ لأنه السبيل الوحيد لرأب الصدع وتوحيد الصف وجمع الكلمة، وأن توضع لذلك مناهج جديدة تعنى بالقرآن الكريم تلاوة واستحفاظاً وتفسيراً وبياناً لأهم مسائل علوم القرآن والقراءات، وتشجيع مدرسي القرآن الكريم برواتب ومكافآت تعينهم على أداء واجبهم.

ثالثاً: أقترح على المسلمين وعلمائهم كافة أن يواصلوا اهتمامهم بنشر الكتب التي توضح للمسلمين ـ وبخاصة طلبة العلم ـ أهمية علم القرآن والقراءات وتبين لهم حقيقة هذا العلم وأصوله، كذلك حث طلبة الدراسات العليا على إعادة تحقيق بعض كتب القراءات التي حققها المستشرقون الذين لا يوثق بتحقيقاتهم غالباً لقلة أمانتهم العلمية، وعدم تعمقهم بالعربية ووقوعهم في تصحيفات وأخطاء منكرة، كما لا يوثق بعزوهم إلى ما يعزون إليه، لقلة فهمهم كلام العرب، ولتعمد بعضهم التشويه والكذب والتحريف.

رابعاً: أن تتبنى الجهات ذات العلاقة لخدمة القرآن برامج إذاعية تهدف إلى توعية الأمة الإسلامية بحقيقة هذا القرآن، وتقوية الصلة به، والاستزادة من الثقة فيه، والتماس الوسائل الكفيلة بذلك.

وفي ختام هذه الدراسة أقول: إن هذه محاولة متواضعة أردت أن أشارك بها في ميدان البحث العلمي، خدمة للدراسات القرآنية. وما أبرئ نفسي من القصور أو التقصير، فتلك شيمة الإنسان في كل زمان ومكان؛ ذلك أن الكمال المطلق لله وحده. أما أعمال بني الإنسان فإنها عرضة للخطأ والنسيان، موصولة بمدد لا يكاد ينقطع من عثرات الهفوات والزلات، ومهما بالغ المرء في الحرص واليقظة فلا بد من العثار في هفوة القول، أو عافية العقل.

وإن تجد عيباً فسدّ الخللا   فجلَّ من لا عيب فيه وعلا

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الفهرس

الفهرس العام لأبحاث المحور الأول، الجزء الأول

المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
بالمدينة المنورة



ندوة
عناية المملكة العربية السعودية
بالقرآن الكريم وعلومه

المنعقدة في
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
بالمدينة المنورة

في الفترة من ٣ - ٦ رجب ١٤٢١هـ

المحور الأول - الجزء الأول

أهمية القرآن الكريم وعناية المسلمين به
منذ نزوله إلى عصرنا الحاضر

ⓒ **مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٤هـ**

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه. /

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. - المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ.

٧ مج

٦٧٢ص؛ ١٦ X ٢٣ سم

ردمك : ٣ - ٥٤ - ٨٤٧-٩٩٦٠(مجموعة)

١ - ٥٥ - ٨٤٧-٩٩٦٠(ج١)

١- مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

٢- القرآن - مباحث عامة ٣- المصاحف - طباعة - السعودية

- ندوات أ. العنوان

ديوي ٢٢,٨٠٦٠٩٥٣١ ١٤٢٤/٢٠٤

رقم الإيداع : ١٤٢٤/٢٠٤

ردمك : ٣ - ٥٤ - ٨٤٧-٩٩٦٠(مجموعة)

١ - ٥٥ - ٨٤٧-٩٩٦٠(ج١)





كلمة

معالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ
وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
المشرف العام على مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
المشرف العام على الندوة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن من أوجب واجبات الدولة المسلمة العناية بكتاب الله تعالى: القرآن الكريم، نشراً وتعليماً، وتطبيقاً وتعظيماً، فيُرَبَّى الناس على حبه، والحفاوة به، والإقبال عليه، وعدم هجره، كما يقبلون على تَعَلُّمه، وتفهُّم ما اشتمل عليه من عقيدة وشريعة ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]، وقد قامت المملكة العربية السعودية بذلك الواجب، منذ عهد مؤسسها الإمام الراحل والملك الصالح عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود رحمه الله رحمة واسعة.

ومن مظاهر هذه العناية: اتخاذه أساساً ودستوراً للحكم؛ فقد أنزله تعالى ليُحْكَم به، ويُحْتكم إليه ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المائدة:٤٩].

ومنها: إنشاء معاهد وكليات متخصصة لتدريس القرآن الكريم وعلومه المختلفة؛ ليتخرج فيها علماء وباحثون ومتخصصون يخدمون كتاب الله في مجالات شتى.

ومنها: عقد مسابقات محلية ودولية في حفظ القرآن الكريم، وتلاوته، وتفسيره؛ لتشجيع طلبته في مشارق الأرض ومغاربها على الاعتناء به، والتعمق في دراسته، والتضلُّع من علومه، والتنافس في

تلاوته وحفظه ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين:٢٦].

ومنها: تخصيص إذاعة خاصة بالقرآن الكريم لتبث آناء الليل وأطراف النهار برامج متنوعة فيما يخص كتاب الله، من تلاوته بأصوات قراء ذائعي الصيت من شتى أنحاء العالم؛ ومن تفسير آياته، وبيان أحكام تجويده، والتعريف بعلومه، وذلك بالإضافة إلى العناية الفائقة به في كثير من برامج الإذاعة العامة.

ومن مظاهر هذه العناية: إقامة صرح عظيم هو: **مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف** بمدينة المصطفى ﷺ لخدمة القرآن الكريم بكتابته بخط أشهر الخطاطين، وتدقيق رسمه وضبطه اعتماداً على أصح المراجع، وطباعته على أحدث الأجهزة، وترجمة معانيه إلى مختلف لغات العالم، وتسجيل تلاوته بأصوات أشهر القراء، والعناية بعلومه تأليفاً وتحقيقاً وطباعة، وذلك تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

إن هذه العناية الرائدة الفريدة بكتاب الله لجديرة بالتنويه والإشادة، كما أنها خليقة بالبحث والدراسة، ليتسنّى للمسلمين في أنحاء العالم الإفادة من نهج المملكة في العناية بالقرآن الكريم والعمل به في جميع شؤون الحياة.

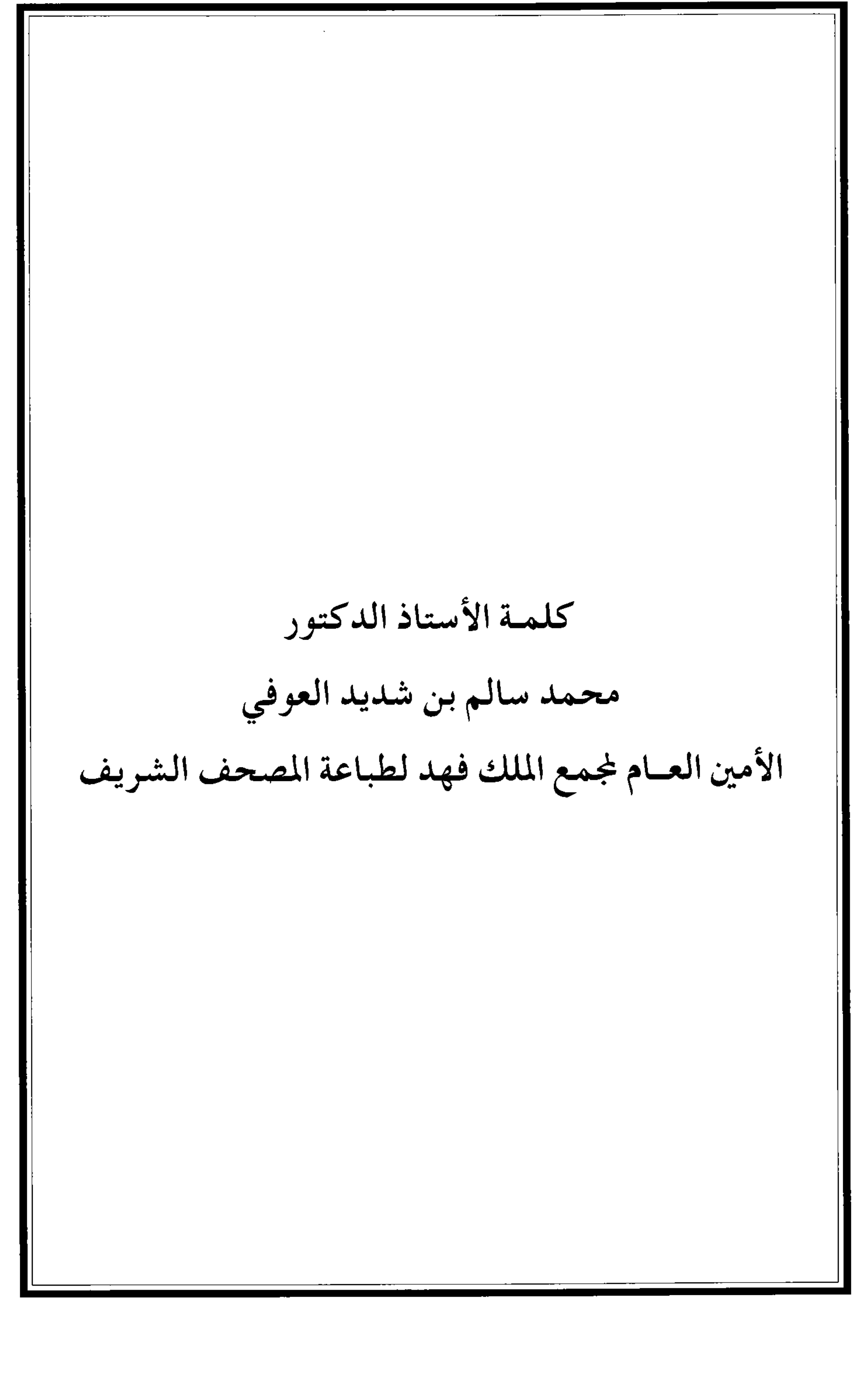
ورغبة من وزراة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في تجلية أبعاد عناية المملكة بالقرآن الكريم في إطار عناية المسلمين به عبر التاريخ – رأت عقد ندوة بعنوان (**عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه**) يشارك فيها نخبة من العلماء الباحثين من

داخل المملكة وخارجها. والله نسأل أن يكتب لها النجاح، وينفع بها المسلمين، ويثيب خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، وسمو وليّ عهده الأمين، وسمو النائب الثاني - حفظهم الله - على جهودهم المتواصلة في خدمة القرآن الكريم، ودعمهم غير المحدود لكل ما مِنْ شأنه إعلاء كلمة الله.

وقد لمست الوزارة المستوى العلمي الرفيع الذي تبوأته بحوث الندوة، فرأت طباعتها لتعميم الانتفاع بها، والإفادة منها في كتابة الأبحاث العلمية المتصلة بالقرآن الكريم وعلومه.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أشكر الإخوة الذين أسهموا في التخطيط لهذه الندوة، والإشراف على سير عملها، وأخص بالذكر اللجنة التحضيرية برئاسة أ.د. محمد سالم بن شديد العوفي، واللجنة العلمية برئاسة أ.د. علي بن ناصر فقيهي، سائلا الله تعالى العون والتوفيق للجميع.

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



كلمة الأستاذ الدكتور
محمد سالم بن شديد العوفي
الأمين العام لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾ [الكهف: ١] والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فمنذ صدور الموافقة السامية على قيام وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ممثلة في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة بتنظيم ندوة (**عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه**)، والعمل يسير بخطى جادَّة بتوجيه ومتابعة من معالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المشرف العام على المجمع، المشرف العام على الندوة؛ توخياً لأن يكون مستوى الندوة العلمي والتنظيمي والإعلامي لائقاً بأهمية موضوعها، وبأهدافها التي حددت لها.

ثم وجَّه معالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بطباعة بحوث الندوة؛ لتعميم الانتفاع بها، والإفادة منها في كتابة الأبحاث العلمية المتصلة بالقرآن وعلومه.

والأمانة العامة تودُّ أن تقدم جزيل الشكر ووافر التقدير لكل مَنْ أسهم بجهده وفكره ووقته في التخطيط للندوة، وتنظيمها، ومتابعة الإعداد لها، وعلى رأسهم معالي الوزير المشرف العام على المجمع، المشرف العام على الندوة، والأجهزة والقطاعات التي أسهمت في ذلك، كما تشكر الباحثين الذين تقدَّموا ببحوثهم، وجميع اللجان المشاركة في الندوة، ونسأل الله أن يوفق المسلمين لخدمة كتابه، وأن

يوفق المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين، وسمو ولي عهده الأمين، وسمو النائب الثاني - حفظهم الله - لكل ما فيه خير الإسلام والمسلمين، وخدمة القرآن الكريم.